مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

ديوان

ابن الخياط

أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن علي التغلبي المعروف بابن الخيّاط الدمشقي

٤٥٠ — ٥١٧

رواية تلميذه

أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني

٤٧٨ — ٥٤٨

عني بتحقيقه
خليل مردم بك
رئيس المجمع العلمي العربي

عورض بثماني نسخ مخطوطة

المطبعة الهاشمية بدمشق
١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م

ابن الخيّاط

٤٥٠ — ٥١٧

حياته

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحي بن صدقـة التغلبي ، المعروف بابن الخياط ، الشاعر الدمشقي الكاتب . يتصل نسبه بتَغْلِب وهي قبيلة من ربيعة من العرب العدنانية .

ولد ابن الخياط بدمشق سنة خمسين وأربعمائة، كما ذكر ذلك هو نفسه (١) ، وكان أبوه خياطاً(٢) فاشتهر بالنسبة إليه ، وكان له أخ اسمـه يحي (٣) سيأتي ذكره . وكانت دار ابن الخياط في درب القصّاعين المعروف اليوم بحي الخيضرية (٤) داخل باب الجـابية ، وكان عند داره مسجد (٥) معلّق وقنـاة (٦) ، ولم تكن داره بعيدة عن دار (٧) الأمير أبي الفتيان ابن حَيُّوس شاعر الشام في ذلك الزمان .

---

(١) قال ابن عساكر : « سئل أبو عبد الله (ابن الخياط) عن مولده فقال : في سنة خمسين وأربعمائة » . تهذيب تاريخ دمشق ٢ / ٦٨ .

(٢) قال ابن فضل الله العمري في الفصل الذي عقده في مسالك الأبصار لابن الخياط : « . . . منذ نظم حسدت الشعرى شعره ، وود الغزال لو أن روقيه أحدهما له قلم والآخر لأبيه الخياط إبره . » مسالك الأبصار، الجزء العاشر القسم الثاني ص ٣٦٧ نسخة أحمد الثالث مخطوط مصور في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٣) قد يكون الأخ الأكبر ، لأنه سمي باسم جده جرياً على العادة المتبعة في تسمية أكبر الأبناء باسم جده .

(٤) ويلفظه الدماشقة اليوم « الخضيرية » .

(٥) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢ / ٥٦

(٦) ابن عساكر ٢ / ١٥٤ . والمراد بالقناة ما يطلق عليه الدماشقة اليوم اسم « الطالع » ، وهو مقسم لتوزيع الماء على الدور .

(٧) ديوان ابن حيوس المقدمة ١ / ٦

نشأ ابن الخياط في جوار ابن حَيّوس الشاعر ، ورأى الدنيا مقبلةً عليه ، وهو يتقلب في أعطاف النعيم ، فود الفتى الناشئ لو يكون مثله ، وآنس في نفسه ميلاً للشعر ، ونفوراً من صنعة أبيه الخيّاط ، فأخذ يؤدّب نفسه بحفظ أشعار المتقدمين وأخبارهم . (١)

وكانت أحوال دمشق في حداثة ابن الخياط مضطربة غير مستقرة ، وأهل دمشق أحزاب يثورون بالولاة والقواد وينتقضون عليهم كرها لحكم الدولة الفاطمية . وتأججت الفتنة سنة ٤٦٠ وعمر ابن الخياط وقتئذ عشر سنوات ، فثار أهل دمشق بأمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني والي الشام ، واضطروه إلى الخروج من قصر الإمارة ، وأحرقوا القصر ونقضوا بقاياه(٢) ، وكان ذلك إيذاناً بزوال حكم الفاطميين عن الشام .

واشتد الخلاف بين الجنود وبين أهل دمشق ، وطرحت النار في جانب منها فاحترقت ، واتصلت منه بجامع بني أمية من غربيّه فاحترق في شعبان سنة ٤٦١ ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة (٣) ، ونهبت دور أهل البلد وأموالهم ، فعظم الخطب واشتد الأمر .

وفي سنة ٤٦٣ فتح أتسز بن أوق الخوارزمي من أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي القدس ، وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها ، فضاق الناس وصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد (٤) . وبقي يحاصرها من حين إلى آخر حتى دخلها في ذي القعدة سنة ٤٦٨ ، فأنزل جنده في دور الدمشقيين ، واعتقل من وجوههم جماعة وشمّسهم بمرج راهط حتى افتدوا نفوسهم بمال أدوه له ، ورحل جماعة منهم عن البلد الى طرابلس (٥) .

وفي سنة ٤٦٩ لم يبق من أهل دمشق عشر العشر من الجوع والفاقة ، بل لم يبق من أهلها سوى ثلاثة آلاف إنسان بعد خمسمائة الف أفناهم الفقر والغلاء والجلاء . وكان بها مائتان وأربعون خبازاً فصار بها خبازان ، والأسواق خالية ، والدار التي كانت تساوي

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ / ٦٧ .
(٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٣ .
(٣) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٦ .
(٤) ابن الأثير ٢٣/١٠
(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ / ٣٣١ .

ثلاثة آلاف دينار ينادى عليها بعشرة دنانير فلا يشتريها أحد ، والدكان الذي كان يساوى ألف دينار مايشترى بدينار ، وأكلت الكلاب والسنانير والفيران (١) .

في هذه الفترة العصيبة ، مابين سنة ٤٦٣ وسنة ٤٦٩ ، ترك ابن الخياط دمشق ، وهو في عنفوان الصبا ، لم يشتهر بالشعر ، فقصد حماة واتصل هناك بأمير اسمه أبو الفوارس محمد بن مانك وكتب له وخدمه مدة (٢) فعرف بابن الخياط الكاتب ، ثم اشتهر بالشعر ، وفي ديوانه ص ٧ قصيدة يمدح بها هذا الأمير أولها :

سَقَوْهُ كَأسَ فُرْقَتِهِمْ دِهاقا   وَأَسْكَرَهُ ٱلْوَداعُ فَما أَفاقا

وكان قد هاجر من دمشق إلى حلب أبو الفتيان ابن حَيُّوس (٣) جاره القديم سنة ٤٦٤ ، وأحسن وفادته بنو مرداس أمراء حلب وأغدقوا عليه عطاياهم ، فبدا لابن الخياط أن يزوره في حلب ، ولما اجتمع به وعرض عليهشعره قال : قد نعاني هذا الشاب الى نفسي ، فقلَّما نشأ ذو صناعة ومهر فيها إلا كان دليلا على موت الشيخ من أبناء جنسه (٤) .

وقال ابن الخياط : دخلت في الصبى على الأمير ابن حَيُّوس بحلب (٥) وهو مُسِنٌّ فأنشدته :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي ما يُباعُ بِدِرْهَمٍ   وَكَفاكَ مِنِّي مَنْظَرٌ عَنْ مَخْبَرِ
إلاَّ صُبابَةُ ماءِ وَجْهٍ صُنْتُهـا   عَنْ أَنْ تُباعَ وَأَيْنَ أَيْنَ ٱلْمُشْتَرِي

فقال له ابن حَيُّوس : لو قلتَ : « وأنت نعم المشتري » لكان أحسن ، ثم قال : كرمتَ عندي ونعيت إليَّ نفسي ، فان الشام لايخلو من شاعر مجيد ، فأنت وارثي ، فاقصد بني عمّار بطرابلس فانهم يحبون هذا الفن ، ثم وصله بثياب ودنانير (٦) .

(١) خطط الشام ١ / ٢٦٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي المجلد الثاني عشر ورقة ١١٠ (مخطوط) .
(٣) ديوان ابن حيوس المقدمة ص ١٤ .
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٥٦ .
(٥) كان ذلك سنة ٤٧٢ كما ورد في الديوان ص ٢٨٧ .
(٦) سير أعلام النبلاء ١٢/١١٠ (مخطوط)

وقبل أن يذهب إلى طرابلس مدح الأمير وثّاب بن محمود بن نصر بقصيدة أنشده إياها بحماة سنة ٤٧٤ أولها(١) :

عَتادُكَ أنْ تَشُنَّ بِها مُغارا فَقُدْها شُزَّباً قُبّاً تبـــــارى

ومـدح بعد ذلك بشيزر الأمير سديد الملك أبا الحسن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ صاحب شيزر سنة ٤٧٦ بقصيدة أولها(٢) :

يَقيني يَقيني حادِثاتِ ٱلنَّوائِبِ وَحَزْمِيَ حَزْمِي في ظُهورِ ٱلنَّجائِبِ

وتصح عزيمته على العمل بوصية شيخه ابن حَيُّوس ، فيترك الكتابة عند محمد بن مانك في حماة ، ويقصد بني عمّار بطرابلس في حدود سنة ٤٧٦ وهـو ابن ست وعشرين سنة ، وصحت نبوءة ابن حَيُّوس ، فقد توفي بعد سنة من اجتماعـه بابن الخياط في حلب ، سنة ٤٧٣ وأصبح ابن الخياط بعد ذلك على حداثة سنه شاعر الشام ، وظل كذلك الى آخر حياته.

دخل ابن الخياط طرابلس وكان صاحبها يومئذ القاضي جـلال الملك أبا الحسن على بن محمد بن عمّار ، وبنو عمّار من خير الحُكّام ، ولهم أيادٍ بيض على العلم والأدب . فاتصل بجلال الملك ومدحه ولم يتوسل إليه إلا بما عرف به من العطف على الشعر والشعراء ، وإلى ذلك يشير بقوله من أبيات مدحه بها(٣) :

آلَيْتُ لا أَبْغي نَداكَ بِشافِعٍ ما لي إِلَيْكَ وَسيلَةٌ إِلاّ كا

وذكر في قصيدة مدحه بها رحلته إليه فقال(٤) :

وَخَرْقٍ كَأَنَّ ٱلْيَمَّ مَوْجُ سَرابِهِ تَرامَتْ بِنا أَجْوازُهُ وَخُروقُها

(١) هي فاتحة الديوان .
(٢) الديوان ص ١٢ .
(٣) الديوان ص ٢٣ .
(٤) الديوان ص ٤٥ .

كَأَنَّا عَلَى سُفْنٍ مِنَ ٱلْعِيسِ فَوْقَهُ ... مَجادِيفُها أَيْدي ٱلْمَطِيِّ وَسُوقُها

نُرَجّي ٱلْحَيا مِنْ راحَةِ ٱبْنِ مُحَمَّدٍ ... وَأَيُّ سَماءٍ لا تُشامُ بُرُوقُها

ومدح أخاه فخر الملك بعدة قصائد هي من أحسن شعره ، منها قصيدة فريدة هي في رأينا أحسن شعره ، سلمت جميع أبياتها وشرفت ألفاظها ومعانيها ، أولها (١) :

أَعْطى ٱلشَّبابَ مِنَ ٱلْآرابِ ما طَلَبا ... وَراحَ يَخْتالُ في ثَوْبَيْ هَوىً وَصِبا

كما مدح غيرهما من آل عمّار ومن رجال دولتهم وأسبابهم .

دخل ابن الخياط طرابلس وهو شاب لا يعتمد إلا على كفاءته في الشعر وطبعه الفياض وما حفظه من شعر المتقدمين ، إذ أن بضاعته في آلات العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع وعروض بضاعة مزجاة . وكان في طرابلس شيخ أندلسي اسمه أحمد بن محمد الطليطلي له حلقة عامرة بالطلبة يلقي عليهم فيها دروساً في العربية والأدب ، فجعل ابن الخياط يغشى هذه الحلقة ولزم شيخها وأفاد من الأدب وفنونه . ولم يقتصر على حضور هذه الحلقة ، بل جعل يختلف أيضا إلى دار العلم التي أنشأها بنو عمّار في طرابلس وجهزوها بأنواع الكتب ، ويعتبر نفسه من تلامذتها (٢) .

وصحب في طرابلس جماعة من الوجوه والرؤساء والأدباء فضلاً عن أمرائها بني عمّار ، وكان في أوقات فراغه يجلس في دكان بسوق من أسواق طرابلس مع بعض أصحابه من الأدباء ، وقد يخرج معهم إلى البساتين والأماكن النزهة ، يروّحون عن أنفسهم ويتطارحون الشعر والأدب . قال ابن عساكر (٣) : « حدث السابق وهو أبو اليمن محمد بن الخضر المعري قال : اجتمعت بأبي عبد الله بن الخياط بطرابلس ، وكنت أنا وهو نجلس في دكان

---

(١) الديوان ص ٦٤ .

(٢) الديوان ص ١٢١ .

(٣) تاريخ ابن عساكر ٢/١٠٢ (مخطوط) .

إنسان عطّار نصراني يعرف بأبي الفضل ، ذكي محب الأدب ، فخرجنا يوماً إلى ظاهر البلد فاخترنا موضعاً جلسنا فيه على غدير هناك ، فقال أبو عبد الله للسابق : اعمل في هذا المعنى أبياتاً عاجلاً ، فقال نعم ؛ فعمل ابن الخياط بديهاً (١) :

أَوَ ما تَرى قَلَقَ الْغَدِيرِ كَأَنَّهُ ... يَبْدُو لِعَيْنِكَ مِنْهُ حَلْيُ مَناطِقِ
مُتَرقْرِقٌ لَعِبَ الشُّعاعُ بِمائِهِ ... فَارْتَجَّ يَخْفِقُ مِثْلَ قَلْبِ الْعاشِقِ
فَإِذا نَظَرْتَ إِلَيْهِ راعَكَ لَمْعُهُ ... وَعَلَتْ طَرْفَكَ مِنْ سَرابٍ صادِقِ

ولم يفتح الله على السابق ببيت ولا بلفظة ، فقال العطار : قد عملت بيتاً واحداً وهو :

قَدْ كُنْتُ آمُلُ أَنْ أَجِيءَ مُصَلِّياً ... حَتَّى رَأَيْتُكَ سابِقاً لِلسّابِقِ

فاستحسنا ما أتى به وجعلناه من مأثور الأخبار . وكان السابق لا يحفظ من شعره بيتاً واحداً وأبو عبد الله بن الخياط بخلافه يحفظ شعره منذ عمله إلى أن مات . »

والمدة التي عاشها ابن الخياط في طرابلس تقدر بعشر سنوات من سنة ٤٧٦ إلى سنة ٤٨٦ تزيد أو تنقص قليلاً ، نجا فيها من الفقر ، ولكنه لم يبلغ ماتصبو إليه نفسه من الثراء ، على أن ماحاز من مال وعقار هناك لم يسلم من محن الدهر ، فقد احترقت داره في طرابلس وأتت النار عليها وعلى مافيها من أثاث ومتاع ، وقد قال في ذلك قطعة منها قوله (٢) :

قَدْ نَحَتْ عَظْمِي خُطوبٌ لَمْ تَزَلْ ... تَأْكُلُ الْأَحْرارَ أَكْلاً مُمْعِنا
وَأَتَتْنِي بَعْدَها نازِلَةٌ ... أَنْزَلَتْ فِي ساحَتِيَّ الْمِحَنا

وشعره الذي قاله في طرابلس فيه مقدار غير يسير من الشكوى من معاكسة الدهر له ومن تعذر المطالب .

(١) انظر الديوان ص ١٢٥ .
(٢) الديوان ص ٩١ .

وفي هذه المدة وفد من طرابلس على منير الدولة والي صور سنة ٤٨٤ ومدحه بقصيدة أنشده اياها بصور أولها (١) :

إذا عَزَّ نَفْسي عَنْ هَواكَ قُصورُها　　فَمِثْلُ ٱلنَّوى يَقْضي عَلَيَّ يَسيرُها

وعاد الى طرابلس ولم يمكث بها طويلا وتركها وعاد الى دمشق في حدود سنة ٤٨٦ ولسانه رطب بالثناء على بني عمّار ، فقد كتب من دمشق بعد خروجه من طرابلس قصيدة الى جلال الملك أولها (٢) :

لَئِنْ عَداني زَمانٌ عَنْ لِقائِكُمُ　　لَما عَدانِيَ عَنْ تَذْكارِ ما سَلَفا

ولما عاد ابن الخياط إلى دمشق كان ملكها يومئذ تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي ، وكان وزيره هبة الله بن بديع الأصفهاني فصحبه وكان أثيراً عنده ، قال ابن القيسراني (٣) : وقّع هبة الله بن بديع أبوالنجم لابن الخياط بألف دينار وهو آخر شاعر في زماننا وقع له بألف دينار .

وسافر معه سنة ٤٨٧ إلى الري وأنشده هناك قصيدة مدحه بها ، أولها (٤) :

أَيا بَيْنُ ما سُلِّطْتَ إِلاَّ عَلَى ظُلْمِي　　وَيا حُبُّ ما أَبْقَيْتَ مِنِّي سِوى ٱلْوَهْمِ

ويقول وهو بالري مخاطباً هبة الله من أبيات (٥) :

وَما كانَ لي لَوْلاكَ بِٱلرَّيِّ مَنْزِلٌ　　وَإِنْ شَعَفَتْ غَيْرِي وَتَيَّمَ حُبُّها

(١) الديوان ص ١٣٣ .
(٢) الديوان ص ٣٨ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/١١٠ (مخطوط) .
(٤) الديوان ص ١٤٥ .
(٥) الديوان ص ١٥٢ .

ولم تطب له الإقامة فيها فتركها بعد أن هجا مستوفي أعمالها واسمه فخراور بأبيات تظرّف فيها باستعمال كلمة فارسية وأول الأبيات[١] :

قُولا لِفَخْراوَرَ قَوْلَ امْرِئٍ   في عِرْضِهِ عاثَ وَفي الرِّيشِ[٢] راثْ

وذهب من الري إلى خراسان ، وفيها يقول متشوقاً إلى دمشق وغوطتها[٣] :

أَلا لَيْتَ شِعْري هَلْ أَبِيتَنَّ لَيلَةً   يُرَوِّحُني بِالْغُوطَتَيْنِ نَسيمُ

ولم تطل مدة إقامته في بلاد العجم بل عاد إلى دمشق[٤] سنة ٤٨٧ واتصل فيها بالأمير حسّان بن مسمار بن سنان أمير الكلبيين ومدحه بقصيدتين : مطلع الأولى[٥] :

هِيَ الدِّيارُ فَعُجْ في رَسْمِها الْعاري   إِنْ كانَ يُغْنيكَ تَعْريجٌ عَلَى دارِ

ومطلع الثانية[٦] :

مَتَى أَنا طاعِنٌ قَلْبَ الْفِجاجِ   وَرامي الْخَرْقِ بِالْقُلُصِ النَّواجي

كما اتصل في السنة نفسها بعضب الدولة أبي أحد مقدّمي أمراء دمشق ومدحه بالقصيدة المشهورة التي أولها[٧] :

خُذا مِنْ صَبا نَجْدٍ أَماناً لِقَلْبِهِ   فَقَدْ كادَ رَيّاها يَطيرُ بِلُبِّهِ

---

(١) الديوان ص ١٥٣ .
(٢) ريش : بالفارسية اللحية .
(٣) الديوان ص ١٥٣ .
(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٧٠ .
(٥) الديوان ص ١٥٤ .
(٦) الديوان ص ١٦١ .
(٧) الديوان ص ١٧٠ .

وصحب عضب الدولة وخص به ومدحه بعدة قصائد ونادمه على الشراب في مجالس اللهو والأنس والطرب ، وكان يرتجل الشعر في وصف تلك المجالس وما يجري فيها من اللهو . وطالت صحبته لعضب الدولة حتى فرّق بينهما الدهر بوفاة عضب الدولة سنة ٥٠٢ فرثاه بقصيدة ليست من جيد شعره أولها(١) :

أَبعدَكَ أَتَّقي نُوَبَ ٱلزَّمـانِ   أَبعْدَكَ أَرْتجي دركَ ٱلْأَمـاني

وبعد وفاة عضب الدولة اتصل بتاج الملوك أبي سعيد بوري بن طغتكين صاحب دمشق ، وكان حينئذ ولياً لعهد أبيه ، وصحبه كما صحب عضب الدولة ومدحه وكان يحضر مجالس لهوه وشرابه ويصفها .

وصحب أيضاً الرئيس أبا الذوّاد المفرّج بن الحسن الصوفي رئيس دمشق ، والوزير طاهر بن سعد المزدقاني ، وأبا اليمن سعيد بن علي التنوخي المعري متولي الشرطة(٢) بدمشق ، وأبا يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي رئيس دمشق وصاحب التاريخ المعروف بذيل تاريخ دمشق . ومدحهم وأخذ جوائزهم كما مدح غيرهم من القواد والوجوه والرؤساء .

وكان له عدد من الأولاد لانعرف أسماءهم ، ولكن ورد في شعره مايدل على ذلك ، فقد كتب إلى ابن الصوفي رئيس دمشق قصيدة ذكر فيها أنه ازداد عدد أولاده بمولود جديد قال(٣) :

... غَيْرَ أَنِّي أَدْعو نَداكَ إِلىٰ يَوْ   مٍ بِهِ زادَ في عَبيدِكَ عَبْدُ
وَلَعَمْري ما كانَ يَخْرُجُ نَجْلٌ   عَنْ قَبيلٍ أَبوهُ فيهِمْ يُعَدُّ
وَلَأَنْتَ ٱلْأَوْلىٰ بِعَبْدِكَ مِنِّي   كُلُّ مَوْلىً بِعَبْدِهِ مُسْتَبِدُّ

---

(١) الديوان ص ٢٢٣ .

(٢) ابن عساكر ٢ /٦٩ والأعلاق الخطيرة ص ١١٤ وص ٢٧٦ .

(٣) الديوان ص ٢٥٤ .

ومرض قبل وفاته مدةً ، وكتب في مرضه سنة (٥١٧) إلى الرئيس ابن القلانسي قصيدة هي آخر ماورد في الديوان من شعره أولها[1] :

عسىً باخلٌ بلقاءٍ يجودُ   عسىً ما مضىً من تدانٍ يعودُ

يقول فيها :

مَرِضْتُ فَهَلْ مِنْ شِفاءٍ يُصابُ   وَهَيْهاتَ وَالْدّاءُ طَرْفٌ وَجِيدُ

وَيا حَبَّذا مَرَضي لَوْ يَكو   نُ مُمْرِضِيَ الْيَوْمَ فِيمَنْ يَعُودُ

وتوفي بدمشق في حادي عشر شهر رمضان سنة ٥١٧ سبع عشرة وخمسمائة[2] . ولم تعين المقبرة التي دفن فيها ولعلها مقبرة الباب الصغير لقربها من داره .

ولم يشتهر أحد من أولاده بعده ولا من أولادهم ؛ ولكن ذرية أخيه يحي اشتهر منها جماعة بالعلم والأدب والوجاهة عرفوا بأبناء سني الدولة ، ويظهر أن يحيى هذا هاجر مع أخيه الشاعر إلى طرابلس وتديَّرها ، وولد له بها ابنه الحسن الملقب بسني الدولة أبي الكتائب ، ورجع سني الدولة إلى دمشق « وتولى كتابة الإنشاء لصاحب دمشق قبل نور الدين الشهيد وكان له ثروة وحشمة ووقف على ذريته أوقافاً وهو ابن أخي احمد بن محمد بن الخياط الشاعر المشهور[3]» وعرف أولاده بني سني الدولة ، وتولى منهم غير واحد القضاء في دمشق ، منهم القاضي شمس الدين وابنه القاضي صدر الدين وابنه القاضي نجم الدين ، كان كل منهم قاضي القضاة في دمشق . وفيما يلي شجرة تبين نسب ابن الخياط وذرية أخيه :

---

(١) الديوان ص ٣٢٥ .

(٢) ابن خلكان ١ / ٥٧ .

(٣) المنهل الصافي لابن تغري بردي ، (مخطوط) ، بترجمة صدر الدين احمد بن يحي ابن سني الدولة .

صدقة

↓

يحيى

↓

علي

↓

محمد

↓

و عبد الله أحمد المعروف بابن الخياط (٤٥٠ — ٥١٧)

يحيى

↓

سني الدولة [١] الحسن

↓

هبة الله

↓

قاضي القضاة شمس[٢] الدين أبو البركات يحيى (٥٥٢ — ٦٣٥)

↓

قاضي القضاة صدر الدين [٣] أبو العباس احمد (٥٧٠ - ٦٥٨)

↓

قاضي القضاة نجم الدين [٤] محمد (٦١٦ — ٦٨٠)

---

(١) كان من كتاب الانشاء لصاحب دمشق قبل نور الدين الشهيد . (المنهل الصافي بترجمة صدر الدين احمد بن يحيي ابن سني الدولة) .

(٢) طبقات الشافعية ٥ / ١٥٠ وقضاة دمشق ص ٦٨ وشذرات الذهب ٥ / ١٧٧ .

(٣) قضاة دمشق ص ٧٠ وشذرات الذهب ٥ / ٢٩١ والمنهل الصافي .

(٤) قضاة دمشق ص ٧٤ وشذرات الذهب ٥ / ٣٦٧ .

علمه وأدبه

نشأ ابن الخياط بدار صانع فقير ، بحي من أحياء دمشق الجنوبية ، في فترة من الزمن شديدة الاضطراب في كل ناحية من نواحي الحياة ، لايكاد الإنسان ينال فيها قوت يومه إلا بالجد والكد ، فلم يتيسر للشاعر الفتى أن يتلقى العلم والأدب عن المشايخ كما ينبغي ، بل كان يحفظ مايطلع عليه ويختاره من الشعر الذي يعجبه وينسج على منواله ؛ وكانت دار ابن حَيّوس شاعر الشام وقتئذ غير بعيدة من داره ، وهو أمير موسر ، فودّ ابن الخياط لو يكون مثله ، وبقي معجباً به طول حياته . ولكن ابن حَيّوس هاجر من دمشق في اوائل[1] سنة ٤٦٤ قبل أن يتمكن ابن الخياط من الأخذ عنه ، وما يذكر في كتب التراجم من أن ابن حَيّوس شيخ ابن الخياط يقصد به اجتماعها في حلب كما سيأتي .

وتزداد الحال سوءاً في دمشق ، فيضطر ابن الخياط الى الخروج منها وهو ابن عشرين سنة ، تنقص أو تزيد قليلا ، ولم يحفظ من شعره شيء قبل خروجه من دمشق الى حماة حيث عمل كاتباً للأمير أبي الفوارس محمد بن مانك ، وكان لم يشتهر بعد بالشعر فعرف بابن الخياط الكاتب . وزار حلب غير مرة واجتمع هناك بابن حَيّوس ، قال ابن[2] خلكان : « لما اجتمع ابن الخياط بأبي الفتيان ابن حَيّوس الشاعر المشهور بحلب وعرض عليه شعره قال : قد نعاني هذا الشاب الى نفسي ، فقلما نشأ ذو صناعة ومهر فيها إلا كان دليلا على موت الشيخ من أبناء جنسه » .

وتبدأ أخبار ثقافته وأخذه عن غيره من هذا التاريخ أي بعد بلوغه العشرين من عمره ، أما قبل ذلك فقد كان يأخذ نفسه بحفظ الشعر وأخبار الأدباء . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء[3] : « اجتمع ابن الخياط بحلب بالأمير أبي الفتيان ابن حَيّوس ، وروى عنه وعن السابق محمد بن الخضر بن أبي مهزول المعري ، وحسان بن الجباب ، وأبي نصر بن الحيبي

(١) ديوان ابن حيوس ، المقدمة ص ١٣ .

(٢) وفيات الأعيان ٥٦/١ .

(٣) المجلد ١٢ ورقة ١١٠ (مخطوط) .

وعبد الله بن أحمد بن الدويدة . وروى عنه أحمد بن محمد الطليطلي ومحمد بن نصر القيسراني وتخرج به » .

وفي آخر مرة اجتمع بابن حيّوس وصله بثياب ودنانير ، ونصح له أن يقصد بني عمّار بطرابلس ففعل . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : « قال أبو عبد الله أحمد الطليطلي : كان ابن الخياط أول مادخل طرابلس وهو شاب ، يغشاني في حلقتي وينشدني مااستكثره له فأتهمه ، لأنني كنت إذا سألته عن شيء من الأدب لايقوم به ؛ فوبخته يوماً على قطعة عملها ، وقلت أنت لاتقوم بنحوٍ ولا لغة ، فمن أين لك هذا الشعر؟ فقام إلى زاوية ففكَّر ثم قال اسمع :

وَفاضِلٍ قـالَ إذ أَنْشَدْتُهُ نُخَباً ... مِنْ بَعْضِ شِعْرِي وَشِعْرِي كُلُّهُ نُخَبُ
لا شَيْءَ عِنْدَكَ مِمّا يَسْتَعِينُ بِهِ ... مَنْ شأنُهُ مُعْجِزاتُ ٱلنَّظْمِ وَٱلْخُطَبُ
فَلا عَرُوضٌ وَلا نَحْوٌ وَلا لُغَةٌ ... قُلْ لي فَمِنْ أيْنَ هٰذا ٱلْفَضْلُ وَٱلْأَدَبُ
فَقُلْتُ قَوْلَ ٱمْرِئٍ صَحَّتْ قَرِيحَتُهُ ... إنَّ ٱلْقَرِيحَةَ عِلْمٌ لَيْسَ يُكْتَسَبُ
ذَوْقِي عَرُوضِي وَلَفْظِي جُلُّهُ لُغَتِي ... وَٱلنَّحْوُ طَبْعِي فَهَلْ يَعْتاقُنِي سَبَبُ (١)

فقلت : حسبك الله ، والله لا استعظمت لك بعدها عظيما . ولزمني بعد ذلك فأفاد من الأدب ما استقل به » حتى أن الطليطلي نفسه روى عنه .

ولم يقتصر على حضور هذه الحلقة بل جعل يختلف أيضاً إلى دار العلم التي أنشأها بنو عمّار في طرابلس وجهزوها بأنواع الكتب ، ويعتبر نفسه من تلامذتها ويطالب بما يوزّع عليهم من جراية وهبات (٢) .

(١) لم ترد هذه الأبيات في الديوان ، لأن الديوان لم يشتمل على أكثر ما قاله في صباه فيما نرى .
(٢) انظر الديوان ص ١٢١ .

وأخذتْ تزداد ثقافته الأدبية مع الزمن وساعده على ذلك سرعة حفظه وقوة ذاكرته ، قال ابن عساكر : « كان ابن الخياط يحفظ أشعار المتقدمين وأخبارهم ، جالسته مرة عند جدي القاضي أبي الفضل وتفاوضنا في معانٍ كثيرة .... وأجازني بجميع ماقاله من النظم والنثر سنة سبع وخمسماية [1] » .

وصحبه في دمشق محمد بن نصر القيسراني الشاعر المشهور وكان فتى ناشئاً ، ولازمه وقرأ عليه الأدب وتخرج به [2] . وهو الذي جمع ديوانه ورتبه ؛ واختار أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي مجلدة لطيفة من شعره وسمعها منه .

وكان لابن الخياط نثر واشتهر بـ (الكاتب) قبل أن يشتهر بـ (الشاعر) ، وأجاز ابنَ عساكر برواية نظمه ونثره ، وكان يفتخر بنثره كما كان يفتخر بشعره — على قلة شعره في الفخر — وإلى ذلك يشير بقوله [3] :

... مِمّا تَنَخَّلَهُ وَحَصَّلَ ماهِرٌ فَضَلَ ٱلْبَرِيَّةَ ناثِراً وَمُقَرِّضـــا

ولكن لم يصل إلينا شيء من ذلك النثر .

على أن أثر الثقافة ضئيل في شعره ، فقد كان يعتمد على طبعه وذوقه أكثر مما يعتمد على ثقافته الأدبيه التي اتسعت مع الزمن ، والناظر في شعره يجده يأخذ بالرخص ويستعمل الضرورات وبعضها أشبه بالخطأ واللحن ، ويصوغ ألفاظاً ويشتقها على سبيل القياس ولو لم تسمع ، وسنبسط ذلك عند الكلام على لغته .

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦٧/٢ .

(٢) ابن خلكان ٢١/٢ .

(٣) الديوان ص ٢٠٣ .

صفته وأخلاقه

لم يعن أحد ممن ترجم لابن الخياط بوصف هيئته ، ولو لا جملة واحدة نقلها الذهبي في سير أعلام النبلاء عن العماد الكاتب لما علمنا شيئاً عنها قال : « ... ومن كان ينظر إلى ابن الخياط يعتقده جمَّالاً أو حمَّالاً لبزَّته وشكله وعرضه » فقد كان إذن ضخماً عريضاً خشن الهندام والهيئة واللبسة ، يلبس الغليظ الجافي من الكساء ؛ وعرفنا من شعره أشكالا من الثياب التي كان يلبسها ، فقد كتب إلى أحد أصحابه يقتضيه فوطة يلبسها مع ثوب كان وصله به قوله من أبيات[1] :

قَدْ وَصَلَ ٱلثَّوْبُ وَلا عُذْرَ لي ... أَنْ أَلْبَسَ ٱلثَّوْبَ بِلا فُوطَهْ

« والفوطة واحدة الفُوَط وهي ثياب تجلب من السند غلاظ قصار مخططة تتخذ مآزر يشتريها الجمالون والأعراب والخدم فيأتزرون بها » .

وكان يلبس على هذه الفوطة ثوبا ، وفوقه جبة من صوف أو خز إن تيسر ، قال[2] :

أَسُومُ ٱلْجِبابَ فَلا خَزَّها ... أُطيقُ ٱبْتِياعاً وَلا صُوفَها
وَكَيْفَ ٱلسَّبيلُ إِلىٰ جُبَّةٍ ... لِمَنْ لَيْسَ يَمْلِكُ تَصْحِيفَها

وغني عن البيان أنه كان يرسل لحيته ، ويعتمّ بعمامة يكوّرها على رأسه .

ولا بد من أن يكون استعاض عن تقشفه وخشونته بقسط من التنوق بعد أن ارتاش وحسنت حاله ، وصحب الأمراء والوزراء والقواد والرؤساء ونادمهم .

(١) الديوان ص ٣١٧ .

(٢) الديوان ص ٢٩٥ .

ويظهر أنه كان قويا جلداً على السفر ومشاقه وركوب الخيل والجمال ، فقد وصف أسفاره وما كانت تعانيه فيها الخيل والإبل . ولقد سافر في شبابه من دمشق إلى حماة وحلب وطرابلس وصور ، وعاد الى دمشق كهلا ، ولم يكد يستقر بها حتى قصد بلاد العجم فدخل الري ومنها إلى خراسان ثم عاد الى دمشق . وفي ديوانه أبيات غير قليلة في وصف أسفاره[1].

وكان على مايظهر ، مع سرعة خاطره وبداهته وارتجاله ، حلو الحديث حسن المحاضرة ، فاصطفاه علية القوم في طرابلس وفي دمشق ، فصحبهم وحضر مجالسهم الخاصة ونادمهم على الشراب .

وكان يميل الى مخالطة الناس وملابستهم ، والترويح عن النفس والتفرج بالجلوس في الأسواق في أوقات فراغه عند بعض أصحابه ومع بعض أصحابه من الأدباء ، وقد يذهبون معاً إلى بعض الأماكن النزهة والبساتين ، فقد ذكر عنه أنه كان يجلس في طرابلس [2] في دكان عطار أديب ، وكان يجلس في دمشق بدكان الحسن [3] بن رويبل الأبّار الشاعر في سوق الأبّارين [4] يتناشدان الأشعار ؛ وكان يلعب بالنرد [5] ووصفه الصلاح الصفدي بالذكاء [6]

وكان لما قاساه في حداثته من الفقر والحرمان والغربة ، كثير الشكوى من الزمان وأهله، وظل هذا ديدنه حتى بعد أن حسنت حاله ، قال من قصيدة وقد بلغ الأربعين من عمره يشكو المحارفة في العيش[7] :

---

(١) انظر الديوان ص ٤٥ وص ٧٤ وص ١٤٧ و ص ١٦١ وص ٢٣٧ وص ٢٥٦ .
(٢) انظر ص ٩ من المقدمة .
(٣) خريدة القصر ١ / ٢٦٢ ومرآة الزمان ص ١٠٠ .
(٤) سوق الأبّارين بباب الفرج (قرب الجامع المعلق) ولهم سوق آخر غربي البزوريين . أسواق دمشق ليوسف بن عبد الهادي . الخزانة الشرقية ٣ / ١٢٨ .
(٥) انظر الديوان ص ٢٨٤ .
(٦) الوافي بالوفيات في ترجمة ابن الخياط (مخطوط) .
(٧) الديوان ص ٢٩٠ .

وَقَدْ وَسَمَتْنِي الأَرْبَعُونَ بِعُرِّها وَحالَتْ بِشَيْبي لِلشَّبِيبَةِ حالُ
فَلَيْتَ الَّذي أَرْجُومِنَ العُمْرِ بَعْدَها يَطِيبُ بِهِ عَيْشٌ وَيَنْعَمُ بالُ
يَقُولُ أُناسٌ كَيْفَ يُعْجِزُكَ الغِنى وَمِثْلُكَ يَكْفِيهِ الفِعالَ مَقالُ
وَما عِنْدَهُمْ أَنَّ السُّؤالَ مَذَلَّةٌ وَنَقْصٌ وَما قَدْرُ الحَياةِ سُؤالُ

ويظهر أنه كان ابن الجانب دمث الأخلاق يألف ويؤلف ، يدل على ذلك خلو شعره من الفخر والهجـــاء إلا قليلاً جداً من الأبيات في هذين المعنيين . وفي قوله يعاتب صديقاً له من أبيات(1) :

وَما هِيَ إِلاَّ حُرْمَةٌ لَوْ رَعَيْتَها رَعَيْتَ فَتىً عَنْ شُكْرِها لا يُقَصِّرُ
كَرِيمًا مَتى عاطَيْتَهُ كَأْسَ عِشْرَةٍ تَعَلَّمْتَ مِنْ أَخْلاقِهِ كَيْفَ تَسْكَرُ

مايدل على ذلك .

ويقـول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار : « كان ابن الخياط في وقته ممن له القدر العلي ، والصدر الرحيب لفضله الجلي ، وهو دمشقي الدار ، شقي الحظ بالاشام لا بغلبة الأقدار ، هجي بما نبّه على جلالته ، ونوّه بقدر أصالته ، وشبّه على حسوده فأكد له المدح بما يشبه الذم ، وأراد به النقص في حقه وأراد الله خلافـه فتم ، وتحيّل في إخفـاء مسكه المتضوّع وريحه قد نم » فـلم يأبه لمن هجاه من هؤلاء الحساد ومر بلغوهم مر الكرام ، ولم يجب أحداً منهم لأنه غير طـمّاع ولا لمـّان .

(1) الديوان ص ١٢٤ .

شعره

ابن الخياط شاعر مطبوع فصيح ، جزل الألفاظ من غير إغراب ، واضح المعاني ، في شعره حلاوة وطلاوة ، وأثر الطبع فيه أظهر من جميع العناصر التي يتكون منها الشعر . وله بضع قصائد بلغ بها الذروة صحةَ معانٍ وحسنَ أداء ، وفي بعضها من الجزالة والقوة مايحاكي شعر الصدر الأول من المخضرمين والإسلاميين ، وذلك لصحة طبعه وسلامة ذوقه وكثرة حفظه من شعر المتقدمين .

وهو على قوة طبعه لايستوي جميع شعره ، بل ربما تفاوت ولكن من غير إفراط في التفاوت ، فقد يعلو حتى يبلغ الذروة ، وينحط عن تلك المكانة ، ولكن قلما يسف .

وسبيله في النظم سبيل المطبوعين ، يعتمد على طبعه وسليقته ، ولو خالف القواعد والرسوم ، ولذلك يكثر في شعره الزحاف الذي يلفى في الشعر القديم قبل أن يحرر الخليل بن احمد قواعد العروض ، ولعله هو والبحتري من أكثر الشعراء زحافاً ، من ذلك قوله :

الديوان ص ٣٩

أَمُرُّ بِالرَّوْضِ فيهِ مِنْكُمُ شَبَهٌ   فَأَغْتَدي بارِئاً وَأَنْثَني دَنِفا

وقوله : ص ١٤٥

وَما مَنْ رَمى مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ فَأَقْصَدَتْ   نَوافِذُهُ كَمَنْ تَعَمَّدَ أَنْ يَرْمي

وقوله : ص ١٧٣

يَقُولُونَ تِرْبٌ لِلْغَمامِ وَإِنَّما   رَجاءُ الْغَمامِ أَنْ يُعَدَّ كَتِرْبِهِ

وقوله : ص ٢٤٢

كَفى مِنْ شَجايَ عَبْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ   وَلُبٌّ مُطارٌ أَمْ سَقامٌ مُهيِّجُ

وقوله : ص ٢٥٩

مَنْ كانَ يَفْخَرُ أَنَّهُ مِنْ أُسْرَةٍ   كَرُمَتْ وَيَضْرِبُ في الْكِرامِ مُعْرِقا

وقوله : ص ٣٠٦

فَأَنْتَ الْحَقيقُ بِالْعَلاءِ وَبِالثَّنا   إِذا الْحَقُّ يَوْماً أَوْجَبَتْهُ الْحَقائِقُ

وتجوّزه في اللغة في طائفة من شعره جريء وغير قليل ، وسنبسط الكلام عليه في فصل خاص يلي هذا الفصل .

وسعة روايته للشعر القديم جعلتْ في نفسه ملكةً على حسن البيان وإشراق الديباجة ، وقوةً على محاكاة الفحول من الشعراء والطبع على غرارهم في أصالة الأسلوب وشدة الأسر في طائفة صالحة من شعره .

لا نعلم متى بدأ يقول الشعر ، ولا بد من أن يكون قاله في سن مبكرة لأنه شاعر بالفطرة ، ولكن ليس في الديوان إلا ما قاله بعد أن بلغ العشرين من عمره واجتازها قليلا .

وشعره في شبابه من أحسن شعره وهو قليل الصنعة لولا قصيدة واحدة من أول ماقاله من الشعر أولها : ص ٧

سَقَوْهُ كَأْسَ فُرْقَتِهِمْ دِهاقا   وَأَسْكَرَهُ الْوَداعُ فَما أَفاقا

ففيها قسط من الصنعة بخلاف سائر شعره ، ثم أقلع عن هذه الطريقة وسلك طريقة الطبع ، على أن هذه القصيدة لم تدون إلا في نسخة واحدة من ثماني نسخ مخطوطة من ديوانه رجعنا إليها في تحقيق هذا الديوان ، ولم يروها عنه تلميذه القيسراني الذي جمع ديوانه .

وفي بعض قصائده أثر من استعارات أبي تمام الطائي وتشبيهاته وكناياته ، من ذلك قوله : ص ٥٥

وَكَيْفَ تَرى مِياهَ الْفَضْلِ إِلّا   وَقَدْ رُشِفَتْ بِأَفْواهِ الْعُقُولِ

وقوله : ص ٦٠

هَرَبْتُ مِنَ ٱرْتياحِكَ حينَ أَنْحى على حَمْدي بِعَضْبِ نَدىً صَقيلِ
وَلَمّا عُذْتُ بِٱلْعَلْيـاءِ قالَتْ لَعَلَّكَ صاحِبُ ٱلشُّكْرِ ٱلْقَتيلِ

فأفواه العقول ، والشكر القتيل بعضب الندى ، أشبه بمعاني أبي تمام ، وقلما يسلك طريقه أبي تمام في الصنعة اللفظية ، من ذلك قوله : ص ١٩٨

فَإلىٰ ٱرْتِياحِكَ يَنْتَمي صَوْبُ ٱلْحَيا وَعَلىٰ ٱقْتِراحِكَ يَنْتَهي صَرْفُ ٱلْقَضا

فقابل إلى بعلى ، وارتياحك باقتراحك ، وينتمي بينتهي ، وصوب بصرف . ولكن مثل ذلك في شعره نادر .

وفي بعضها نفحة من نفحات البحتري منهـا قوله : ص ١٨٩

وَلَيْسَ يَبِينُ ٱلدَّهْرَ إخْلاصُ باطِنٍ إذا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْهِ بِظاهِرِ

وهو ينظر إلى قول البحتري :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ ٱلدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إذا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْها بِحاسِدِ (١)

وفي بعضها عبقة من نفس أبي الطيب المتنبي ، مثال ذلك قوله : ص ٢٤

إذا ما ٱلنّارُ كانَ لَها ٱضْطِرامٌ فَما ٱلدّاعي إلىٰ قَدْحِ ٱلزِّنادِ
رَجَوْتُ فَما تَجاوَزَهُ رَجائي وَكانَ ٱلْماءُ غايَةَ كُلِّ صادِ
إذا ما رُوِّضَتْ أَرْضي وَساحَتْ فَما مَعْنىٰ ٱنْتِجاعي وَٱرْتِيادي

(١) ديوان البحتري ص ٥٤ .

وقوله : ص ٣

إذا عايَنْتَ مِنْ عُودٍ دُخاناً فَأَوْشِكْ أَنْ تُعايِنَ مِنْهُ نارا

وقد يكون هـذا التشابه صدر عفواً عن غير قصد ، أو يكون من باب توارد الخواطر أو تقارب السبل ؛ أما الشاعر الذي قصد ابن الخياط أن يسلك طريقته فهو جاره وشيخه ابن حَيُّوس ، للذي رآه من علو منزلته وإقبال الدنيا عليه حتى جعله مضرب المثل في الشاعرية ، قال يصف إحدى قصائده : ص ١٦٥

يَضِيقُ الْأَعْصُرِيُّ بِها ذِراعاً وَيَعْذُرُ عَجْزَهُ عَنْها الْخَفاجِي

والأعصري هو ابن حَيُّوس(١) ، أما الخفاجي فهو عبد الله بن سنان الخفـاجي ، وأرجو أن لا تكون القافية هي التي جرته .

كان ابن الخياط يطبع على غرار ابن حَيُّوس ويقتفي أثره في عدة أمور ، منها : أن له عدة مدائح لم يستهلها بالنسيب وهذه طريقة ابن حَيُّوس ، ومنها قلة الغزل في شعره وخلو ديوانه من الفخر والهجاء إلا قليلاً ، أخذاً بطريقة ابن حَيُّوس(٢) ، ومنها استعمال ألفاظ أكثر ابن حَيُّوس من استعمالها على وجه خاص ، مثل ظَافَرَ بمعنى ظَاهَرَ أو أيّد ، وإضافة كلمة أم الى المعنى الذي يريده تأكيداً له ، قال ابن الخياط : ص ٨٠

وَعَيْشٌ يَرِفُّ عَلَيْهِ النَّعِيمُ وَجَــدٌّ تَظافَرُ فيهِ السُّعُودُ

وقال ص : ٢٩٠ .

فَتىً ظافَرَتْ هِماتُهُ عَزَماتِهِ كَما ظافَرَتْ سُمْرَ الصِّعادِ نِصالُ

(١) انظر ديوان ابن حيوس ج ١ ص ٦٦ وص ١٥٠ و ص ٣٢٨ .

(٢) انظر مقدمة ديوان ابن حيوس ص ٣٩ - ٤٣ .

وقال ص : ٨١ .

لَقَدْ طَرَقَتْ بِكَ أُمُّ ٱلْعَلَاءِ بِيَوْمٍ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ حَسُودُ

وقال ص : ٣٠٨

فَإِنْ أَنا لَمْ أُطْلِقْ لِسانِي بِحَمْدِها فَأُمُّ ٱلْعُلَىٰ وَٱلْمَجْدِ مِنِّيَ طالِقُ

وقال ص : ٣٢٨

فَتىً لَمْ تَزَلْ عاقِراً في ذَرا هُ أُمُّ ٱلْحَوادِثِ وَهْيَ ٱلْوَلودُ

وقد يجمع الأم فيقول : ص ٧٤

بَصُرْتُ بِأُمّاتِ ٱلْحَيا فَظَنَنْتُها أَنامِلَهُ إِنَّ ٱلسَّحائِبَ أَشْباهُ

ويقول : ص ٢٩٤

مِنْ مَعْشَرٍ كانوا لِأُمّاتِ ٱلْعُلىٰ أَبَداً فُحولاً أَنْجَبَتْ وَبُعولا

وتلاعب ابن حيّوس مرة بالحروف فقال : (ديوان ابن حيّوس ٥٧٨/٢)

وَتُرْبَةِ ٱلْمَرْحومِ وَٱلْحاءُ جيمْ لَقَدْ ثَوىٰ في ٱلنّارِ مِنْهُ رَجيمْ

وقال ابن الخياط قطعة تلاعب بالحروف في كل بيت من أبياتها أولها : ص ١٤٢

صِرْتَ بَيْنَ ٱلصّادَيْنِ يا بْنَ ٱلْمُجَلّي بَيْنَ صَفْعٍ يوهي قَفاكَ وَصَرْفِ

وقريب من ذلك قوله : ص ٩٦ .

وَبَكَتْكَ كُلُّ عَروضِيَّةٍ تُرِنُّ بِها كُلُّ ميمٍ وَلامْ

وقوله : ص ١٠٧

إنَّ خَيْرَ ٱلْمَعْروفِ ماجاءَ لا سينُ سُؤالٍ فيهِ وَلا واوِ وَعْدِ

وقوله : ص ٢٨

لَدى بِرْكَةٍ حُرِّكَتْ راؤُها فَلَيْسَتْ تَقِلُّ وَلا تَنْقُصُ

وكان ابن حَيُّوس يزعم في مدائحه أنه لا يمدح طلباً للعطاء لأنه من ذوي اليسار ، ولكنه يبغي المجد والعلاء (١) ، فبدا لابن الخياط — على فقره ومرارة شكواه من الحرمان — أن يقول في إحدى قصائده : ص ٢٧٨

أَتَيْتُكَ لِلْعَلْيا فَإِنْ كُنْتَ مُنْعِماً فَبِالْعِزَّةِ ٱلْقَعْساءِ لا ٱلْعِيشَةِ ٱلرَّغْدِ

إِذا نائِلٌ لَمْ يَحْبُنِي ٱلْفَخْرَ نَيْلُهُ فَإِنَّ ٱنْقِطاعَ ٱلرِّفْدِ فيهِ مِنَ ٱلرِّفْدِ

ولكنه لم يعد إلى هذا المعنى خشية أن يصدقه الممدوحون .

وليس هنا محل المفاضلة بينه وبين ابن حَيُّوس ولكن لا بأس بإيراد ما قاله العماد الكاتب في هذا الشأن : « ابن حَيُّوس أصنع من ابن الخياط ، لكن لشعر ابن الخياط طلاوة ليست له (٢) »

ومن دلائل قوة طبعه كثرة ارتجاله ، ففي الديوان مقدار غير قليل من الشعر الذي كان يقوله بداهةً وارتجالاً في مجالس الطرب ومع أصحابه إجابةً لمقترحهم ، أو غير ذلك من بواعث الشعر ، والشواهد على ذلك كثيرة ، انظر الديوان ص ٧٧ و ص ١١٩ و ص ١٢٥ و ص ١٣٢ و ص ١٤٠ و ص ١٩٢ و ص ١٩٥ وص ٢٠٣ و ص ٢٠٧ وص ٢١٢ وص ٢٢٠ وص ٢٢٣ و ص ٢٣٤ و ص٢٧٣ و ص ٢٧٩ و ص ٢٨٠ و ص ٢٨١ وص ٢٨٢ و ص ٢٨٣ و ص ٢٨٦ و ص ٢٩٨ و ص ٢٩٩ و ص ٣٠٠ و ص ٣٢١

(١) مقدمة ديوان ابن حيوس ص ٩ .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (مخطوط) .
(٣) مسالك الأبصار (مخطوط) .

ولئن خصت ألفاظـــه في أكثر شعره بالجزالة والعذوبه والطلاوة فقد « كان ولوعاً بتصحيح المعنى [1] » كما يقـول ابن فضل الله العمري ، يعرضه أحسن مايكون وأوضح مايكون ، فقد يتناول المعنى المتداول المعاد الذي مله السمع ، فيعرضه بثوب جديد حتى كأنه مبتكر ترتاح له الأذن وتهش له النفس . لقـد أكثر الشعراء من عهد امريء القيس من الوقوف في ديار الأحباب الخالية ورسومها البالية حتى عافت الناس هذا المعنى فقال ابن الخياط ص ١٥٤

هِيَ ٱلدِّيارُ فَعُجْ في رَسْمِها ٱلعاري ... إنْ كانَ يُغْنيكَ تَعْريجٌ عَلَى دارِ

إنْ يَخْلُ طَرْفُكَ مِنْ سُكّانِها فَبِها ... ما يَمْلأُ ٱلقَلْبَ مِنْ شَوْقٍ وَتَذْكارِ

وقال : ص ٢٢٦

لَقَدْ وَجَدَتْ وَجْدي ٱلدِّيارُ بِأَهْلِها ... وَلَوْ لَمْ تَجِدْ وَجْدي لَماسَقِمَتْ سُقْمي

فكأنه أول من قال في هذا المعنى بعد أن نفخ فيه روحا جديدة .

وبينا تسمعه يهدر بمثل هذه الجزالة التي شبهها ابن فضل الله العمري بصليل السيوف وصرير الأقلام [1] إذا به يرق حتى تظنه من الشعراء المعاصرين إذ يقول مهنئاً بمولود ص ٨٤

أَطْلَعْتَ بَدْراً في سَماءِ مَمالِكٍ ... سَهِرَ ٱلجَمالُ وَنامَ في تَلْوينِهِ

ويقول وقد رماه فتى صبيح بجمرة ممازحاً : ص ١٢٧

يا مُؤْذِياً بِالنّارِ جِسْمَ مُحِبِّهِ ... نارُ ٱلجَوى أَحْرى بِأَنْ تُؤْذيهِ

عَذِّبْ بِها جَسَدي فَداكَ مُعَذَّباً ... وَٱحْذَرْ عَلَى قَلْبي فَإِنَّكَ فيهِ

وفنون شعره : المديح والرثاء والوصف والشكوى والغزل وما يتصل بهـذه الفنون ، ويكاد يخلو من الفخر والهجاء لولا بضعة أبيات في هذين المعنيين .

---

(١) مسالك الأبصار (مخطوط) .

وله قصيدة في الحروب الصليبية قالها في ليلة واحدة ، حين شاع خبر مجيء الجيوش الصليبية ، وقدمها الى الأمير عضب الدولة زعيم الجيوش في دمشق يحضه على الجهاد ، ولعلها أول قصيدة قيلت في الحروب الصليبية ، أولها : ص ١٨٢

فَدَتْكَ ٱلصَّواهِلُ قُبًّا وَجُرْدا ... وَشُمُّ ٱلقَبائِلِ شِيباً وَمُرْدا

وبعض شعره في الوصف يصف وجوهاً من الحياة الاجتماعية في أيامه ، وحياة القصور ، ومجالس اللهو والقصف والأنس والطرب ، وما يجري فيها من شراب وغناء ونعيم وترف ، في المقاصير وفي متنزهات دمشق ، ويصف الأزهار والفواكه والثمار والخضر في الغوطة وقراها .

وله في النرد (طاولة الزهر) قصيدة طريفة فريدة في بابها أولها : ص ٢٨٤

أَقولُ وَٱلْيَوْمُ بَهيمٌ خَطْبُهُ ... مُسْوَدُّ أَوْضاحِ ٱلضُّحى دَغُوشُها

والحسن من شعره أكثر من الوسط ، وقد يعلو حتى يبلغ الأوج ، وله قصيدة هي في رأينا أحسن شعره ، ومن مختار الشعر العربي في جميع عصوره ، سلمت جميع أبياتها ، عذبة الألفاظ ، حلابة المعاني ، جعل نسيبها وصفاً لآراب الشباب ونزغات الصبا ، ونزوات الفتوة ، يصلح أن يكون عنوان هذا القسم منها (الشباب) أولها : ص ٦٤

أَعْطى ٱلشَّبابَ مِنَ ٱلآرابِ ما طَلَبا ... وَراحَ يَخْتالُ في ثَوْبَيْ هَوىً وَصِبا

وقصيدته الثانية التي سلمت له كل أبياتها مع الجزالة والعذوبة أولها : ص ١٥٤

هِيَ ٱلدِّيارُ فَعُجْ في رَسْمِها ٱلعاري ... إِنْ كانَ يُغْنيكَ تَعْريجٌ عَلَى دارِ

وله قصيدة سما بغزلها حتى تغنى الناس به الى اليوم أولها : ص ١٧٠

خُذا مِنْ صَبا نَجْدٍ أَماناً لِقَلْبِهِ ... فَقَدْ كادَ رَيّاها يَطيرُ بِلُبِّهِ

واستقصاء محاسنه يطول ، وليس كل شعره مستوياً فبعضه أحسن من بعض .

أما منزلته بين شعراء عصره فقد اتفق على أنه كان من المحسنين ، بشهادة معاصريه من طبقة شيوخه ومن دونهم ، فقد شهد له شيخه ابن حَيُّوس بالإجادة وهو في ريّق الشباب وجعله ولي عهده . وقال ابن عساكر(١) : «ابن الخياط ختم به ديوان الشعر بدمشق ، وكان شاعراً مكثراً مجيداً محسناً » .

وقال السلفي(١) : « كان ابن الخياط شاعر الشام ، وقد اخترت من شعره مجلدة لطيفة وسمعتها منه » .

وقال ابو الفوارس نجا بن اسماعيل العمري(٢) : « ابن الخياط في عصره أشعر الشاميين بلا خلاف » .

وقال الذهبي(٢) : « ابن الخياط شاعر عصره ، من كبار الأدباء ، ونظمه في الذروة » .

وقال ابن خلكان(٣) : « ... كان من الشعراء المجيدين ... وأكثر قصائده غرر » .

والذي نراه أنه ومعاصره أبا اسحق إبراهيم الغزي طبقة واحدة وكلاهما محسن ، ولكن الغزي رحل عن الشام ودخل بلاد العجم وبقي هناك بقية حياته ، فأصبح ابن الخياط وحده شاعر الشام .

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ / ٦٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء (مخطوط) .

(٣) وفيات الأعيان ١ / ٥٦ .

لغته

لغة ابن الخياط في أكثر قصائده جزلة عذبة ذات طلاوة ، لصحة ذوقه ، وكثرة محفوظه من الشعر المختار ، يجزل حتى كأنه من شعراء الأعراب إذ يقول : ص ١٥٧ .

اَلطّاعِنُ اُلطَّعْنَةَ اُلْفَوْهاءَ جائِشَةً تَرُدُّ طاعِنَهَا عَنْها بِتَيّارِ
يَكادُ يَنْفُذُ مِنْها حينَ يُنْفِذُها لَوْلا عُبابُ دَمٍ مِنْ فَوْرِها جارِ

ويرق ويعذب دون أن يفارق جزالته فيقول : ص ١٧٠ .

خُذا مِنْ صَبا نَجْدٍ أَمانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كادَ رَيّاها يَطيرُ بِلُبِّهِ

ومثل ذلك غير قليل في شعره . ولكن ليس كل شعره كذلك .

وله ألفاظ أغري باستعمالها تدور على لسانه أكثر من غيرها منها روّض قال : ص ١٤٩ .

أَضاءَتْ بِكَ اُلْأَوْقاتُ وَاُلشَّمْسُ لَمْ تُنِرْ وَرُوِّضَتِ اُلسّاحاتُ وَاُلْغَيْثُ لَمْ يَهْمِ

وقال : ص ٢٥ .

إِذا ما رُوِّضَتْ أَرْضي وَساحَتْ فَما مَعْنىٰ اُنْتِجاعي وَاُرْتِيادي

وقال : ص ١٥٢

فَلَمْ يَأْتِ عِنْدي غَيْرُ ما أَنْتَ أَهْلُهُ وَلا عَجَبٌ لِلْغَيْثِ أَنْ رَوَّضَ اُلْمَحْلا

وقال : ص ٢٠٢ .

يُخْجِلْنَ ما حاكَ اُلرَّبيعُ مُفَوَّفًا وَيَزِدْنَهُ خَجَلًا إِذا ما رَوَّضا

وقال : ص ١٧٥ .

تُرَوِّضُ قبلَ الرَّوضِ أخلاقُهُ الثَّرىٰ ... وتبعثُ قبلَ السُّكرِ سُكراً لِشَرْبِهِ

وقال : ص ٢٠٦ .

سَقاكَ — وَمَنْ سَقىٰ قبلي سَحاباً ... تُرَوِّضُ قبلَ موقِعِهِ المحولُ —

وقال : ص ٢٥٠ .

وَرَوَّضَ ساحتَيْهِ كأنَّ وَشْياً ... يُحَلُّ بِهـا وَديباجاً نَشيرا

سبق لنا أن قلنا في الفصل الذي عقدناه لعلمه وأدبه إن ثقافة ابن الخياط شخصية ، يعني أنه أخذ نفسه في أول الأمر بحفظ الشعر فكانت ثروته الأدبية باشتغاله على نفسه أكثر من اشتغاله على شيوخه ، ولعل ذلك جعله يقدم بجرأة غريبة على أمور منها : إتيان الرخص، والتساهل في تعدي الحدود اللغوية ، والتجوز في الاشتقاق وصوغ المشتقات ، والتوسع في القياس ، حتى صارت هذه الأمور مذهباً له — إن صح أن تدعى مثل هذه المآخذ مذهباً — وبقي على هذه الطريقة بعد أن أثرى من الأدب وصار من شيوخه . قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات في ترجمة ابن الخياط : « روى ابن القيسراني شعره وبه تخرج ، وكان حافظاً لشعر الأقدمين ذكياً عارفاً باللغة » ولكنه بعد أن صار عارفاً باللغة وحدودها بقي يتعداها في عدة أمور منها قوله : ص ١٣٩ على مافيه من الحسن والرشاقة :

مَنْ ظَنَّ أَنْ لا بُدَّ مِنْهُ ... فَإِنَّ مِنْهُ أَلفَ بُدّ

(فلا بُدَّ) لا يستعمل إلاّ في النفي كما في تاج العروس وكما ورد في الشطر الأول من هذا البيت .

وقوله : ص ٢

وَهَلْ مَنْ ضَمَّرَ الجُرْدَ المَذاكي ... كَمَنْ جَعَلَ الطِّرادَ لَها ضِمارا

يريد بالضمار : تضمير الخيل ، ولم أجدها بهذا المعنى .

وقوله : ص ٧

إذا ما الكأسُ لمْ تكُ كأسَ بيْنٍ فليْستْ بالحميمِ ولا الغساقا

فعطف المنصوب على المجرور

وقوله : ص ٨

تُعيِّرُني بأحْداثِ الليالي وكيْفَ يُدافِعُ البدْرُ المحاقا

والمختار في فعل عيَّرَ أن يتعدى بنفسه لا بالباء ، يقال عيَّره الأمرَ .

وقوله : ص ١٠

وأقبلَ بالهناءِ عليْكَ عيدٌ حداهُ إليْكَ إقبالٌ وساقا

وقوله : ص ٨٧

أمّا الهناءُ فللزَّمانِ وأهْلِهِ كُلٌّ يدينُ منَ الزَّمانِ بدينِهِ

وقوله : ص ٨٨

فاُسْعَدْ ودامَ لكَ الهناءُ بماجدٍ طالَتْ بهِ الآمالُ وهْيَ قِصارُ

والهناء بالمد غير صحيح على شيوعه على الألسنة والأقلام . وإنما هو : هنأه هَنْأً وهَنُؤَ هناءةً وهناةً وهنأً .

وقوله : ص ١٨

تناقَلُ بي أيْدي المَهارى حثيثةً كما اخْتلفَتْ في العَقْدِ أنْمُلُ حاسِبِ

يريد بأنمل جمع أنملة ، والموجود في المعاجم أنامل وأنملات وهي رؤوس الأصابع .

وقوله : ص ٢٣

هَبْ ذا ٱلرَّمِيَّ مِنَ ٱلْحَوادِثِ جُنَّةً وَلِذا ٱلْأَسيرِ مِنَ ٱلْخُطوبِ فِـكاكا

والمشهور في فعل (وهب) أن يتعدى إلى المفعول الأول باللام لا بنفسه .

وقوله : ص ٢٤

أرىٰ ٱلْبِيضَ ٱلْحِدادَ سَتَقْتَضِيني نُزُوعاً عَنْ هَوىٰ ٱلْبِيضِ ٱلْخِرادِ

الخريدة : المرأة الحيية والبكر لم تمس ، تجمع على خرائد وخُرُد وخُرَّد . لا على خِراد .

وقوله : ص ٣٠

تُجَرِّدُ نَصْلاً وَٱلْخَلائِقُ مَفْصِلٌ وَتُنْبِضُ سَهْماً وَٱلْبَرِيَّةُ مَقْتَل

يقال أنبَضَ القوس : إذا جذب وترها لتصوّت ، ولا يقال أنبضَ السهمَ .

وقوله : ص ٣٣

وَمَهْما هَفَتْ يَوْماً مِنَ ٱلْجَوِّ نَفْحَةٌ فَهَبَّ بِحِضْنَيْكَ ٱلنَّسيمُ ٱلْمُمَنْدَلُ

الممندل: اشتقه الشاعر من المَنْدَل،وهو أجود العود، وهذا الاشتقاق غير موجود في المعاجم .

وقوله : ص ٤٢

تَنَلْ أَجْراً وَذِكْراً سَوْفَ يَبْقىٰ عَلَيْكَ مَعَ ٱللَّيالي ٱلْباقِيـــاتِ

جزم الفعل المضارع بلا جازم .

وقوله : ص ٤٤

فَيالَيْتَني أَبْقىٰ لِيَ ٱلْهَجْرُ عَبْرَةً فَأَقْضي بِها حَقَّ ٱلنَّوىٰ وَأُريقُها

الفاء بعد التمني تنصب الفعل المضارع ، وقد رفعه الشاعر هنا .

وقوله : ص ٤٥

وَأَعْرِضُ عَنْ مَحْضَ ٱلْمَوَدَّةِ باذِلٍ　　وَقَدْ عَزَّني مِمَّنْ أَوَدُّ مَذِيقُها

يريد : وأعرض عن باذلٍ محضَ المودة ، ففصل بين الجار والمجرور هذا الفصل المنكر .

وقوله : ص ١٤١

أَبْلِغْ أَبا ٱلْفَضْلِ ٱلَّذي شَهِدَتْ　　بِٱلْفَضْلِ مِنْهُ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ

الحضَر بفتح الضاد وقد سكّنها تقليداً لشيخه ابن حيّوس القائل (ديوان ابن حيّوس ١ / ٢٤٥)

فَجَدَّ لَهُ دانَتْ نِزارٌ وَيَعْرُبٌ　　وَجَدٌّ رَعايا مُلْكِهِ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ

وقوله : ص ١٩١

وَهَلْ تَنْهَضُ ٱلْأَيّامُ بي في مَقاوِمٍ　　تَطولُ بِناهٍ لِلزَّمانِ وَآمِرِ

جمع مقام على مقاوم وهو غير مسموع .

وقوله : ص ٢٠٨

تَرى ٱلطَّيْرَ وَٱلْوَحْشَ مِنْ جانِبَيْــــهِ　　يَشْكو ٱلْبَطينَ بِها ٱلْأَخْمَصُ

الأخمص : باطن القدم ولا معنى لها هنا ، وإنما أراد الشاعر الخميص وهو الضامر جوعاً فقال الأخمص .

وقال : ص ٢١٠

تَخالَفُ في ٱلشَّكْلِ تِيجانُهُمْ　　وَتَحْكي غَلائِلَها ٱلْأَقْمُصُ

يريد بالأقمُص : جمع قميص وليس بصحيح ، وانما يجمع على قُمُص وأقمِصة وقمصان .

وقال : ص ٢٣٧

تَبيتُ رِكابُنا ما يَمَّمَتْهُ   تُخالِجُنا أَزِمَّتَهــا خِلاجا

والخِلاج : البُرد المخططة ، فظنه مصدر خالج .

وقال : ص ٢٣٨

أَعَدْتَ لَهُ بِبِيضِ الْهِنْدِ كَيًّا   وَأَشْفَى الْكَيِّ أَبْلَغُهُ نِضاجا

يريد بالنضاج النضج .

وقال : ص ٢٣٨

وَقِيلٍ قَدْ دَلَفْتَ لَهُ بِخَيْــلٍ   كَشُهْبِ الْقَذْفِ تَرْتَهِجُ ارْتِهاجا

يريد بقوله ترتهج ترهج ، أي تثير الغبار ، ناستعمل ارتهج على سبيل الاشتقاق ولو لم يكن مذكوراً .

وقال : ص ٢٤٣

فَلَوْلا بَنُو الصُّوفِيِّ أَعْوَزَ مُفْضِلٌ   إِلَى بابِهِ لِلْوَفْدِ مَسْرًى وَمَدْلَجُ

المسرى سير عامة الليل ، والإدلاج السير في أول الليل وآخره ، وهذا مراد الشاعر ، أما المدلج فهو الموضع الذي يمشى فيه بالدلو بين رأس البئر والحوض .

وقال ص : ٢٤٧

فَيالِيَ مِنْهُ صَوّالاً فَتوكاً   وَيالِيَ مِنْهُ خَلاّباً سَحُورا

يريد فاتكاً وساحـراً ، فاشتق فتوكاً من الفتك ولو لم تذكر في كتب اللغة ، وسحور من السحر ، وإنما السَّحُور مايتسحر به من الطعام أو الشراب .

وقال : ص ٢٤٩

وَيا حاثي ٱلتُّرابِ عَليْهِ مَهْلاً كَسفْتَ بَهاءَهُ ذاكَ ٱلْبَهيرا

أراد الباهر فقال البهير ، والبهير من انقطع نَفَسه من السعي الشديد .

وقال : ص ٢٥٠

وَرَوْضَ ساحَتَيْهِ كَأَنَّ وَشْياً يَحُلُّ بِها وَدِيباجاً نَشيرا

يريد بالنشير المنشور . ومعنى النشير في كتب اللغة المِئزر والزرع جُمِعَ وهم لايدوسونه .

وقال : ص ٢٥٠

إذا خَطَرَ ٱلنَّسيمُ عَليْهِ أَهْدىٰ إلىٰ زُوّارِهِ أَرجاً عَطِـيراً

أراد بالعطير العَطِر . ولم تذكر دواوين اللغة العطير .

وقال : ص ٢٦٥

تَتُوقُ إلىٰ ٱلْغُمودِ ٱلْبيضُ فيها وَتَشْتاقُ ٱلرِّماحُ بِها ٱلرِّكازا

يقال ركز الرمحَ رَكْزاً : غرزه في الأرض . اما الرِّكاز : فالمعادن تحت الأرض .

وقال : ص ٣١٨

وَلَئِنْ غدَوْتَ ٱلْفَرْدَ في نَيْلِ ٱلْعُلىٰ وَٱلْمَجْدِ فَٱلْقَمَرُ ٱلْمُنيرُ فُرادُ

يريد بـ (فُراد) أنه فرد ، ووجه الصواب في استعمالها ليس كذلك .

ومما أغري به استعمال صيغة استفعل ومستفعل فيما يشاء من الأفعال قياساً مطرداً ولو لم ينص عليه ، من ذلك قوله : ص ٢٠٧

وَيَوْمٍ أَخَـذْنا بِهِ فُرْصَةً مِنَ ٱلْعَيْشِ وَٱلْعَيْشُ مُسْتَفْرَصُ

وقوله : ص ٢٠٩

وَتَوَّجَهــا الشَّرْبُ نارَنْجَةً فَخِلْتُ الْمُذَبَّةَ تَسْتَخْوِصُ

يقال أخوَصَت النخلةُ : أخرجت الخوصَ وهو ورق النخل ، ولم يقولوا استخوصت .

وقوله : ص ٢٠٩

وَدَوْحٍ أَغانِيُّ قُمْرِيِّهِ يَهُزُّ اللَّبيبَ وَيَسْتَرْقِصُ

وقوله : ص ٢١٤

يا قَولُ قَوْلَةَ مُكْمَدٍ مُسْتَنْزِرٍ ماءَ الشُّؤونِ لَهُ وَنارَ الأَضْلُعِ

وقوله : ص ٢١٦

قَدْ كُنْتَ أَمْرَعَهُمْ لِمُرْتادِ النَّدى كَفًّا وَأَسْرَعَهُمْ إِلى الْمُسْتَفْزِعِ

وقوله : ص ٢٥٧

كَتَمَ الصَّنائِعَ فَاسْتَشاعَ ثَناؤُها مَنْ ذا يَصُدُّ الصُّبْحَ عَنْ أَنْ يُشْرِقا

وقوله : ص ٢٦١

وَقَدْ اسْتَشادَ لَكَ الثَّناءَ فَما تَرى إِلاّ بَليغاً بِامْتِداحِكَ مُفْلِقا

وما استعمله من هذه الصيغة على وجه الصواب مثل يستضحك ص ٢٠٨ ويستخلص ويسترخص ويستنقص ص ٢١٠ ويستذل ص ٢١٥ فغير قليل .

وعجيب قوله : ص ٢٩٣

قَدْ نالَ مِنْ شَرَفِ الْفِعالِ ذَخيرَةً تَبْقى إِذا كادَ الزَّمانُ يَزولا

فقد نصب الفعل المضارع ولا ناصب له هنا .

وفي شعره تعابير محلية لاتزال جارية على ألسنة الدماشقة إلى اليوم، منها قوله : ص٢٢٤

وَما إنْ ذاكَ تَقْصيرٌ بِحَقٍّ ... وَلٰكِنَّ ٱلْأَسىٰ قَيْدُ ٱللِّسانِ

وقوله : ص ٢٨٦

لا يَأْتَلي مِنْ ذَهَبٍ يَلُفُّهُ ... مِنّي وَمِنْ دَراهِمٍ يَحُوشُها

فقوله (تقصير بحق) تعبير يستعمل كثيراً في كلام أهل دمشق إلى اليوم . وكذلك (لَفَّ) الشيء يلفه أي اختلسه أو اغتصبه ، وحاشه أي أصابه وجمعه وساقه .

هذه أمثلة من المآخذ لم نوردها على سبيل الاستقصاء بل على سبيل المثال ، ونرجح أن ثقافته اللغوية كانت تزداد مع الزمن حتى عُدَّ (عارفاً باللغة) كما يقول الصلاح الصفدي [١].

ولعل قوله يعاتب قوماً من العرب : ص ١٦٧

مَواعِدُ مَرْضىً كُلَّما قُلْتُ قَدْ بَرا ... لَكُمْ مَوْعِدٌ بِٱلْبَذْلِ عاوَدَهُ ٱلنُّكْسُ

يدل على معرفة باختلاف بعض لغات العرب فان (بَرَأَ) لغة حجازية في (بَرِئَ) .

ولكنه كان ميالاً إلى الأخذ بالرخص والتوسع بالقياس .

(١) الوافي بالوفيات الجزء الثامن ورقة ٢٩ (مخطوط) .

ديوانه

المفروض أن يكون ديوان ابن الخياط الذي وصل إلينا وحققناه على متعدد نسخه ، مشتملاً على جميع شعره ، ومن أصح الشعر رواية ؛ لأن الذي جمعه ورواه عن الشاعر وسمعه منه وقرأه عليه وأخذ عليه خطه هو تلميذه محمد بن نصر القيسراني الشاعر المشهور (٤٧٨ - ٥٤٨)، فقد رتبه ترتيباً يكاد يكون زمنياً ، فأول قصيدة فيه أنشدت سنة ٤٧٤ وعمر الشاعر أربع وعشرون سنة ، وآخر قصيدة فيه كتب بها الشاعر إلى ابن القلانسي سنة ٥١٧ وهي السنة التي توفي فيها الشاعر . وقد ذكر عن هذا الشاعر أنه « كان مكثراً محسناً مجيداً وأنه كان يحفظ شعره منذ بدأ يقول الشعر إلى أن مات[1] » واختار أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي العالم المحدّث الأديب (٤٧٢ — ٥٧٦) مجلدة لطيفة من شعره وسمعها منه .

والذي نراه أن الديوان لم يحط بجميع شعر ابن الخياط ، بل جمع على سبيل الاختيار مما ارتضاه الشاعر لنفسه وأجاز روايته عنه وأسقط ماسواه ، لأن الديوان متوسط غير كبير لايزيد على ٣٣٠٠ بيت ، على ما اشتهر عن صاحبه من أنه مكثر شديد العارضة متدفق الطبع كثير الارتجال ، يضاف إلى ذلك خلو الديوان من شعر الصبا أي ما قاله قبل أن بلغ العشرين من سنه ، وشاعر مطبوع مثله لابد من أن يكون قد قال غير قليل من الشعر قبل العشرين .

ومهما يكن فهذا هو الذي ارتضاه الشاعر لنفسه . ونسخ الديوان المخطوطة التي حصلنا عليها أو على صور منها عند تحقيق الديوان ثماني نسخ ترجع إلى أصلين وفرع .

الأصل الأول : رواية القيسراني وترتيبه ، وعدد نسخ هذا الأصل ست .

فرع من الأصل الأول : نسخة من رواية القيسراني ولكنها مرتبة على حروف المعجم .

الأصل الثاني : نسخة تختلف في ترتيبها عن كل ماتقدم كما تختلف بالزيادة والنقص. وهاك وصف كل نسخة على حدة :

(١) ابن عساكر ، انظر ص ١٠ و ص ٣٠ من هذه المقدمة .

١

نسخة الإسكوريال المحفوظة في الإسكوريال تحت رقم ٣٧٥ والمرموز اليها بحرف (س)، كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يأتي : « ديوان الأديب اللبيب . البليغ الأريب الشيخ . شهاب [١] الدين احمد بن . محمد بن الخياط . رحمه الله تعالى » .

وفي أعلى الزاوية اليسرى من هذه الصفحة تملك بثلاثة أسطر هذا نصه :

« الحمد لله . من كتب عبدالله تعالى زيدان[٢] أمير المؤمنين بن أحمد المنصور بالله . أمير المؤمنين الحسني خار الله له . »

عدد صفحاتها ١٥٩ صفحة في كل صفحة ٢١ سطراً بخط مقروء واضح ، والنسخة تغلب عليها الصحة ، وترتيب القصائد فيها يكاد يكون زمنياً . وقد ورد في آخرها مانصه :

« تم الديوان على ما قرّره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي .

قال مؤلفه كل ما[٣] رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ماسمعه مني وقرأه عليّ ، وما رواه غيره فخالف مافي نسخته هذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد ابن محمد بن علي الخياط في سنة سبع عشرة وخمساية . والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده .

ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة في شهر شوال سنة أربع وثمانين وتسعماية ، على يد الفقير الحقير محمد بن علي الأحلافي الأزهري الشافعي غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين » .

---

(١) كل من ترجم لابن الخياط لم يعرفه بهذا اللقب الذي كان يلقب به أكثر من آسمه أحمد .

(٢) زيدان بن أحمد من ملوك المغرب كان فقيهاً مشاركاً متضلعاً في العلوم وله تفسير على القرآن ، وله شعر ، وفي أيامه أخذ قراصين الاسبان مركباً له من جملة ما فيه ثلاثة آلاف كتاب من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك منها ديوان ابن الخياط . وكانت وفاته سنة ١٠٣٧ « انظر الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي ٣ / ١٢٨ »

(٣) رسمها في الأصل : كلما .

٢

النسخة الظاهرية المحفوظـة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٣٩٧٤ والمرموز إليها بحرف (ظ) كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يأتي :

«ديوان الشيخ الأجل . أبي عبد الله محمد [1] بن أحمد بن الخياط . الدمشقي تغمده الله برحمته وكاتبه والمسلمين . آمين . آمين » .

عدد أوراقها ٨٧ ورقة سقط منها الورقة الثانية فبقي ٨٦ ورقة ، في كل صفحة تسعة عشر سطراً وخطهـا حسن وأغلاطها قليلة ولا تكاد تختلف عن نسخة الإسكوريال ، وعناوين القصـائد مكتوبة بالحبر الأحمر على الأكثر وقد تكون بالحبر الأخضر وبهما معاً . ورد في آخرها ما نصه :

« تم الديوان بأسره على ماقرّره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة قال فيهـا من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي ثم قال أيضاً كتبته من نسخة عليها خط الشيخ أبي عبد الله بن الخياط رحمـه الله بما نسخته : كل ما [2] رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ماسمعه مني وقرأه عليّ" . وما رواه غيره فخالف مافي نسخته هذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد بن محمد بن علي بن الخيـاط في سنة سبع عشرة وخمسمائة .

وافق الفراغ من تحرير هـذه النسخة المباركة في يوم الاحد المبارك سابع عشر ربيع الأول من شهور سنة خمس عشرة وألف ختمت بخير ، على يد الفقير يوسف بن علي الملاح سبط الشيخ الحنفي غفر الله له ولوالديه والمسلمين »

---

(١) كذا والصواب أحمد بن محمد .

(٢) رسمت في الأصل كلما .

٣ ا

النسخة الأيوبية المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٣٢٩ والمرموز إليها بحرف (ي) كتب على ظاهرها بأربعة أسطر مايلي :

« ديوان الشيخ الفاضل العالم أبي عبد الله . أحمد بن محمد بن الخياط رحمه الله تعالى . وغفر لنا وله ولجميع المسلمين . آمين . » وتحت ذلك إلى اليسار : « تملكه الفقير محمد عطا الله بن السيد محمد سعيد الأيوبي » وتحت ذلك « تملكه الفقير محمد علي بن السيد محمد عطا الله الأيوبي . غرة محرم سنة ٣٠ (١٣) »

عدد أوراقها سبع وتسعون ورقة صغيرة القطع ، في كل صفحة سبعة عشر سطراً ، وخطها حسن ولكنها كثيرة الأغلاط ، وقد يسقط الناسخ من بعض القصائد أبياتاً سهواً أو قصداً ، وعناوين القصائد مكتوبة بالحمرة . ورد في فاتحة الصفحة الأولى مانصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم .

هذه النسخة منقولة من نسخة بخط الشيخ الأديب العالم الفاضل أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني رحمه الله تعالى . قال أنشدني الشيخ الأجل أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن الخياط يمدح الأمير ناصر الدين أبا القوام وثّاب بن نصر بن صالح رحمه الله تعالى (١)

عَتادُكَ أَنْ تَشُنَّ بِها مُغارا فَقُدْها شُزَّباً قُبّاً تبارى

وورد في آخرها مانصه :

تم ديوان الشيخ الأجل أبي عبد الله أحمد بن محمد الخياط وصلواته وسلامه علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . فرغ من نسخه في مستهل سنة ٩٩٣ من نسخة تاريخها رابع عشر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة . والأصل المنقول منه هذه النسخة نقلت من نسخة بخط

(١) وبعد ذلك بضع كلمات مأروضة .

الشيخ الإمام العالم الأوحد أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني رحمه الله تعالى وعليها خط الشيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن علي الخياط وإجازته له بهـا وصحتها وصورة ما كتبه ابن الخياط : « كل ما[1] رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ماسمعه مني وقرأه علي . وما رواه غيره فخالف مافي نسخته هذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد ابن محمد بن علي الخياط في سنة سبع عشرة وخمسمائه »

عدد القصائد والمقاطع

١٤٥

٧٢٣٢ بيتاً [٢]

زبره أحقر العباد الفقير أبو بـكر بن يونس

٤

نسخة شيخ الإسلام عارف حـكمـة المحفوظة في مـكتبته بالمدينة المنورة تحت رقم ١٢٢ والمرموز إليها بحرف (ع) كتب على ظاهرها بستة أسطر مايلي :

« هذا ديوان الشاعر البليـغ . المفلق الأجل الـكامل الأديب . الأريب الشيخ أبي عبد الله . أحمد بن محمد الخياط . الدمشقي رحمه . الله تعالى »

وتحت ذلك خاتم كبير مدوَّر نقش عليه بخمسة أسطر مايلي :

---

(١) في الأصل : كلما .

(٢) كذا والأقرب إلى الصحة ٣٢٣٢ .

« مما وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني . أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني . في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم . بشرط أن لايخرج من خزانته . والمؤمن محمول على أمانته ١٢٦٦ » .

عدد صفحات هذه النسخة ١٧٢ صفحة في كل صفحة ١٩ سطراً وخطها مقرمط ولا تخلو من الأغلاط .

وورد في آخرها مانصه :

« تم الديوان بأسره على ماقرّره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي . ورأى راقم هذه الرقوم في الأصل الذي نقلت منه هذه الرقوم ماصورته : كتبته من نسخة عليها خط الشيخ أبي عبد الله بن الخياط رحمه الله بما نسخته: كل ما(1) رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ماسمعه مني وقرأه عليّ وما رواه غيره فخالف مافي نسخته هذه فلا يعتد به. وكتبه أحمد بن محمد بن علي بن (الخياط) . وقال كاتب الأصل فرغ من نسخه بمدينة حلب بوري خان بن بلق بن بوري خان يوم الثلاثاء الرابع من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله اجمعين وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل . وكان الفراغ من كتابة هذا الديوان المبارك لستة ايام خلون من شهر شوال سنة ١٢٣٨ على يد الفقير إلى الله محمد محمد محمد الوجيه المالكي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . »

٥

النسخة المصرية المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٣٩٢ والمرموز إليها بحرف (م) نسخة جديدة حسنة الخط صحيحة ، وقد تكون أقل النسخ اغلاطاً . عدد أوراقها ٧٩ ورقة في كل صفحة ٢١ سطراً .

ورد في آخرها مانصه : تم الديوان بعون الله الملك المنان .

ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ

(1) في الأصل : كلما .

٦

نسخة الأستاذ عبد الله كنون المحفوظة في خزانته والمرموز إليها بحرف (ن) وهي أقدم النسخ التي بين أيدينا ، خطها مشرقي من خطوط القرن السادس ، كتب على ظاهرها بخط مغربي ما يأتي :

« الحمد لله تملك هذا المجلد المشتمل على ديوان الأديب البليغ ابن الخياط الدمشقي بالشراء من السيد محمد بن سيدي محمد حدوش الخالدي بثمن منتهاه ست موزونات ونصف في غرة ربيع الثاني عام أربعة وستين ومائة والف . عبيد ربه محمد بن صالح »

وقد سقط من اول النسخة ورقتان ذهب معها القصيدة الأولى من الديوان التي مطلعها :

عَتادُكَ أَنْ تَشُنَّ بِها مُغارا فَقُدْها شُزَّباً قُبًّا تبارَىٰ

ولم يبق منها إلا البيتان الأخيران .

وفي أعلى الورقة السادسة منها على هامشها كتابة بخط مغربي يختلف عن خط الأصل ، ذكر كاتبها أنه نقلها من نسخة محمد بن احمد خطيب داريًّا سنة ٧٩٤ .

عدد أوراق هذه النسخة ١٣٣ ورقة في كل صفحة منها ١٣ سطراً وهي حسنة قليلة الأغلاط . وقد ورد في آخرها مانصه : « تم الكتاب والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما » . وفي الصفحة التي تلي الخاتمة تعليقات مختلفة تاريخها سنة ٦٠٨

٧

النسخة التيمورية المحفوظة في خزانة المرحوم احمد تيمور باشا والمرموز إليها بحرف (ت) . هذه هي النسخة المخطوطة الوحيدة من ديوان ابن الخياط المرتبة على حروف الهجاء ، لا تختلف عن النسخ الست التي تقدم وصفها إلاّ في الترتيب ، يعني انها تعتمد على رواية القيسراني في

النص لا في الترتيب . ونرى أنها من عمل بعض الأدباء الذين يفضلون الترتيب الهجائي في الدواوين لتيسير المراجعة . ورد في أولها ماصورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية . حدثنا الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي قال أنشدني الشيخ الأديب أبو عبد الله أحمد بن محمد الخياط الدمشقي لنفسه على قافية الألف يمدح القاضي فخر الملك ابا علي عمّار بن محمد بن عمّار :

هَبُوا طَيْفَكُمْ أَعْدَى عَلَى ٱلنَّأْيِ مَسْرَاهُ   فَمَنْ لِمَشُوقٍ أَنْ تُهَوِّمَ جَفْنَاهُ »

عدد صفحاتها ١٦٠ صفحة في كل صفحة ٢١ سطراً وخطها حسن ولكن الأغلاط فيها غير قليلة . ورد في آخرها مانصه : تم الديون .

ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

٨

نسخة كوبنهاغ المحفوظة في دار الكتب هناك تحت رقم ٢٦٤ والمرموز إليها هنا بحرف (ك) . هذه النسخة تختلف عن جميع النسخ التي سبق وصفها بالترتيب والرواية والزيادة والنقص ، وجامعها غير محمد بن نصر القيسراني ، ولكنه اديب آخر معاصر لابن الخياط يروي عنه شعره .

عدد أوراق النسخة ١٣٨ ورقة في كل صفحة ١١ سطراً وخطها حسن من خطوط القرن الثامن ، وقد كتب على حواشي ستين ورقة من أوائل النسخة من الورقة رقم ١٠ إلى الورقة رقم ٧٠ كتاب نصيحة الملوك للإمام الغزالي بخط يختلف عن خط المتن .

وكتب على ظاهرها بثلاثة أسطر ما نصه : « ديوان الشيخ أبي عبد الله . أحمد بن محمد بن الخياط الدمشقي . رحمه الله تعالى »

وورد في الصفحة الأولى ماصورته : « بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ أبي (١) عبد الله

---

(١) كذا .

أحمد بن محمد بن الخياط الدمشقي يمدح الأمير مجد الدين عضب الدولة جمال الملك زعيم الجيوش أبا منصور اتق (١) بن عبد الرزاق عند وروده الى دمشق سنة سبع وثمانين وأربعمائة :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رَيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ »

وترتيب الديوان في هذه النسخة كما يلي : أورد جامعه أولاً ماقاله الشاعر في عضب الدولة ، ثم ماقاله في تاج الملوك بوري بن طغتكين . واستغرق هـذا القسم سبعين صفحة وورد في ختام هـذا القسم مانصه : « هذا ما علقته من إملائه رضي الله عنه ، ولم أجد عشره في ديوانه عند جامعي شعره، ومدوني شكره. ثم أعود إلى مانظمه في عنفوان شبابه، وزمان اطرابه، وأبتدي بالسابق من مدائحه، والمستغرب من قرائحه، فأجعل مدح كل ممدوح يتبع بعضه بعضاً على الوضع المقدَّم، في كل رئيس ومقـدَّم. ثم لما صدر في صدره عن اعراضه(٢) باباًمفرداً، وما رأيت أن أقدم على مدائح المولين المذكورين نوَّر الله ضريحها من الجماعة يمدحهم أحداً »

ثم أورد بقية ماجمعـه من شعره مرتباً ترتيباً يـكاد يكون زمنياً . وجاء في آخر الديوان مانصه : « هذا آخر ما انتهى من أشعاره وانتظم » ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

وقد يكون جامع هذه النسخة أبا طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي المحدّث العالم الأديب الذي عاصر الشاعر ، فقد ذكر عنه أنه اختار مجلدة لطيفة من شعره وسمعها منه (٣) .

ولقد أخذنا مافيها من الزيادة وأشرنا إلى مافيها من نقص واختلاف في الرواية .

(١) كذا والصواب أبق .

(٢) لعلها أغراضه .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي مجلد ١٢ ورقة ١١٠ (مخطوط) .

صحيفة شكر

بعث إليَّ الأستاذ عبد الله كنون حاكم طنجة وزميلنا في المجمع العلمي العربي بصورة مصغرة من مخطوطة ديوان ابن الخياط المحفوظة في خزانته ، كما بعث إليَّ الأستاذ جون بدرسن المستشرق الدانيمركي وزميلنا في المجمع العلمي العربي بصورة مصغرة من مخطوطة الديوان المذكور المحفوظة في دار الكتب في كوبنهاغ .

واطلع الأستاذ عبد الهادي هاشم مدير دار الكتب الظاهرية على الديوان عند طبعه، وأعانني في تصحيحه ، وقابل معي بعض مخطوطاته ، وكان له ملاحظات صحيحة ودقيقة .

وبعث إليَّ الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات العربية في القاهرة والسيد محمد رشاد عبد المطلب من موظفي المعهد المذكور بنصوص ذات بال تتصل بابن الخياط وديوانه .

فأشكر لهؤلاء الأساتذة الأفاضل حسن صنعهم .

دمشق : ٢٧ شوال سنة ١٣٧٧
١٧ أيار سنة ١٩٥٨

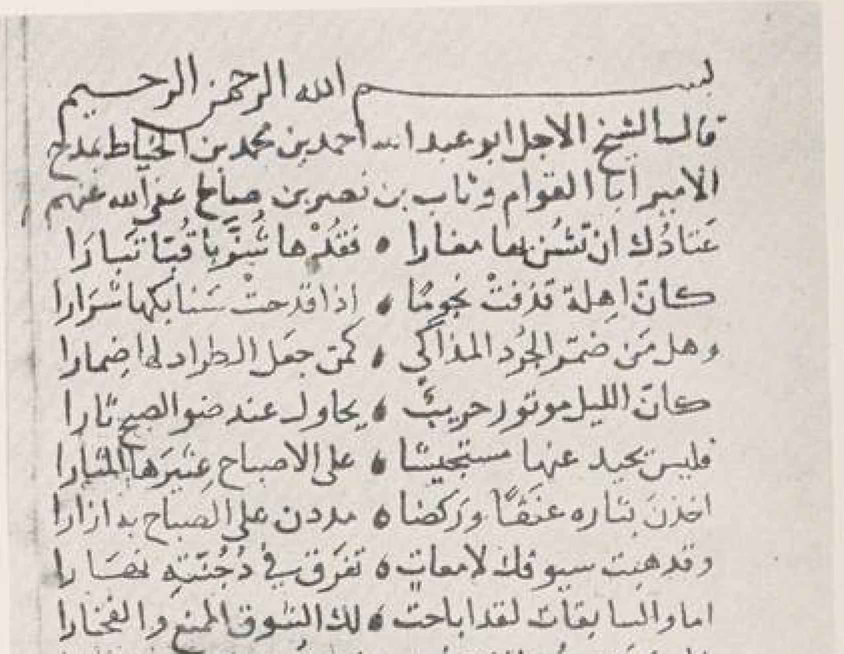
خليل مردم بك

رموز النسخ المخطوطة من ديوان ابن الخياط

س	نسخة الإسكوريال
ظ	النسخة الظاهرية
ي	النسخة الأيوبية
ع	نسخة شيخ الإسلام عارف حكمت
م	نسخة دار الكتب المصرية
ن	نسخة الاستاذ عبد الله كنون
ت	نسخة احمد تيمور باشا
ك	نسخة كوبنهاغ

نموذجات

من مخطوطات ديوان ابن الخياط


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الاجل ابو عبد الله احمد بن محمد بن الخياط يمدح

الامير ابا العوام ثابت بن نصر بن صالح عز الله نصره

عنادك ان تشن بها مغارا ◦ فقدها شزبا قبا تبارا

كأن اهلة قذفت نجوما ◦ اذا قدحت سنابكها شرارا

وهل من ضمر الجرد المذاكي ◦ كمن جعل الطراد لها اضمارا

كأن الليل موتور حريب ◦ يحاول عند ضوء الصبح ثارا

فليس يحيد عنها مستجيشا ◦ على الاصباح غيرها المثارا

اخذن بثاره عنقا وركضا ◦ فرددن على الصباح به ازارا

وقد هبت سيوفك لامعات ◦ تفرق في دجنته نضارا

اما والسابقات لقد اباحت ◦ لك الشوق الممنع والفخارا

فزر حلبا بكل اقب نهد ◦ فقد تدني لك الخيل المزارا

وكلف ردها ان شيت قسرا ◦ عزايم تسترد المستعارا

فاجدر بالممالك ان تراها ◦ لمن كانت ممالكه مرارا

وان ولدت لك الامال حظا ◦ فما زالت مواعدها عشارا

اذا عاينت من عود دخانا ◦ فاوشك ان تعاين منه نارا

ويابى الله ان ابت الاعادي ◦ لناصر دينه الا انتصارا

وما كبرت عليك امور مجد ◦ اذا اصدقتها الهمم الكبارا

وما همم الفتى الا غصون ◦ تكون لها مطالبه ثمارا

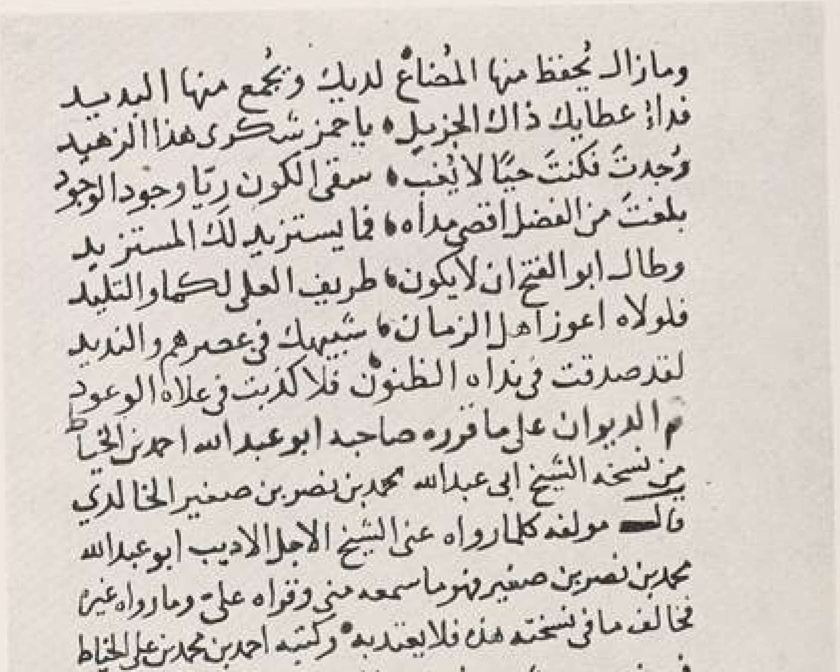
الست ابن الذي هطلت يداه ◦ ندى سرفا لمن نطق اختصارا

واعطى الالف لم تعقر بنقص ◦ وما اغنى ولا شرب العقارا

وا...

الصفحة الأولى من نسخة الإسكوريال المرموز إليها بحرف (س)

ديوان ابن الخياط


وما زال يحفظ منها المضاع لديك ونجمع منها البديد
فداء عطايك ذاك الجزيل يا حمز شكرى هذا الزهيد
وجدت فكنت حيا لا يغب سقى الكون ريا وجود الوجود
بلغت من الفضل اقصى مداه فما يستزيد لك المستزيد
وطال ابو الفتح ان لا يكون طريف العلى لكما والتليد
فلولاه اعوز اهل الزمان شبيهك في عصرهم والنديد
لقد صدقت في نداه الظنون فلا كذبت في علاه الوعود
تم الديوان على ما قرره صاحبه ابو عبد الله احمد الخياط
من نسخة الشيخ ابي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي
قال مولفه كما رواه عني الشيخ الاجل الاديب ابو عبد الله
محمد بن نصر بن صغير فهو ما سمعه مني وقراه علي وما رواه غيره
مخالفا ما في نسخته هذه فلا يعتد به وكتبه احمد بن محمد بن علي الخياط
في سنة سبع عشرة وخمسماية والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة في شهر شوال سنة اربع وثمانين
وتسعماية على يد الفقير الحقير محمد بن علي الاحلافي الازهري الشافعي
غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا دايما الى يوم الدين
وهو حسبي ونعم الوكيل
والحمد لله رب
العالمين
تم

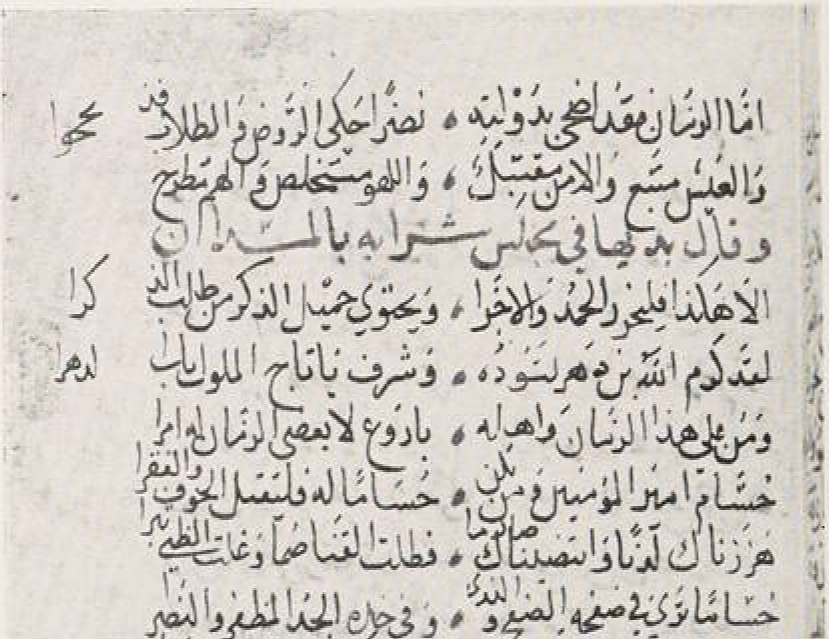
الصفحة الأخيرة من نسخة الإسكوريال المرموز إليها بحرف (س)
ديوان ابن الخياط



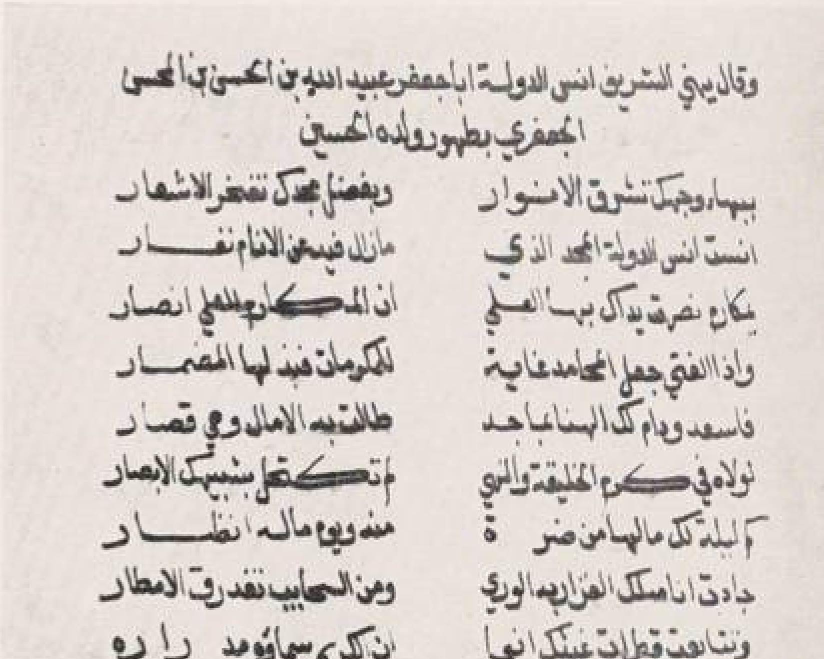
الدولة ابو بن عبد الرزاق رحمه الله

خذا من صبا نجد امانا لقلبه ... فقد كاد رياها يطير بلبه
وايا كما ذاك النسيم فانه ... اذا هب كان للوجد ايسر خطبه
خليلي لو احببتما لعلمتما ... محل الهوى من مغرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى ... يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على ياس الهوى ورجائه ... وشوق على بعد المزار وقربه
وفي الركب مطوي الضلوع على جوى ... متى يدعه داعي السقام يلبه
اذا خطرت من جانب الرمل نفحة ... تضمن منها داءه دون صحبه
ومحتجب بين الاسنة معرض ... وفي القلب من اعراضه مثل حجبه
اغار اذا انست في الحي انة ... حذارا وخوفا ان تكون لحبه
ويوم الرضى والصب يحمل سخطه ... بقلب ضعيف عن تحمل عتبه
جلا لي براق الثنايا شتيتها ... وحلاني عن بارد الورد عذبه
كاني لم اقصر به الليل زائرا ... تحول يدي بين المهاد وجنبه
ولا ذقت امنا من سرار بجوله ... ولا ارتعت خوفا من نميمة حقبه
فيا لسقامي من هوى متجنب ... بكى عاذلاه رحمة لمحبه
ومن ساعة للبين غير حميدة ... تمحت بطل الدمع فيها وسكبه
الا ليت اني لم تحل بين حاجر ... وبيني ذرى اعلام رضوى وهضبه
وليت الرياح الرائحات خوالص ... الي ولولا فتن قلبي بكربه
اهيم الى ماء ببرقة عاقل ... ظميت على طول الورود بشربه

الصفحه الحادية والأربعون من النسخة الظاهرية المرموز إليها بحرف (ظ)
ديوان ابن الخياط

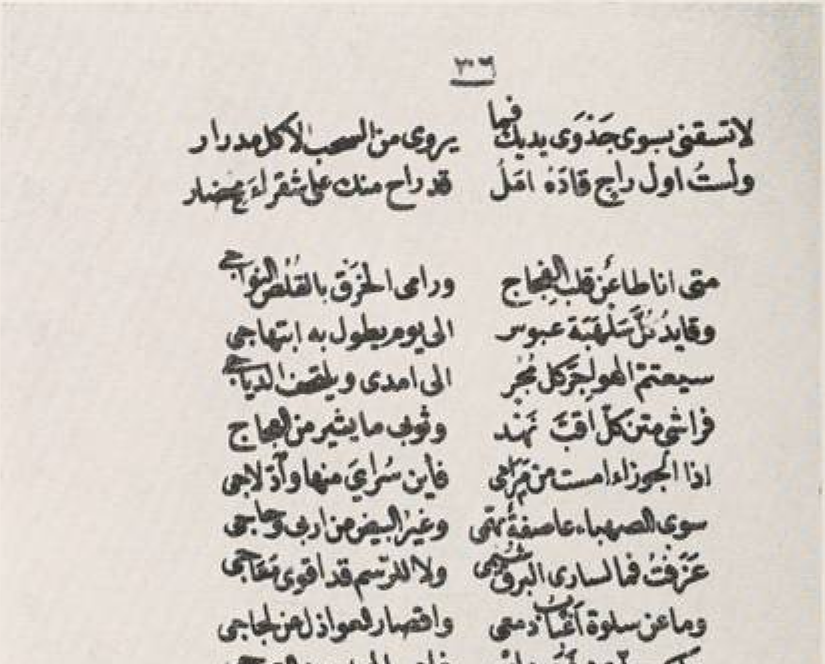

اما الزمان فقد اضحى بدولته • نضراً حكى الروض والطل ...
والعيش متسع والامن مقتبل • واللهو مستخلص والهم مطرح
وقال بديهاً في مجلس شرابه بالمسـ...
الا هكذا فليحز الحمد والاجرا • ويحوي جميل الذكر من طلب الذكرا
لقد كرم الله بن دهر تسوده • وشرف بالتاج الملوك ...
ومن على هذا الزمان واهله • بادوع لا يعصي الزمان له امرا
حسام امير المومنين ومن يكن • حساماً له فليتسل الخوف والفقرا
هززناك لدنا وانتضيناك صارما • فطلت القنا صدرا وغلت الظبى ...
حساما ترى في صفحة الصبح والبدر • وفي حده الجد المظفر والنصرا
وفي قربه الزلفى وفي بلد الغنى • وفي خدمه البقيا وفي ظله البشرا
فتى لا يرى الا المحامد مغنما • ولا يقتني الا الثنا له ذخرا
ومقربة جرداً ... • وهندية بيضا وخطية سمرا
اذا صال باساً فاقطع البيض والقنا • وان فاض جوداً اخجل الديم الغزرا
لعمري لئن اغدى ... انا ملك ... • سماحا لقد ... سما بك ...
وكان ... الراح من خلف الصبا • واكسبتها من نشرك الطيب النشرا
واودعها من جدك ... • وعلمها ... لتسكرا
كان الثريا ... البدر كلما • ... في الكاس ... بكرا

الورقة السابعة والستون من النسخة الأيوبية المرموز إليها بحرف (ي)
ديوان ابن الخياط


وقال يمدح الشريف أنس الدولة أبا جعفر عبيد الله بن الحسن بن المحسن الجعفري بطهور ولده الحسين

ببهاء وجهك تشرق الأنوار — وبفضل مجدك تفخر الأشعار
أنست أنس الدولة المجد الذي — ما زال فيه عن الأنام نفار
بمكارم نصرت يداك بها العلى — إن المكارم للعلى أنصار
وإذا الفتى جعل المحامد غاية — للمكرمات فقد لها المضمار
فاسعد ودم لك الهناء بماجد — طالت به الآمال وهي قصار
تولاه في كرم الخليقة والنهى — لم تكتحل بشبيهك الأبصار
كم ليلة لك ما لها من ضرة — منه ويوم ما له أنظار
جادت أنامل الحلى به الورى — ومن السحائب تغدق الأمطار
وتتابعت قطرات غيثك إنها — إن الكريم سماؤه مدرارة
واضا مجدك بالحسين ومجده — وكذا السماء تنيرها الأقمار
قد نال أفضل ما ينال وقدره — أعلى وأولاد النجوم نثار
وجرت به خيل السرور لمدى — فرح دخان الند فيه غبار
وحوى صغير السن غايات العلى — وصغار أبناء الكرام كبار
يبني الفتى قبل الفطام بفضله — وتبين عتق الخيل وهي مهار
لم تلحظ الأبصار يوم طهوره — إلا كؤوسا للسرور تدار
فغدوت تنشر في جلال مسكر — ما كل ما طرد الهموم عقار
تزهى جمال موكب أنه — حتى يعيد الليل وهو نهار

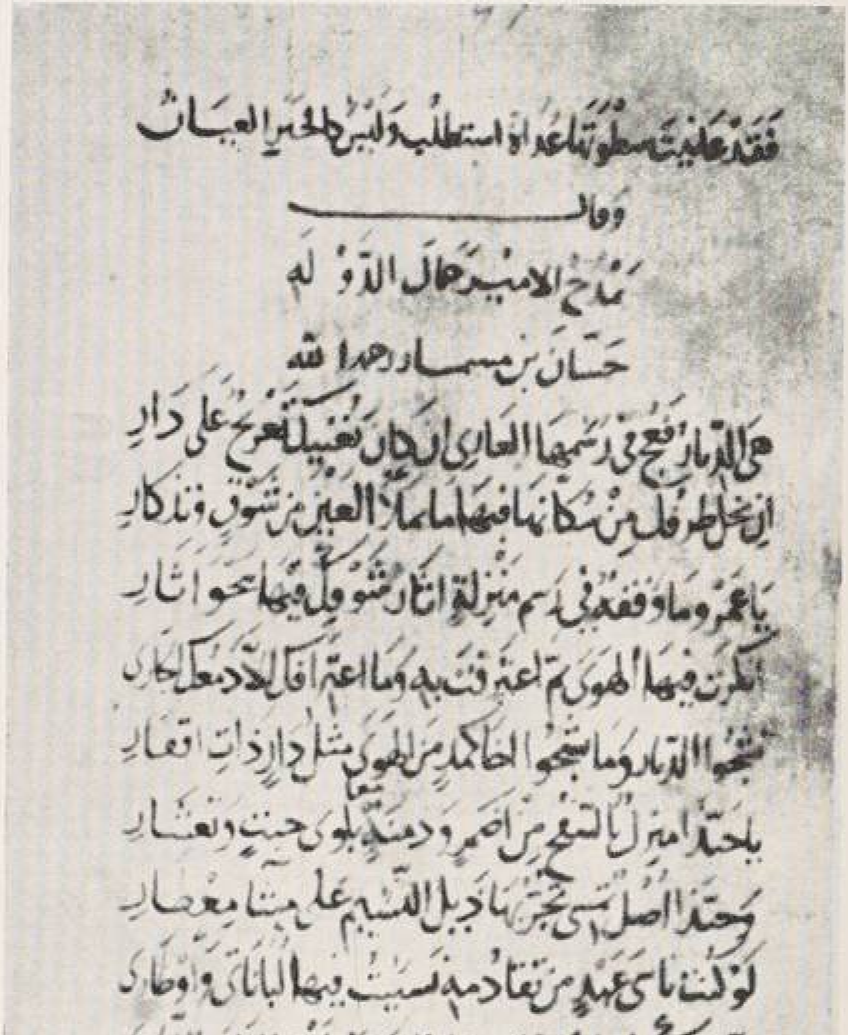
الصفحة الثانية والأربعون من نسخة شيخ الإسلام عارف حكمة المرموز إليها بحرف (ع)
ديوان ابن الخياط


٣٦

لا تسقني بسوى جدوى يديك فما   يروى من السحب لا كل مدرار
ولست اول راج قاده امل   قد راح منك على شقراء مضمار

متى انا طاعن قلب الفجاج   وراء الحزق بالقلص النواجي
وقايد كل سلهبة عبوس   الى يوم يطول به ابتهاجي
سيعتم الهولجر كل مجر   الى امدى ويلتقي الدياجي
فراشي متن كل اقب نهد   وثوب ما يثير من العجاج
اذا الجوزاء امست من نجي   فاين سراي منها وآدلاجي
سوى الصهباء عاصفة نمتني   وغير البيض عن ارب وحاجي
عزفت فما السارى البرق شجني   ولا للرسم قد اقوى مهاجي
وما عن سلوة اغبا دمعي   واقصار العواذل عن لجاجي
ولكن جل عن فند ولوم   غرامي بالمحامد والتهاجي
حمانى العزم حظي من ذوات   الثغور الغر والمقل السواجي
وما عند الحسان جوى مشوق   صدعن فؤاده صدع الزجاج
عرضن لنا فمن لحظ مريض   ومن برد غرب منه مجاج
ومشن لكم قضيب في كثيب   يشوقك باهتزاز في ارتجاج
كان نعاج رمل لاحظتنا   وان كرمن عن حمش النعاج
الام اروض جامحة الاماني   وداء الدهر مغلوب العلاج
اذا العذب النمير حماه ضيم   تجاوزه الى الملح الاجاج
احل بحيث لا اغوث لعاف   واطلح المفاوز والملاجي
كمن ترك الاسنة صاديات   غداة وغى وطاعن بالزجاج

الورقة السادسة والثلاثون من نسخة دار الكتب المصرية المرموز إليها بحرف (م)
ديوان ابن الخياط



وقال
يمدح الأمير جمال الدولة
حسان بن مسمار رحمه الله
هي الديار فعج في رسمها العاري إن كان يغنيك تعريج على دار

الورقة السابعة والخمسون من نسخة الأستاذ عبد الله كنون المرموز إليها بحرف (ن)
ديوان ابن الخياط

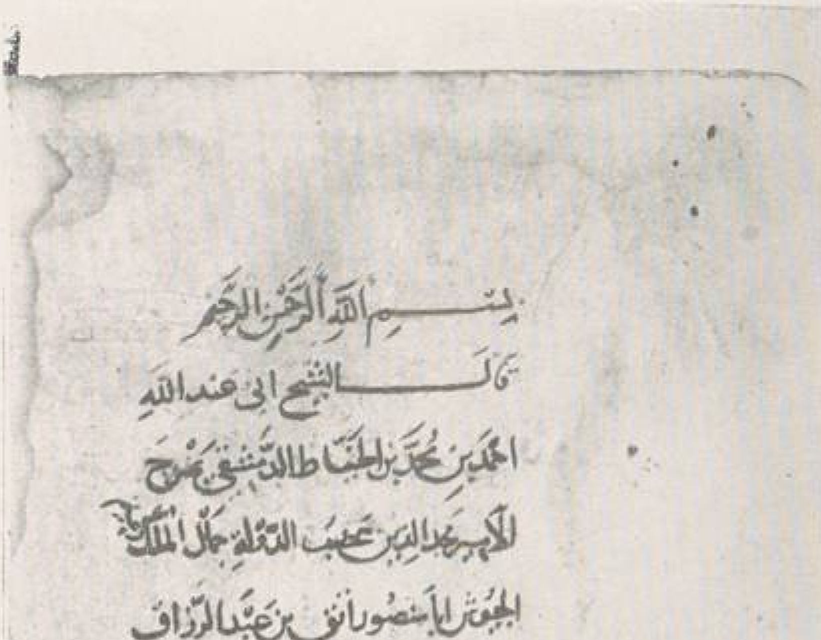


بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية
حدثنا الشيخ الأديب ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي
قال انشدني الشيخ الأديب ابو عبد الله احمد بن محمد الخياط الدمشقي
لنفسه على قافية الألف يمدح القاضي فخر الملك ابا علي عمار بن
محمد بن عمار

هبوا طيفكم اعدى على الناي مسرى ... فمن لمشوق ان تهوم جفناه
وهل يهتدي طيف الخيال لناحل ... اذا السقم عن لحظ العوائد اخفاه
غنى في يد الأحلام لا استفيده ... ودين على الأيام لا اتقاضاه
وما كل مسلوب الرقاد معاده ... ولا كل مسلوبا لفواد معاداه
يرى الصبر محمود العواقب معشر ... وما كل صبر يحمد المرء عقباه
الا لله من قلب يحن جنونه ... اذا لاح برق بالقريتين مهواه
احن اذا هبت صبا مطمئنة ... حنين رذايا الركب وشك مغداه
حوائم خلاها عن الورد مطلب ... بعيد على النزل المنتاب مرماه
هوى كلما عادت من الشرق نفحة ... اعاد لي الشوق الذي كان ابداه
وما شغفي بالريح الا لأنها ... تمر بحي دون رامة مثواه
احب ثرى الوادي الذي بان اهله ... واصبو الى الربع الذي كان مغناه
فما وجد النضو الطليح بمنزل ... رأى ورده في ساحتيه ومرعاه
كوجدي باطلال الديار وان مضى ... على رسمها كر العصور وابلاه
دوارس عفاها النحول كأنما ... وجدن بكم بعد النوى ما وجدناه
الا حبذا عهد الكثيب وناعم ... من العيش مجرور الذيول لبسناه
ليالي عاطتنا الصبابة درها ... فلم يبق منها منهل ما وردناه

الصفحة الأولى من النسخة التيمورية المرموز إليها بحرف (ت)

ديوان ابن الخياط



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ ابو عبد الله

احمد بن محمد بن الخياط الدمشقي يمدح

الامير عضد الدين محب الدولة جمال الملك

الجيوش ابا منصور انز بن عبد الرزاق

عند وروده الى دمشق سنة [illegible]

خذا من صبا نجد امانا لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه

واياكما ذاك النسيم فانه اذا هب كان الموت ايسر خطبه — الوجد

خليلي لو احببتما لعلمتما محل الهوى من مغرم القلب صبه

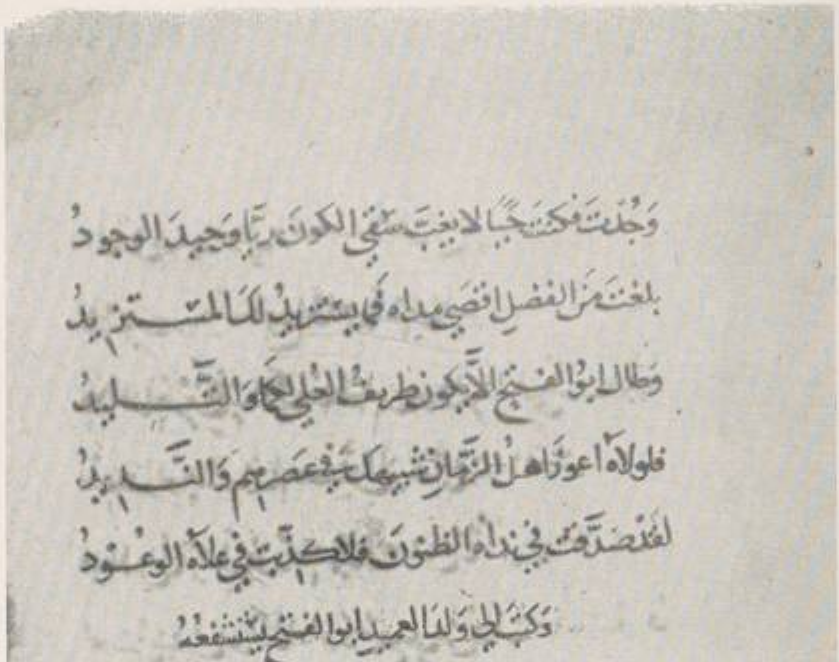
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى يتوق ومن يعلق به الحب يصبه

غرام على ياس الهوى ورجائه وشوق على بعد المزار وقربه

وفي

الصفحة الأولى من نسخة كوبنهاغ المرموز إليها بحرف (ك)

ديوان ابن الخياط



الصفحة الأخيرة من نسخة كوبنهاغ المرموز إليها بحرف (ك)
ديوان ابن الخياط

ديوان

ابْنِ الخيَّاطِ

بسم الله الرحمن الرحيم

١

قال الشيخ الأجل أبو عبد الله أحمد بن محمد الخياط التغلبي الدمشقي يمدح الأمير ناصر الدين أبا القوام وثّاب[1] بن محمود بن نصر بن صالح ، وأنشده إياها بحماة سنة أربع وسبعين وأربع مائة :

---

(١) وثّاب بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي . تولى أخوه سابق إمارة حلب سنة ٤٦٨ ، فثار عليه وثاب واستعان بملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي وأخيه تاج الدولة تتش وبشرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل ، وحاصر حلب سنة ٤٧١ وأشار عليه مسلم بن قريش سراً بالعودة إلى أخيه سابق ففعل .

وفي سنة ٤٧٢ استولى مسلم بن قريش على حلب بعد أن بذل اليه تسليمها أميرها سابق ، وبذلك انقرضت دولة آل مرداس . وأقطع مسلم بن قريش وثّاباً وأخاه شبيباً قلعتي عزاز والأثارب وعدة ضياع ، فسكت وثّاب على مضض ، وكان يتحين الفرص لاسترداد حلب ويتنقل في المدن الشامية .

ففي سنة ٤٧٤ نجده في حماة يجتمع إلى تاج الدولة تتش صاحب دمشق ليعينه على استرداد حلب من مسلم بن قريش ، ونسمع ابن الخياط ينشده هذه القصيدة ويحرضه على استعادة حلب .

ولكن مسلم بن قريش استولى على حماة سنة ٤٧٥ وقبض على وثّاب وأخيه شبيب ، وأخذ منها قلعتي عزاز والأثارب ثم أطلقها .

واستولى على حلب بعد مسلم بن قريش الذي قتل سنة ٤٧٨ ملك شاه —

عَتادُكَ(١) أَنْ تَشُنَّ بِها مُغَارا فَقُدْها شُزَّباً قُبّاً تَبارى

كَأَنَّ أَهِلَّةً قَذَفَتْ نُجُوماً إِذا قَدَحَتْ سَنابِكُها(٢) شَرارا

وَهَلْ مَنْ ضَمَّرَ الْجُرْدَ الْمَذاكِي(٣) كَمَنْ جَعَلَ الطِّرادَ لَها ضِمارا(٤)

كَأَنَّ اللَّيْلَ مَوْتُورٌ حَرِيبٌ يُحاوِلُ عِنْدَ ضَوْءِ الصُّبْحِ ثَارا

فَلَيْسَ يَحِيدُ عَنْها مُسْتَجِيشاً عَلَى الْإِصْباحِ عِثْيَرَها(٥) الْمُثارا

— فأخوه تاج الدولة تتش سنة ٤٨٧ فابنه رضوان بن تتش سنة ٤٨٨ . وكان وثاب يتودد إلى تاج الدولة ثم الى ابنه رضوان لعله يستعيد ملك آبائه في حلب فلم يفلح . ولكنه أصبح أمير قبيلته بني كلاب . وقاتل الصليبين ومعه بنو كلاب في أنطاكية سنة ٤٩١ تحت راية رضوان بن تتش . وتنقطع أخبار وثاب بعد هذه السنة . وأخباره هذه لمع متفرقة هنا وهناك في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وفي زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم .

(١) العتاد : الشيء الذي تعده لأمرٍ ما وتهيئه له ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده أي أهبته وآلته . والمَغار : بالفتح ويضم مصدر بمعنى الغارة . والشُزَّب : جمع شازب وهو من الخيل الضامر . والقُبُّ : جمع أقبّ وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . وقد سقطت هذه القصيدة من (ن) ولم يبق منها هناك غير البيتين الاخيرين .

(٢) السنابك : جمع سُنبُك وهو طرف الحافر .

(٣) المَذاكي : الخيل التي تمّ سنها وكملت قوتها الواحد مُذْكٍ ومُذَكٍّ .

(٤) يريد بالضِمار تضمير الخيل ولم أجدها بهذا المعنى في ما رجعت إليه من كتب اللغة .

(٥) العِثْيَرُ : العجاج .

أَخَذْنَ بِثَأْرِهِ عَنَقاً(١) وَرَكْضاً مَدَدْنَ عَلَى الصَّبَاحِ بِهِ إِزارا
وَقَدْ هَبَّتْ سُيُوفُكَ لامِعاتٍ تُفَرِّقُ في دُجُنَّتِهِ(٢) نَهارا
أَمَا وَالسَّابِقاتِ لَقَدْ أَباحَتْ لَكَ الشَّرَفَ الْمُمَنَّعَ وَالْفَخارا
فَزُرْ حَلَباً بِكُلِّ أَقَبَّ(٣) نَهْدٍ فَقَدْ تُدْنِي لَكَ الْخَيْلُ الْمَزارا(٤)
وَكَلِّفْ رَدَّها إِنْ شِئْتَ قَسْراً عَزائِمَ تَسْتَرِدُّ الْمُسْتَعارا
فَأَجْدِرْ بِالْمَمالِكِ أَنْ تَراها لِمَنْ كانَتْ مَمالِكُهُ مِرارا
وَإِنْ وَلَدَتْ لَكَ الْآمالُ حَظّاً فَما زالَتْ مَواعِدُها عِشارا(٥)
إِذا عايَنْتَ مِنْ عُودٍ دُخاناً فَأَوْشِكْ أَنْ تُعايِنَ مِنْهُ(٦) نارا
وَيَأْبَى اللهُ إِنْ أَبَتِ الْأَعادي لِناصِرِ دِينِهِ إِلَّا انْتِصارا
وَما كَبُرَتْ عَلَيْكَ أُمُورُ مَجْدٍ إِذا أَصْدَقْتَها الْهِمَمَ الْكِبارا

---

(١) العَنَقُ : السير الفسيح الواسع .

(٢) الدُّجُنَّةُ : الظلمة .

(٣) الأقَبُّ : من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . والنَّهْدُ : الفرس الحسن الجميل .

(٤) لم يرد هذا البيت في (ك) .

(٥) العِشار : جمع عُشَراء وهي من النوق التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية .

(٦) فيه (ك) .

وَمَا هِمَمُ ٱلْفَتَىٰ إِلاَّ غُصُونٌ تَـكُونُ لَهَـا مَطالِبُهُ ثِمَـارا
أَلَسْتَ ٱبْنَ(١) ٱلَّذي هَطَلَتْ يَدَاهُ نَدىً سَرَفاً لِمَنْ نَطَقَ ٱخْتِصارا
وَأَعْطَىٰ ٱلْأَلْفَ لَمْ تُعْقَرْ بِنَقْصٍ وَما غَنِّي(٢) وَلا شَرِبَ(٣) ٱلْعُقارا(٤)
وَأَشْبَعَ جُودُهُ غَرْثَىٰ ٱلْأَمَاني وَرَوَّىٰ بَأْسُهُ ٱلْأَسَلَ ٱلْحِرارا
وَقَادَ إِلَىٰ ٱلْأَعَادِي كُلَّ جَيْشٍ تَقُودُ(٥) إِلَيْهِ رَهْبَتُهُ(٦) ٱلدِّيارا

---

(١) ألست ترى الذي ... (ت) .

(٢) ولا غني (ك) .

(٣) وما شرب (ت) .

(٤) العُقار : الخمر . وفي البيت إشـــارة إلى حفـاوة الأمير محمود (والد وثاب) بالشاعر أبي الفتيان محمد بن حَيُّوس حين وفد عليه سنة (٤٦٤) وخبر ذلك ، كما ورد في الجزء الأول من ديوان ابن حَيُّوس ص ١٤ من المقدمة طبع المجمع العلمي العربي بدمشق وتحقيقنا : « . . . وكان محمود قد جلس في مجلسه وأمر باحضار الشراب فشرب أقداحاً ثم قال : ارفعوا الخمر فان ابن حَيُّوس يحضرني ممتدحاً ، وفي نفسي أن أهبه جائزة سنية ، فاذا كان الشراب في مجلسي قيل وهبه وهو سكران ، فرفع . وحضر ابن حَيُّوس فأنشده قصيدته التي أولها :

قِفُوا في القِلى حيثُ انتهيتم تَذَمُّما ولا تَقْتَفُوا مَن جارَ لـمَّا تحكَّما

فوهب له ألف دينار ذهباً في صينية فضة وجعلها له رسماً عليه في كل سنة » .

(٥) يقود (ك) .

(٦) هيبته (ت) .

وَلَوْ قُلتُ ٱبْنُ مَحْمُودٍ[١] كَفَتْنِي[٢] صِفَاتُ عُلَاكَ فَضْلاً وَٱشْتِهارا
وَهَلْ يَخْفَىٰ عَلَى ٱلسَّارِينَ نَهْجٌ إِذا ما ٱلْبَدْرُ في ٱلْأُفُقِ ٱسْتَنارا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْأُولىٰ جَادُوا سِرارا وَعَادَوْا كُلَّ مَنْ عَادَوْا جِهارا
وَمَا كَتَمُوا ٱلنَّدىٰ إِلَّا لِيَخْفىٰ وَيَأْبَىٰ ٱلْغَيْثُ أَنْ يَخْفَىٰ ٱنْهِمارا
بُدُورُ ٱلْأَرْضِ ضَاحِيَةً عَلَيْهَا وَأَطْيَبُ مَنْ ثَوىٰ فِيهَا نِجارا
إِذا ما زُلْزِلَتْ كانوا جِبالاً وَإِنْ هِيَ أَمْحَلَتْ كانوا بِحارا
وَأَنْتَ[٣] أَشَدُّهُمْ بَأْساً وَأَنْدا هُمُ كَفّاً وَأَكْثَرُهُمْ فَخارا
وَأَوْفَاهُمْ إِذا عَقَدُوا ذِماماً وَأَحْمَاهُمْ إِذا حَامَوْا ذِمارا
وَأَمْرَعُهُمْ لِمُرْتَادٍ جَنَاباً وَأَمْنَعُهُمْ[٤] لِمَطْلُوبٍ جِوَارا
لَقَدْ لَبِسَتْ بِكَ ٱلدُّنْيَا جَمالاً فَلَوْ كَانَتْ يَداً كُنْتَ ٱلسِّوَارا
يُضِيءُ جَبِينُكَ ٱلْوَضَّاحُ فِيها إِذا ما ٱلرَّكْبُ في ٱلظَّلْمَاءِ حَارا

---

(١) محمود (والد وثاب) هو : محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب ، وليها سنة (٤٥٢) وتوفي سنة (٤٦٧) .

(٢) كفاني (ى) و (س) و (ع) و (م) و (ت) .

(٣) فأنت . (ك) .

(٤) وأوسعهم (س) .

فَما يَدْرِي أَنَـارُ قِراكَ لاَحَتْ لَهُ أَمْ بَرْقُ غَيْثِك قَدْ أَنارا
تَمَلَّ أَبا ٱلْقوامِ شَرِيفَ حَمْدٍ(١) رَفَعْتُ بِهِ عَلَى ٱلدُّنْيا مَنارا(٢)
ثَنـاءٌ ما حَـدَاهُ ٱلْفِـكْرُ إِلاَّ أَقَامَ بِـكُلِّ مَنْزِلَةٍ وَسَارا
إِذا أُثْنِي بِحَمْدِكَ(٣) قَالَ قَوْمٌ بِحَقٍّ(٤) ٱلرَّوْضِ أَنْ حَمِدَ ٱلْقُطارا(٥)
غَفَرْتُ(٦) ذُنُوبَ هٰذا ٱلدَّهْرِ لَمّا أَصارَ إِلَيَّ رُؤْيَتَكَ ٱعْتِـذَارا
وَرَدَّ لِيَ ٱلصِّبـا بِنَداكَ حَتّىٰ خَلَعْتُ لَدَيْهِ(٧) فِي ٱللَّهْوِ ٱلْعِذارا(٨)

. . .

---

(١) شريف حظ (ت) .

(٢) به رَفَعْتُ لكَ الدنيـا المنـارا (ك) (ب) وتارا (س) ومعنى تار : جرى .

(٣) بجودك : (ى) و (ك) .

(٤) بحق الحمـد . . . (م) و (ت) وهـــذا مثل قول جرير :

وقالت قد نحلت وشبت بعدي بحق الشيبِ بعـدك والنحولِ

أي حق لي أن أشيب وأنحل (ديوان جرير ص ٤٣٦) .

(٥) القطار : السحاب العظيم القطر .

(٦) موضع هذا البيت والذي بعده في (ك) يأتي قبـــل البيت الذي أوله : تَمَلَّ أبا القوام . . . .

(٧) عليه (ك) .

(٨) الوقارا (ت) .

٢

وقال[١] أيضا يمدح الأمير أبا الفوارس[٢] محمد بن مالك بحماة :

سَقَوْهُ كَأْسَ فُرْقَتِهِمْ دِهَاقا[٣] ... وَأَسْكَرَهُ ٱلْوَدَاعُ فَما أَفَاقا
إذا ما ٱلْكَأْسُ لَمْ تَكُ[٤] كَأْسَ بَيْنٍ ... فَلَيْسَتْ بِٱلْحَمِيمِ وَلاَ ٱلْغَسَاقا[٥]
أَبى إِلاَّ ٱفْتِرَاقًا شَمْلُ صَبْري ... وَدَمْعِي إِذْ نَأَوْا[٦] إِلاَّ ٱفْتِراقا
رِفَاقٌ مَا ٱرْتَضَوْا[٧] في ٱلسَّيْرِ إِلاَّ ... قُلُوبَ ٱلْعَاشِقِينَ لَهُمْ[٨] رِفَاقا

(١) لم ترد القصيدة إلا في (ك) وهي من أول شعره .

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (المجلد ١٢ ورقة ١١٠ مخطوط) : « كتب أبو عبد الله (ابن الخياط) بحماة لأبي الفوارس ابن مالك ، وخدمه مدة ثم اشتهر بالشعر » وورد مثل ذلك في الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (ج ٨ ورقة ٢٩ مخطوط) ولذلك كان يعرف بابن الخياط الكاتب .

(٣) كأس دِهاق : طافحة .

(٤) في الأصل : لم يك .

(٥) الغسَاق والغسّاق : البارد الكريه الشديد البرد الذي يحرق من برده كاحراق الحميم .

(٦) لعله : إذ أبوا .

(٧) في الأصل : ما ارتضت .

(٨) في الأصل : له .

أَرائِقَــةَ ٱلْجَمَــالِ وَلاَ جَمِيلٌ ... أَرَاقَكِ أَنْ جَعَلْتِ دَمِي مُرَاقَا
وَسِرْتِ فَلِمْ أَسَرْتِ فُؤَادَ حُرٍّ ... حَلَلْتِ وَمَا حَلَلْتِ لَهُ وَثَاقَا(١)
تُعَيِّرُنِي(٢) بِأَحْداثِ ٱللَّيــالِي ... وَكَيْفَ يُدافِعُ ٱلْبَدْرُ ٱلْمِحاقَا(٣)
شَبابٌ كانَ مُعْتَلاًّ(٤) فَوَلَّى ... وَصَدْرٌ كانَ مُتَّسِعاً فَضَاقَا
يُكَلِّفُنِي ٱلزَّمَانُ مَدِيحَ قَوْمٍ ... يَرَوْنَ كَسادَ ذِكْرِهِمُ نَفَاقَا
وَمَنْ يَرْجُو مِنَ ٱلنَّارِ ٱرْتِواءً ... كَمَنْ يَخْشَى مِنَ ٱلْمَاءِ ٱحْتِرَاقَا
وَلَوْ أَنَّ ٱلزَّمانَ أَرادَ حَمْلَ ٱلَّـ ... ـذي حُمِّلْتُ مِنْهُ مَا أَطَاقَا
وَلِي عَزْمٌ أَنالُ بِـهِ ٱنْفِتــاحاً ... لِبابِ ٱلْمَجْدِ إِنْ خِفْتُ ٱنْغِلاقَا
بَعَثْتُ بِهِ ٱلنِّياقَ وَقَدْ يُرَجِّي ... أَنِيقَ ٱلْعَيْشِ مَنْ بَعَثَ ٱلنِّيَـاقَا
سَرَيْتُ بِها وَحَظِّي ذُو سُباتٍ(٥) ... وَجِئْتُ أَبَا ٱلْفَوارِسِ(٦) فَٱسْتَفَاقَا
سَعَى وَسَعَى ٱلْمُلُوكُ فَكَانَ أَقْصَى ... مَدىً وَأَشَدَّ فِي ٱلسَّعْيِ ٱنْطِلاقَا

(١) الوَثاق : بالفتح ويكسر ما يُشَدُّ به من قيد أو حبل ونحوه .
(٢) المختار في هذا الفعل أن يتعدى بنفسه لا بالباء يقال عيَّره الأمر .
(٣) المحاق : مثلثة أن يستتر القمر فلا يُرى غدوة ولا عشية ، سمي به لأنه طلع مع الشمس فمحقته .
(٤) كذا ولعل الصواب (مقتبلاً) .
(٥) السُّبات : النوم وأصله الراحة .
(٦) أنظر الحاشية رقم(٢) ص (٩)

وَأَطْوَلَهُمْ لَدىٰ ٱلْعَلْيـاءِ باعاً ... وَأَثْبَتَهُمْ لَدىٰ ٱلْهَيْجاءِ ساقا
يُطَبِّقُ(١) غَيْثُهُ أَرْضَ ٱلْأَماني ... وَيَسْمُو سَعْدُهُ(٢) ٱلسَّبْعَ ٱلطِّباقا
وَيَسْبِقُ عَزْمُـهُ كَلْمَ ٱللَّيالي ... فَـكَيْفَ يُحاوِلُونَ لَهُ سِباقا
وَمَنْ يطْلُبْ لِلَمْعِ ٱلْبَرْقِ شَأْواً ... يَجِدْهُ أَعَزَّ مَطْلُوبٍ لَحاقا
وَما بِٱلْجَدِّ فاقَ ٱلنَّاسَ صِيتاً ... وَلٰكِنْ بِٱلنَّدىٰ وَٱلْبَأْسِ فاقا
وَمَنْ خَطَبَ ٱلْمَعـالِيَ بِٱلْمَوالي ... وَبِٱلْجَدْوىٰ فَقَدْ(٣) أَرْبىٰ ٱلصَّداقا
وَإِنْ طَرَقَ ٱلْعِدىٰ لَمْ يَرْضَ مِنْهُمْ ... سِوىٰ هامِ ٱلْمُلُوكِ لَهُ طِراقا(٤)
وَقَدْ كَرِهَ ٱلتَّلاقِيَ كُلُّ صَبٍّ(٥) ... كَأَنَّ إِلىٰ ٱلْفِراقِ بِهِ ٱشْتِياقا
(وَشَدَّدَ(٦) بِٱلْخِناقِ) عَلَى ٱلْأَعادي ... فَتىً راخىٰ(٧) بِنائِلِهِ ٱلْخِناقا

---

(١) طَبَّقَ : عمَّ .

(٢) في الأصل : (ويسموا شعب ذو السبع الطباقا) ولعل ما أثبتناه هو الصواب . والسبع الطباق : السموات السبع .

(٣) في الأصل : (وقد) والفاء في هذا المكان أحكم .

(٤) الطِّراق : جلد النعل .

(٥) كذا بالأصل ولعله (كل نَدْبٍ) .

(٦) في الأصل (وشَدَّ به الخِناقُ) ولعل ما أثبتناه هو الأقرب إلى الصواب . والخِناقُ : ما يُخنَق به من حبل أو وتر ونحوه .

(٧) راخَى خناقه : أرخاه بمعنى نفّس عنه .

تَلاقَتْ عِنْدَكَ ٱلْآمالُ حَتّى أَبى إِسْرافُ جُودِكَ أَنْ يُلاقا
وَأَقبلَ بِٱلْهَناءِ عليكَ عِيدٌ حَداهُ إِلَيْكَ إِقبالٌ وَساقا
فَسَرَّكَ وَهْوَ مِنْكَ أَسَرُّ قلباً وَلا عَجَبٌ (إِنِ ٱلْمُشْتاقُ[1]) شاقا
وَمِثْلُكَ يا مُحَمَّدُ ساقَ جَيْشاً يُكَلِّفُ[2] نَفْسَ رائِيهِ ٱلسِّياقا
إِذا ٱلْخَيلُ ٱلْعِتاقُ حَمَلْنَ هَمّاً فَهَمُّكَ يَحْمِلُ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتاقا
وَمَنْ عَشِقَ ٱلدِّقاقَ ٱلسُّمْرَ يَوْماً فَإِنَّكَ تَعْشَقُ ٱلسُّمْرَ ٱلدِّقاقا[3]
وَتَخْتَرِمُ ٱلْمُلُوكَ بِها ٱخْتِراماً وَتَخْتَرِقُ ٱلْعَجاجَ بِها ٱخْتِراقا
يَسُرُّكَ أَنْ تُساقِي ٱلْجَيْشَ كَأْساً مِنَ ٱلْحَرْبِ ٱصْطِباحاً وَٱغْتِباقا
وَأَشْجَعُ مَنْ رَأَيْناهُ شُجاعٌ يُلاقِيهِ ٱلسُّرُورُ بِأَنْ يُلاقى
وَما ماءٌ لِذِي ظَمَإٍ زُلالٌ بِأَعْذَبَ مِنْ خَلائِقِهِ مَذاقا
حَباني جُودُهُ عَيْشاً كَأَنّي ظَفِرْتُ بِهِ مِنَ ٱلدَّهْرِ ٱسْتِراقا
فَأَيّامِي بِهِ بِيضٌ يِقاقٌ[4] وَكانَتْ قَبْلَهُ سُوداً صِفاقا

(١) في الأصل : (إنَّ المشتاق) ولا يستقيم به الوزن .
(٢) في الأصل : (تكلف) .
(٣) يريد بالدقاق السمر : النساء السمر . وبالسمر الدقاق : الرماح .
(٤) أبيض يَقَق : شديد البياض . ويقاق جمع يقق قياساً مثل جَمَل وجِمال . على أن المنصوص عليه يقايِق وهو على غير القياس .

وَطَوَّقَنِي ٱبْنُ مَالِكَ[١] طَوْقَ مَنٍّ   فَصُغْتُ مِنَ ٱلثَّنَاءِ لَهُ نِطَاقَا
أَرَى ٱلْأَيَّامَ لَا تُعْطِي كَرِيماً   بُلُوغَ مُرَادِهِ إِلَّا (فَوَاقَا[٢])
فَلَا عَاقَتْكَ عَنْ طَلَبِ ٱلْمَعَالِي   (إِذَا ٱلْأَيَّامُ كَادَتْ أَنْ تُعَاقَا[٣])

(١) ورد اسم الممدوح في عنوان هذه القصيدة : ابن مانك وكذا في سير أعلام النبلاء والوافي بالوفيات أنظر الحاشية رقم (٢) ص (٩)

(٢) في الأصل (وِقَا) ولعل ما أثبتناه هو الصواب . والفَوَاق : ما بين الحلبتين من الوقت ، يعني في الحين بعد الحين .

(٣) في الأصل : (إذا ما كادت الأيام عاقا) ، ولعل ما أثبتناه هو الأقرب إلى الصواب .

٣

وقال يمدح الأمير سديد الملك[1] أبا الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ سنة ست وسبعين وأربع[2] مائة :

يَقِيني يَقِيني حَادِثَاتِ ٱلنَّوائِبِ وَحَزْمِيَ حَزْمِي في ظُهُورِ ٱلنَّجائِبِ

(١) هو الأمير سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني ، كان شجاعاً كريماً وله شعر جيد . ذكر ابن عساكر أنه دخل دمشق غير مرة . وذكر ابن خلكان أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه قلعة شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن نصر بن صالح ابن مرداس ، فجرى أمر خاف سديد الملك على نفسه منه ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام ، وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمّار فأقام عنده . وفي ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٦ أن خروجه من حلب كان سنة ٤٦٥ .

وعلي بن مقلّد هذا أول من ملك قلعة شيزر من بني منقذ ، لأنه كان نازلاً مجاور القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بنى منقذ ، وكانت القلعة بيد الروم فنازلها وتسلمها بالأمان سنة ٤٧٤ ، ومدحه جماعة من الشعراء كابن حيّوس وابن الخياط وابن سنان الخفاجي وغيرهم . وتوفي سنة ٤٧٩ وقيل سنة ٤٧٥ على أن تاريخ القصيدة يعين القول الأول .

« وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٦٤/١ » « تاريخ دمشق لابن عساكر — مخطوط — » « ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٦ و ١١٣ و ١١٤ »

(٢) لم يعين هذا التاريخ إلا نسخة كوبنهاغ .

سَيُنْجِدُني جَيْشٌ مِنَ ٱلْعَزْمِ طَالَمَا غَلَبْتُ بِهِ ٱلْخَطْبَ ٱلَّذِي هُوَ غَالِبِي

وَمَنْ كَانَ حَرْبَ ٱلدَّهْرِ عَوَّدَ نَفْسَهُ قِرَاعَ ٱللَّيَالِي لَا قِرَاعَ ٱلْكَتَائِبِ

عَلَى أَنَّ لِي فِي مَذْهَبِ ٱلصَّبْرِ مَذْهَبًا يَزِيدُ[1] ٱتِّسَاعًا عِنْدَ ضِيقِ ٱلْمَذَاهِبِ

وَمَا وَضَعَتْ مِنِّي ٱلْخُطُوبُ بِقَدْرِ مَا رَفَعْنَ وَقَدْ هَذَّبْنَنِي بِٱلتَّجَارِبِ

أَخَذْنَ ثَرَاءً غَيْرَ بَاقٍ عَلَى ٱلنَّدَى وَأَعْطَيْنَ فَضْلًا فِي ٱلنُّهَى غَيْرَ ذَاهِبِ

فَمَالِيَ لَا رَوْضُ ٱلْمَسَاعِي بِمُمْرِعٍ لَدَيَّ وَلَا مَاءُ ٱلْأَمَانِي بِسَاكِبِ

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَعْدِي لَدَيْهَا[2] بِحَائِنٍ زَمَانًا وَلَا دَيْنِي عَلَيْهَا بِوَاجِبِ

وَحَاجَةِ نَفْسٍ تَقْتَضِيهَا مَخَايِلِي[3] وَتَقْضِي بِهَا لِي عَادِلَاتٌ[4] مَنَاصِبِي

عَدَدْتُ لَهَا بَرْقَ ٱلْغَمَامِ هُنَيْدَةً[5] وَأُخْرَى وَمَا مِنْ قَطْرَةٍ فِي ٱلْمَذَانِبِ[5]

وَهَلْ نَافِعِي شَيْمٌ مِنَ ٱلْعَزْمِ[6] صَادِقٌ إِذَا كُنْتُ ذَا بَرْقٍ مِنَ ٱلْحَظِّ كَاذِبِ

---

(١) يريك اتساعاً . . . (ت)

(٢) عليها . س

(٣) المَخايل من السحب : المنذرة بالمطر .

(٤) عادلات مناصب . (ى) ، (م) ، (ع) .

(٥) هُنَيْدَة : اسم للمائة من الابل وغيرها . والمذانب : جمع مِذْنَب وهو الجدول يسيل في الروضة بمائها إلى غيرها ومسيل الماء . وهذا البيت والذي بعده لم يردا في (ك) .

(٦) هذه رواية (ن) وفي بقية النسخ (البرق) .

وَإِنِّي لَأَغْنَىٰ بِٱلْحَدِيثِ عَنِ ٱلْقِرَىٰ(١) وَبِٱلْبَرْقِ مِنْ صَوْبِ ٱلْغُيُوثِ ٱلسَّوَاكِبِ

قَنَاعَةُ عِزٍّ لَا طَمَاعَةُ ذِلَّةٍ تُزَهِّدُ فِي نَيْلِ ٱلْغِنَىٰ كُلَّ(٢) رَاغِبِ

إِذَا مَا ٱمْتَطَى ٱلْأَقْوَامُ مَرْكَبَ ثَرْوَةٍ خُضُوعاً رَأَيْتُ ٱلْعُدْمَ خَيْرَ مَرَاكِبِي(٣)

وَلَوْ رَكِبَ ٱلنَّاسُ ٱلْغِنَىٰ بِبَرَاعَةٍ وَفَضْلٍ مُبِينٍ كُنْتُ أَوَّلَ رَاكِبِ

وَقَدْ أَبْلُغُ ٱلْغَايَاتِ لَسْتُ(٤) بِسَائِرٍ وَأَظْفَرُ بِٱلْحَاجَاتِ لَسْتُ(٥) بِطَالِبِ

وَمَا كُلُّ دَانٍ مِنْ مَرَامٍ بِظَافِرٍ وَلَا(٦) كُلُّ نَاءٍ عَنْ رَجَاءٍ بِخَائِبِ

وَإِنَّ ٱلْغِنَىٰ مِنِّي(٧) لَأَدْنَىٰ مَسَافَةً وَأَقْرَبُ مِمَّا بَيْنَ عَيْنِي وَحَاجِبِي

سَأَصْحَبُ آمَالِي إِلَى ٱبْنِ مُقَلَّدٍ فَتَنْجَحُ(٨) مَا أَلْوَى(٩) ٱلزَّمَانُ بِصَاحِبِ

---

(١) وبالمنى (ن) .

(٢) خير راغب : (م) ، (س) ، (ع) .

(٣) مراكب : (ي) ، (م) ، (ع) ، (ت) .

(٤) في جميع النسخ (ليس بسائرٍ) إلا في نسخة كوبنهاغ فقد كتب فوق ليس لستُ « نسخة » .

(٥) في جميع النسخ (ليس بطالب) إلا في نسخة كوبنهاغ فقد كتب فوق ليس لستُ « نسخة » .

(٦) وما . . . (ي)

(٧) فيه . . . (ك)

(٨) فينجح : (ظ) ، (ي) .

(٩) ألوى به : ذهب ، وألوى به الدهر : أهلكه .

فما اشْتَطَّتِ الآمالُ إلاّ أباحها سَماحُ عليٍّ حُكْمَها في المَواهِبِ
إذا كُنْتَ يوماً آمِلاً آمِلاً لهُ فكُنْ واهِباً كُلَّ المُنى كُلَّ واهِبِ
وإنَّ امْرَأً أفضى إليهِ رجاؤُهُ فلَمْ تَرْجُهُ الأمْلاكُ(١) إحْدى العَجائِبِ
مِنَ القَوْمِ لو أنَّ اللَّيالي تَقلَّدَتْ بأحْسابِهِمْ(٢) لم تحْتَفِلْ بالكَواكِبِ
إذا أظْلَمَتْ سُبْلُ السُّراةِ إلى العُلى سَرَوْا فاسْتَضاءوا بَيْنَها بالمَناسِبِ(٣)
هُمُ(٤) غادَرُوا بالعِزِّ حَصْباءَ أرْضِهِمْ أعزَّ مَنالاً مِنْ نُجُومِ الغَياهِبِ
تَرى الدَّهْرَ ما أفضى إلى مُنْتَواهُمُ يُنَكِّبُ عَنْهُمْ بالخُطُوبِ النَّواكِبِ(٥)
إذا المُنْقِذيُّونَ اعْتَصَمْتَ بحَبْلِهِمْ(٦) خَضَبْتَ الحُسامَ العَضْبَ مِنْ كُلِّ خاضِبِ(٧)
أولئكَ لَمْ يَرْضَوْا مِنَ العِزِّ والغِنى سِوى ما اسْتَباحُوا بالقَنا والقَواضِبِ
كأنْ لَمْ يُحَلَّلْ رِزْقُهُمْ(٨) دِينُ مَجْدِهِمْ بغَيْرِ العَوالي والعِتاقِ(٩) الشَّوازِبِ

(١) الأفلاك : (ك) . الآمال (ن) .
(٢) باحسانهم : (س) ، (م) ، (ع) .
(٣) بالمناقب . (ت) . بالمناصب . (س) .
(٤) مكان هذا البيت في (ك) بعد الذي يليه هنا .
(٥) المُنْتَوى : المكان والمنزل . ونكّب : نحى .
(٦) بعزهم (ن)
(٧) حاصب . (ك) . ومن معاني حاصب : العدد الكثير من الرجّالة والرماة .
(٨) دون مجدهم . (ك) .
(٩) العتاق الشوازب : الخيل الكريمة الضامرة .

إِذَا قَرَّبُوهَا لِلِّقَاءِ تَبَاعَدَتْ مَسَافَةُ مَا بَيْنَ ٱلطُّلَى وَٱلذَّوَائِبِ
إِذَا نَزَلُوا أَرْضاً بِهَا ٱلْمَحْلُ رُوِّضَتْ[1] وَمَا سُحِبَتْ فِيهَا ذُيُولُ ٱلسَّحَائِبِ
بِأَنْدِيَةٍ خُضْرٍ فِسَاحٌ رِبَاعُهَا وَأَوْدِيَةٍ غُزْرٍ عِذَابِ ٱلْمَشَارِبِ[2]
أَرَى ٱلدَّهْرَ حَرْباً لِلْمُسَالِمِ بَعْدَمَا صَحِبْنَاهُ دَهْراً وَهْوَ سِلْمُ ٱلْمُحَارِبِ
فَعُذْ بِنَهَارِيٍّ ٱلْعَدَاوَةِ أَوْحَدٍ مِنَ ٱلْقَوْمِ لَيْلِيِّ ٱلنَّدَى وَٱلرَّغَائِبِ[3]
تَنَلْ بِسَدِيدِ ٱلْمُلْكِ ثَرْوَةَ مُعْدِمٍ[4] وَفَرْجَةَ[5] مَلْهُوفٍ وَعِصْمَةَ هَارِبِ
سَعَى وَارِثُ ٱلْمَجْدِ ٱلتَّلِيدِ فَلَمْ يَدَعْ بِأَفْعَالِهِ مَجْداً طَرِيفاً لِكَاسِبِ
يُغَطِّي عَلَيْهِ ٱلْحَزْمُ بِٱلْفِكَرِ ٱلَّتِي كَشَفْنَ لَهُ عَمَّا وَرَاءَ ٱلْعَوَاقِبِ
وَرَأْيٍ يُرِي خَلْفَ ٱلرَّدَى مِنْ أَمَامِهِ فَمَا غَيْبُهُ ٱلْمَكْنُونُ عَنْهُ بِغَائِبِ
بَقِيتَ بَقَاءَ ٱلنَّيِّرَاتِ[6] وَمِثْلُهَا عُلُوّاً وَصَوْناً عَنْ صُرُوفِ ٱلنَّوَائِبِ

---

(١) رَوَّضَ المطرُ الأرضَ : جعلها كالروض .

(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) .

(٣) يريد بنهاري العداوة : من يجاهر بالعداوة أعداءه ، وبليلي الندى والرغائب : من يخفي معروفه .

(٤) مغرم . (س) .

(٥) وفرحة . . . (م) ، (ت) ، (ن) .

(٦) النيرين . (ت)

وَدَامَ بَنُوكَ ٱلسِّتَّةُ(١) ٱلزُّهْرُ إِنَّهُمْ نُجُومُ ٱلْمَعَالِي فِي سَمَاءِ ٱلْمَنَاقِبِ
سَلَلْتَ سِهَاماً مِنْ كِنَانَةَ(٢) لَمْ تَزَلْ يُقَرْطِسُ(٣) مِنْهَا فِي ٱلْمُنَى كُلُّ صَائِبِ
فَأَدْرَكْتَ مَا فَاتَ ٱلْمُلُوكَ بِعَزْمَةٍ تَقُومُ مَقَامَ ٱلْحَظِّ عِنْدَ ٱلْمَطَالِبِ
وَمَا(٤) فُقْتَهُمْ حَتَّى تَفَرَّدْتَ دُونَهُمْ(٥) بِرَأْيِكَ فِي صَرْفِ ٱلْخُطُوبِ ٱللَّوَازِبِ
وَمَا شَرُفَتْ عَنْ قِيمَةِ ٱلزُّبَرِ(٦) ٱلظُّبَا إِذَا لَمْ يُشَرِّفْهَا(٧) مَضَاءُ ٱلْمَضَارِبِ
تَجَافَتْ عَنْ قَصْدِ ٱلْمُلُوكِ وَعِنْدَهُمْ رَغَائِبُ لَمْ تَجْنَحْ إِلَيْهَا غَرَائِبِي(٨)

---

(١) عرفنا منهم أربعة هم : أبو سلامة مرشد ، وأبو العساكر سلطان ، وأبو المرهف نصر ، وأبو المتوّج مقلّد ، وكلهم فارس شاعر أديب . أنظر الجزء الأول من خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب قسم شعراء الشام من ص ٤٩٧ إلى ص ٥٧٢ طبع المجمع العلمي العربي بدمشق وتحقيق الدكتور شكري فيصل ، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمباور ج ١ ص ١٦٥

(٢) كِنانة : قبيلة الممدوح وهي من العرب القحطانية .

(٣) تقرطس . (س) ، (ي) ، (ك) ، (م) ، (ع) ، (ت) . وقرطس : أصاب القرطاس أي الغرض .

(٤) فما . (ك)

(٥) عنهمُ . (س)

(٦) الزُّبَر : جمع زُبْرَة وهي القطعة الضخمة من الحديد . والظُّبَى : جمع ظُبَة وهي حد سيف أو سنان .

(٧) لم تشرفها . (م) ، (ت) .

(٨) يريد بالغرائب : غرائب الابل . قال الحجّاج في الخطبة التي —

تَنَاقَلُ بِي أَيْدِي ٱلْمَهارَى حَثِيثَةً ... كَمَا ٱخْتَلَفَتْ فِي ٱلْعَقْدِ أَنمُلُ حَاسِبِ[١]

إِذَا ٱلشَّوْقُ أَغْرَانِي بِذِكْرِكَ مَادِحاً ... تَرَنَّمتْ مُرْتَاحاً فَحَنَّتْ رَكَائِبِي

بِمَنْظُومَةٍ مِنْ خَالِصِ ٱلدُّرِّ ، سِلْكُهَا ... عَرُوضٌ ، وَلٰكِنْ دُرُّهَا مِنْ مَنَاقِبِ[٢]

تُعَمَّرُ عُمْرَ ٱلدَّهْرِ حَتَّى إِذَا مَضَى ... أَقَامَتْ وَمَا أَرْمَتْ[٣] عَلَى سِنِّ كَاعِبِ

شَعَرْتُ وَحَظُّ ٱلشِّعْرِ عِنْدَ ذَوِي ٱلْغِنَى ... شَبِيهٌ بِحَظِّ ٱلشَّيْبِ عِنْدَ ٱلْكَوَاعِبِ

وَمَا بِيَ تَقْصِيرٌ عَنِ ٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَى ... سِوَى أَنَّنِي صَيَّرْتُهُ مِنْ مَكَاسِبِي

يُعَدُّ مِنَ ٱلْأَكْفَاءِ مَنْ كَانَ عَنْهُمُ ... غَنِيّاً وَإِنْ لَمْ يَشْأُهُمْ فِي ٱلْمَرَاتِبِ

وَلَوْ خَطَرَتْ بِي فِي ضَمِيرِكَ خَطْرَةٌ ... لَعَادَتْ بِتَصْدِيقِ ٱلظُّنُونِ[٤] ٱلْكَوَاذِبِ

وَأَصْبَحَ مُخْضَرّاً بِسَيْبِكَ مُمْرِعاً ... جَنَابِي وَمَمْنُوعاً بِسَيْفِكَ جَانِبِي

* * *

ـ خطبها في الكوفة : « . . . لأضربنكم ضرب غرائب الإبل » وذلك إن الإبل إذا وردت الماء فدخل عليها غريبة من غيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها . (لسان العرب) .

(١) المهارَى : جمع مَهْرِيَّة وهي الابل المنسوبة إلى مَهْرة بن حيدان تسبق الخيل . والعقد هنا : الحساب . والأنملة : رأس الإصبع تجمع على أنامل وأنملات ، أما أنمُل فلم أجدها فيما رجعت إليه من دواوين اللغة .

(٢) مناقبي . (ظ) ، (م) ، (ت) .

(٣) أربت . (ط) . وأربى وأرمى : بمعنى واحد أي زاد .

(٤) الحظوظ . (ي) ، (س) ، (ك) ، (م) ، (ع) ، (ن) .

٤

وقال [١] يذم الزمان ويستعين بعض إخوانه على [٢] استخلاص مال له عند جماعة [٣] :

لَكَ ٱلْخَيْرُ قَدْ أَنْحَى عَلَيَّ زَمَانِي ‏ وَمَالِي بِمَا يَأْتِي الزَّمَانُ يَدَانِ
كَأَنَّ [٤] صُرُوفَ ٱلدَّهْرِ لَيْسَ يَعُدُّهَا ‏ صُرُوفاً إِذَا مَكْرُوهُهُنَّ عَدَانِي
وَلَوْ أَنَّ غَيْرَ ٱلدَّهْرِ بِٱلْجَوْرِ قَادَنِي [٥] ‏ جَمَحْتُ وَلَكِنْ فِي يَدَيْهِ عِنَانِي
مُنِيتُ بِبَيْعِ الشِّعْرِ مِنْ [٦] كُلِّ بَاخِلٍ ‏ بِخُلْفِ [٧] مَوَاعِيدٍ وَزُورِ أَمَانِي

---

(١) ورد عنوان هـذه القصيدة في (ك) : « وكتب في غرض له » وفي ت : « وقال يذم الزمان وكتب بها إلى الشريف أمين الدولة » ولكن البيت الثاني والعشرين من القصيدة يدل على انه كتب بها الى الشريف أنس الدولة وهو أبو جعفر عبد الله بن الحسين بن المحسن الجعفري . انظر س (١) ص (٢٤) .

(٢) في استخلاص (ظ ، س ، ن) .

(٣) عند قوم . (ظ ، ي ، ع ، ن) .

(٤) وإنَّ . (ت) .

(٥) قائدي . (ظ ، ي ، س ، م ، ع ، ن) .

(٦) في . (ك) .

(٧) بطول مواعيدٍ . (ك) .

وَمَنْ لِي بِأَنْ(١) يُبْتَاعَ مِنِّي وَإِنَّمَا أُقِيمُ لِمَاءِ ٱلْوَجْهِ سُوقَ هَوَانِ
إِذَا رُمْتُ أَنْ أَلْقَى بِهِ ٱلْقَوْمَ لَمْ يَزَلْ(٢) حَيَائِي وَمَسُّ ٱلْعُدْمِ يَقْتَتِلَانِ
أَخَافُ سُؤَالَ ٱلْبَاخِلِينَ كَأَنَّنِي مُلَاقِي ٱلْوَغَى كُرْهاً بِقَلْبِ جَبَانِ
قَعَدْتُ(٣) بِمَجْرَى ٱلْحَادِثَاتِ مُعَرِّضاً لِأَسْبَابِهَا مَا شِئْنَ(٤) فِيَّ أَتَانِي
مُصَاحِبَ أَيَّامٍ تَجُرُّ ذُيُولَهَا(٥) عَلَيَّ بِأَنْوَاعٍ(٦) مِنَ ٱلْحَدَثَانِ
أَرَى ٱلرِّزْقَ أَمَّا ٱلْعَزْمُ مِنِّي فَمُوشِكٌ(٧) إِلَيْهِ وَأَمَّا ٱلْحَظُّ عَنْهُ فَوَانِ
وَهَلْ يَنْفَعَنِّي أَنَّ عَزْمِي مُطْلَقٌ وَحَظِّي مَتَى رُمْتُ ٱلْمَطَالِبَ عَانِ
وَمَا زَالَ شُؤْمُ ٱلْجَدِّ(٨) مِنْ كُلِّ طَالِبٍ كَفِيلاً بِبُعْدِ ٱلْمَطْلَبِ ٱلْمُتَدَانِي
وَقَدْ يُحْرَمُ ٱلْجَلْدُ ٱلْحَرِيصُ مَرَامَهُ وَيُعْطَى مُنَاهُ ٱلْعَاجِزُ ٱلْمُتَوَانِي

---

(١) ومن لي بمن يبتاع . . . (ت) .
(٢) لم أزل . (ك) .
(٣) فعدت . . . (س ، ك ، ي) .
(٤) ماشئت . (س ، ت) . ما استن فيَّ أتاني . (ن) .
(٥) تجر سيولها . (ظ ، ي ، س ، ك ، م ، ع) .
(٦) بأنوآء . (م . ع) .
(٧) أوشك : أسرع السير .
(٨) الحظ . (م) . وما زال سوم الدهر . . . (ت) .

وَمِنْ أَنْكَدِ[١] ٱلْأَحْدَاثِ عِنْدِيَ أَنَّنِي عَلَى نَكَدِ ٱلْأَحْدَاثِ غَيْرُ مُعَانِ
فَمَا أَنَا مَتْرُوكٌ وَكُلُّ عَظِيمَةٍ أُقَارِعُهَا شَأْنَ ٱلْخُطُوبِ وَشَانِي
فَمَتْراً لِدَهْرٍ لا تَرَى[٢] فِيهِ قَائِلاً: لَعاً[٣]، لِفَتًى زَلَّتْ بِهِ ٱلْقَدَمَانِ
فَهَلْ أَنْتَ مُولٍ[٤] نِعْمَةً فَمُبَادِرٌ إِلَيَّ وَقَدْ أَلْقَى ٱلرَّدَى بِجِرَانِ[٥]
وَحَطَّ عَلَيَّ ٱلدَّهْرُ أَثْقَالَ لُؤْمِهِ وَتِلْكَ ٱلَّتِي يَعْيَا بِهَا ٱلثَّقَلَانِ[٦]
وَمُسْتَخْلِصِي مِنْ قَبْضَةِ ٱلْفَقْرِ[٧] بَعْدَمَا تَمَلَّكَ رِقِّي ذُلُّهُ وَحَوَانِي
وَجَاعِلُ حَمْدِي مَا بَقِيتُ[٨] مُخَلَّداً عَلَيْكَ وَمَا أَرْسَتْ هِضَابُ أَبَانِ[٩]
إِذَا تَقْتَنِي شُكْرَ ٱمْرِئٍ غَيْرِ هَادِمٍ بِكُفْرِ ٱلْأَيَادِي مَا ٱرْتِيَاحُكَ بَانِ

(١) ومن نكد الأحداث . . . (ك) ومن أنكر الأحداث . . . (ت).
(٢) لأرى . (ك).
(٣) لعل الفتى . (ك) لعل فتى . (ظ ، ن) . ولعاً لـهُ : كلمة تقال للعاثر بمعنى سلمت ونجوت .
(٤) مولى نعمةٍ . (ك ، ت).
(٥) الجران : من البعير مقدَّم عنقه من مذبحه إلى منحره ، وألقى البعير جرانه إذا برك .
(٦) لم يرد هذا البيت في (ك).
(٧) من قبضة الدهر . . (ك).
(٨) ما حييت . . . (ك).
(٩) أبان : جبل .

فَمِثْلُكَ أُنْسَ ٱلدَّوْلَةِ (١) أُنْتاشَ هَالِكاً ... أَخِيذَ مُلِمَّاتٍ أَسِيرَ زَمَانِ

وَغَادَرَ مَنْ يَخْشَى ٱلزَّمَانَ كَأَنَّما ... يُلاقِيهِ مِنْ مَعْرُوفِهِ بِأَمَانِ

٥

وقال يمدح القاضي جلال (٢) الملك أبا الحسن علي بن محمد بن عمّار بطرابلس الشام (٣).

يَا سَيِّدَ ٱلْحُكَّامِ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ ... يَهْمِي عَلَيَّ بِهَا سَحَابُ نَدَاكَا

أَمْ هَلْ يَعُودُ لِيَ ٱلزَّمَانُ بِعَطْفَةٍ ... يَثْنِي إِلَيَّ بِهَا عِنَانَ رِضَاكَا

(١) هو الشريف أنس الدولة أبو جعفر عبد الله بن الحسين بن المحسن الجعفري.

(٢) جلال الدين (م ، ع ، ت) والصواب جلال الملك قاضي طرابلس الشام والمستقل بها. وأول من استقل بطرابلس من بني عمار القاضي أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمّار الطائي ، كان قاضي طرابلس واستقل بها سنة ٤٦٢ وتوفي سنة ٤٦٤ ، وهو عم جلال الملك الذي خلفه على طرابلس فضبطها أحسن ضبط ، وتوفي سنة ٤٩٤ وظل بنو عمّار مستقلين بها إلى أن استولى عليها الصليبيون سنة ٥٠٢.

« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٦٣ والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٢ / ١٨٨ ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ١٦٠ ».

(٣) سنة ٤٨٣ (ن).

هَبْ[١] ذا ٱلرَّمِيَّ مِنَ ٱلْحَوادِثِ جُنَّةً ... وَلِذَا ٱلْأَسِيرِ مِنَ ٱلْخُطُوبِ فِكَاكَا

قَدْ نَالَ مِنِّي صَرْفُهَا مَا لَمْ تَنَلْ ... يَوْمَ ٱلتُّلَيْلِ[٢] مِنَ ٱلْعُدَاةِ ظُبَاكَا

آلَيْتُ لَا أَبْغِي نَدَاكَ بِشَافِعٍ ... مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّاكَا

غَضَباً[٣] لِمَجْدِكَ أَنْ تُخَوَّلَ نِعْمَةً ... فَتَكُونَ فِيهَا مِنَّةٌ[٤] لِسِوَاكَا

٦

وقال[٥] أيضاً يمدحه :

أُمَنِّي ٱلنَّفْسَ وَصْلاً مِنْ سُعَادِ ... وَأَيْنَ مِنَ ٱلْمُنَى دَرْكُ ٱلْمُرَادِ

وَكَيْفَ يَصِحُّ وَصْلٌ مِنْ خَلِيلٍ ... إِذَا مَا كَانَ مُعْتَلَّ ٱلْوِدَادِ

(١) المشهور في هذا الفعل ان يتعدى الى المفعول الأول باللام لا بنفسه.

(٢) ورد في نسخة كوبنهاغ بعد هذا البيت ما يأتي : « التليل بجون عرقة ، وقد كان جلال الملك أوقع عليه بابن ملاعب وقتل وأسر كثيراً من رجاله ». وابن ملاعب هذا هو خلف بن ملاعب الكلابي صاحب أفامية قتله الباطنية سنة ٤٩٩ « ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٤٩ »

(٣) عجباً لمجدك . . . (س) .

(٤) . . . شافع لسواكا (ك) .

(٥) وقال يمدحه ويهنيه بالعيد (ك) .

تَمَادَى فِي ٱلْقَطِيعَةِ لَا لِجُرْمٍ وَأَجْفَى ٱلْهَاجِرِينَ ذَوُو ٱلتَّمَادِي
يُفَرِّقُ بَيْنَ قَلْبِي وَٱلتَّأَسِّي وَيَجْمَعُ بَيْنَ طَرْفِي وَٱلسُّهَادِ
وَلَوْ بَذَلَ ٱلْيَسِيرَ لَبَلَّ شَوْقِي وَقَدْ يَرْوِى ٱلظِّمَاءُ مِنَ ٱلثِّمَادِ(١)
أَمَلُّ مَخَافَةَ ٱلْإِمْلَالِ قُرْبِي وَبَعْضُ ٱلْقُرْبِ أَجْلَبُ لِلْبِعَادِ
وَعِنْدِي لِلْأَحِبَّةِ كُلُّ جَفْنٍ طَلِيقِ ٱلدَّمْعِ مَأْسُورِ ٱلرُّقَادِ
فَلَا تَغْرَ ٱلْحَوَادِثُ(٢) بِي فَحَسْبِي جَفَاؤُكُمُ مِنَ ٱلنُّوَبِ ٱلشِّدَادِ
إِذَا(٣) مَا ٱلنَّارُ كَانَ لَهَا ٱضْطِرَامٌ فَمَا ٱلدَّاعِي إِلَى قَدْحِ ٱلزِّنَادِ
أَرَى ٱلْبِيضَ ٱلْحِدَادَ سَتَقْتَضِينِي نُزُوعاً عَنْ هَوَى ٱلْبِيضِ ٱلْخِرَادِ(٤)
فَمَا دَمْعِي عَلَى ٱلْأَطْلَالِ وَقْفٌ(٥) وَلَا قَلْبِي مَعَ ٱلظُّعُنِ ٱلْغَوَادِي
وَلَا أَبْقَى جَلَالُ ٱلْمُلْكِ يَوْماً لِغَيْرِ هَوَاهُ حُكْماً(٦) فِي فُؤَادِي

(١) الثِّماد : الماء القليل .

(٢) الحواسد . (س) .

(٣) اذا ما كان للنار اضطرامٌ . (ت) .

(٤) الخريدة : المرأة الحيية والبكر لم تمس ، تجمع على خرائد وخُرُد وخُرُّد . وقد جمعها الشاعر على خِراد ، ولم أره فيما رجعت إليه من دواوين اللغة .

(٥) وقفاً . (ت) .

(٦) كلماً . (ك) يوماً . (ن) .

أُحِبُّ مَكَارِمَ ٱلْأَخْلَاقِ مِنْهُ ... وَأَعْشَقُ دَوْلَةَ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَوَادِ
رَجَوْتُ فَما تَجَاوَزَهُ رَجَائِي ... وَكَانَ(١) ٱلْماءُ غَايَةَ كُلِّ صَادِ
إِذَا مَا رُوِّضَتْ أَرْضِي وَسَاحَتْ ... فَما مَعْنَى ٱنْتِجاعِي وَٱرْتِيادِي(٢)
كَفَى بِنَدَى جَلَالِ ٱلْمُلْكِ غَيْثاً ... إِذَا نَزَحَتْ قَرَارَةُ كُلِّ وَادِ
أَمِلْنَا أَيْنُقَ ٱلْآمَالِ مِنْهُ ... إِلَى كَنَفٍ خَصِيبِ ٱلْمُسْتَرَادِ
وَأَغْنَانَا نَدَاهُ عَلَى ٱفْتِقَارٍ ... غَناءَ ٱلْغَيْثِ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْجَمَادِ
فَمَنْ ذَا مُبْلِغُ ٱلْأَمْلَاكِ عَنَّا(٣) ... وَسُوَّاسِ ٱلْحَوَاضِرِ وَٱلْبَوَادِي
بِأَنَّا قَدْ سَكَنَّا ظِلَّ مَلْكٍ ... مَخُوفِ ٱلْبَأْسِ مَرْجُوِّ ٱلْأَيَادِي
صَحِبْنَا عِنْدَهُ ٱلْأَيَّامَ بِيضاً ... وَقَدْ عُمَّ(٤) ٱلزَّمَانُ مِنَ ٱلسَّوَادِ
وَأَدْرَكْنَا بِعَدْلٍ مِنْ عَلِيٍّ ... صَلَاحَ ٱلْعَيْشِ فِي دَهْرِ ٱلْفَسَادِ
فَمَا(٥) نَخْشَى مُحَارَبَةَ ٱللَّيَالِي ... وَلَا نَرْجُو مُسَالَمَةَ ٱلْأَعَادِي

(١) فكان (ك).
(٢) لم يرد هذا البيت في (ك).
(٣) عني (ت).
(٤) وقد غُمَّ : (س ، ي) عمر (ن).
(٥) فلا نخشى (س).

فَقُولاَ(١) لِلْمُعَانِدِ وَهْوَ أَشْقَى ... بِمَا تَحْبُوهُ عَاقِبَةُ ٱلْعِنَادِ

رُوَيْدَكَ مِنْ عَدَاوَتِنَا سَتُرْدِي ... نَوَاجِذَ مَاضِغِ ٱلصُّمِّ ٱلصِّلاَدِ

وَلاَ تَحْمِلْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ سَيْفاً ... فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ يَقْطَعُ بِٱلنِّجَادِ(٢)

فَأَمْنَعُ مِنْكَ جَاراً قَدْ رَمَيْنَا ... كَرِيمَتَهُ بِدَاهِيَةٍ نَآدِ(٣)

وَمَنْ يَحْمِي ٱلْوِهَادَ بِكُلِّ أَرْضٍ ... إِذَا مَا ٱلسَّيْلُ طَمَّ عَلَى ٱلنِّجَادِ(٤)

هُوَ ٱلرَّامِيكَ عَنْ أَمَمٍ وَعُرْضٍ ... إِذَا مَا ٱلرَّأْيُ قَرْطَسَ فِي ٱلسَّدَادِ

وَمُطْلِعُهَا عَلَيْكَ مُسَوَّمَاتٍ ... تَضِيقُ بِهِمِّهَا سَعَةُ ٱلْبِلاَدِ

إِذَا مَا ٱلطَّعْنُ أَنْحَلَهَا(٥) ٱلْعَوَالِي ... فَدَى ٱلْأَعْجَازَ مِنْهَا بِٱلْهَوَادِي

فَدَاوِ لَكَ كُلُّ مَكْبُوتٍ مَغِيظٍ(٦) ... يُخَافِيكَ ٱلْعَدَاوَةَ أَوْ يُبَادِي

فَإِنَّكَ مَا بَقِيتَ لَنَا سَلِيماً ... فَمَا نَنْفَكُّ(٧) فِي(٨) عِيدٍ مُعَادِ

---

(١) فقولوا (ك) .

(٢) النِّجاد : حمائل السيف .

(٣) النَّآد : الداهية وكثيراً ما ترد في الشعر بدلاً أو نعتاً للداهية .

(٤) النِّجاد : جمع نَجْد وهو ما أشرف من الأرض وارتفع .

(٥) أنحل : أعطى .

(٦) بغيظ (ك) .

(٧) في أكثر النسخ (فما تنفك) وفي بعضها (فما ينفك) ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٨) من (ك) .

أَبُوكَ تَدَارَكَ ٱلْإِسْلَامَ لَمَّا   وَهَىٰ أَوْ كَادَ يُؤْذِنُ بِٱنْهِدَادِ

سَخَا بِٱلنَّفْسِ شُحّاً بِٱلْمَعَالِي   وَجَاهَدَ بِٱلطَّرِيفِ وَبِٱلتِّلَادِ

كَيَوْمِكَ إِذْ دَمُ ٱلْأَعْلَاجِ بَحْرٌ   يُرِيكَ ٱلْبَحْرَ فِي حُلَلٍ وِرَادِ(١)

عَزَائِمُكَ ٱلْعَوَائِدُ سِرْنَ فِيهِمْ   بِمَا سَنَّتْ(٢) عَزَائِمُهُ ٱلْبَوَادِي

وَهٰذَا ٱلْمَجْدُ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَسَاعِي   وَهٰذَا ٱلْغَيْثُ مِنْ تِلْكَ ٱلْغَوَادِي

وَأَنْتُمْ أَهْلُ مَعْدِلَةٍ سَبَقْتُمْ   إِلَىٰ أَمَدِ ٱلْعُلَىٰ سَبْقَ ٱلْجِيَادِ(٣)

رَعَىٰ مِنْكَ ٱلرَّعِيَّةَ خَيْرُ رَاعٍ   كَرِيمِ(٤) ٱلذَّبِّ عَنْهُمْ وَٱلذِّيَادِ

تَقَيْتَ ٱللّٰهَ حَقَّ تُقَاهُ فِيهِمْ   وَتَقْوَىٰ ٱللّٰهِ مِنْ خَيْرِ ٱلْعَتَادِ

كَأَنَّكَ لَا تَرَىٰ فِعْلاً شَرِيفاً   سِوَىٰ مَا كَانَ ذُخْراً لِلْمَعَادِ(٥)

مَكَارِمُ بَعْضُهَا فِيهِ(٦) دَلِيلٌ   عَلَىٰ مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ ٱلْوِلَادِ(٧)

---

(١) وِرَاد : جمع وَرْد وهو الأحمر .

(٢) بما شنت (ت) .

(٣) الجواد (ك) .

(٤) كثير (ك) .

(٥) في المعاد (ظ) .

(٦) فيهم (ت)

(٧) الوِلاد : الولادة .

هَجَرْتَ لَهَا ٱلْكَرَى شَغَفاً[١] وَوَجْداً وَكُلُّ أَخِي هَوىً قَلِقُ ٱلْوِسَادِ
غَنِيتُ بِسَيْبِكَ ٱلْمَرْجُوِّ عَنْهُ كَمَا يَغْنَى ٱلْخَصِيبُ عَنِ ٱلْعِهَادِ[٢]
وَرَوَّانِي سَمَاحُكَ مَا بَدَا لِي فَمَا أَرْتَاحُ لِلْعَذْبِ ٱلْبُرَادِ[٣]
إِذَا نَفَقَ ٱلثَّنَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَلَسْتُ بِخَائِفٍ فِيهَا كَسَادِي
فَلَا[٤] تَزَلِ ٱللَّيَالِي ضَامِنَاتٍ بَقَاءَكَ مَا حَدَا ٱلْأَظْعَانَ حَادِ
ثَنَائِي لَا يُكَدِّرُهُ عِتَابِي وَقَوْلِي لَا يُخَالِفُهُ ٱعْتِقَادِي

* * *

(١) شَعَفاً : (س ، ك ، م ، ع) ، والشَّعَفُ بمعنى الشغف .
(٢) العِهاد : جمع عَهْدة وهي أول مطر الوسمي .
(٣) البُراد : البارد .
(٤) فلم تزل (س) .

٧

وقال يرثي جمال الدولة مملوك جلال الملك[١] ويعزيه به ، وقد وقع عن فرسه في الميدان فمات في وقته .

إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ حَادِثِ ٱلدَّهْرِ مَوْئِلُ[٢] وَلَمْ يُغْنِ عَنْكَ ٱلْحُزْنُ فَٱلصَّبْرُ أَجْمَلُ
وَأَهْوَنُ مَا لاَقَيْتَ مَا عَزَّ دَفْعُهُ وَقَدْ يَصْعُبُ ٱلْأَمْرُ ٱلْأَشَدُّ فَيَسْهُلُ
وَمَا هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ[٣] فَيَحْزَنَ فِيهَا ٱلْقَاطِنُ ٱلْمُتَرَحِّلُ[٤]
هِيَ ٱلدَّارُ إِلاَّ أَنَّهَا كَمَفَازَةٍ أَنَاخَ بِهَا رَكْبٌ وَرَكْبٌ تَحَمَّلُوا
مُنِينَا بِهَا خَرْقَاءَ لاَ ٱلْعَذْلُ تَرْعَوِي إِلَيْهِ وَلاَ مَحْضَ ٱلنَّصِيحَةِ تَقْبَلُ
لَنَا[٥] وَلَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ عَجَائِبٌ يَحَارُ لَهَا لُبُّ ٱللَّبِيبِ وَيَذْهَلُ
يَطُولُ[٦] مَدَى ٱلْأَفْكَارِ فِي كُنْهِ أَمْرِهَا فَيَنْكُصُ عَنْ غَايَاتِهِ[٧] ٱلْمُتَوَغِّلُ[٨]

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢٤) .
(٢) الموئل : الملجأ .
(٣) مُقَامَةٍ (ن) .
(٤) المترجل (ك) . المتوكل (ت) .
(٥) لها ولنا . . . . (ظ ، ي ، ن) .
(٦) وطول مدي الأيام في كنه أمرها . (س) .
(٧) غاياتها (ك) .
(٨) المتأمل (ن) .

وَإنَّا لَمِنْ مَرِّ ٱلْجَدِيدَيْنِ في وَغىً إذَا فَرَّ مِنْهَا جَحْفَلٌ كَرَّ جَحْفَلُ
تُجَرِّدُ نَصْلاً وَٱلْخَلاَئِقُ مَفْصِلٌ وَتُنْبِضُ[1] سَهْماً وَٱلْبَرِيَّةُ[2] مَقْتَلُ
فَلاَ نَحْنُ يَوْماً نَسْتَطِيعُ دِفَاعَهَا وَلاَ خَطْبُهَا عَنَّا يَعِفُّ[3] فَيُجْمِلُ[4]
وَلاَ[5] خَلْفَنَا مِنْهَا مَفَرٌّ[6] لِهَارِبٍ فَكَيْفَ لِمَنْ[7] رَامَ ٱلنَّجَاةَ ٱلتَّحَيُّلُ
وَلاَ نَاصِرٌ إلاَّ[8] ٱلتَّمَلْمُلُ وَٱلْأَسَى وَمَاذَا ٱلَّذِي يُجْدِي ٱلْأَسَى وَٱلتَّمَلْمُلُ
نَبِيتُ عَلَى وَعْدٍ مِنَ ٱلْمَوْتِ صَادِقٍ فَمِنْ حَائِنٍ يُقْضَى[9] وَآخَرَ يُمْطَلُ
وَكُلٌّ[10] وَإنْ طَالَ ٱلثَّوَاءُ مَصِيرُهُ إلَى مَوْرِدٍ مَا عَنْهُ لِلْخَلْقِ مَعْدِلُ

---

(١) كذا في جميع النسخ ونراه محرفاً عن (وتُنْبِلُ) يقال أنبله سهماً : أعطيته (لسان العرب) . ولا يقال أنبض السهمَ بل أنبض القوس : إذا جذب وترها لتصوت .
(٢) والخلائق (ت) .
(٣) يكف (ك) يغب (ن) .
(٤) فتجمل (ك) فيحمل (ي ، ت) .
(٥) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٦) مَقَرٌّ (ظ) .
(٧) بمن (ظ ، ي ، س ، م ، ع ، ن) .
(٨) غير التململ (ت) .
(٩) يمضي (ك).
(١٠) هذا البيت مع خمسة وعشرين بيتاً بعده ساقطة من (ن) .

فَوَا عَجَبا (١) مِنْ حَازِمٍ مُتَيَقِّنٍ بِأَنْ سَوْفَ يَرْدَى كَيْفَ يَلْهُو وَيَغْفُلُ
أَلَا (٢) لَا يَثِقْ بِالدَّهْرِ مَا عَاشَ ذُو حِجىً فَمَا وَاثِقٌ بِالدَّهْرِ إِلَّا سَيَخْجَلُ
نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ الرَّدَى فِي مَعَاشِرِي وَمَنْ ذَا عَلَى حُكْمِ الرَّدَى لَيْسَ يَنْزِلُ
تَبَدَّلْتُ بِالْمَاضِينَ مِنْهُمْ (٣) تَعِلَّةً وَأَيْنَ مِنَ الْمَاضِينَ مَنْ أَتَبَدَّلُ
إِذَا مَاءُ عَيْنِي بَانَ كَانَ مُعَوَّلِي عَلَى الدَّمْعِ إِنَّ الدَّمْعَ بِئْسَ الْمُعَوَّلُ
كَفَى حَزَنًا أَنْ يُوقِنَ الْحَيُّ أَنَّهُ بِسَيْفِ الرَّدَى لَا بُدَّ أَنْ سَوْفَ يُقْتَلُ
لِيَبْكِ جَمَالَ الدَّوْلَةِ الْبَأْسُ وَالنَّدَى إِذَا قَلَّ مَنَّاعٌ وَأَعْوَزَ مُفْضِلُ
فَتىً كَانَ لَا يُعْطِي السَّوَاءَ قَسِيمَهُ إِبَاءً إِذَا مَا جَاشَ لِلْحَرْبِ مِرْجَلُ
وَلَا (٤) يَعْرِفُ الْإِظْمَاءَ فِي الْمَحْلِ (٥) جَارُهُ سَمَاحًا وَلَوْ (٦) أَنَّ الْمَجَرَّةَ مَنْهَلُ
فَمَنْ مُبْلِغُ الْعَلْيَاءِ أَنِّي بَعْدَهُ ظَمِئْتُ وَأَخْلَافُ السَّحَائِبِ حُفَّلُ
فَوَا أَسَفَا مَنْ لِلطَّرِيدِ يُجِيرُهُ إِذَا نَاشَهُ نَابٌ مِنَ الْخَوْفِ أَعْصَلُ

(١) فيا عجباً (ك) .
(٢) ألا لا يثق ما عاش بالدهر ذو حجى (ت) :
ألا لا يثق بالدهر من كان ذا حجى (م ، ع) .
(٣) عنهم (ت) .
(٤) ولا يتشكى الظمء ... (ك) .
(٥) في الحرب جاره (ت) .
(٦) فلو أن ... (ك) .

وَوَا أَسَفَا مَنْ لِلْفَقِيرِ يَمِيرُهُ إِذَا شَفَّهُ دَاءٌ مِنَ ٱلْفَقْرِ مُعْضِلُ
تَهَدَّمَ ذَاكَ ٱلْبَاذِخُ (١) ٱلشَّامِخُ ٱلذُّرَى وَأَقْلَعَ ذَاكَ ٱلْعَارِضُ ٱلْمُتَهَلِّلُ
فَيَا مَانِعَ ٱللاَّجِينَ هَا أَنَا مُسْلَمٌ وَيَا مُمْطِرَ (٢) ٱلرَّاجِينَ هَا أَنَا مُمْحِلُ
أَحِينَ ٱجْتَبَى فِيكَ ٱلْكَمَالُ وَخُوِّلَتْ يَدَاكَ مِنَ ٱلْعَلْيَاءِ مَا لَا يُخَوَّلُ
وَشَايَعَكَ ٱلعَزْمُ (٣) ٱلْفَتِيُّ وَنَاضَلَ ٱلنَّـوَائِبَ عَنْكَ ٱلسُّؤْدَدُ ٱلْمُتَكَهِّلُ
وَلَمْ تُبْقِ حَظًّا مِنْ عُلاً تَسْتَزِيدُهُ وَلَا حُلَّةً مِنْ مَفْخَرٍ تَتَسَرْبَلُ
رَمَاكَ فَأَصْمَاكَ ٱلزَّمَانُ بِكَيْدِهِ كَذَا تَنْقُصُ ٱلْأَقْمَارُ أَيَّانَ (٤) تَكْمُلُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَفُوتَ (٥) بِكَ ٱلرَّدَى وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ
وَلَمَّا يَقُمْ مِنْ دُونِ ثَأْرِكَ مَعْشَرٌ إِذَا عَزَمُوا فِي ٱلنَّائِبَاتِ تَوَكَّلُوا
مَنَاجِيدُ (٦) وَثَّابُونَ فِي كُلِّ صَهْوَةٍ (٧) مِنَ ٱلْعِزِّ قَوَّالُونَ لِلْمَجْدِ فُعَّلُ
أَتَذْهَبُ لَمْ يُشْرَعْ أَمَامَكَ ذَابِلٌ (٨) لِمَنْعٍ وَلَمْ يُشْهَرْ وَرَاءَكَ مُنْصُلُ (٨)

---

(١) ... الشامخ الباذخ الذرى (س ، م ، ع ، ت) .
(٢) ويا مطر الراجين (ت) .
(٣) العز (س) .
(٤) ابّان (ع) أيام (س) .
(٥) أن يفوز (ك ، ت) .
(٦) مناجد (م ، ع) .
(٧) الصهوة : مقعد الفارس من الفرس .
(٨) الذابل : صفة للرمح . والمنصل السيف .

فَهَلاَّ بِحَيْثُ ٱلْمَشْرَفِيَّةُ (١) رُكَّعٌ ... تُكَبِّرُ فِي هَامِ ٱلْعِدَى وَتُهَلِّلُ

وَإلاَّ (٢) بِحَيْثُ ٱلسَّمْهَرِيَّةُ (٣) شُرَّعٌ ... تُعَلُّ مِنَ ٱلْأَكْبَادِ رِيّاً وَتُنْهَلُ

كَدَأْبِكَ أَيَّامَ ٱلْحَوَادِثِ نُوَّمٌ ... وَجَدُّكَ يَقْظَانٌ وَحَدُّكَ مِقْصَلُ (٤)

فَهَلْ عَالِمٌ جَيْهَانُ (٥) أَنَّكَ بَعْدَهُ ... رَمَى بِكَ مَرْمَاهُ ٱلْحِمَامُ ٱلْمُعَجَّلُ

سَلَكْتَ وَإِيَّاهُ سَبِيلاً غَدَا بِهِ ... زَمَانُكُمَا فِي قِسْمَةِ ٱلْجَوْرِ يَعْدِلُ

سَقَاكَ وَإِنْ لَمْ يُرْضِنِي فِيكَ (٦) وَابِلٌ ... وَلَوْ حَلَّ لِي قُلْتُ ٱلرَّحِيقُ ٱلْمُسَلْسَلُ

مِنَ ٱلْمُزْنِ مَشْمُولٌ يَرِفُّ (٧) كَأَنَّهُ ... بِجُودِ جَلاَلِ ٱلْمُلْكِ يَهْمِي وَيَهْطِلُ (٨)

وَمَهْمَا هَفَتْ يَوْماً مِنَ ٱلْجَوِّ (٩) نَفْحَةٌ ... فَهَبَّ بِحِضْنَيْكَ ٱلنَّسِيمُ ٱلْمُمَنْدَلُ (١٠)

---

(١) المشرفية : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام .

(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) ولا في (ت) .

(٣) السمهرية : الرماح .

(٤) مقصل : قطاع .

(٥) ورد بعد هذا البيت في (ك) ما يأتي : (جيهان ولده قنطر به الفرس قبله فأهلكه ، وقنطر به فرسه من بعده) . وورد في (ي) ما يلي : (يعني ولده وكان تقطر به فرسه فقتله ، وتقطر به بعده فماتا جميعاً في أيام يسيرة) .

(٦) عنك (ت) .

(٧) يرق (ك ، ي ، ت) .

(٨) ويهمل (ظ ، ن) .

(٩) الجود (ت) المجد (ك) .

(١٠) الممندل : اشتقه الشاعر من المَنْدَل ، والمندل أجود العود . وهو غير موجود بهذا المعنى في ما رجعت إليه من دواوين اللغة .

وَلاَ (١) عَدِمَ ٱلْمَوْلَى مِنَ ٱلْأَجْرِ خَيْرَهُ ... وَبُلِّغَ فِي أَعْدَائِهِ مَا يُؤَمِّلُ
فِدىً لَكَ مَنْ تَحْتَ ٱلسَّمَاءِ وَلاَ تَزَلْ ... وَمَجْدُكَ مَرْفُوعُ ٱلْبِنَاءِ (٢) مُؤَثَّلُ
إِذَا جَلَّ (٣) خَطْبٌ غَالَ (٤) هَمَّكَ عِنْدَهُ ... نُهىً (٥) تَسَعُ ٱلْخَطْبَ ٱلْجَلِيلَ وَتَفْضُلُ
وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ (٦) ٱلنَّائِبَاتِ بِوَطْأَةٍ ... تَخِفُّ عَلَى ظَهْرِ ٱلزَّمَانِ وَتَثْقُلُ
وَأَيُّ مُلِمٍّ يَزْدَهِيكَ (٧) وَإِنَّمَا ... بِحِلْمِكَ فِي أَمْثَالِهِ يُتَمَثَّلُ
غَنِيتَ (٨) بِمَا تَقْضِي بِهِ عِنْدَكَ ٱلنُّهَى ... وَفَضْلُكَ عَنْ تَعْرِيفِ مَالَسْتَ (٩) تَجْهَلُ
وَمَاذَا (١٠) يَقُولُ ٱلْقَائِلُونَ لِمَاجِدٍ ... أَصِيلِ ٱلْحِجَى (١١) فِي لَفْظَةٍ (١٢) مِنْهُ فَيْصَلُ (١٣)

---

(١) فلا عدم ... (ك) .
(٢) الثناء (ك) .
(٣) إذا حلّ ... (ت) .
(٤) غال عندك همه (ك) .
(٥) تقى ... (ك) .
(٦) وجه النائبات (م ، ع) .
(٧) يزدهيك : يستخفك .
(٨) رضيت (ك) .
(٩) ما ليس يجهل (ك) .
(١٠) مكان هذا البيت في (ك) قبل بيتين .
(١١) أصيل العلى ... (ك) .
(١٢) في لفظه (ك ، م ، ع ، ت) .
(١٣) الفيصل : القضاء بين الحق والباطل .

٨

وقال [١] يرثي أخت جلال الملك [٢] :

أَحَتَّىٰ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ يا خَطْبُ تَطْمَحُ ... وَحَتَّىٰ فُؤَادَ ٱلْمَجْدِ ياحُزْنُ تَجْرَحُ
أَكُلُّ بَقاءٍ لِلفَنَاءِ مُؤَهَّلٌ ... وَكُلُّ حَياةٍ لِلْحِمامِ تُرَشَّحُ
سَلَبْتَ فَلَمْ تَتْرُكْ لِباقٍ بَقِيَّةً ... فَيا دَهْرُ هَلاَّ بِالأَفاضِلِ تَسْمَحُ
تَجافَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيْحَكَ إِنَّهُ ... لِما يُجْتَوىٰ [٣] مِنْ فاسِدٍ فِيكَ مُصْلِحُ
إِذا كُنْتَ عَنْ ذِي ٱلْفَضْلِ لَسْتَ بِصافِحٍ ... فَواحَسْرَتا عَمَّنْ تَكُفُّ وَتَصْفَحُ
خَلِيلَيَّ قَدْ كانَ ٱلَّذِي [٤] كانَ يُتَّقىٰ ... فَما عُذْرُ عَيْنٍ لا تَجُودُ وَتَسْفَحُ
قِفا فَٱقْضِيا حَقَّ ٱلْمَعالِي وَقَلَّما [٥] ... يَقُومُ بِهِ دَمْعٌ يَجُمُّ وَيَطْفَحُ
فَمَنْ كانَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ يَسْتَقْبِحُ [٦] ٱلْبُكا ... فَقَدْ حَسُنَ ٱلْيَوْمَ ٱلَّذِي كانَ يَقْبُحُ
فَلا رُزْءَ مِنْ هٰذا أَعَمُّ مُصِيبَةً ... وَلا خَطْبَ مِنْ هٰذا أَمَرُّ وَأَفْدَحُ

---

(١) وقال يعزيه بأخته ويرثيها ولم يعرض بذكرها (ك) .
(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢٢) .
(٣) يحتوى (ت) .
(٤) .... الذي كنتُ أتقي (مختارات البارودي ج ٣ ص ٤٢٦) .
(٥) فقلّما (م ، ت) .
(٦) مستقبح البكا (ع) .

مُصابٌ لوَ اَنَّ ٱللّيلَ يُمنىٰ بِبعْضِ مَا ... تَحمّلَ مِنْهُ ٱلْمَجْدُ ما كَانَ يُصْبِحُ
وَحُزْنٌ تَساوىٰ ٱلنّاسُ فيهِ وَإنَّما ... يَعُمُّ مِنَ ٱلْأَحْزانِ ما هُوَ أَبْرَحُ
تَرىٰ ٱلسّيْفَ لا يهْتَزُّ فِيهِ كآبَةً ... وَلا زاعِبِيّاتٍ[1] ٱلْقَنـا تَتَرنَّحُ
فَيا للمَعـالِي وَٱلْعوالي لِهالِكٍ ... لَهُ ٱلْمَجْدُ باكٍ وَٱلْمَكارِمُ نُوَّحُ
مَضىٰ مُذْ قَضىٰ تِلكَ ٱلْعَشِيّةَ نَحْبَهُ ... وَمَا كُلُّ مَغْبُوقٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ يُصْبَحُ
لَغاضَ لَهُ مَاءُ ٱلنّدىٰ وَهْوَ سائِحٌ ... وضاقَ بِهِ صَدْرُ ٱلْعُلىٰ وَهْوَ أَفْيَحُ
ظَلِلْنا نُجِيلُ ٱلْفِكْرَ هَلْ تمْنَعُ[2] ٱلرَّدىٰ ... كَتـائِبُهُ وَٱلْيَوْمُ أَرْبَدُ أَكْلَحُ
فَـا مَنَعَتْ بُتْرٌ مِنَ ٱلْبِيضِ قُطَّعٌ ... وَلا نَفَعَتْ جُرْدٌ مِنَ ٱلْخَيْلِ قُرَّحُ
وَلا ذادَ مَشْهُورٌ مِنَ ٱلْفَضْلِ باهِرٌ ... وَلا كَفَّ مَعْرُوفٌ مِنَ ٱلْخَيْرِ أَسْجَحُ[3]
وَهَيْهاتَ ما يَثْنِي ٱلْحِمـامَ إذا أَتىٰ ... جِدارٌ مُعَلّىً أَوْ رِتاجٌ[4] مُصَفَّحُ
وَلا مُشْرعاتٌ بِٱلْأَسِنَّـةِ تَلْتَظِي ... وَلا عادِياتٌ فِي ٱلْأَعِنّةِ تَضْبَحُ[5]

---

(١) الرماح الزاعبيـة : تنسب إلى رجل من الخزرج اسمه زاعب كان يعمل الأسنة .

(٢) يمنع (س ، ك) .

(٣) أسمح (م ، ع ، ت) .

(٤) الرتاج : الباب العظيم .

(٥) العاديات : الجاريات والمراد بها الخيل . وتضبح : تصهل . وهو مقتبس من الآية الكريمة (والعادياتِ ضَبْحاً) .

وَلا سُؤْدَدٌ جَمٌّ بِهِ ٱلْخَطْبُ يُزْدَهَى ... وَلا نائِلٌ غَمْرٌ بِهِ ٱلْقَطْرُ يُفْضَحُ

فَيالَلَّيالِي كَيْفَ أَنْجُو مِنَ ٱلرَّدَى ... وَخَلْفِي وَقُدَّامِي لَهُ أَيْنَ أَسْرَحُ (١)

أَأَرْجُو ٱنْتِصاراً بَعْدَ ما خُذِلَ ٱلنَّدَى ... وَآمُلُ عِزّاً وَٱلْكِرامُ تُطَحْطَحُ (٢)

أَرَى ٱلْإِلْفَ ما بَيْنَ ٱلنُّفُوسِ جَنىً لَها ... جَوانِحُ تُذْكَى أَوْ مَدامِعُ تَقْرَحُ

فَيا وَيْحَ إِخْوانِ ٱلصَّفاءِ مِنَ ٱلْأَسَى ... إِذا ما ٱسْتَرَدَّ ٱلدَّهْرُ ما كانَ يَمْنَحُ

وَمَنْ عاشَ يَوْماً ساءَهُ ما يَسُرُّهُ ... وَأَحْزَنَهُ ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي كانَ يُفْرِحُ

عَزاءً جَلالَ ٱلْمُلْكِ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ ... بِفَضْلِ ٱلنُّهَى فِي (٣) مُقْفَلِ ٱلْخَطْبِ تَفْتَحُ

فَذا ٱلدَّهْرُ مَطْوِيٌّ عَلَى ٱلْبُخْلِ بَذْلُهُ ... يَعُودُ بِرُّ ٱلْمَذْقِ حِينَ يُصَرِّحُ

يُساوِي لَدَيْهِ ٱلْفَضْلَ بِٱلنَّقْصِ جَهْلُهُ ... وَسِيّانِ لِلْمَكْفُوفِ مُمْسىً وَمُصْبَحُ

وَمِثْلُكَ لا يُعْطِي ٱلدُّمُوعَ قِيادَهُ ... وَلَوْ أَنَّ إِدْمانَ ٱلْبُكا لَكَ أَرْوَحُ

وَلَوْ كانَ يُبْكَى كُلُّ مَيْتٍ بِقَدْرِهِ (٤) ... إِذاً عَلِمَتْ جَمّاتُها (٥) كَيْفَ تُنْزَحُ

---

(١) أبرح (ك) .

(٢) طَحْطَحَ الدهر القوم : بددهم وأهلكهم .

(٣) عن (ك) .

(٤) لقدره (ك) .

(٥) جَمّات : جمع جَمَّة وهي البئر الكثيرة الماء ، ومجتمع ماء البئر . والضمير راجع للدموع .

لَسالَتْ نُفُوسٌ لا دُمُوعٌ مُرِشَّةٌ وَعَمَّ حِمامٌ لا سَقامٌ مُبَرِّحُ
وَما كُنْتَ إِذْ تَلْقَى الْخُطُوبَ بِضارِعٍ لَهَا أَبَداً أَنّى وَحِلْمُكَ أَرْجَحُ
وَكَمْ عَصَفَتْ فِي جانِبَيْكَ فَلَمْ تَبِتْ لَهَا قَلِقاً وَالطَّوْدُ لا يَتَزَحْزَحُ
وَأَيُّ مُلِمٍّ فِي عَلائِكَ يَرْتَقِي وَأَيُّ الرَّزايا فِي صَفاتِكَ يَقْدَحُ

* * *

٩

وقال يمدحه وكتب بها إليه من دمشق (بعد خروجه من طرابلس[١]) :

لَئِنْ عَدانِي زَمانٌ[٢] عَنْ لِقائِكُمُ لَمَا[٣] عَدانِيَ عَنْ تَذْكارِ ما سَلَفَا
وَإِنْ تَعَوَّضَ قَوْمٌ مِنْ[٤] أَحِبَّتِهِمْ فَما تَعَوَّضْتُ إِلَّا الْوَجْدَ وَالْأَسَفَا
وَكَيْفَ يَصْرِفُ قَلْباً عَنْ وِدادِكُمُ مَنْ لا يَرَى مِنْكُمُ بُدّاً إِذا انْصَرَفَا
ما حَقُّ شَوْقِيَ أَنْ يُثْنَى بِلائِمَةٍ وَلا لِدَمْعِيَ أَنْ يُنْهَى إِذا ذَرَفَا

(١) الزيادة ما بين القوسين من (ك) .
(٢) زماني (ي ، ت) .
(٣) فما عداني ... (ت) .
(٤) عن (ت) ، عن محبتهم (ك) .

ماوَجْدُ مَنْ فارَقَ ٱلْقَوْمَ ٱلْأُلىٰ ظَعَنُوا كَوَجْدِ مَنْ فارَقَ ٱلْعَلْياءَ وَٱلشَّرَفا
لَأُغْرِيَنَّ بِذَمِّ ٱلْبَيْنِ بَعْدَكُمُ وَكَيْفَ تَحْمَدُ نَفْسُ ٱلتَّالِفِ ٱلتَّلَفا
أَمُرُّ بِالرَّوْضِ فِيهِ مِنْكُمُ شَبَهٌ فَأَغْتَدِي بارِئًا وَأَنْثَنِي دَنِفا
وَيَخْطِرُ ٱلْغَيْثُ مُنْهَلًا فَيَشْغَفُنِي (١) أَنِّي أَرىٰ فِيهِ مِنْ أَخْلاقِكُمْ طَرَفا
أَعْدَيْتُمُ يا بَنِي عَمَّارَ كُلَّ يَدٍ بِالْجُودِ حَتّىٰ كَأَنَّ ٱلْبُخْلَ ماعُرِفا
ما كانَ يُعْرَفُ كَيْفَ ٱلْعَدْلُ قَبْلَكُمُ حَتّىٰ مَلَكْتُمْ فَسِرْتُمْ سِيرَةَ ٱلْخُلَفا
ما أَحْدَثَ ٱلدَّهْرُ عِنْدِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ إِلَّا وِداداً كَماءِ ٱلْمُزْنِ إِذْ (٢) رُشِفا
وَشُرَّداً مِنْ ثَناءٍ لا يُغِبُّكُمُ مُضَمَّناً (٣) مُلَحَ ٱلْأَشْعارِ وَٱلطُّرَفا
كَٱلْوَرْدِ نَشْراً وَلٰكِنْ مِنْ سَجِيَّتِهِ أَنْ لَيْسَ يَبْرَحُ غَضًّا كُلَّما قُطِفا
مَحامِدٌ لَيْسَ يُبْلِي ٱلدَّهْرُ جِدَّتَها وَكَيْفَ تَبْلىٰ وَقَدْ أَوْدَعْتُها ٱلصُّحُفا
غُرٌّ إِذا أُنْشِدَتْ كادَتْ (٤) حَلاوَتُها تُرْبِي (٥) ٱلْقَصائِدَ مِنْ أَبْكارِها نُتَفا

(١) فيشغفني (ظ ، س)، فيسعفني (ك) .
(٢) إن رشفا (ك ، ت ، ن) .
(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب (مضمنٍ) بالجر لأنها صفة لِـ (ثناء).
(٤) كانت (ت) .
(٥) ترى القصائد (ك ، ت)، ترمي القصائد (ي ، ن) .

يَغْنَى بِها ٱلْمَجْدُ عَنْ عَدْلِ عَلَيَّ وَمَنْ ... يَبْغِي ٱلشُّهُودَ عَلَى مَنْ جاءَ مُعْتَرِفا
ما أَنْتُمُ بِٱلنَّدَى إِذْ كَانَ دِينَكُمُ ... أَشَدُّ مِنِّي — عَلَى بُعْدِي[1] — بِكُمْ شَغَفا
مَنْ راكِبٌ وَاصِفٌ شَوْقِي إِلَى مَلِكٍ ... لا يَخْجَلُ ٱلرَّوْضُ إِلاَّ كُلَّما وُصِفا
يُثْنِي بِحَمْدِ جَلالِ ٱلْمُلْكِ عَنْ نِعَمٍ ... عِنْدِي بِما رَقَّ مِنْ شُكْرِي[2] لَهُ وَصَفا
قُلْ لِلْهُمامِ رَعَى ٱلآمالَ بَعْدَكُمُ ... قَوْمٌ فَرُحْتَ أَسُوقُ ٱلْعُرَّ[3] وَٱلْعُجُفا
إِنْ كانَ يَخْشُنُ لِلأَعْداءِ جانِبُهُ ... فَقَدْ يَلِينُ لِراجِي سَيْبِهِ كَنَفا
حاشا لِمَنْ حَكَمَتْ[4] نُعْماكَ هِمَّتَهُ ... أَلاَّ يَبِيتَ مِنَ ٱلأَيَّامِ مُنْتَصِفا
كَمْ عَزْمَةٍ لَكَ فِي ٱلْعَلْياءِ سابِقَةٍ[5] ... إِذا جَرَى ٱلدَّهْرُ فِي مَيْدانِها وَقَفا
وَبَلْدَةٍ[6] قَدْ حَماها مِنْكَ رَبُّ وَغًى ... لا تَسْتَقِيلُ[7] ٱلرَّدَى مِنْهُ[8] إِذا دَلَفا
إِنْ أَقْلَقَ ٱلْخَطْبُ كانَتْ مَعْقِلاً حَرَماً ... أَوْ طَبَّقَ ٱلْمَحْلُ كانَتْ رَوْضَةً أُنُفا

---

(١) على وجدي (ك) .
(٢) شعري (ت) ، فكري (ك ، ظ ، ي ، ن) .
(٣) العُرّ : جمع أعر وهو الأجرب. والعُجُف : جمع أعجف وهو الضعيف.
(٤) كفلت (ت) .
(٥) موبقة ؟ (ك) .
(٦) سقط هذا البيت من (ك) .
(٧) لا يستقيل (س ، ي ، م ، ع) .
(٨) منها (م ، ت) .

إِنَّ ٱلنَّعِيمَ لِباسٌ خَوَّلَتْهُ (١) بِكُمْ فَدامَ مِنْكُمْ عَلَى أَيَّامِهَا وَصَفا
إِنْ كُنْتَ غادَرْتَ فِي (٢) دُنْياكَ مِنْ شَرَفٍ فَزادَكَ ٱللهُ مِنْ إِحْسانِهِ شَرَفا

. . .

١٠

وقال (٣) أيضاً يغربه باليهودي المعروف بالمورد وكان فاسقاً :

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَلِيّاً وَقاهُ ٱللهُ صَرْفَ (٤) ٱلنَّائِباتِ
مَقالاً لَمْ يَكُنْ وَأَبِيكَ مَيْناً وَلَمْ أَسْلُكْ بِهِ طُرُقَ ٱلسُّعاةِ
أَصِخْ لِبَثِّكَ ٱلْإِسْلامُ شَكْوَىٰ تَلِينُ لَهُ (٥) ٱلْقُلُوبُ ٱلْقاسِياتِ
فَلَيْسَ (٦) لِنَصْرِهِ مَلِكٌ يُرَجَّى سِواكَ ٱلْيَوْمَ يا مَجْدَ ٱلْقُضاةِ

---

(١) حولته لكم (ت) .

(٢) من دنياك (م) .

(٣) لم ترد هذه القصيدة كلها في (ك) وورد عنوانها في (ظ) كما يلي : (وقال يخاطبه في غرض له) .

(٤) شر النائبات (ي) .

(٥) في جميع النسخ (لها) إلا في (ن) وقد اخترناها .

(٦) لم يرد هذا البيت في (ظ) .

لأَعْيا الْمُسْلِمِينَ يَهُودُ سُوءٍ ... فَما تَحْمِي الْحُصُونُ الْمُحْصَناتِ
وَلا لِلْمُورِدِ الْمَلْعُونِ وِرْدٌ ... سِوىٰ أَبْنائِهِمْ بَعْدَ الْبَناتِ
يَبِيتُ مُجاهِداً بِالْفِسْقِ فِيهِمْ ... فَتَحْسَبُهُ يُطالِبُ بِالتِّراتِ
بِأَيَّةِ حُجَّةٍ أَمْ أَيِّ حُكْمٍ ... أُحِلَّ لَهُ سِفاحُ الْمُسْلِماتِ
أَما أَحَدٌ يَغارُ عَلَى حَرِيمٍ ... أَماتَتْ غَيْرَةُ الْعَرَبِ الْنُّحاةِ
أَنامَتْ فِي الْغُمُودِ سُيُوفُ طَيٍّ[(١)] ... أَمِ انْقَطَعَتْ مُتُونُ الْمُرْهَفاتِ
أَما لَوْ كانَ لِلْإِسْلامِ عَيْنٌ ... لَجادَتْ بِالدُّمُوعِ الْجارِياتِ
دَعاكَ الدِّينُ دَعْوَةَ مُسْتَجِيرٍ ... بِعَدْلِكَ مِنْ[(٢)] أُمُورٍ فاضِحاتِ
لَعَلَّكَ غاسِلٌ لِلْعارِ عَنْهُ ... بِسَيْفِكَ يا حَلِيفَ الْمَكْرُماتِ
تَنَلْ أَجْراً وَذِكْراً سَوْفَ يَبْقىٰ ... عَلَيْكَ مَعَ[(٣)] اللَّيالِي الْباقِياتِ
أَمِثْلُكَ[(٤)] مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ هٰذا ... بِخُبْثِ[(٥)] مِحالِهِ[(٦)] وَالتُّرَّهاتِ

(١) طيء : من قبائل العرب القحطانية .
(٢) في الأمور الفاضحات (م ، ت) .
(٣) مع الأمور الباقيات (م ، ت) .
(٤) هذا البيت وثلاثة أبيات بعده لم ترد في (ظ) .
(٥) بمثل محاله (س) .
(٦) المحال : المكر والكيد . والتُّرَّهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة ، واحدتها (تُرَّهَة) فارسي معرب ، ثم استعير للباطل .

وَمـــا قلَّ ٱلْوَرى حَتّىٰ تَراهُ مَكانًا لِلصَّنيعَةِ في ٱلسُّراةِ
فَقَدْ مَلأَ ٱلْبِـــلادَ لَهُ حَديثٌ يُرَدَّدُ (١) بَيْنَ أَفْواهِ ٱلرُّواةِ
يَشُقُّ عَلَى ٱلْوَلِيِّ إِذا أَتـــاهُ وَيُشْمِتُ مَعْشَرَ ٱلْقَوْمِ ٱلْعُداةِ
فَخُذْ لِلّهِ مِنْهُ بِكُلِّ حَقٍّ وَلا تَضَعِ ٱلْحُدُودَ عَنِ ٱلزُّناةِ
بِقَتْلٍ أَوْ بِحَرْقٍ أَوْ بِرَجْمٍ يُكَفِّرُ مِنْ عَظيمِ ٱلسَّيِّئاتِ
وَلا تَغْفِرْ لَهُ ذَنْبًا فَيَضْرىٰ فَبَعْضُ ٱلْعَفْوِ (٢) أَغْرىٰ لِلْجُناةِ
لِيَعْلَمَ مَنْ بِأَرْضِ ٱلنِّيلِ أَضْحىٰ وَمَنْ حَلَّ ٱلْفُراتَ إِلىٰ ٱلصَّراةِ (٣)
بِأَنَّكَ مِنْهُمُ لِلْعَدْلِ أَشْهىٰ (٤) وَأَرْغَبُ في ٱلتُّقىٰ وَٱلصّالِحاتِ
وَأَغْضَبُهُمْ لِدينِ ٱللّهِ سَيْفًا وَأَقْتَلُ لِلْجَبـــابِرَةِ ٱلْعُتاةِ
إِذا أَمْرٌ أُضيعَ (٥) مِنَ ٱلرَّعايا فَإِنَّ ٱللَّوْمَ فيهِ عَلَى ٱلرُّعاةِ

* * *

(١) تردد (ي) .
(٢) في جميع النسخ : الذنب ، إلا في (ن) وهي الصواب .
(٣) الصَّراة : نهر يصب في دجلة . ويريد بمن أضحى بأرض النيل : الفاطميين في مصر ، وبمن حلّ الفرات إلى الصَّراة : العباسيين في العراق .
(٤) أشفى (س) .
(٥) على (ن) .

١١

وقال يمدح جلال الملك أيضاً (بطرابلس ويهنيه بالعيد)(١) :

أما وَالْهوى يَوْمَ اسْتَقَلَّ فَرِيقُها   لَقَدْ حَمَّلَتْنِي لَوْعَةً لا أُطِيقُها
تَعَجَّبُ مِنْ شَوْقِي وَما طالَ نَأْيُها   وَغَيْرُ حَبِيبِ النَّفْسِ مَنْ لا يَشُوقُها
فَلا شَفَّها ما شَفَّنِي يَوْمَ أَعْرَضَتْ   صُدُوداً وَزُمَّتْ لِلتَّرَحُّلِ نُوقُها
أَهَجْراً وَبَيْناً شَدَّ ما ضَمِنَ الْجَوى(٢)   لِقَلْبِيَ دانِي صَبْوَةٍ وَسَحِيقُها
وَكُنْتُ إِذا ما اشْتَقْتُ عَوَّلْتُ في الْبُكا(٣)   عَلَى لُجَّةٍ إِنْسانُ عَيْنِي غَرِيقُها
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذا الدَّمْعِ إِلاَّ نَشِيجُهُ(٤)   وَمِنْ كَبِدِ الْمُشْتاقِ إِلاَّ خُفُوقُها(٥)
فَيالَيْتَنِي أَبْقى لِيَ الْهَجْرُ عَبْرَةً   فَأَقْضِي بِها حَقَّ النَّوى(٦) وَأُرِيقُها
وَإِنِّي لآبى الْبِرَّ مِنْ وَصْلِ خُلَّةٍ   وَيُعْجِبُنِي مِنْ حُبِّ(٧) أُخْرى عُقُوقُها

(١) الزيادة ما بين القوسين من (ك) .
(٢) الهوى (ك ، م ، ع) .
(٣) بالبكا (ن) .
(٤) النشيج : أن يغص الباكي بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .
(٥) حريقها (ك) ، خفيقها (م) .
(٦) الهوى (ك) .
(٧) من وصل ... (ك) .

وَأَعْرِضُ عَنْ مَحْضِ الْمَوَدَّةِ باذِلٍ   وَقَدْ عَزَّني (١) مِمَّنْ أَوَدُّ مَذيقُها

كَذلِكَ هَمّي وَالنُّفوسُ يَقودُها   هَواها إِلى أَوْطارِها (٢) وَيَسوقُها

فَلَوْ (٣) سَأَلَتْ ذاتُ الْوِشاحَيْنِ شيمَتي   لَخَبَّرَها عَنّي الْيَقينَ صَدوقُها

وَما نَكِرَتْ مِنْ حادِثاتٍ بَرَيْنَني (٤)   وَقَدْ عَلِقَتْ قَبْلي الرِّجالَ عَلوقُها (٥)

فَإِمّا (٦) تَرَيْني يا ابْنَةَ الْقَوْمِ (٧) ناحِلاً   فَأَعْلى أَنابيبِ الرِّماحِ (٨) دَقيقُها

وَكُلُّ سُيوفِ الْهِنْدِ لِلْقَطْعِ آلَةٌ   وَأَقْطَعُها يَوْمَ الْجِلادِ رَقيقُها

وَما خانَني مِنْ هِمَّةٍ تَأْمُلُ الْعُلى   سِوى أَنَّ أَسْبابَ الْقَضاءِ تَعوقُها

سَأَجْعَلُ هَمّي في الشَّدائِدِ هِمَّتي   فَكَمْ كُرْبَةٍ بِالْهَمِّ (٩) فُرِّجَ ضيقُها

وَخَرْقٍ (١٠) كَأَنَّ الْيَمَّ مَوْجُ سَرابِهِ   تَرامَتْ (١١) بِنا أَجْوازُهُ وَخُروقُها

---

(١) غرني (ك) .

(٢) أوطانها (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ت ، ن) .

(٣) فان (ظ) .

(٤) تريني (ك ، ي ، ت) .

(٥) العَلوق : الداهية وما يعلق بالانسان .

(٦) مكان هذا البيت في (ظ) بعد الذي يليه هنا .

(٧) يا ابنة العم (ك) .

(٨) القناة (ظ) .

(٩) في الهم (ي) .

(١٠) الخرق : الارض الواسعة تنخرق فيها الرياح، والجمع خروق. وترامت به البلاد : أي أخرجته . وجوز الشيء : وسطه ومعظمه، والجمع أجواز .

(١١) ترامت به (ك) .

كَأَنَّا عَلَى سُفْنٍ مِنَ ٱلْعِيسِ فَوْقَهُ ... مَجَادِيفُهَا(١) أَيْدِي ٱلْمَطِيِّ(٢) وَسُوقُهَا

نُرَجِّي ٱلْحَيَا مِنْ رَاحَةِ ٱبْنِ مُحَمَّدٍ(٣) ... وَأَيُّ سَمَاءٍ لَا تُشَامُ بُرُوقُهَا

فَمَا نُوِّخَتْ(٤) حَتَّىٰ أَسَوْنَا بِجُودِهِ ... جِرَاحَ ٱلْخُطُوبِ ٱلْمُنْهِرَاتِ(٥) فُتُوقُهَا

وَإِنَّ بُلُوغَ ٱلْوَفْدِ سَاحَةَ مِثْلِهِ ... يَدٌ لِلْمَطَايَا لَا تُؤَدَّى حُقُوقُهَا

عَلَوْنَ بِآفَاقِ ٱلْبِلَادِ يَحِدْنَ عَنْ ... مُلُوكِ بَنِي ٱلدُّنْيَا إِلَىٰ مَنْ يَفُوقُهَا

إِلَىٰ مَلِكٍ لَوْ أَنَّ نُورَ جَبِينِهِ ... لَدَى(٦) ٱلشَّمْسِ لَمْ يُعْدَمْ بِلَيْلٍ شُرُوقُهَا

هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ سَلَّ ٱعْتِزَامَهُ ... كَمَا سُلَّ مَاضِي ٱلشَّفْرَتَيْنِ ذَلِيقُهَا

يَطُولُ إِذَا غَالَ ٱلذَّوَابِلَ قِصْرُهَا ... وَيَمْضِي إِذَا أَعْيَا ٱلسِّهَامَ مُرُوقُهَا

نَهَىٰ سَيْفُهُ ٱلْأَعْدَاءَ حَتَّىٰ تَنَاذَرَتْ(٧) ... وَوُقِّرَ مِنْ بَعْدِ ٱلْجِمَاحِ نُزُوقُهَا

وَمَا(٨) يُتَحَامَىٰ ٱللَّيْثُ لَوْلَا صِيَالُهُ ... وَلَا تُتَوَقَّىٰ ٱلنَّارُ لَوْلَا حَرِيقُهَا

---

(١) مجاذيفها (ي ، م ، ع) .

(٢) المطايا (ظ) .

(٣) هو القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن عمار .

(٤) فما أنوخت (س) ، فما برحت (ك) .

(٥) المبهرات (ك) .

(٦) على الشمس (ت) .

(٧) تبادرت (ك ، ت) ، تباعدت (ى) .

(٨) فلا يتحامى ... (ت) .

وفى الله فيك الدين (١) والبأس (٢) والندى   عيون العدى ما جاور (٣) العين موقها

عزفت عن الدنيا فلو أن ملكها   لملكك بعض ما اطباك أنيقها

خشوع وإيمان وعدل ورأفة (٤)   فقد حقّ (٥) بالنعماء منك حقيقها

علوت فلم تبعد على طالب ندى   كمثمرة يحمي جناها بسوقها (٦)

فلا تعدم الآمال (٧) ربعك موئلا   به فك عانيها وعز طليقها

سبقت إلى غايات (٨) كل خفية (٩)   وما يدرك الغايات (١٠) إلا سبوقها

ولما أغرت الباترات مخندقا   توجع ماضيها وسيء ذلوقها

ويغنيك عن حفر الخنادق مثلها   من الضرب (١١) إما قام للحرب سوقها

ولكنها في مذهب الحزم سنة   يفل بها كيد العدو صديقها

---

(١) الجود والبأس والندى (ت) .
(٢) والناس والندى (ك) .
(٣) ما حاقت العين موقها (ت) .
(٤) خشوعا وإيمانا وعدلا ورأفة (ت) .
(٥) حف (ظ) .
(٦) سحيقها (ت) .
(٧) الأملاك (ت) .
(٨) إلى الغايات (ك) .
(٩) حقيقة (ت) .
(١٠) العلياء (ك) .
(١١) من اخترت لما ... (ك) .

لَنا كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ عِيدٌ مُجَدَّدٌ صَبُوحُ ٱلتَّهانِي عِنْدَهُ وَغَبُوقُ

فَنَحْنُ بِهِ مِنْ فَيْضِ سَيْبِكَ فِي غِنىً وَفِي نَشَواتٍ لَمْ يُحَرَّمْ رَحِيقُ

وَقَفْتُ ٱلْقَوافِي فِي(١) ذَراكَ فَلَمْ يَكُنْ سِواكَ مِنَ ٱلْأَمْلاكِ مَلْكٌ يَرُوقُ

مُعَطَّلَةً إِلَّا لَدَيْكَ حِياضُها وَمَهْجُورَةً إِلَّا إِلَيْكَ طَرِيقُ

وَمالِيَ لا أُهْدِي ٱلثَّناءَ لِأَهْلِهِ وَلِي مَنْطِقٌ حُلْوُ ٱلْمَعانِي رَشِيقُ

وَإِنْ تَكُ أَصْنافُ ٱلْقَلائِدِ جَمَّةً فَما يَتَساوى دُرُّها وَعَقِيقُ

---

(١) في ديارك لم يكن (ت) .

١٢

وقال في عمه أبي المناقب (١) :

يَدٌ (٢) لكَ عِندي لا تُؤَدّى حُقوقُها ... بِشُكرٍ وأيُّ الشُّكرِ مِنّي (٣) يُطيقُها

سَماحٌ وَبِشْرٌ كَالسَّحائِبِ ثَرَّةً ... تَوالى حَياها وَاسْتَطارَتْ (٤) بُروقُها

وَكَمْ كُرْبَةٍ نادَيْتُ جُودَكَ عِنْدَها ... فَما رامَني حَتّى تَفَرَّجَ ضِيقُها

وَمَكْرُمَةٍ وَالَيْتَها وَصَنيعَةٍ ... زَكَتْ لَكَ عِنْدي حِدْثُها وَعَتيقُها

مَناقِبُ إِنْ تُنْسَبْ فَأَنْتَ لَها أَبٌ ... وَعَلْياءُ إِنْ عُدَّتْ فَأَنْتَ شَقيقُها

وَوَلَّيْتَها نَفْساً لَدَيْكَ (٥) كَريمَةً ... تَبيتُ أَغاريدُ السَّماحِ (٦) تَشُوقُها

* * *

(١) ورد في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٦٠ : أن فخر الملك أبا علي عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس، استناب عمه أبا المناقب على طرابلس لما خرج إلى دمشق سنة ٥٠١ ، فأظهر عمه الخلاف له والعصيان عليه، فلما علم فخر الملك بذلك أمر بالقبض عليه وحمل إلى حصن الخوابي .

(٢) لم ترد هذه المقطوعة في (ك) .

(٣) عندي (ن) .

(٤) واستطالت (ي ، م) .

(٥) عليك (ي) .

(٦) السماع (ظ) .

١٣

وقـــال يرثي ثقة الملك ابن الطهماني [١] والي صيدا، ويعزي به القاضي جلال الملك أبا الحسن علي ابن عمّار بعد هربه من صيدا واستجارته به :

بِنَفْسِي عَلَى قُرْبِهِ ٱلنَّازِحُ ... وَإِنْ غالَنِي خَطْبُهُ ٱلْفادِحُ
تَصافَحَ تُرْبَتُهُ وَٱلنَّسِيمُ ... فَنَشْرُ ٱلصَّبا عَطِرٌ فائِحُ
كَأَنَّ ٱلْمُغَرِّدَ فِي مَسْمَعِي ... لِفَرْطِ ٱكْتِئابِي لَهُ نائِحُ
أَيا [٢] نازِلاً حَيْثُ يَبْلَى ٱلْجَدِيدُ ... وَيَذْوِي أَخُو ٱلْبَهْجَةِ ٱلْواضِحُ
ذَكَرْتُكَ ذِكْرَى ٱلْمُحِبِّ ٱلْحَبِيبَ ... هَيَّجَها [٣] ٱلطَّلَلُ ٱلْماصِحُ [٤]
فَما عَزَّنِي كَبِدٌ تَلْتَظِي ... وَلا خانَنِي مَدْمَعٌ سافِحُ
مُقِيمٌ بِحَيْثُ يَصَمُّ ٱلسَّمِيعُ ... وَيَعْمَى عَنِ ٱلنَّظَرِ ٱلطّامِحُ

---

(١) ورد في الكامل لابن الأثير (ج ١٠ ص ٦٥) أن المستنصر الفاطمي صاحب مصر أرسل سنة ٤٨٢ عساكر مصر إلى الشام في جماعة من المقدمين، فحصروا مدينة صور واستولوا عليها، ثم سار العسكر عنهـــا إلى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك .... وانظر ابن القلانسي ص ١٢٠ .

(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) .

(٣) هيجه (ك) .

(٤) الماصح : الدارس .

يَرِقُّ عَلَيْكَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْمُبِينُ   وَيَرْثِي لَكَ ٱلْحَاسِدُ ٱلْكَاشِحُ
كَأَنْ لَمْ يَطُلْ بِكَ يَوْمَ ٱلْفَخَارِ   سَرِيرٌ وَلَا أَجْرَدٌ سَابِحُ
وَلَمْ تَقْتَحِمْ (١) غَمَرَاتِ ٱلْخُطُوبِ   فَيُغْرِقَهَا قَطْرُكَ ٱلنَّاضِحُ
سَقَاكَ كَجُودِكَ غَادٍ عَلَى   ثَرَاكَ بِوَابِلِهِ رَائِحُ
يُدَبِّجُ فِي سَاحَتَيْكَ ٱلرِّيَاضَ   كَمَا نَمَّقَ ٱلْكَلِمَ ٱلْمَادِحُ
أَرَىٰ كُلَّ يَوْمٍ لَنَا رَوْعَةً   كَمَا ذُعِرَ ٱلنَّعَمُ ٱلسَّارِحُ
تُفَاجَا بِجِدٍّ مِنَ ٱلْمُعْضِلَاتِ   كَأَنَّ ٱلزَّمَانَ بِهِ مَازِحُ
نُعَلِّلُ أَنْفُسَنَا بِٱلْمُقَامِ   وَفِي طَيِّهِ ٱلسَّفَرُ ٱلنَّازِحُ
حَيَاةٌ غَدَتْ لَاقِحًا بِٱلْحِمَامِ   وَلَا بُدَّ أَنْ تُنْتَجَ (٢) ٱللَّاقِحُ
وَكُلٌّ تَمَادٍ إِلَىٰ غَايَةٍ   وَإِنْ جَرَّ أَرْسَانَهُ ٱلْجَامِحُ
وَمَا ٱلْعُمْرُ إِلَّا كَمَهْوَى ٱلرِّشَاءِ   إِلَىٰ حَيْثُ أَسْلَمَهُ ٱلْمَاتِحُ (٣)

---

(١) ولم يقتحم (ك ، م ، ع ، ت ، ن) .
(٢) ينتج (ك ، س ، ي) .
(٣) المائح (ك ، ت) . الماتح : من يستخرج الدلو وهو على رأس البئر .
والمائح : من يملأ الدلو وهو في قعر البئر .

لَقَدْ نَصَحَ ٱلدَّهْرُ مَنْ غَرَّهُ (١) فَحَتَّامَ يُتَّهَمُ ٱلنَّاصِحُ
حِمىً ٱللهُ أَرْوَعَ يَحْمِي ٱلْبِلادَ مِنَ ٱلْجَدْبِ مَعْرُوفُهُ ٱلسَّائِحُ
أَغَرُّ يَزِينُ ٱلتُّقَىٰ مَجْدَهُ وَيُنْجِدُهُ ٱلْحَسَبُ ٱلْوَاضِحُ
أَيا ذا ٱلْمَكارِمِ لا رُوِّعَتْ بِفَقْدِكَ ما هَدْهَدَ ٱلصَّادِحُ
فَما سُدَّ بابٌ مِنَ ٱلْمَكْرُماتِ إِلّا وَأَنْتَ لَهُ فاتِحُ
أَبَىٰ ثِقَةُ ٱلْمُلْكِ إِلّا حِماكَ حِمىً وَٱلزَّمانُ بِهِ طائِحُ
وَما كُلُّ ظِلٍّ بِهِ يُسْتَظَلُّ مِنْ شَفِّهِ ٱلرَّمَضُ ٱللّافِحُ
طَوىٰ ٱلْبَحْرَ يَنْشُدُ بَحْرَ ٱلسَّماحِ إِلىٰ ٱلْعَذْبِ يَقْتَحِمُ ٱلْمالِحُ
فَبادَرْتَ تَخْسَأُ (٢) عَنْهُ ٱلْخُطُوبَ دِفاعاً كَما يَخْسَأُ (٢) ٱلنَّابِحُ
تَرُوعُ ٱلرَّدىٰ وَٱلْعِدىٰ دُونَهُ كَما رَوَّعَ ٱلْأَعْزَلَ ٱلرَّامِحُ
عَطَفْتَ عَلَيْهِ أَبِيَّ ٱلْحُظُوظِ قَسْراً كَما يُورِدُ ٱلْقامِحُ (٣)
وَباتَ كَفِيلاً لَهُ بِٱلثَّراءِ وَٱلْعِزِّ طائِرُكَ ٱلسَّانِحُ

(١) في غرّه (ك)، من غرة (ي).
(٢) خَسَأَ الكَلبُ: بعد وانزجر، وخَسَأَ الرجلُ الكلبَ: طرده لازم متعد تقول: خسأتُ الكلبَ فخَسَأَ.
(٣) القامح: الكاره للماء لأية علة كانت.

صَنائِعُ لا وابِلُ ٱلْمُعْصِراتِ نَداها وَلا طَلُّها ٱلرّاشِحُ
وَأُقْسِمُ لَوْ أَنَّ عِزًّا حَمىٰ مِنَ ٱلْمَوْتِ ما ٱجْتاحَهُ جائِحُ
وَلٰكِنَّ أَنْفُسَ(١) هٰذا ٱلْأَنامِ مَنائِحُ يَرْتَدُّها ٱلْمانِحُ
وَأَيُّ فَتىً ساوَرَتْهُ ٱلْمَنُونُ فَلَمْ يُرْدِهِ رَوْقُها(٢) ٱلنّاطِحُ
سَبَقْتَ إِلىٰ ٱلْمَجْدِ شُوسَ(٣) ٱلْمُلُوكِ كَما سَبَقَ ٱلْجَذَعُ(٤) ٱلْقارِحُ

(١) أنفاس (س، ك، ي، م، ع، ن).
(٢) الرَّوْقُ: القرن.
(٣) شوس: جمع أشوس وهو من ينظر بمؤخر عينه تكبراً، والجريء على القتال الشديد.
(٤) الجَذَعُ: الحديث السن والقارح أكبر منه.

١٤

وقال يمدح القاضي فخر الملك [١] أبا علي عمّار بن محمد بن عمّار، وأنشده إياها بطرابلس الشام سنة ٤٨٢ :

أرى ٱلعَلْيَاءَ واضِحَةَ ٱلسَّبِيلِ فَما لِلْغُرِّ سالِمَةَ ٱلْحُجُولِ [٢]
إلىٰ كَمْ يَقْتَضِيكَ ٱلْمَجْدُ دَيْناً تُحِيلُ بِهِ عَلَى ٱلْقَدَرِ ٱلْمَطُولِ
وَأَيُّ فَتىً تَمَرَّسَ بِٱلْمَعالي فَلَمْ يَهْجُمْ [٣] عَلَى خَطَرٍ مَهُولِ
وَإِنَّ عِناقَ حَرِّ ٱلْمَوْتِ أَوْلىٰ بِذي ٱلْإِمْلاقِ مِنْ بَرْدِ ٱلْمَقِيلِ

(١) القاضي فخر الملك ابن عمار خلف أخاه القاضي جلال الملك على طرابلس الشام سنة ٤٩٤ ، وحاصره الصليبيون منذ سنة ٤٩٥ إلى أن اشتد عليه الحصار سنة ٥٠١ ، فخرج إلى بغداد مستنفراً ومستنجداً ثم إلى دمشق ، واستولى الصليبيون على طرابلس سنة ٥٠٣ . قال ابن الفوطي في معجم الألقاب : « كان من أعيان الملوك ، وكان غزير المروءة عالي الهمة ، وفي أيامه ملك صنجيل الفرنجي جبيل ، وأقام على طريق طرابلس وعمل حصناً مقابلها وأقام مراصداً لها ، فخرج فخر الملك ومعه ثلثمائة فارس فأحرق ربضه ، ووقف صنجيل على بعض سقوفه المذهبة المحرقة ومعه جماعة من القامصة فانخسف بهم ومرض ومات . وقام مقامه ابن أخيه المعروف بالسيرداني ودامت الحرب بين فخر الملك وبين الفرنج خمس سنين . ولابن الخياط في مدح فخر الملك قصائد كثيرة » .

(٢) الغُرّ : جمع أغرّ وهو من الخيل ما بجبهته غرة . والحُجُول : جمع حجل ، بياض في قوائم الخيل .

(٣) فلم يقدم (ت) .

وَما كانَتْ مُنىً بَعُدَتْ لِتَغْلُو (١) بِطُولِ مَشَقَّةِ ٱلسَّيْرِ ٱلطَّوِيلِ

فَكَيْفَ تَخِيمُ (٢) وَٱلْآمالُ (٣) أَدْنىٰ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْقِداحِ (٤) إِلىٰ ٱلْمُجِيلِ

وَقَدْ نادىٰ ٱلنَّدىٰ هَلْ مِنْ رَجاءٍ وَقالَ ٱلنَّيْلُ هَلْ مِنْ مُسْتَنِيلِ

وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ أَمَلاً (٥) جَواداً يُشارُ (٦) بِهِ إِلىٰ (٧) عَزْمٍ بَخِيلِ

عَلامَ تُرَوِّضُ ٱلْحَصْباءَ خِصْباً وَتَجْزَعُ أَنْ تُعَدَّ مِنَ ٱلْمُحُولِ (٨)

وَكَيْفَ (٩) تَرىٰ مِياهَ ٱلْفَضْلِ إِلَّا وَقَدْ رُشِفَتْ بِأَفْواهِ ٱلْعُقُولِ

لَقَدْ أَعْطَتْكَ صِحَّتَها ٱلْأَماني فَلا تَعْتَلَّ بِٱلْحَظِّ ٱلْعَلِيلِ

وَما لَكَ أَنْ تَسُومَ ٱلدَّهْرَ حَظّاً إِذا ما فُزْتَ بِٱلذِّكْرِ ٱلْجَمِيلِ

إِذا أَهْلُ ٱلثَّناءِ عَلَيْكَ أَثْنَوا فَسِرْ فِي (١٠) ٱلْمَكْرُماتِ بِلادَلِيلِ

---

(١) لتعلو (ك، ي، م، ع) .

(٢) تَخيم : تجبن وتنكص .

(٣) والأملاك (ع)، والإملال (م، ت) .

(٤) القِداح : سهام الميسر .

(٥) إلاَّ جواداً (ك) .

(٦) يُسار به (ظ) .

(٧) على عزم (م) .

(٨) هذا البيت ساقط من (ك) .

(٩) فكيف (ظ) .

(١٠) بالمكرمات (م، ع)، للمكرمات (ت) .

أَرىٰ حُلَلَ ٱلنَّباهَةِ قَدْ أَظَلَّتْ تُنازِعُ فِيَّ أَطْمارَ ٱلْخُمُولِ
فَيا جَدِّي نَهَضْتَ وَيا زَمانِي جَنَيْتَ فَكُنْتَ أَحْسَنَ مُسْتَقِيلِ
وَيا فَخْرِي — وَفَخْرُ ٱلْمُلْكِ مُثْنٍ عَلَيَّ — لَقَدْ جَرَيْتُ بِلا رَسِيلِ
تَفَنَّنَ (١) فِي ٱلْعَطاءِ ٱلْجَزْلِ حَتَّىٰ حَبانِي فِيهِ بِٱلْحَمْدِ ٱلْجَزِيلِ
فَها أَنا بَيْنَ تَفْضِيلٍ وَفَضْلٍ تَبَرَّعُ خَيْرِ قَوّالٍ فَعُولِ
غَرِيبُ ٱلْجُودِ يَحْمَدُ سائِلِيهِ وَفَرْضُ ٱلْحَمْدِ أَلْزَمُ لِلسَّؤُولِ
سَقانِي ٱلرِّيَّ مِنْ بِشْرٍ وَجُودٍ كَما رَقَصَ ٱلْحَبابُ عَلَى ٱلشَّمُولِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ نَشْوانَ ٱلْعَطايا سَيَخْمُرُ بِٱلْغِنىٰ (٢) عَمّا قَلِيلِ
أَما وَنَداكَ إِنَّ لَهُ لَحَقًّا يُبِرُّ (٣) بِهِ أَلِيَّةَ كُلِّ مُولِ
لَئِنْ أَغْرَبْتَ (٤) فِي كَرَمِ ٱلسَّجايا لَقَدْ أَعْرَبْتَ عَنْ كَرَمِ ٱلْأُصُولِ
أَلا أَبْلِغْ مُلُوكَ ٱلْأَرْضِ أَنِّي (٥) لَبِسْتُ ٱلْعَيْشَ مَجْرُورَ ٱلذُّيُولِ
لَدىٰ مَلِكٍ مَتىٰ نَكَبْتَ عَنْهُ فَلَسْتَ عَلَى ٱلزَّمانِ بِمُسْتَطِيلِ

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٢) بالمنى (ك) .
(٣) تَبَرَّ به أَلِيَّةُ (ت ، ن) .
(٤) أغربت (ن) .
(٥) عني (ت) .

وَلَمَّا عَزَّ نائِلُهُمْ قِيـاداً وَهَبْتُ ٱلصَّعْبَ مِنْهُمْ لِلذَّلُولِ
وَطَلَّقْتُ ٱلْمُنىٰ لا ٱلْعَزْمُ يَوْماً لَهُنَّ وَلا ٱلرَّكائِبُ لِلذَّمِيلِ
وَلَوْلا آلُ عَمّارٍ لَباتَتْ تَرىٰ عَرْضَ ٱلسَّماوَةِ (١) قِيدَ مِيلِ
أَعَزُّونِي وَأَغْنَوْنِي وَمِثْلِي أُعِينَ بِكُلِّ مَنّاعٍ بَذُولِ
وَحَسْبُكَ أَنَّنِي جارٌ لِقَوْمٍ يُجِيرُونَ ٱلْقَرارَ مِنَ ٱلسُّيُولِ
أَلا لِلّٰهِ دَرُّ نَوىً رَمَتْ بِي إِلىٰ أَكْنافِ ظِلِّهِمِ ٱلظَّلِيلِ
وَدَرُّ نَوائِبٍ صَرَفَتْ عِنانِي إِلىٰ تِلْقائِهِمْ عِنْدَ ٱلرَّحِيلِ
أَسَرَّ بِأَنَّ لِي جَدّاً عَثُوراً وَعَمّارُ بْنُ عَمّارٍ مُقِيلِي
وَلَوْلا قُرْبُهُ ما كُنْتُ يَوْماً لِأَشْكُرَ (٢) حادِثَ ٱلْخَطْبِ ٱلْجَلِيلِ
وَقَدْ يَهْوىٰ ٱلْمُحِبُّ ٱلْعَذْلَ شَوْقاً إِلىٰ ذِكْرِ ٱلْأَحِبَّةِ لا ٱلْعَذُولِ
لَهُ كَرَمُ ٱلْغَمامِ يَجُودُ عَفْواً فَيُغْنِي عَنْ ذَرِيعٍ (٣) أَوْ وَسِيلِ
وَما إِنْ زِلْتُ أَرْغَبُ عَنْ نَوالٍ يُقَلِّدُنِي يَداً (٤) لِسِوىٰ ٱلْمُنِيلِ

(١) بادية السماوة : بين الكوفة والشام .
(٢) لأحمد (ظ) .
(٣) الذريع : الشفيع . والوسيل : جمع وسيلة .
(٤) ندى (ك ، ت) .

تَجُودُ بِطِيبِ رَيّاها ٱلْخُزامىٰ وَيَغْدُو ٱلشُّكْرُ لِلرِّيحِ ٱلْقَبُولِ (١)
وَغَيْرِي مَنْ يُصاحِبُهُ خُضُوعٌ (٢) أَتَمُّ مِنَ ٱلدُّمُوعِ عَلَى ٱلْغَلِيلِ
يَعُبُّ إِذا أَصابَ ٱلضَّيْمُ شَرْباً وَبَعْضُ ٱلذُّلِّ أَوْلىٰ بِٱلذَّلِيلِ
تَرَفَّعَ مَطْلَبِي عَنْ كُلِّ جُودٍ فَما أَبْغِي بِجُودِكَ (٣) مِنْ بَدِيلِ
وَمالِيَ لا أَعافُ ٱلطَّرْقَ (٤) وِرْداً وَقَدْ عَرَضَتْ حِياضُ ٱلسَّلْسَبِيلِ (٤)
وَقَدْ عَلَّمَتْنِي خُلُقَ ٱلْمَعالِي فَما (٥) أَرْتاحُ إِلاّ لِلنَّبِيلِ
وَلِي عِنْدَ ٱلزَّمانِ مُطالَباتٌ فَما عُذْرِي وَأَنْتَ بِها كَفِيلِي
وَإِنَّ فَتىً رَآكَ لَهُ رَجاءً لَأَهْلٌ أَنْ يُبَلَّغَ كُلَّ سُولِ
وَرُبَّ صَنِيعَةٍ خُطِبَتْ فَزُفَّتْ إِلىٰ غَيْرِ ٱلْكَفِيءِ مِنَ ٱلْبُعُولِ
أَبِنْ قَدْرَ ٱصْطِناعِكَ لِي بِنُعْمىٰ تَبُوحُ بِسِرِّ ما تُسْدِي وَتُولِي
إِذا ما رَوَّضَ ٱلْبَطْحاءَ غَيْثٌ تَبَيَّنَ فَضْلُ عارِضِهِ ٱلْهَطُولِ

---

(١) القبول : ريح الصَّبا وهي الشرقية .
(٢) خشوع (ت) .
(٣) لجودك (ت) .
(٤) الطَّرْق : الماء الذي خوضته الابل . والسلسبيل : المـــاء السهل المساغ واسم عين في الجنة .
(٥) فلا . . . (س) .

وَأَعْلِنْ حُسْنَ رَأْيِكَ فِيَّ يَرْجَحْ عَدُوِّي فِي ٱلْمَوَدَّةِ مِنْ[١] خَلِيلِي
فَلَيْسَ بِعائِبِي نُوَبٌ أَكَلَّتْ شَبا عَزْمِي وَلَمْ يَكُ بِالْكَلِيلِ
فَإِنَّ ٱلسَّيْفَ يُعْرَفُ ما بَلاهُ بِما فِي مَضْرِبَيْهِ مِنَ ٱلْفُلُولِ
وَكائِنْ[٢] بِالْعَواصِمِ[٣] مِنْ مُعَنًّى بِشِعْرِي لا يَرِيعُ[٤] إِلىٰ ذُهُولِ
أَقَمْتُ[٥] بِأَرْضِهِمْ فَحَلَلْتُ مِنْها مَحَلَّ ٱلْخالِ فِي ٱلْخَدِّ ٱلْأَسِيلِ
وَلٰكِنْ قادَنِي شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَحُبِّي كُلَّ مَعْدُومِ ٱلشُّكُولِ
فَأَطْلَعَ فِي سَمائِكَ مِنْ ثَنائِي نُجُومَ عُلًى تَجِلُّ[٦] عَنِ ٱلْأُفُولِ
سَوائِرُ تَمْلَأُ ٱلْآفاقَ فَضْلاً تُعِيدُ ٱلْغُمْرَ ذا رَأْيٍ أَصِيلِ
قَصائِدُ كَالْكَنائِنِ فِي حَشاها سِهامٌ كَالنُّصُولِ بِلا نُصُولِ
نَزائِعُ عَنْ قِسِيِّ ٱلْفِكْرِ يُرْمىٰ بِها غَرَضُ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلذُّحُولِ
وَكُنَّ إِذا مَرَقْنَ بِسَمْعِ صَبٍّ أَصَبْنَ مَقاتِلَ ٱلْهَمِّ ٱلدَّخِيلِ

(١) أو خليلي (ظ) ، عن خليلي (ك ، ي ، ت) .
(٢) كائن : لغة في كأيٍّ وهي بمعنى كم التي تفيد التكثير .
(٣) بالجزيرة (ك) . والعواصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبتها أنطاكية .
(٤) يريع : يرجع وينقاد ، والذهول : النسيان والسلو .
(٥) وقفت . . . (ت) .
(٦) تحيد (ك) .

إذا ما أُنْشِدَتْ فِي ٱلْقَوْمِ رَقَّتْ شَمَائِلُ يَوْمِهِمْ قَبْلَ ٱلْأَصِيلِ
تَزُورُ أَبَا عَلِيٍّ حَيْثُ أَرْسَتْ هِضَابُ ٱلْعِزِّ (١) وَٱلْمَجْدِ ٱلْأَثِيلِ
وَمَنْ يَجْزِيكَ عَنْ فِعْلٍ بِقَوْلٍ لَقَدْ حَاوَلْتَ عَيْنَ ٱلْمُسْتَحِيلِ
وَكَيْفَ (٢) لِيَ ٱلسَّبِيلُ إِلَىٰ مَقَالٍ يُخَفِّفُ مَحْمِلَ ٱلْمَنِّ ٱلثَّقِيلِ
فَلَا (٣) تَلُمِ ٱلْقَوَافِيَ إِنْ أَطَالَتْ قَطِيعَةَ بِرِّكَ ٱلْبَرِّ ٱلْوَصُولِ
هَرَبْتُ مِنَ ٱرْتِيَاحِكَ حِينَ أَنْحَىٰ عَلَى حَمْدِي بِعَضْبِ نَدًى صَقِيلِ
وَلَمَّا عُذْتُ بِٱلْعَلْيَاءِ قَالَتْ لَعَلَّكَ صَاحِبُ ٱلشُّكْرِ ٱلْقَتِيلِ
فَيَالَكَ مِنَّةً فَضَحَتْ مَقَالِي (٤) وَمِثْلِي فِي ٱلْقَرِيضِ بِلَا مَثِيلِ
فَعُذْراً إِنْ عَجَزْتُ لِطُولِ هَمِّي عَنِ ٱلْإِسْهَابِ وَٱلنَّفَسِ ٱلطَّوِيلِ
فَإِنْ وَجَى ٱلْجِيَادِ إِذَا تَمَادَىٰ بِهَا شَغَلَ ٱلْجِيَادَ عَنِ ٱلصَّهِيلِ

* * *

(١) ... المجد والعز (ظ) .
(٢) فكيف (ك) .
(٣) ولا (ك) .
(٤) مقامي (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ت ، ن) .

١٥

وقال أيضا يمدحه ويهنيه بالعيد :

خَلِيلَيَّ إنْ[(١)] لَمْ تُسْعِدا فذرانِي ... وَلا تَحْسَبا وَجْدِي ٱلَّذِي تَجِدانِ

خُذا مِنْ شُجُونِي[(٢)] ما يَدُلُّ عَلَى ٱلْجَوى ... فما ٱلنَّارُ إلاَّ تَحْتَ كُلِّ دُخانِ

أَماتَ ٱلْهَوى صَبْرِي وَأَحْيا[(٣)] صَبابَتِي ... فَها أَنا مَغْلُوبٌ كَما تَرَيانِ

وَلَوْ أَنَّ مَنْ أَهْواهُ عايَنَ لَوْعَتِي ... لَعَنَّفَنِي فِي حُبِّهِ وَلَحانِي[(٤)]

تَحَمَّلْتُ مِنْ جَوْرِ ٱلأَحِبَّةِ ما كَفَى ... فَلا يَنْهَظَنِّي[(٥)] ٱلْيَوْمَ جَوْرُ زَمانِي

وَكَيْفَ ٱحْتِفالِي بِٱلزَّمانِ وَصَرْفِهِ ... وَما زالَ فَخْرُ ٱلْمُلْكِ مِنْهُ أَمانِي

عَلِقْتُ إذا ما رُمْتُ عَدَّ كِرامِهِ ... بِأَوَّلِ مَنْ يُثْنَى[(٦)] عَلَيْهِ بَنانِي

بِأَزْهَرَ وَضَّاحِ ٱلْجَبِينِ مُهَذَّبٍ ... جَمِيلِ ٱلْحَيا ماضٍ أَغَرَّ هِجانِ[(٧)]

---

(١) إنْ لا (ظ ، ع) ، إلاَّ (ك) .
(٢) شحوبي (ن) .
(٣) وأبقى (س ، م ، ن) ، فأبقى (ت) .
(٤) ونهاني (ك) .
(٥) فلا ينهضني (ك ، ي ، ت) .
(٦) تثنى (س ، م ، ع) .
(٧) الهجان : الكريم الحسيب .

إذا آلُ عمّارٍ أظلّكَ عِزُّهُمْ فَغيرُكَ مَنْ يَخشى يدَ [1] ٱلْحَدَثانِ
هُمُ ٱلقَوْمُ إلاّ أنَّ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ يُهانُ ٱلقِرى وَٱلجارُ غيرُ مُهانِ
هُمُ أطْلَقُوا بِالْجُودِ كُلَّ مُصفَّدٍ كَما أنْطَقُوا بِالْحَمْدِ كُلَّ لِسانِ [2]
لهُمْ بِكَ فَخرَ ٱلمُلْكِ فَخْرٌ عَلى ٱلْوَرى لَهُ شائِدٌ مِنْ راحَتَيْكَ وَبانِ
نُجُومُ [3] عَلاءٍ في سَماءِ مَناقِبٍ عَلِيٌّ [4] وَعَمّارٌ بِها ٱلقَمَرانِ
هَنيئاً لَكَ ٱلأيّامُ فَالدَّهْرُ كُلُّهُ إذا ما وَقاكَ ٱللهُ دَهْرُ تَهانِ
لِذا ٱلْخَلْقِ عِيدٌ في أوانٍ [5] يَزُورُهُمْ وَأنْتَ لَنا عِيدٌ بِكُلِّ أوانِ [6]
فَحَسْبِي مِنَ ٱلنَّعْماءِ أنَّكَ وَٱلنَّدى خَليلا صَفاءٍ لَيْسَ يَفْتَرِقانِ
إذا رُمْتُ شِعْرِي في عُلاكَ أطاعَنِي وَإنْ [7] رُضْتُ [8] فِكْرِي في سِواكَ عَصانِي
وَما ذاكَ إلاّ أنَّنِي لَكَ ناطِقٌ بِمِثْلِ ٱلَّذِي يُطْوى عَلَيْهِ جَنانِي

---

(١) من الحدثان (ت ، ن) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ظ ، ي) .
(٣) نجومٌ على أدنى سماء مناقب ؟ (ك) .
(٤) هو جلال الملك أبو الحسن علي أخو فخر الملك أبي علي عمار، انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢٢) .
(٥) في زمان (س) .
(٦) مكان (ن) .
(٧) فان (ت) .
(٨) رمت (ك ، ظ) .

أَلَا حَبَّذَا دَهْرٌ إِلَيْكَ أَصارَنِي ... وَخَطْبٌ إِلىٰ جَدْوىٰ يَدَيْكَ دَعانِي

لَقَدْ أَثْمَرَتْ أَيَّامُهُ لِيَ أَنْعُمًا ... وَلَوْلاكَ لَمْ يُثْمِرْنَ غَيْرَ أَمانِي

وَإِنِّي (١) لَتَقْتَادُ الْمَطالِبَ هِمَّتِي ... فَأَرْجِعُ (٢) مَثْنِيًّا إِلَيْكَ عِنانِي

وَإِنِّي لَأَرْجُو مِنْ عَطائِكَ رُتْبَةً ... يُقَصِّرُ عَنْ إِدْراكِها الثَّقَلانِ

فَما (٣) تَقْرُبُ الدُّنْيا وَعَطْفُكَ نازِحٌ ... وَلا تَبْعُدُ النُّعْمىٰ وَجُودُكَ دانِ

(١) لم يرد هذا البيت في (ع) .

(٢) فيرجع (ك) .

(٣) فلا ... (س) .

١٦

وقال أيضاً يمدحه (١) :

أَعطى ٱلشَّبابَ مِنَ ٱلآرابِ ما طَلَبا — وَراحَ يَختالُ في ثَوْبَيْ هَوىً وَصِب
لَمْ يُدْرِكِ ٱلشَّيْبُ إلاَّ فَضْلَ (٢) صَبْوَتِهِ — كَما يُغادِرُ فَضْلَ ٱلكَأْسِ مَنْ شَرِب
رَأى ٱلشَّبيبَةَ خَطّاً مُوثِقاً فَدَرى — أَنَّ ٱلزَّمانَ سَيَمْحُو مِنْهُ ما كَتَب
إنَّ ٱلثَّلاثينَ لَمْ يُسْفِرْنَ عَنْ أَحَدٍ — إلاَّ ٱرْتَدى بِرِداءِ ٱلشَّيْبِ وَٱنْتَقَ
وَٱلْمَرْءُ مَنْ شَنَّ في ٱلأَيّامِ غارَتَهُ — فَبادَرَ ٱلعَيْشَ (٣) بِٱللَّذّاتِ وَٱنْتَهَ
ما شاءَ (٤) فَلْيَتَّخِذْ أَيّامَهُ فُرَصاً — فَلَيْسَ يَوْمٌ بِمَرْدُودٍ إذا ذَهَ
هَلِ ٱلصِّبى غَيْرُ مَحْبُوبٍ ظَفِرْتُ بِهِ — لَمْ أَقْضِ مِنْ حُبِّهِ قَبْلَ ٱلنَّوى (٥) أَرَ
إنّي لَأَحْسُدُ مَنْ طاحَ ٱلْغَرامُ بِهِ — وَجاذَبَتْهُ حِبالُ ٱلشَّوْقِ (٦) فَٱنْجَذَ
وَٱلْعَجْزُ أَنْ أَتْرُكَ ٱلأَوْطارَ مُقْبِلَةً — حَتّى إذا أَدْبَرَتْ حاوَلْتُها (٧) طَلَ

---

(١) ويهنيه بالعيد (ك) .
(٢) لم يدرك الشيب إلا بعض لمته (ن) ، لم يترك الشيب إلا بعض لمته (جمهرة الإسلام للشيزري ورقة ١٩٣) مخطوط .
(٣) فبادر الشيب . . . (ت) .
(٤) من شاء . . (س ، ك ، ي ، م ، ع ، ت ، ن) .
(٥) يوم النون (ن) .
(٦) يد الأيام (ن) .
(٧) قابلتها طرباً (ك) .

مالي وَلِلحَظِّ لا ينفكُّ يَقْذِفُ بي ... صُمَّ ٱلْمَطالِبِ لا وِرْداً[1] وَلا قَرَبا
أَصْبَحْتُ فِي قَبْضَةِ ٱلْأَيَّامِ مُرْتَهِناً ... نائِي ٱلْمَحَلِّ طَرِيداً عَنْهُ مُغْتَرِبا
أَلَحَّ[2] دَهْرٌ لَجُوجٌ فِي مُعانَدَتِي ... فَكُلَّما رُضْتُهُ فِي مَطْلَبٍ صَعُبا
كَخائِضِ ٱلْوَحْلِ إِذْ[3] طالَ ٱلْعَناءُ بِهِ ... فَكُلَّما قاقَلَتْهُ نَهْضَةٌ رَسَبا
لَأَسْلُكَنَّ صُرُوفَ ٱلدَّهْرِ مُقْتَحِماً ... هَوْلاً يُزَهِّدُ فِي ٱلْأَيَّامِ مَنْ رَغِبا
غَضْبانَ لِلْمَجْدِ طَلَّاباً بِثَأْرِ عُلاً ... وَٱللَّيْثُ أَفْتَكُ ما لاقَى إِذا غَضِبا
عِنْدِي عَزائِمُ[4] رَأْيٍ لَوْ لَقِيتُ بِها ... صَرْفَ ٱلزَّمانِ لَوَلَّى مُمْعِناً هَرَبا
لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ أَمْرٍ مَخافَتُهُ ... لَيْسَ ٱلْعُلى لِنَفِيسٍ[5] يَكْرَهُ ٱلْعَطَبا
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ إِذا ما لَمْ[6] تَخِمْ فَرَقاً[7] ... لا عَيْبَ لِلسَّيْفِ إِلَّا أَنْ يُقالَ نَبا
لا تَلْحَ فِي طَلَبِ ٱلْعَلْياءِ ذا كَلَفٍ ... فَقَلَّما أَعْتَبَ ٱلْمُشْتاقُ مَنْ عَتَبا
لَتَعْلَمَنَّ بَناتُ ٱلدَّهْرِ ما صَنَعَتْ ... إِذا ٱسْتَشاطَتْ بَناتُ ٱلْفِكْرِ لِي غَضَبا

---

(١) الوِرد : الإشراف على الماء ، والماء الذي يورَد . والقرَبُ : سير الليل لِورد الغد . ومنه قول المتنبي : (كأنه الوقت بين الورد والقرَب) .
(٢) فلَجَّ ... (جمهرة الاسلام) .
(٣) إن طال ... (س ، ي) .
(٤) عزائم صبر ... (ت) .
(٥) لتعيس (ت) .
(٦) ما لم تخف ... (ت) .
(٧) رَهَباً (جمهرة الاسلام) .

هِيَ ٱلْقَوافِي فَإِنْ خَطْبٌ تَمَرَّسَ بِي   فَهُنَّ ما شاءَ عَزْمِي مِنْ قَنًا وَظُبا

عَقائِلٌ قَلَّما زُفَّتْ إِلىٰ مَلِكٍ   إِلَّا أَباحَ لَهُنَّ ٱلْوُدَّ وَٱلنَّشَبا

غَرائِبٌ ما حَدا ٱلرَّكْبُ ٱلرِّكابَ بِها   إِلَّا تَرَنَّحْنَ مِنْ تَرْجِيعِها طَرَبا

مِنْ كُلِّ حَسْناءَ تَقْتادُ ٱلنُّفُوسَ هَوًى   إِذا أَلَمَّ بِسَمْعٍ رَجْعُها خَلَبا

شامَتْ بُرُوقَ حَيًا باتَتْ تَشُبُّ كَما   تُجاذِبُ ٱلرِّيحُ عَنْ أَرْماحِها(١) ٱلْعَذَبا

وَٱسْتَوْضَحَتْ سُبُلَ ٱلْآمالِ حائِدَةً   عَنِ ٱلْمُلُوكِ إِلىٰ أَعْلامِهِمْ حَسَبا

تَؤُمُّ أَبْهَرَهُمْ فَضْلاً وَأَغْمَرَهُمْ   بَذْلاً وَأَفْخَرَهُمْ فِعْلاً وَمُنْتَسَبا

تَفَيَّأَتْ ظِلَّ فَخْرِ ٱلْمُلْكِ وَٱغْتَبَطَتْ(٢)   بِحَيْثُ حَلَّ عِقالُ ٱلْمُزْنِ فَٱنْسَكَبا

حَتَّىٰ إِذا وَرَدَتْ تَهْفُو قَلائِدُها   أَلْفَتْ أَغَرَّ بِتاجِ ٱلْمَجْدِ(٣) مُعْتَصِبا

أَشَمَّ أَشْوَسَ مَضْرُوبًا(٤) سُرادِقُهُ   عَلَى ٱلْمَمالِكِ مُرْخٍ دُونَها ٱلْحُجُبا

مُمَنَّعَ ٱلْعِزِّ مَعْمُورَ ٱلْفِنـاءِ بِهِ   مُظَفَّرَ ٱلْعَزْمِ وَٱلْآراءِ مُنْتَجَبا(٥)

مِنْ مَعْشَرٍ طالَما شَبُّوا بِكُلِّ وَغًى   نارًا تَظَلُّ أَعادِيهِمْ لَها حَطَبا

---

(١) عن أرماحنا (ت) ، ولعل الصواب : من أرماحنا .

(٢) وارتبطت (ك وجمهرة الاسلام) .

(٣) بتاج الملك . . . (س ، ك ، ظ ، ي ، ت وجمهرة الاسلام) .

(٤) مضروبٌ (ن) .

(٥) منتخبا (ن) .

بِيضٌ تَوَقَّدُ فِي أَيْمانِهِمْ شُعَلٌ ... هِيَ ٱلصَّواعِقُ إِذْ (١) تَسْتَوْطِنُ ٱلسُّحُبا

مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ مَضَّاءٍ إِذا قَصُرَتْ ... خُطَى ٱلْمُحامِينَ فِي (٢) مَكْرُوهَةٍ وَثَبا

ذا (٣) لا كَمَنْ قَصَّرَتْ فِي ٱلْمَجْدِ هِمَّتُهُ ... فَباتَ يَسْتَبْعِدُ ٱلْمَرْمَى (٤) ٱلَّذِي قَرُبا

عَضْبِ ٱلْعَزِيمَةِ لَوْ لاقَتْ مَضارِبُها ... طَوْداً مِنَ ٱلْمُشْرِفاتِ ٱلصُّمِّ لَٱنْقَضَبا

زاكِي ٱلْعُرُوقِ لَهُ مِنْ طَيِّءٍ حَسَبٌ ... لَوْ كانَ لَفْظاً لَكانَ ٱلنَّظْمَ وَٱلْخُطَبا

ٱلْهادِمِينَ مِنَ ٱلْأَمْوالِ ما عَمَرُوا ... وَٱلْعامِرِينَ مِنَ ٱلْآمالِ ما خَرِبا

رَهْطِ ٱلسَّماحِ وَفِيهِمْ طابَ مَوْلِدُهُ ... إِنَّ ٱلسَّماحَ يَمانٍ (٥) كُلَّما ٱنْتَسَبا

أَمّا ٱلْمُلُوكُ فَمالِي عِنْدَهُمْ أَرَبٌ ... مَنْ جاوَرَ ٱلْعِدَّ (٦) لَمْ يَسْتَغْزِرِ ٱلْقُلُبا

أَيُّ ٱلْمَطالِبِ يَسْتَوْفِي مَدى هِمَمِي ... وَٱلشُّهْبُ تَحْسَبُها مِنْ فَوْقِها ٱلشُّهُبا (٧)

خَلا نَدى مَلِكٍ تُصْبِي خَلائِقُهُ ... قَلْبَ ٱلثَّناءِ إِذا (٨) قَلْبُ ٱلْمُحِبِّ صَبا

---

(١) إن . . . (ك) .

(٢) عن مكروهة . . . (ك ، ظ) .

(٣) ولا كمن . . . (جمهرة الاسلام) .

(٤) الأمر . . (ي) ، المرعى . . (ت ، ن) .

(٥) إن السماح يمانيٌّ إذا انتسبا (ك) .

(٦) العِدُّ : بالكسر الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع، كماء العين والينبوع . والقُلُب : جمع قليب وهو البئر ، مذكر وقد يؤنث . وفي (ت وجمهرة الاسلام) من جاور البحر . . .

(٧) شهبا (جمهرة الاسلام) .

(٨) إلى قلب (جمهرة الاسلام) .

لَقَدْ رَمَتْ بِي مَرامِيها ٱلنَّوىٰ زَمَناً ... فَٱلْيَوْمَ لا أَنْتَحِي فِي ٱلْأَرْضِ مُضْطَرِبا
أَأَرْتَجِي غَيْرَ عَمّارٍ لِنائِبَةٍ ... إِذَنْ فَلا آمَنَتْنِي كَفُّهُ ٱلنُّوَبا
اَلْمانِعُ ٱلْجارَ لَوْ (١) شاءَ ٱلزَّمانُ لَهُ ... مَنْعاً لَضاقَ بِهِ ذَرْعاً وَإِنْ رَحُبا
اَلْباذِلُ ٱلْمالَ مَسْئُولاً وَمُبْتَدِئاً (٢) ... وَٱلصّائِنُ ٱلْمَجْدَ مَوْرُوثاً (٣) وَمُكْتَسَبا
اَلْواهِبُ ٱلنِّعْمَةَ ٱلْخَضْراءَ (٤) يُتْبِعُها ... أَمْثالَها غَيْرَ مُعْتَدٍّ بِما وَهَبا
إِذا أَرَدْتُ أَفاءَتْنِي عَواطِفُهُ ... ظِلّاً يُرِيحُ لِيَ ٱلْحَظَّ ٱلَّذِي عَزَبا
وَٱلْجِدُّ وَٱلْفَهْمُ أَسْنىٰ مِنْحَةٍ (٥) قُسِمَتْ ... لِلطّالِبِينَ وَلٰكِنْ قَلَّما ٱصْطَحَبا
أَرانِيَ ٱلْعَيْشَ مُخْضَرّاً وَأَسْمَعَنِي ... لَفْظاً إِذا خاضَ سَمْعاً فَرَّجَ ٱلْكُرَبا
خَلائِقٌ حَسُنَتْ مَرْأًى وَمُسْتَمَعاً ... قَوْلاً وَفِعْلاً يُفِيدُ ٱلْمالَ وَٱلْأَدَبا
كَٱلرَّوْضِ أَهْدىٰ إِلىٰ رُوّادِهِ أَرَجاً ... يُذْكِي ٱلنَّسِيمَ وَأَبْدىٰ مَنْظَراً عَجَبا
عادَتْ بِسَعْدِكَ أَعْيادُ ٱلزَّمانِ وَلا ... زالَ ٱلْهَناءُ جَدِيداً وَٱلْمُنىٰ كَثَبا
وَعِشْتَ ما شِئْتَ لا زَنْدٌ يُقالُ كَبا ... يَوْماً وَلا بَرْقُ غَيْثٍ مِنْ نَداكَ خَبا

---

(١) لو جار الزمان له (م ، ع) ، ومعنى جار هنا طلب أن يجار .
(٢) مسئولاً لطالبه (ت) .
(٣) مأثوراً (جمهرة الاسلام) .
(٤) المراد بالخضراء كثيرة الخير .
(٥) أسنى قسمة مُنِحَتْ (ت) .

إنَّ ٱلزَّمانَ بَرَتْ عُودي نَوائِبُهُ فَما أُعَدُّ بِهِ نَبْعاً (١) وَلا غَرَبا

وَغالَ بِٱلْخَفْضِ جِدّاً كانَ مُعْتَلِياً وَبِٱلْمَرارَةِ عَيْشاً طالَما عَذُبا

فَما سَخا ٱلعَزْمُ بي إلاّ إلَيْكَ وَلا وَقَفْتُ إلاّ عَلَيْكَ ٱلظَّنَّ مُحْتَسِبا (٢)

يا رُبَّ أَجْرَدَ وَرْسِيٍّ سَرابِلُهُ تَكادُ تَقْبِسُ مِنْهُ في ٱلدُّجى لَهَبا

إذا نَضا ٱلفَجْرُ عَنْهُ صِبْغَ فِضَّتِهِ أَجْرى ٱلصَّباحُ عَلى أَعْطافِهِ ذَهَبا

يَجْري فَتَحْسُرُ عَنْهُ ٱلعَيْنُ (٣) ناظِرَةً كَما ٱسْتَطارَ وَمِيضُ ٱلبَرْقِ وَٱلْتَهَبا

جَمُّ ٱلنَّشاطِ إذا ظُنَّ (٤) ٱلكَلالُ بِهِ رَأَيْتَ مِنْ مَرَحٍ في جِدِّهِ لَعِبا

يَرْتاحُ لِلْجَرْيِ في إمْساكِهِ قَلَقاً حَتّى كَأَنَّ لَهُ في راحَةٍ تَعَبا

يَطْغى مِراحاً فَيَعْتَنُّ ٱلصَّهِيلُ لَهُ كَٱلْبَحْرِ جاشَ بِهِ ٱلآذِيُّ فَٱصْطَخَبا

جادَتْ يَداكَ بِهِ في عُرْضِ ما وَهَبَتْ قَبْلَ ٱلسُّؤالِ وَأَحْرِ (٥) ٱلْيَوْمَ أَنْ تَهَبا

رِفْقاً بِنا آلَ عَمّارٍ إذا طَلَعَتْ خَيْلُ ٱلسَّماحِ عَلى سَرْحِ ٱلثَّنا سُرَبا

---

(١) النَّبْعُ : شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام . والغَرَب: شجر .

(٢) من معاني احتسب : انتهى واكتفى .

(٣) الريح . . . (ظ) .

(٤) ضَنَّ . . . (س ، م ، ع ، ت) .

(٥) وأحرى (م ، ن) ، وأحرى اليوم إن وهبا (جمهرة الاسلام) .

لا تَبْعَثُوها(١) جُيُوشاً يَوْمَ جُودِكُمُ(٢) … إِنَّ ٱلطَّلائِعَ مِنْها تَبْلُغُ ٱلْأَرَبا
قَدْ أَنْضَبَ ٱلْحَمْدَ ما تأْتِي مَكارِمُكُمْ … ما خِلْتُ أَنَّ مَعِيناً قَبْلَهُ نَضَبا
وَلَوْ نَظَمْتُ نُجُومَ ٱللَّيْلِ مُمْتَدِحاً … لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي وَجَبا
لَأَشْكُرَنَّ زَماناً كانَ حادِثُهُ … وَغَدْرُهُ بِي إِلىٰ مَعْرُوفِكُمْ سَبَبا
فَكَمْ كَسا نِعْمَةً أَدْنىٰ مَلابِسِها … أَسْنىٰ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ ٱلْأُولىٰ ٱلَّتِي سَلَبا
وَما ٱرْتَشَفْتُ ثَنايا ٱلْعَيْشِ عِنْدَكُمُ … إِلاَّ وَجَدْتُ بِها مِنْ جُودِكُمْ شَنَبا

م

(١) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٢) من عطائكم (جمهرة الاسلام) .

١٧

وقال أيضاً يمدحه :

هَبُوا طَيفَكُم أَعدى عَلى النَّأيِ مَسراهُ ... فَمَن لِمَشوقٍ أَن يُهَوِّمَ جَفناهُ
وَهَل يَهتَدي طَيفُ الخَيالِ لِناحِلٍ ... إِذا السُّقمُ عَن لَحظِ العَوائِدِ أَخفاهُ
غِنىً في يَدِ الأَحلامِ لا أَستَفيدُهُ ... وَدَينٌ عَلى الأَيّامِ لا أَتَقاضاهُ (١)
وَما كُلُّ مَسلوبِ الرُّقادِ مُعادُهُ ... وَلا كُلُّ مَأسورِ الفُؤادِ مُفاداهُ
يَرى الصَّبرَ مَحمودَ العَواقِبِ مَعشَرٌ ... وَما كُلُّ صَبرٍ يَحمَدُ المَرءُ عُقباهُ
لِيَ اللهُ مِن قَلبٍ يُجَنُّ جُنونُهُ ... مَتى (٢) لاحَ بَرقٌ بِالقَرينَينِ (٣) مَهواهُ
أَحِنُّ إِذا هَبَّت صَباً مُطمَئِنَّةً ... حَنينَ رَذايا (٤) الرَّكبِ أَوشَكَ مَغداهُ
خَوامِسَ (٥) حَلّاها عَنِ الوِردِ مَطلَبٌ ... بَعيدٌ عَلى البُزلِ المَصاعيبِ مَرماهُ

---

(١) لا أتقضّاه (ظ، م) .
(٢) إذا لاح ... (ت) .
(٣) القرينين : في بادية الشام .
(٤) الرذايا : الإبل المهزولة من السير .
(٥) إبل خوامس : ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . حَلّأه عن الماء : طرده ومنعه عن وروده . والبُزْل : جمع بازل وهو البعير دخل في السنة التاسعة أي اكتمل . والمصاعيب : جمع مُصْعَب وهو الفحل من الإبل لم يُركب ولم يمسه حبل حتى صار صعباً .

هَوىً كُلَّما عادَتْ مِنَ الشَّرْقِ نَفْحَةٌ أَعادَ لِيَ الشَّوْقَ الَّذي كانَ أَبْداهُ
وَما شَغَفي بِالرِّيحِ إِلاَّ لِأَنَّها تَمُرُّ بِحَيٍّ دُونَ رامَةَ (١) مَثْواهُ
أُحِبُّ ثَرىٰ الْوادِي الَّذي بانَ أَهْلُهُ وَأَصْبُو إِلىٰ الرَّبْعِ الَّذي مَحَّ مَغْناهُ
فَما وَجَدَ النِّضْوُ الطَّلِيحُ بِمَنْزِلٍ رَأىٰ وِرْدَهُ في ساحَتَيْهِ وَمَرْعاهُ
كَوَجْدي بِأَطْلالِ الدِّيارِ وَإِنْ مَضىٰ عَلَى رَسْمِها كَرُّ الْعُصُورِ فَأَبْلاهُ
دَوارِسَ عَفّاها النُّحُولُ كَأَنَّما وَجَدْنَ بِكُمْ بَعْدَ النَّوىٰ ما وَجَدْناهُ
أَلا حَبَّذا عَهْدُ الْكَثِيبِ وَناعِمٌ مِنَ الْعَيْشِ مَجْرُورُ الذُّيُولِ لَبِسْناهُ
لَيالِيَ عاطَتْنا الصَّبابَةُ دَرَّها فَلَمْ يَبْقَ مِنْها مَنْهَلٌ ما وَرَدْناهُ
وَلِلّٰهِ وادٍ دُونَ مِيثاءِ (٢) حاجِرٍ تَصِحُّ (٣) إِذا اعْتَلَّ النَّسِيمُ خُزاماهُ
أُناشِدُ أَرْواحَ الْعَشِيّاتِ كُلَّما نَسَبْنَ إِلىٰ رَيّا الْأَحِبَّةِ رَيّاهُ
أَناشَتْ (٤) عَرارَ الرَّمْلِ أَمْ صافَحَتْ ثَرىً أَغَذَّ بِهِ ذاكَ الْفَرِيقُ مَطاياهُ

---

(١) رامة : منزل في طريق البصرة إلى مكة . ورامة أيضاً من قرى بيت المقدس .

(٢) الميثاء : الأرض السهلة . وحاجر : منزل للحاج بالبادية .

(٣) يصح (ظ ، ت) .

(٤) كذا في جميع النسخ . ومعنى ناش : تناول . ولعل الصواب : أناست : أي حركت . والبيت لم يرد في (ك) .

خَلِيلَيَّ قَدْ هَبَّ ٱشْتِيَاقِي هُبُوبُهَا حُسُوماً (١) فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَتَلَافَاهُ
أَعِينَا عَلَى وَجْدِي فَلَيْسَ بِنَافِعٍ إِخَاؤُكُمَا خِلاًّ إِذَا لَمْ تُعِينَاهُ
أَمَا سُبَّةٌ أَنْ تَخْذُلَا ذَا صَبَابَةٍ دَعَا وَجْدَهُ ٱلشَّوْقُ ٱلْقَدِيمُ فَلَبَّاهُ
وَأَكْمَدُ مَحْزُونٍ وَأَوْجَعُ مُمْرَضٍ مِنَ ٱلْوَجْدِ شَاكٍ لَيْسَ تُسْمَعُ شَكْوَاهُ
شَرَى لُبَّهُ خَبْلُ ٱلسَّقَامِ وَبَاعَهُ وَأَرْخَصَهُ سَوْمُ ٱلْغَرَامِ وَأَغْلَاهُ
وَبِٱلْجِزْعِ (٢) حَيٌّ كُلَّمَا عَنَّ ذِكْرُهُمْ أَمَاتَ ٱلْهَوَى مِنِّي فُؤَاداً (٣) وَأَحْيَاهُ
تَمَنَّيْتُهُمْ بِٱلرَّقْمَتَيْنِ وَدَارُهُمْ بِوَادِي ٱلْغَضَا يَا بُعْدَ مَا أَتَمَنَّاهُ (٤)
سَقَى ٱلْوَابِلُ ٱلرِّبْعِيُّ مَاحَلَ رَبْعَكُمْ وَرَاوَحَهُ مَا شَاءَ رَوْحٌ (٥) وَغَادَاهُ
وَجَرَّ عَلَيْهِ ذَيْلَهُ كُلُّ مَاطِرٍ (٦) إِذَا مَا مَشَى فِي عَاطِلِ ٱلتُّرْبِ حَلَّاهُ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنَّ دَمْعِيَ مِنْ دَمٍ لِأَحْمِلَ مَنًّا لِلسَّحَابِ بِسُقْيَاهُ
عَلَى أَنَّ فَخْرَ ٱلْمُلْكِ لِلْأَرْضِ كَافِلٌ بِفَيْضٍ (٧) نَدًى لَا يَبْلُغُ ٱلْقَطْرُ شَرْوَاهُ

---

(١) الحُسُوم : التتابع .
(٢) الجزع : منعطف الوادي .
(٣) مني الفؤاد (ت) ، مني فؤادي (ظ) .
(٤) الرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج . والغضا : وادٍ بنجد .
(٥) الرِّبعي : نسبة إلى الربيع . والرَّوْح : نسيم الريح .
(٦) كل خاطر (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ن) .
(٧) يفيض (ظ ، ي ، ت) .

بَصُرْتُ بِأُمّاتِ ٱلْحَيا فَظَنَنْتُها (١) أَنامِلَهُ إِنَّ ٱلسَّحائِبَ أَشْباهُ
أَخُو ٱلْحَزْمِ ما فاجاهُ خَطْبٌ فَكادَهُ وَذُو ٱلْعَزْمِ ما عاناهُ أَمْرٌ (٢) فَعَنّاهُ
وَساعٍ إِلىٰ غاياتِ كُلِّ خَفِيَّةٍ مِنَ ٱلْمَجْدِ ما جاراهُ خَلْقٌ فَباراهُ
بِهِ رُدَّ نَحْوِي فائِتُ ٱلْحَظِّ راغِماً وَأَسْخَطَ فِيَّ ٱلدَّهْرُ مَنْ كانَ أَرْضاهُ
تَحامَتْنِيَ ٱلْأَيّامُ عِنْدَ لِقائِهِ كَأَنِّيَ فِيها بَأْسُهُ وَهِيَ أَعْداهُ
إِلَيْكَ رَحَلْتُ ٱلْعِيسَ تَنْقُلُ وَقْرَها ثَناءً وَلِلْأَعْلىٰ يُجَهَّزُ أَعْلاهُ
وَلا عُذْرَ لِي إِنْ رابَنِي ٱلدَّهْرُ بَعْدَما تَوَخَّتْكَ بِي (٣) يا خَيْرَ مَنْ تَتَوَخّاهُ
وَرَكْبٍ أَماطُوا ٱلْهَمَّ عَنْهُمْ بِهِمَّةٍ سَواءٌ بِها أَقْصىٰ (٤) ٱلْمَرامِ (٥) وَأَدْناهُ
قَطَعْتُ بِهِمْ عَرْضَ ٱلْفَلاةِ وَطالَما رَمىٰ مَقْتَلَ ٱلْبَيْداءِ عَزْمِي فَأَصْماهُ
وَسَيْرٍ كَإِيماضِ ٱلْبُرُوقِ وَمَطْلَبٍ لَبِسْنا ٱلدُّجىٰ مِنْ دُونِهِ وَخَلَعْناهُ
إِلىٰ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَعْدِ ٱلْجَزِيلِ عَطاؤُهُ إِلىٰ ٱلْقَمَرِ ٱلسَّعْدِ ٱلْجَمِيلِ مُحَيّاهُ

---

(١) فحسبتها (ت) .
(٢) خطبٌ فعنّاه (ظ) .
(٣) لي (ك ، ت) .
(٤) أدنى المرام وأقصاه (م) .
(٥) المراد (ن) .

إلى رَبْعِ عَمَّارِ بْنِ عَمَّارٍ ٱلَّذي   تَكَفَّلَ أَرْزاقَ ٱلْعُفاةِ (١) بِجَدْواهُ
وَلَمَّا بَلَغْناهُ بَلَغْنا بِهِ ٱلْمُنىٰ   وَشيكاً وَأَعْطَيْنا ٱلْغِنىٰ مِنْ عَطاياهُ
فَتىً لَمْ نَحُلْ يَوْماً بِرُكْنِ سَماحِهِ   عَلى حَدَثانِ ٱلدَّهْرِ إِلاَّ هَدَمْناهُ
مِنَ ٱلْقَوْمِ ياما أَمْنَعَ ٱلْجارَ بَيْنَهُمْ   وَأَحْلىٰ مَذاقَ ٱلْعَيْشِ فيهِمْ وَأَمْراهُ
وَأَصْفىٰ حَياةً عِنْدَهُمْ وَأَرَقَّها   وَأَبْرَدَ ظِلاًّ في ذَراهُمْ (٢) وَأَنْداهُ
أَغَرُّ صَبيحٌ عِرْضُهُ وَجَبينُهُ   كَأَنَّهُما أَفْعالُهُ وَسَجاياهُ
لَكَ ٱللّهُ ما أَغْراكَ بِٱلْجُودِ هِمَّةً   سُرُوراً بِما تَحْبُو كَأَنَّكَ تُحْباهُ
دَعَوْنا رُقُودَ ٱلْحَظِّ بِٱسْمِكَ دَعْوَةً   فَهَبَّ كَأَنّا مِنْ عِقالٍ نَشَطْناهُ
وَجُدْتَ فَأَثْنَيْنا بِحَمْدِكَ إِنَّهُ   ذِمامٌ بِحُكْمِ ٱلْمَكْرُماتِ قَضَيْناهُ
مَكارِمُ أَدَّبْنَ ٱلزَّمانَ فَقَدْ غَدا   بِها مُقْلِعاً عَمّا جَنىٰ وَتَجَنّاهُ
أَيا مَنْ أَذالَ ٱلدَّهْرُ حَمْدي فَصانَهُ   وَقَلَّصَ ظِلَّ ٱلْعَيْشِ عَنّي فَأَضْفاهُ
وَعَلَّمَني كَيْفَ ٱلْمَطالِبُ جُودُهُ   وَما كُنْتُ أَدْري ما ٱلْمَطالِبُ لَوْلاهُ
لَأَنْتَ ٱلَّذي أَغْنَيْتَني وَحَمَيْتَني   لَيالِيَ لا مالٌ لَدَيَّ وَلا جاهُ

(١) العباد (س، ك، ت) .
(٢) الذَّرا : فناء الدار ونواحيها وكل ما استترت به .

أَنَلْتَنِيَ ٱلْقَدْرَ ٱلَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي وَأَمَّنْتَنِي ٱلْخَطْبَ ٱلَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ
وَأَمْضَيْتَ عَضْباً مِنْ لِسَانِيَ بَعْدَمَا عَمِرْتُ (١) وَحَدَّاهُ سَوَاءٌ وَصَفْحَاهُ
وَسَرْبَلْتَنِي بِٱلْعِزِّ حَتَّىٰ تَرَكْتَنِي بِحَيْثُ يَرَانِي ٱلدَّهْرُ كُفْؤاً وَإِيَّاهُ
فَدُونَكَ ذَا ٱلْحَمْدَ ٱلَّذِي جَلَّ لَفْظُهُ وَدَقَّ عَلَى (٢) ٱلْأَفْهَامِ فِي ٱلْفَضْلِ مَعْنَاهُ
فَلَا (طُلَّ) (٣) إِلَّا مِنْ (٤) حِبَائِكَ رَوْضُهُ وَلَا بَاتَ إِلَّا فِي فِنَائِكَ مَأْوَاهُ

---

(١) عَمِرَ الرجلُ : عاش زماناً طويلاً .
(٢) عن (ظ) .
(٣) طُلَّ الروض : نزل عليه الطَّلُّ وهو الندى . وفي جميع النسخ (فلا ظَلَّ)، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .
(٤) من حياتك (س ، م)، من جنابك (ت ، ن)، في خبائك (ك) .

١٨

وقال (١) ارتجالاً يهنيه بظهور ولده شرف الدولة أول يوم ركوبه وعمره خمس سنين :

أَلا(٢) هٰكَذا تَستَهِلُّ ٱلْبُدُورُ ... مَحَلٌّ عَلِيٌّ وَوَجْـــهٌ مُنِيرُ
وَجَدٌّ سَعِيدٌ وَمَجْـــدٌ مَشِيدٌ ... وَعِزٌّ(٣) جَدِيدٌ وَعَيْشٌ نَضِيرُ
وَيَوْمٌ يَصِحُّ ٱلرَّجاءُ ٱلْعَلِيـلُ ... بِهِ وَيَطُولُ ٱلثَّناءُ ٱلْقَصِيرُ
دَعا شَرَفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَجْـدُ فِيهِ ... فَلَبَّـــــاهُ مِنْبَرُهُ وَٱلسَّرِيرُ
مَرامٌ بِـكُلِّ فَلاحٍ حَقِيقٌ(٤) ... وَسَعْيٌ بِـكُلِّ نَجـــاحٍ جَدِيرُ
عَلَى ٱلطَّالِعِ ٱلسَّعْدِ يا ٱبْنَ ٱلْمُلُو ... كِ هٰذا ٱلرُّكُوبُ وَهٰذا ٱلظُّهُورُ
طَلَعْتَ تُجَلِّي ٱلدُّجى وَٱلْخُطُوبَ ... بِوَجْهٍ عَلَيْهِ بَهاءٌ وَنُورُ
تَكَفَّلَ رِيَّ ٱللِّحاظِ ٱلْعِطـــا ... شِ ماءٌ مِنَ ٱلْحُسْنِ فِيهِ نَمِيرُ
يَتِيهُ بِكَ ٱلْمُلْكُ وَهْوَ ٱلْوَقُورُ ... وَيَشْجى بِكَ ٱلدَّهْرُ وَهْوَ ٱلصَّبُورُ

---

(١) لم ترد كلمة (ارتجالاً) في (ك ، س ، ت) .
(٢) لم ترد هذه القصيدة كلها في (ظ) .
(٣) وحد جديد ... (ت) .
(٤) خليق (ت) .

ظُهُورٌ ظَهِيرٌ عَلَى ٱلْمَطْلَبَاتِ فَكُلُّ عَسِيرٍ لَدَيْهَا(١) يَسِيرُ
صَبَاحٌ صَبِيحٌ بِأَمْثَالِهِ تَقَرُّ ٱلْعُيُونُ وَتَشْفَى ٱلصُّدُورُ
شَرِبْنَا بِهِ ٱلْعِزَّ صِرْفاً فَمَالَ بِنَا طَرَباً وَٱتَّقَتْنَا ٱلْخُمُورُ
وَمَا لَذَّةُ ٱلسُّكْرِ(٢) إِلَّا بِحَيْثُ تُغَنِّي ٱلْمُنَى وَيَدُورُ ٱلسُّرُورُ
فَيَا شَرَفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُسْتَجَارُ لَكَ ٱللهُ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ مُجِيرُ
لِمِثْلِكَ حَقّاً وَإِنْ قَلَّ عَنْكَ يُرَشَّحُ هٰذَا ٱلْمَحَلُّ ٱلْخَطِيرُ
فَإِنَّ ٱلنُّجُومَ حَرِيٌّ(٣) بِالسَّمَاءِ وَأَحْرَى بِهَا ٱلْقَمَرُ ٱلْمُسْتَنِيرُ
لَقَدْ هُزَّ لِلطَّعْنِ رُمْحٌ سَدِيدٌ(٤) وَجُرِّدَ لِلضَّرْبِ نَصْلٌ طَرِيرُ
وَسُوِّمَ لِلسَّبْقِ يَوْمَ ٱلرِّهَانِ جَوَادٌ بِطُولِ ٱلْمَدَى لَا يَخُورُ(٥)
فَتًى سَادَ فِي مَهْدِهِ ٱلْعَالَمِينَ وَشَادَ ٱلْعُلَى وَهْوَ طِفْلٌ صَغِيرُ
غَنِيٌّ مِنَ ٱلْمَجْدِ وَٱلْمَكْرُمَاتِ وَلٰكِنَّهُ مِنْ نَظِيرٍ فَقِيرُ

---

(١) لديه (ت) .
(٢) الشكر (م ، ت) .
(٣) الحَرِى : الخليق .
(٤) شديد (ك ، ت ، ن) .
(٥) لا يجور (ك ، ت) .

فَلا زالَ ذا[١] ٱلسَّعْدُ مُسْتَوْطِناً مَحَلَّكَ ما حَلَّ قَلْباً ضَمِيرُ
وَلا بَرِحَ ٱلْمُلْكُ يا فَخْرَهُ وَمَجْدُكَ قُطْبٌ عَلَيْهِ يَدُورُ
وَأُعْطِيتَ في شَرَفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْ بَقاءَ ٱلَّذي تَتَمَنَّىٰ ٱلدُّهُورُ
وَلا زالَ حَمْدِيَ وَقْفاً عَلَيْكَ إِلَيْكَ رَواحِي بِهِ وَٱلْبُكُورُ
ثَناءٌ كَما هَبَّ غِبَّ ٱلْحَيا بِنَشْرِ ٱلرِّياضِ نَسِيمٌ عَطِيرُ
مُقِيمٌ لَدَيْكَ وَلٰكِنَّهُ بِمَدْحِكَ في كُلِّ فَجٍّ يَسِيرُ

---

(١) والسعد (ك)، ذو السعد (ت) .

١٩

وقال أيضاً يمدح شرف الدولة ووالده فخر الملك، ويهنيه بعيد الفطر وبالبرء من مرضه (سنة ٤٨٢)[١] :

لَنا كُلَّ يَوْمٍ هَناءٌ جَدِيدُ وَعِيدٌ مَحاسِنُهُ لا تَبِيدُ
وَعَيْشٌ يَرِفُّ[٢] عليهِ ٱلنَّعِيمُ وَجَدٌّ تَظافَرُ[٣] فِيهِ ٱلسُّعُودُ
وَدارٌ يُخَيِّمُ فِيها ٱلسَّماحُ وَبابٌ تَلاقىٰ عَلَيْهِ ٱلْوُفُودُ
بِبُرْئِكَ[٤] يا شَرَفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱسْتَفادَ سَعادَتَهُ ٱلْمُسْتَفِيدُ
لَقَدْ دَفَعَ ٱللهُ لِلْمَجْدِ عَنْكَ وَأُعْطِيَ فِيكَ ٱلنَّدىٰ ما يُرِيدُ
فَسُهِّلَ مِنْهُ ٱلطِّلابُ ٱلْعَسِيرُ وَقُرِّبَ مِنْهُ ٱلْمَرامُ ٱلْبَعِيدُ
وَأَشْرَقَ[٥] ذاكَ ٱلرَّجاءُ ٱلْعَبُوسُ وَرُدَّ عَلَيْنا ٱلْعَزاءُ[٦] ٱلشَّرُودُ

(١) ما بين الهلالين من (ن) .
(٢) يرق (ك) .
(٣) يريد بتظافر تتظاهر أي تتعاون ، تقليداً لابن حيّوس انظر مقدمة ديوان ابن حيّوس ، الحاشية (٢) ، ص (٤٣) .
(٤) ببرك (ك ، ي ، ن) .
(٥) وأشرف (ك ، ت) .
(٦) المعز (ك) .
(٧) لم يرد هذا البيت في (ي) .

فَأَعْيادُنا مالهَا مُشْبِهٌ وَأَفْراحُنا ما عَلَيْها مَزِيدُ (١)
وَكَيْفَ يُقَوِّضُ عَنّا ٱلسُّرُورُ وَأَنْتَ إِذا ما ٱنْقَضَى ٱلْعِيدُ عِيدُ
هَنِيئاً لِأَيّامِ دَهْرٍ نَمَتْكَ أَلا إِنَّ ذا ٱلدَّهْرَ دَهْرٌ سَعِيدُ
لَقَدْ طَرَّقَتْ (٢) بِكَ أُمُّ ٱلْعَلاءِ بِيَوْمٍ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ حَسُودُ
فَأَنْتَ عَلَى ٱلدَّهْرِ حَلْيٌ بَهِيٌّ وَأَنْتَ عَلَى ٱلْمَجْدِ تاجٌ عَقِيدُ
رَجَعْتَ لَيالِيَهُ ٱلسُّودَ بِيضاً وَكانَ وَأَيّامُهُ ٱلْبِيضُ سُودُ
فَعِشْ ما تَشاءُ بِهِ ضافِياً عَلَيْكَ مِنَ ٱلْعِزِّ ظِلٌّ مَدِيدُ
فَأَنْزَرُ نَيْلِكَ فِيهِ ٱلْعَلاءُ (٣) وَأَيْسَرُ عُمْرِكَ فِيهِ ٱلْخُلُودُ
وَقُلْ لِأَبِيكَ وُقِي ٱلسُّوءَ فِيكَ كَذا فَلْتُرَبِّ ٱلشُّبُولَ ٱلْأُسُودُ
فَلَوْلاكَ أَعْجَزَ أَهْلَ ٱلزَّمانِ شَبِيهٌ لَهُ فِي ٱلْعُلَى أَوْ نَدِيدُ
فَبَقِّيتُما ما دَجا غَيْهَبٌ وَما ٱبْيَضَّ صُبْحٌ وَما ٱخْضَرَّ عُودُ
وَلا أَخْفَقَتْ فِيكَ هٰذِي ٱلظُّنُونُ وَلا أَخْلَفَتْ مِنْكَ هٰذِي ٱلْوُعُودُ
وَلِي حُرْمَةٌ بِكَ إِنْ تَرْعَها فَمِثْلُكَ تُرْعَى لَدَيْهِ ٱلْعُهُودُ
بِأَنِّيَ أَوَّلُ مُثْنٍ عَلَيْكَ وَأَوَّلُ مَنْ نالَهُ مِنْكَ جُودُ

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٢) يريد بقوله : « طرَّقت بك » أتت بك . على أن الرواية في (ت) « لقد ظفرت بك أم العلى » .
(٣) فيه الغنى (ت) .

٢٠

وقال يمدح فخر الملك عند وصوله إلى دمشق (من طرابلس في شهر رمضان سنة إحدى وخمسماية) [١] :

مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ مِنَ ٱلْمَغْرِبِ قَبْلَكَ [٢] فِي أُفْقٍ وَلا مَوْكِبِ [٣]
وَلا سَمَتْ هِمَّةُ ذِي هِمَّةٍ حَتَّى ٱسْتَوَتْ فِي ذُرْوَةِ ٱلْكَوْكَبِ
هَانَ ٱلَّذِي عَزَّ وَنِلْتَ ٱلَّذِي حَاوَلْتَهُ مِنْ دَرَكِ ٱلْمَطْلَبِ
فَٱسْعَدْ وَبُشْرَاكَ بِهَا عِزَّةً مَتَى تَرُمْ صَهْوَتَهَا تَرْكَبِ
مُمَلَّأً بِٱلْعِزِّ سَامِي ٱلْعُلَى مُهَنَّأً بِٱلظَّفَرِ ٱلأَقْرَبِ
مَا ٱلْفَخْرُ فَخْرَ ٱلْمُلْكِ إِلاَّ ٱلَّذِي شِدْتَ بِطِيبِ ٱلْفِعْلِ وَٱلْمَنْصِبِ
فَٱلْيَوْمَ أَدْرَكْتَ ٱلْمُنَى [٤] غَالِباً وَلَيْسَ غَيْرُ ٱللَّيْثِ بِٱلأَغْلَبِ
فَٱلنَّصْرُ كُلُّ ٱلنَّصْرِ فِي سَيْفِكَ ٱلْـ بَاتِكِ أَوْ فِي عَزْمِكَ ٱلْمِقْضَبِ
فِي عِزِّكَ ٱلأَقْعَسِ أَوْ هَمِّكَ ٱلْـ أَشْرَفِ أَوْ فِي رَأْيِكَ ٱلأَنْجَبِ
يَا كَاشِفاً لِلْخَطْبِ [٥] يَا رَاشِفاً لِلْعَذْبِ مِنْ ثَغْرِ ٱلْعُلَى ٱلأَشْنَبِ

---

(١) ما بين الهلالين لم يرد إلا في (ك) .
(٢) مثلك (ن) .
(٣) لم يرد في (ظ) إلا أربعة أبيات من هذه القصيدة .
(٤) العلى (ت) .
(٥) للكرب (ك) .

٢١

وقال يهنىء شمس الملك[١] أبا الفرج محمد بن أمين الدولة أبي طالب عبد الله بن عمار بولد[٢] له ، أنشده إياها بطرابلس الشام :

أَتُرى ٱلْهِلالَ أَنارَ ضَوْءُ جَبِينِهِ ... حَتّىٰ أَبانَ ٱللَّيْلُ عَنْ مَكْنُونِهِ
شَفَّ ٱلْحِجابُ بِنُورِهِ حَتّىٰ رَأَىٰ ... مُتَأَمِّلٌ ما خَلْفَهُ مِنْ دُونِهِ
أَوَما رَأَيْتَ ٱلْمُلْكَ تَمَّ بَهــاؤُهُ ... بِضِياءِ كَوْكَبِ شَمْسِهِ ٱبْنِ أَمِينِهِ
نُضِيَ ٱلْحُسامُ فَدَلَّ رَوْنَقُ صَفْحِهِ[٣] ... وَظُبــاهُ أَنَّ ٱلْمَجْدَ بَعْضُ قُيُونِهِ
يا حَبَّذا ٱلثَّمَرُ ٱلْجَنِيُّ بِدَوْحَةِ ٱلْـ ... ـحَسَبِ ٱلزَّكِيِّ وَناعِماتِ غُصُونِهِ
ما عُــذْرُهُ أَلّا يَطِيبَ مَذاقُهُ ... طِيبَ ٱلسُّلافِ وَأَنْتَ مِنْ زَرَجُونِهِ[٤]

---

(١) لعله ذو المناقب بن أمين الدولة أبي طالب عبد الله بن عمار ، انظر الحاشية رقم (١) ص (٤٩) .

(٢) اسم هذا الولد عبد الله كما يؤخذ مما ورد في أواخر هذه القصيدة وهو قوله :

وكأن عبدَ الله عبدُ الله في ... حركات همته وفضل سكونه

(٣) صَفْحُ السيف : عرضه . والظُّبَى : جمع ظُبَة وهي حدّ السيف . والقُيُون : جمع قَيْن وهو الحدّاد والصانع .

(٤) السُّلاف : أفضل الخمر . والزَّرَجون : شجر العنب .

اَلْيَوْمَ مَدَّ إِلىٰ ٱلْمَطَـالِبِ بَاعَهُ ... مَنْ لَمْ تَكُنْ(١) خَطَرَتْ بِلَيْلٍ(٢) ظُنُونِهِ
حَلَّ ٱلرَّجَاءُ وَثَاقَ كُلِّ مَسَرَّةٍ ... كَانَتْ أَسِيرَةَ هَمِّهِ وَشُجُونِهِ(٣)
قَدْ كَانَ رَجَّمَ ظَنَّهُ فِيكَ ٱلنَّدىٰ ... فَجَلا ظَلامَ ٱلشَّكِّ صُبْحُ(٤) يَقِينِهِ
أَطْلَعْتَ بَدْراً فِي سَمَاءِ مَمَالِكٍ(٥) ... سَهِرَ ٱلْجَمَالُ وَنَامَ فِي تَلْوِينِهِ(٦)
عَلِقَتْ يَدُ ٱلْآمَالِ يَوْمَ وِلادِهِ ... بِمَرِيرِ حَبْلِ ٱلْمَكْرُمَاتِ مَتِينِهِ
بِأَجَلِّ(٧) مَوْلُودٍ لِأَكْرَمِ(٨) وَالِدٍ ... سَمْحٍ مُبَارَكِ مَوْلِدٍ(٩) مَيْمُونِهِ
صَلْتِ ٱلْجَبِينِ كَأَنَّ دُرَّةَ تَاجِهِ ... جُعِلَتْ تَرَقْرَقُ فِي مَكَانِ غُضُونِهِ
رَبِّ(١٠) ٱلْجِيَادِ لِرَبِّهَا يَوْمَ ٱلْوَغىٰ ... وَصُنِ ٱلْحُسَامَ لِخِلِّهِ وَخَدِينِهِ
قَدْ بَاتَ يَشْتَاقُ ٱلْعِنَانُ شِمَالَهُ ... شَوْقَ ٱلْيَرَاعِ(١١) إِلىٰ بَنَانِ يَمِينِهِ

---

(١) من لم يكن (ك ، ت ، ي ، ن) .
(٢) بنيل ظنونه (ظ) .
(٣) وسجونه (ي) .
(٤) نور يقينه (ظ) .
(٥) مناقب (ك) .
(٦) تكوينه (ك ، ظ ، ت ، ي) .
(٧) يا حسن مولود (ك) .
(٨) وأكرم والدٍ (ي ، ت) .
(٩) والد (ت) .
(١٠) رُدَّ ... (ك) .
(١١) اليراع : القصب والواحدة يراعة ، ومن معانيها القلم .

وَاْعقِدْ (١) لَهُ اُلتَّاجَ اُلْمُنِيفَ فَإِنَّما ... فَخْرُ اُلْمَفاخِرِ عَقْدُها لَجَبِينِهِ (٢)

لَغَدَوْتَ تَقْتَـــادُ اُلْمُنَى بِزِمامِها ... وَتَرُوضُ سَهْلَ اُلنَّيْلِ غَيْرَ حَرُونِهِ (٣)

بِاْلعَزْمِ (٤) إِذْ يَنْطِيكَ عَفْوَ نَجاحِهِ ... وَاُلْحَزْمِ إِذْ يُمْطِيكَ ظَهْرَ أَمُونِهِ

فَاُلْيَوْمَ هَزَّ اُلْمَجْدُ مِنْ أَعْطافِهِ ... تِيهاً وَباحَ مِنَ اُلْهَوَى بِمَصُونِهِ

وَاُلْآنَ (٥) ذُدْتَ عَنِ اُلْعُلَى وَذَبَبْتَ (٦) عَنْ ... مَجْدٍ يَعُدُّكَ مِنْ أَعَزِّ حُصُونِهِ

وَاُللَّيْثُ ذُو اُلْأَشْبالِ أَصْدَقُ مَنْعَةً ... لِفَرِيسَةٍ وَحِمـــايَةً لِعَرِينِهِ

وَاُلْآنَ إِذْ نَشَأَ اُلْغَمامُ وَصَرَّحَتْ ... نَفَحاتُ (٧) جَوْنِيِّ اُلرَّبابِ هَتُونِهِ

فَلْيَعْلَمِ اُلْغَيْثُ اُلْمُجَلْجِلُ رَعْدُهُ ... أَنَّ اُلسَّماحَ مُعِينُهُ بِمَعِينِهِ

وَلْيَــأْخُذِ اُلْجَدُّ (٨) اُلْعَلِيُّ مَكانَهُ ... مِنْ أُفُقِ مَحْرُوسِ اُلْعَلاءِ مَكِينِهِ

وَلْيَضْرِبِ اُلْعِزُّ اُلْمَنِيعُ رُواقَهُ ... بِجَنابِ مَمْنُوعِ اُلْجَنابِ حَصِينِهِ

وَلْتَبْتَنِ اُلْعَلْياءُ شُمَّ قِبابِهـــا ... بِذُرَى رُباهُ أَوْ سُفُوحِ مُتُونِهِ

---

(١) فاعقد (ن) .

(٢) بجبينه (ك) .

(٣) حزونه (ك ، ي ، ت) . دون حزونه (ن) .

(٤) بالعز ... (س) ، وموضع هذا البيت في (ك) قبل سابقه .

(٥) واليوم (ظ) .

(٦) ودفعت (ك) .

(٧) بالغيث جوني .... (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ت) .

(٨) الجد (ت) .

وَلْيَحْظَ رَبْعُ الْمَكْرُماتِ بِأَنْ غدا شَرِقَ(١) الْمَنازِلِ آهِلاً بِقَطِينِهِ
وَلْتَخْلَعِ الْأَفْكارُ عُذْرَ جِماحِها بِنظامِ أَبْكارِ الْقَرِيضِ وَعُونِهِ
سِرْبٌ مِنَ الْحَمْدِ(٢) الْجَزِيلِ غَدَوْتُمُ مَرْعىً عَقائِلِهِ وَمَوْرِدَ عِينِهِ
كَمْ مِنْبَرٍ شَوْقاً إِلَيْهِ قَدِ انْحَنَتْ أَعْوادُهُ مِنْ وَجْدِهِ وَحَنِينِهِ
وَمُطَهَّمٍ قَدْ وَدَّ أَنَّ سَراتَهُ مَهْدٌ لَهُ في سَيْرِهِ وَقُطُونِهِ
وَمُخَزَّمٍ(٣) ناجَتْ ضَمائِرُهُ الْمُنى طَمَعاً بِقَطْعِ سُهُولِهِ وَحُزُونِهِ
وَمُهَنَّدٍ قَدْ وامَرَتْهُ شِفارُهُ بِطُلَى الْعَدُوِّ أَمامَهُ وَشُؤُونِهِ
وَمُثَقَّفٍ قَدْ كانَ قَبْلَ طِعانِهِ تَنْدَقُّ أَكْعُبُهُ بِصَدْرِ طَعِينِهِ
وَكَأَنَّ عَبْدَ اللهِ(٤) عَبْدُ اللهِ في حَرَكاتِ هِمَّتِهِ وَفَضْلِ سُكُونِهِ
لَمْ تَرْضَ(٥) أَنْ كُنْتَ الْكَفِيلَ بِشَخْصِهِ حَتَّى شَفَعْتَ كَفِيلَهُ بِضَمِينِهِ
نَشَرَ الْأَمِينَ(٦) وِلادُهُ فَجَنَيْتَهُ مِنْ غَرْسِهِ وَجَبَلْتَهُ مِنْ طِينِهِ

(١) شرف .. (ت) .
(٢) المجد (ن) .
(٣) ومحزّم (ك ، ظ ، ي ، ن) .
(٤) عبد الله الأول : المولود . والثاني : جده .
(٥) لم يرض (ك) .
(٦) الأمين : أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن عمار والد الممدوح وجد المولود .

ذاكَ الذي لو خلّدَ اللهُ الندى ... والبأسَ ما منيا بيومِ منونِهِ
وإذا (١) أردتُ لقبرِهِ أزكى حيا ... يُرْوِيهِ قلتُ سقاهُ فضلُ دفينِهِ
أمّا الهناءُ فللزمانِ وأهلِهِ ... كلٌّ يدينُ من الزمانِ (٢) بدينِهِ
كالغيثِ جادَ فعمَّ أرضَ شريفِهِ ... ودنيِّهِ وصريحِهِ وهجينِهِ
لكنَّ أهلَ الفضلِ أولاهُمْ بِهِ ... مَنْ ذا أحقُّ مِنَ الصفا (٣) بحجونِهِ
عيدٌ ومولودٌ كأنَّ بهاءَهُ ... زهرُ الربيعِ ومعجباتُ فنونِهِ
فتملّهُ عمرَ الزمانِ ممتّعاً ... بفتى العلى وأخي الندى وقرينِهِ

(١) فاذا . . . (ك ، ي) ، والبيت ساقط من (ن) .
(٢) من الأنام بدينه (ك) ، من الهناء بدينه (ظ) .
(٣) الصفا : مكان مرتفع من جبل أبي قبيس بمكة . والحجون : جبل بأعلى مكة .

٢٢

وقال يهنىء الشريف أنس (١) الدولة أبا جعفر عبيد الله بن الحسن بن المحسن الجعفري بطهور ولده الحسين :

بِبَهـــاءِ وَجْهِكَ تُشْرِقُ ٱلْأَنْوارُ وَبِفَضْلِ (٢) مَجْدِكَ تَفْخَرُ ٱلْأَشْعارُ
آنَسْتَ أُنْسَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَجْدَ ٱلَّذي ما زالَ فِيهِ عَنِ ٱلْأَنامِ نِفــارُ
بِمَكارِمٍ نَصَرَتْ يَداكَ بِها ٱلْعُلىٰ إِنَّ ٱلْمَكارِمَ لِلْعُلىٰ أَنْصــارُ
وَإِذا (٣) ٱلْفَتىٰ جَعَلَ ٱلْمَحامِدَ (٤) غايَةً لِلْمَكْرُماتِ فَبَذْلُها ٱلْمِضمــارُ
فَٱسْعَدْ وَدامَ لَكَ ٱلْهَناءُ بِماجِدٍ طالَتْ بِهِ ٱلْآمالُ وَهْيَ قِصارُ
لَوْلاهُ في كَرَمِ ٱلْخَليقَةِ وَٱلنُّهىٰ لَمْ تَكْتَحِلْ بِشَبِيهِكَ ٱلْأَبْصارُ
كَمْ لَيْلَةٍ لَكَ ما لَها مِنْ ضَرَّةٍ مِنْهُ وَيَوْمٍ ما لَهُ أَنْظــارُ
جادَتْ أَنامِلُكَ ٱلْغِزارُ بِهِ (٥) ٱلْوَرىٰ وَمِنَ ٱلسَّحائِبِ تُغْدِقُ ٱلْأَمْطارُ

(١) وقال أيضـاً يهني الشريف أنس الدولة بن ذي الجلالتين الجعفري بطهور ولده (ك) .

(٢) وبفضل مدحك (ك) ويمن مجدك (ت) .

(٣) فاذا (ك) .

(٤) المكارم (ك ، ت) .

(٥) بها (ت) .

وَتَتَابَعَتْ قَطَرَاتُ غَيْثِكَ أَنْعُماً … إِنَّ ٱلْكَرِيمَ سَمَاؤُهُ[١] مِدْرَارُ
وَأَضَاءَ مَجْدُكَ بِٱلْحُسَيْنِ وَمَجْدِهِ[٢] … وَكَذَا ٱلسَّمَاءُ تُنِيرُهَا ٱلْأَقْمَارُ
قَدْ نَالَ أَفْضَلَ مَا يُنَالُ وَقَدْرُهُ … أَعْلَى وَلَوْ أَنَّ ٱلنُّجُومَ نِثَارُ
وَجَرَتْ بِهِ خَيْلُ ٱلسُّرُورِ إِلَى مَدًى … فَرَحٍ دُخَانُ ٱلنَّدِّ فِيهِ غُبَارُ
وَحَوَى صَغِيرَ ٱلسِّنِّ غَايَاتِ ٱلْعُلَى … وَصِغَارُ أَبْنَاءِ ٱلْكِرَامِ كِبَارُ
يُنْبِي ٱلْفَتَى قَبْلَ ٱلْفِطَامِ بِفَضْلِهِ … وَيَبِينُ[٣] عِتْقُ ٱلْخَيْلِ وَهْيَ مِهَارُ
لَمْ تَلْحَظِ ٱلْأَبْصَارُ يَوْمَ طَهُورِهِ … إِلَّا كُؤُوساً لِلسُّرُورِ تُدَارُ
فَغَدَوْتَ تَشْرَعُ[٤] فِي حَلَالٍ مُسْكِرٍ … مَا كُلُّ مَا طَرَدَ ٱلْهُمُومَ عُقَارُ
قَمَرٌ يُضِيءُ جَمَالُهُ وَكَمَالُهُ … حَتَّى يُعِيدَ ٱللَّيْلَ وَهْوَ نَهَارُ
وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ أَنْ تَرُومَ لِمِثْلِهِ … طُهْراً وَكَيْفَ يُطَهَّرُ[٥] ٱلْأَطْهَارُ
قَدْ طَهَّرَتْهُ أُبُوَّةٌ وَمُرُوءَةٌ … وَنَمَى بِهِ فَرْعٌ وَطَابَ نِجَارُ
إِنَّ ٱلْعُرُوقَ ٱلطَّيِّبَاتِ كَفِيلَةٌ … لَكَ حِينَ تُثْمِرُ[٦] أَنْ تَطِيبَ ثِمَارُ

(١) عطاؤه (ت) .
(٢) وأهله (ت) .
(٣) وتبين عُتق ... (س ، ك ، م ، ع) .
(٤) تشرع : تشرب .
(٥) تُطَهِّرُ (، ت ، ي ، ن) .
(٦) يثمر (س) .

لَلَبِسْتَ(١) مِنْ شَرَفِ ٱلْمَنَاسِبِ(٢) حُلَّةً ... بِٱلْفَخْرِ يُسْدَى(٣) نَسْجُها وَيُنَارُ(٤)

فَطُلِ ٱلْأَنَامَ وَهَلْ تَرَكْتَ لِفَاخِرٍ ... فَخْراً وَجَدُّكَ جَعْفَرٌ(٥) ٱلطَّيَّارُ

يَنْمِيكَ(٦) صَفْوَةُ مَعْشَرٍ لَوْلاهُمُ ... ما كَانَ يُرْفَعُ لِلْعَلاءِ مَنَارُ

وَلِيٌّ وَخَلَفَ كُلَّ فَضْلٍ فِيكُمُ ... وَٱلْغَيْثُ تُحْمَدُ بَعْدَهُ ٱلْآثَارُ

إِنِّي ٱقْتَصَرْتُ عَلَى ٱلثَّنَاءِ وَلَيْسَ(٧) بِي ... عَنْ أَنْ تَطُولَ مَنَاسِبِي إِقْصَارُ

وَلَرُبَّ قَوْلٍ لا يُعَابُ بِأَنَّهُ ... خَطَلٌ وَلٰكِنْ عَيْبُهُ ٱلْإِكْثَارُ

وَأَرَاكَ وَٱبْنَكَ لِلسَّمَاحِ خُلِقْتُمَا ... قَدْراً سَوَاءً وَٱلْوَرَى أَطْوَارُ

فَبَقِيتُمَا عُمُرَ ٱلزَّمَانِ مُصَاحِبَيْ ... عَيْشٍ تَجَنَّبُ صَفْوَهُ ٱلْأَكْدَارُ

---

(١) ألبستَ (س، ك، ت).

(٢) المناصب (س، ظ، م، ع، ت)، المنازل (ك).

(٣) أسدى الثوب: أقام سداه. والسَّدَى من الثوب ما مُدَّ من خيوطه وهو خلاف لحمته.

(٤) نارَ الثوبَ ونيّره وأناره: جعل له نيراً خلاف أسداه.

(٥) هو جعفر بن أبي طالب من أبطال الصحابة. انظر الاصابة ٢٣٧/١

(٦) تنميك (ت)، يهنيك (ك) ومحله فيها بعد البيت الذي يليه.

(٧) وليس لي (ت).

٢٣

وكتب إلى القاضي شمس الملك(١) ، وقد احترق منزله وجميع ما فيه ، يستعينه :

يَا بْنَ مَنْ شادَ ٱلْمَعالِي جُودُهُ وَبَنَى ٱلْمَجْدَ فَأَعْلَى ما بَنا
آمَنَ ٱلْأُمَّةَ فِي أَيّامِهِ كُلَّ خَوْفٍ وَأَخافَ ٱلزَّمَنا
كُلَّمــا يَمَّمَ عافٍ رَبْعَهُ عَذُبَ ٱلْمَنْهَلُ أَوْ ساغَ ٱلْجَنا
قَدْ نَحَتْ عَظْمِي خُطُوبٌ لَمْ تَزَلْ تَأْكُلُ ٱلْأَحْرارَ أَكْلاً مُمْعِنا
وَأَتَتْنِي بَعْدَهــا نازِلَةٌ أَنْزَلَتْ فِي ساحَتَيَّ ٱلْمِحَنا
وَلَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَوْلَى أَنْ(٢) تَلِي كَشْفَهـا يَا بْنَ أَمِينِ(٣) ٱلْأُمَنا
فَٱنْتَهِزْهــا فُرْصَةً مُمْكِنَةً قَلَّ ما يُوجَـدُ مَجْدٌ مُمْكِنا

(١) انظر الحاشية رقم (١) ص (٨٣) .
(٢) أولى من يلي (ي) .
(٣) هو أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن عمار ، كان قاضي طرابلس ، واستقل بها سنة ٤٦٢ ، وتوفي سنة ٤٦٤ .

٢٤

وكتب إلى أبي الحسين أحمد بن علي الزهيري (١) وقد عول على الحج :

يا فَرْحَةَ ٱلْبيْتِ ٱلْعَتِيقِ إذا   ما قِيلَ هٰـذا أحْمَدُ بْنُ عَلِي
وافـاهُ خَيْرُ مُعَرِّسٍ وَثَنىٰ   عَنْهُ ٱلْأَزِمَّـةَ خَيْرُ مُحْتَمِلِ (٢)
فَكَأَنَّنِي بِٱلْعِيسِ قـافِلَةً   بِأَبَرِّ نَزَّالٍ وَمُرْتَحِـلِ
سِرْ في ضَمانِ ٱللهِ مُكْتَنَفاً (٣)   حَتّىٰ تَعُودَ مُبَلَّغَ ٱلْأَمَـلِ
فَلَكَمْ حَجَجْتَ بِمـا تُنَوِّلُهُ   وَأَرَحْتَ أَيْدي ٱلْخَيْلِ وَٱلْإِبِلِ (٤)
لَوْ كانَ يَغْنىٰ عَنْ تَيَمُّمِهِ   أَحَدٌ غَنِيتَ بِصالِحِ ٱلْعَمَلِ

---

(١) لم أطلع على ترجمة له .
(٢) مرتحل (ك) .
(٣) مكتفياً (م ، ع) .
(٤) لم يرد هذا البيت في (ي) .

٢٥

وقال في أبي [١] الكتائب حمزة بن الحسين بطرابلس الشام :

يَا بْنَ الحُسَيْنِ وَأَنْتَ [٢] مَنْ غَرَسَ النَّدىٰ ... فِي راحَتَيْهِ فَأَثْمَرَ [٣] المَعْرُوفا
كَرَمًا [٤] شُغِفْتَ [٥] بِهِ فَشاعَ حَدِيثُهُ ... حَتّىٰ اغْتَدىٰ بِكَ ذِكْرُهُ مَشْغُوفا
وَلَأَنْتَ أَعْرَقُ فِي المَكارِمِ مَنْصِبًا ... مِنْ أَنْ تَبِيتَ بِغَيْرِها مَوْصُوفا
وَإِذا الفَتىٰ كانَ السَّماحُ حَلِيفَهُ ... أَمْسىٰ وَأَصْبَحَ لِلثَّناءِ حَلِيفا
كَمْ هِزَّةٍ لَكَ وَارْتِياحٍ لِلنَّدىٰ ... لَوْلاهُ ما كانَ الشَّرِيفُ شَرِيفا
أَفْنَيْتَ مالَكَ فِي اكْتِسابِكَ لِلْعُلىٰ ... وَصَحِبْتَ أَيّامَ الزَّمانِ عَزُوفا
ما ضَرَّ دَهْرًا غَدْرُهُ بِكِرامِهِ ... تَرْكَ القَوِيِّ مِنَ الرَّجاءِ [٦] ضَعِيفا
أَلَّا يَكُونَ [٧] عَلَى الأَفاضِلِ أَنْعُمًا ... وَعَلَى اللِّئامِ حَوادِثًا وَصُرُوفا

(١) لم أطلع على ترجمة له .
(٢) وأنت غرس للندى (ي) .
(٣) فأنبت (س ، ك) .
(٤) كرمٌ (ك) .
(٥) شغفت . . . مشغوفاً (ي ، ت) .
(٦) من الرجال (ك ، ي ، ت) .
(٧) ألاّ تكون (ن) .

٢٦

وقال يرثي أبا محمد الحسن بن أحمد الزرافي وقد توفي باليمن بعد طول غيبة ويعزي أخاه أبا علي :

بَكَيْتُكَ لِلْبَيْنِ قَبْلَ ٱلْحِمامِ وَأَيْنَ مِنَ ٱلثُّكْلِ حَرُّ ٱلْغَرامِ
وَما كانَ ذاكَ ٱلْفِراقُ ٱلْمُشِتُّ إلاّ دُخاناً لِهٰذا ٱلضِّرامِ
فَعُوِّضْتُ بَعْدَ ٱلْحَنِينِ (١) ٱلْأَنِينَ وَبُدِّلْتُ بَعْدَ ٱلْجَوىٰ بِٱلسَّقامِ
إذا قَتَلَ ٱلْبُعْدُ أَهلَ ٱلْهَوىٰ فَأَقْتَلُ لي مِنْهُ مَوْتُ ٱلْكِرامِ
فَيا قَمَراً يَمَنِيَّ ٱلْمَغِيبِ وَإِنْ كانَ مَطْلَعُهُ بِٱلشَّآمِ
أَكادُ لِذِكْرِكَ أَلْقىٰ ٱلْحِمامَ إذا هَتَفَتْ ساجِعاتُ ٱلْحَمامِ
فَأَنْشُدُ (٢) مَثْواكَ عِنْدَ ٱلْهُبُوبِ وَأَرْقُبُ طَيْفَكَ عِنْدَ ٱلْمَنامِ
وَأَهْفُو إلىٰ كُلِّ بَرْقٍ يَمانٍ وَأَصْبُو إلىٰ كُلِّ رَكْبٍ تَهامِ (٣)
وَأَسْأَلُ عَنْكَ نَسِيمَ ٱلرِّياحِ وَمَنْ لِلنَّسِيمِ بِمَنْ في ٱلرِّجامِ

---

(١) بعد الأنين الحنين (م) .
(٢) وأنشد (ك) .
(٣) تِهامي (ك ، ت) . قال المدائني تِهامة من اليمن والنسبة إليها تِهاميٌّ وتَهامٍ (معجم البلدان) .

وَإِنِّي لَظَامٍ إِلَىٰ نَفْحَةٍ بِرَيَّاكَ ما وَرَدَ ٱلْمَاءَ ظَامِي
وَكَمْ عَبْرَةٍ لِي وَما بَيْنَنا سِوىٰ أَنْ تَكِلَّ بَناتُ ٱلْمَوامِي
فَكَيْفَ وَقَدْ أَنْزَلَتْكَ ٱلْمَنُونُ بِأَسْحَقِ دارٍ وَأَنْأَى مَقامِ
غَرِيباً يُبَكِّي لَهُ ٱلْأَبْعَدُونَ صَرِيعاً يُوَسَّدُ صُمَّ ٱلسَّلامِ
سَلِيباً يُجَلْبَبُ(١) ثَوْبَ ٱلْبِلىٰ ضَعِيفاً يُحَمَّلُ(٢) ثِقْلَ ٱلرَّغامِ
وَيا غائِباً كَمَدِي حاضِرٌ بِهِ ما شَجَتْ فاقِدٌ(٣) بِٱلْبُغامِ
تَشَكَّتْ رِكابُكَ عَضَّ ٱلْقُتُودِ لَيالِيَ سُراكَ وَجَبَّ ٱلسَّنامِ
وَما كانَ غارِبُها فِي ٱلرَّحِيلِ بِأَوْجَعَ مِنْ كَبِدِي فِي ٱلْمُقامِ
زِمامٌ مَعَ ٱلْوَجْدِ لِي طَيِّعٌ طِواعَ ٱلْمُذَلَّلِ جَذْبَ الزِّمامِ
وَدَمْعٌ يُبارِي(٤) وَجِيفَ ٱلْمَطِيِّ فَأَخْفافُها وَجُفُونِي دَوامِي
رُزِئْتُكَ حَيّاً وَخَطْبُ ٱلْفِرا قِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِخَطْبِ ٱلْحِمامِ
وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ لِي مُقْلَةٌ تَبِيتُ لِفَقْدِكَ ذاتَ ٱنْسِجامِ

---

(١) تجلبب (ك ، ت ، ن) .
(٢) تحمل (ك ، ت) .
(٣) ناقة (ك) .
(٤) يجاري (ك) .

فَداوَيْتُ شَوْقِي بِذِكْرِ ٱللِّقاءِ وَعَلَّلْتُ شَمْلِي بِعَوْدِ ٱلنِّظامِ
أُؤَمِّلُ قُرْبَكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَأَرْجُو لِقاءَكَ فِي كُلِّ عامِ
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ مَرامِي ٱلقَضا ءِ قَدْ حُلْنَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْمَرامِ
فَسُدَّتْ مَطالِعُ ذاكَ ٱلْجَوادِ وَفُلَّتْ مَضارِبُ ذاكَ ٱلْحُسامِ
وَغُودِرَ مُحْيِي ٱلنَّدى لِلْفَناءِ وَعُوجِلَ بانِي ٱلْعُلى بِٱنْهِدامِ
فَواحَسْرَتا مَنْ أَذَلَّ ٱلْعَزِيزَ وَوا أَسَفا مَنْ أَذَلَّ(١) ٱلْمُحامِي
عَجِبْتُ لِضَيْمِكَ تِلْكَ ٱلْغَداةَ وَما كانَ جارُكَ بِٱلْمُسْتَضامِ
وَأَيُّ فَتىً حاوَلَتْهُ ٱلْمَنُونُ فَلَمْ تَرُمِ عِزَّتَهُ بِٱهْتِضامِ
وَكَمْ بُزَّ مِنْ مانِعٍ لِلْجِوارِ وَضُيِّعَ مِنْ حافِظٍ لِلذِّمامِ
سَقَتْكَ بِأَلْطَفِ أَنْدائِها وَأَغْزَرِها سارِياتُ ٱلْغَمامِ
وَإِنْ قَلَّ ماءٌ مِنَ ٱلْقَطْرِ(٢) جارٍ فَجادَكَ قَطْرٌ مِنَ ٱلدَّمْعِ هامِ
وَبَكَّتْكَ كُلُّ عَرُوضِيَّةٍ تُرَنُّ(٣) بِها كُلُّ مِيمٍ وَلامِ
إِذا ضُنَّ عَنْكَ بِنَوْرِ ٱلرِّياضِ حَبَتْكَ غَرائِبَ نَوْرِ ٱلْكَلامِ

---

(١) أباح (ن) .
(٢) من المزن . . . (ت) .
(٣) تُزانُ (ت) .

لَعَمْرِي لَئِنْ ساءَنا ٱلدَّهْرُ فِيكَ لَقَدْ سَرَّنا في أَخِيكَ ٱلْهُمامِ
هُوَ ٱلْمَرْءُ يَشْجُعُ فِي كُلِّ خَطْبٍ مَهُولٍ وَيَجْبُنُ عَنْ كُلِّ ذامِ
ذَهَبْتَ وَكَلَّفْتَهُ فِتْيَةً ذَوِي غُرَرٍ وَوُجُوهٍ وِسامِ
كَما أَوْدَعَ ٱلْأُفْقَ زُهْرَ ٱلنُّجُومِ وَوَلَّىٰ إِلَىٰ ٱلْغَرْبِ بَدْرُ ٱلتَّمامِ
عَلَى أَنَّ أَدْمُعَنا بِٱلْجُفُو نِ أَغْرَى (١) مِنَ ٱلْوَجْدِ بِٱلْمُسْتَهامِ
وَلِمْ لا وَذِكْرُكَ يَرْمِي ٱلْقُلُوبَ بِأَنْفَذَ مِنْ صائِباتِ ٱلسِّهامِ
هُمُومٌ تُبَلِّدُ فَهْمَ (٢) ٱلْبَلِيغِ وَتُعْيِي نَوافِثَ (٣) سِحْرِ ٱلْكَلامِ
صَدَعْنَ ٱلْقُلُوبَ فَلَوْلا أَبُو عَلِيٍّ لَما ظَفِرَتْ بِٱلْتِئامِ
أَغَرُّ تُمَزِّقُ (٤) عَنْهُ ٱلْخُطُوبُ كَما مَزَّقَ ٱلْبَدْرُ ثَوْبَ ٱلظَّلامِ
رَعَتْ مَجْدَ آلِ ٱلزَّرافِيِّ (٥) مِنْهُ مَكارِمُ تَعْضُدُهُ بِٱلدَّوامِ
فَإِنْ حُطِمَ ٱللَّدْنُ فَٱلْعَضْبُ باقٍ وَإِنْ أَقْلَعَ ٱلْغَيْثُ فَٱلْبَحْرُ طامِ

---

(١) لأغرى (ت) .
(٢) قلب البليغ (ك) .
(٣) ثواقب (ت) .
(٤) يمزق (ت) .
(٥) أهل الرزاقي (ك) .

وَفِي واحِدٍ مِنْ بَنِي أَحْمَدٍ لَنا خَلَفٌ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَنامِ
عَزاءَكَ يَاْبْنَ ٱلْعُلَى إِنَّما تَهُونُ ٱلْعَظائِمُ عِنْدَ ٱلْعِظامِ
كَذا أَخَذَ ٱلنّاسُ فِي دَهْرِهِمْ بِقِسْمَيْنِ مِنْ عِيشَةٍ وَٱخْتِرامِ
فَكُلُّ ٱجْتِماعٍ بِهِ لِلشَّتاتِ وَكُلُّ رِضاعٍ بِهِ (١) لِلْفِطامِ
بَقِيتَ وَأَبْناؤُكَ ٱلْأَكْرَمُونَ بَقاءَ ٱلْهِضابِ بِرُكْنَيْ شَمامِ (٢)
فَمِثْلُكَ لَيْسَ عَلَى حادِثٍ أَلَمَّ فَنَكَّبَهُ مِنْ مَلامِ

* * *

٢٧

وقال يرثي أبا محمد (٣) بن أبي علي الزرافي :

يا قَبْرُ (٤) ما لِلْمَجْدِ عِنْدَكَ فَٱحْتَفِظْ بِمُهَنَّدٍ ما كُنْتَ مِنْ أَغْمادِهِ
تَشْتاقُ مِنْهُ ٱلْعَيْنُ مِثْلَ سَوادِها وَيَضُمُّ مِنْهُ ٱلصَّدْرُ مِثْلَ فُؤادِهِ

---

(١) له (ت) .
(٢) شمام : جبل لباهلة .
(٣) أبا محمد بن علي الزرافي (س ، ي) .
(٤) لم يرد هذا البيتان في (ك) .

٢٨

وقال في علي ابن الزرافي أيضاً :

مَحا[١] ٱلدَّهْرُ آثارَ ٱلْكِرامِ فَلَمْ يَدَعْ   مِنَ ٱلْبَأْسِ وَٱلْمَعْرُوفِ غَيْرَ رُسُومِ
وَأَصْبَحْتُ أَسْتَجْدِي ٱلْبَخِيلَ نَوالَهُ   وَأَحْمَدُ فِي ٱللَّزْباتِ[٢] كُلَّ ذَمِيمِ
سِوى[٣] أَنَّ مِنْ آلِ ٱلزَّرافِيِّ مَعْشَراً   وَفَوْا لِيَ لَمّا خانَ كُلُّ حَمِيمِ
هُمُ جَبَرُوا عَظْمِي ٱلْكَسِيرَ وَلاءَمُوا   عَلَى طُولِ صَدْعِ ٱلنّائِباتِ أَدِيمِي
مَتَى خِفْتُ حالاً حالَ بَيْنِي وَبَيْنَها   تَخاطُرُهُمْ مِنْ بُزَّلٍ وَقُرُومِ
وَإِنَّكَ مِنْهُمْ يا عَلِيُّ لَناصِرِي   عَلَى كُلِّ خَطْبٍ لِلزَّمانِ عَظِيمِ

* * *

---

(١) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .
(٢) الكربات (ت) .
(٣) هذا البيت ساقط من (ي) .

٢٩

وسأله أبو الفرج [١] علي بن الحسين الزرافي أن يعمل أبيـاتاً في جارية أراد شراءها ، واعترضها أبو الفتح محمد بن محمد القابض فتجافى له عنها ، وأدرك المعترض غفلة عنها كانت سبباً إلى أن اشتراها غيره ، فقال أبو عبد الله :

يا مُفْلِتَ ٱلظَّبْيَةِ ٱلْغَنَّاءِ مِنْ يَدِهِ ... هَلاَّ عَلِقْتَ بِهَا حُيِّيتَ مُقْتَنِصا
ذُقِ ٱلْمَلاَمَةَ مَحْقُوقاً فَمَا ظَلَمَتْ ... كَأْسُ ٱلنَّدَامَةِ إِنْ جُرِّعْتَهَا غُصَصا
قَدْ أَمْكَنَتْكَ فَمَا بَادَرْتَ فُرْصَتَهَا ... مَنْ شَاوَرَ ٱلْعَجْزَ لَمْ يَسْتَنْهِضِ [٢] ٱلْفُرَصا
وَقَدْ تَحَامَاكَ فِيهَا حَاذِقٌ دَرِبٌ ... بِٱلصَّيْدِ لَوْلاَكَ لَمْ يُحْجِمْ وَلاَ نَكَصا
إِنَّ ٱللَّبِيبَ إِذَا مَا عَنَّ [٣] مَطْلَبُهُ ... أَهْوَى إِلَيْهِ وَلَمْ يَنْظُرْ بِهِ ٱلرُّخَصا

* * *

---

(١) أبو الفرج بن علي الزرافي (م) .
(٢) لم يستنهر (ك ، ت) ، يستنهز (ن) .
(٣) في جميع النسخ (إذا ما عزَّ) إلا في (ي) وهي الصواب .

٣٠

وقال يرثي والدة أبي المغيث محمد بن علي بن روزبة (كاتب[١] القاضي جلال الملك بن عمار) ويعزيه بها :

صُرُوفُ ٱلْمَنايا لَيْسَ يُودىٰ قَتِيلُها ... وَدارُ ٱلرَّزايـــا لا يَصِحُّ عَلِيلُها

مُنِيتُ[٢] بِها مُسْتَكْرَهاً فَٱجْتَوَيْتُها ... كَما يَجْتَوِي دارَ ٱلْهَوانِ نَزِيلُها

يُشَهِّي إِلَيَّ ٱلْمَوْتَ عِلْمِي بِأَمْرِها ... وَرُبَّ حَيــاةٍ لا يَسُرُّكَ طُولُها

وَأَكْدَرُ ما كانَتْ حَياةُ نُفُوسِها ... إِذا ما صَفَتْ أَذْهانُهـــا وَعُقُولُها

وَمَنْ ذا ٱلَّذِي يَحْلُو لَهُ ٱلْعَيْشُ بَعْدَما ... رَأَتْ كُلُّ نَفْسٍ أَنَّ هٰذا سَبِيلُها

أَقِمْ مَأْتَماً قَدْ أُثْكِلَ ٱلْفَضْلُ أَهْلَهُ ... وَبَكِّ[٣] ٱلْمَعالِي قَدْ أَجَدَّ رَحِيلُها

إِذا أَنْتَ كَلَّفْتَ ٱلْمَدامِعَ حَمْلَ ما ... عَناكَ مِنَ ٱلْأَحْزانِ خَفَّ ثَقِيلُها

وَيا باكِيَ ٱلْعَلْياءِ دُونَكَ عَبْرَةً ... مَلِيًّا بِإِسْعـادِ ٱلْخَلِيلِ هُمُولُها

وَمُهْجَةَ مَحْزُونٍ تَخَوَّنَهـــا ٱلضَّنا ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَجْدُها وَغَلِيلُها

---

(١) ما بين الهلالين انفردت به (ك) .

(٢) بُليتُ (ك) .

(٣) وتلك المعالي (ك) .

أَلا بِالتُّقى(١) وَالصّالِحاتِ مُفارِقٌ(٢) طَوِيلٌ عَلَيْهِ بَثُّها وَعَوِيلُها
أَصابَ الرَّدى نَفْساً عَزِيزاً مُصابُها كَرِيماً(٣) سَجاياها قَلِيلاً(٣) شُكُولُها
فَأَقْسَمْتُ مارامَتْ(٤) مَنِيعَ حِجابِها الْـمَنُونُ وَفي غَيْرِ الْكِرامِ دُخُولُها(٥)
وَما زالَ ثَأْرُ الدَّهْرِ عِنْدَ مَعاشِرٍ يَشِيمُ النَّدى أَيْمانَهُمْ وَبُخُولُها
فَمَنْ يَكُ مَدْفُوعاً عَنِ الْمَجْدِ قَوْمُهُ(٦) فَإِنَّ قَبِيلَ الْمَكْرُماتِ قَبِيلُها
وَمَنْ يَكُ مَنْسِيَّ الْفِعالِ فَإِنَّهُ مَدى(٧) الدَّهْرِ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ كَفِيلُها
يَطِيبُ بِقَدْرِ الفائِحاتِ نَسِيمُها وَتَزْكُو الْفُرُوعُ الطَّيِّباتُ أُصُولُها
سَحابَةُ بِرٍّ آنَ مِنْها انْقِشاعُها وَأَيْكَةُ مَجْدٍ حانَ مِنْها ذُبُولُها
أَوَدُّ لَها سُقْيا الْغَمامِ وَلَوْ أَشا إِذاً(٨) كَشَفَتْ صَوْبَ الْغَمامِ سُيُولُها
وَكَيْفَ أُحَيِّي ساكِنَ الْخُلْدِ بِالْحَيا وَما ذُخِرَتْ إِلّا لَهُ سَلْسَبِيلُها

(١) فالتقى (ك) .
(٢) مفارقاً (ت) .
(٣) كريمٌ . . . قليل . . (ك) .
(٤) ماراعت (س) .
(٥) دخولها (س ، ظ ، ي ، ت) .
(٦) أهله (ي) .
(٧) يد الدهر . . (ك) .
(٨) إذاً اسقتْ . . (ك ، ن) .

سَيَشْرُفُ فِي دارِ ٱلْحِسابِ مَقامُها ... وَيَبْرُدُ فِي ظِلِّ ٱلْجِنانِ مَقيلُها
تَلُوذُ(١) بِأَسْبابِ ٱلْعَزاءِ وَإِنَّهُ ... لَيَقْبُحُ فِي حُكْمِ ٱلْوَفاءِ جَمِيلُها
وَهَلْ يَنْفَعُ ٱلْمَرْزِيَّ(٢) أَنْ طالَ عَتْبُهُ ... عَلَى ٱلدَّهْرِ وَٱلْأَيّامُ صَعْبٌ ذَلُولُها
فَلا يَشْأَمَنَّ ٱلْحُزْنُ قَلْبَكَ بَعْدَها ... فَقِدْماً أَبادَ(٣) ٱلْمُرْهَفاتِ فُلُولُها
وَماذا ٱلَّذِي يَأْتِي بِهِ لَكَ قائِلٌ(٤) ... وَأَنْتَ قَؤُولُ ٱلْمَكْرُماتِ فَعُولُها
إِذا ٱبْنُ عَلِيٍّ رامَ يَوْماً بِحَزْمِهِ ... لِقاءَ خُطُوبِ ٱلدَّهْرِ دَقَّ جَلِيلُها
وَما زِلْتَ مَمْلُوءاً مِنَ ٱلْهِمَمِ ٱلَّتِي ... تُقَصِّرُ أَيّامَ ٱلرَّدَىٰ وَتُطِيلُها
يَنالُ مَدَى ٱلْمَجْدِ ٱلْبَعِيدِ رَذِيُّها(٥) ... وَيَقْطَعُ فِي حَدِّ ٱلزَّمانِ كَلِيلُها
فَقَدْتَ فَلَمْ تَفْقِدْ عَزاكَ(٦) وَإِنَّما ... يُضَيِّعُ مَأْثُورَ ٱلْأُمُورِ جَهُولُها
عَلَى أَنَّ مَنْ فارَقْتَ بِٱلْأَمْسِ لا تَفِي ... بِحَقٍّ لَهُ أَغْزارُ دَمْعٍ تُسِيلُها(٧)
وَما عُذْرُها أَنْ لا يَشُقَّ مُصابُها ... عَلَى ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيا وَأَنْتَ سَلِيلُها

---

(١) تلوذ ... (ك ، ت) .
(٢) المرزوء ... (ك) .
(٣) أفاد (ظ) .
(٤) قابل (س ، ع) .
(٥) الرذي : الضعيف .
(٦) غناك (ك) .
(٧) نسيلها (ن) .

٣١

وقال يمدح أبا الحسين أحمد بن[١] عبد الرزاق :

يا نَسِيمَ ٱلصَّبا ٱلْوَلُوعَ بِوَجْدِي حَبَّذا أَنْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِنَجْدِ
أَجْرِ[٢] ذِكْرِي نَعِمْتَ وَٱنْعَتْ غَرامِي بِٱلْحِمىٰ وَلْتَكُنْ يَداً[٣] لَكَ عِنْدِي
وَلَقَدْ[٤] رابَنِي شَذاكَ فَبِٱللّٰـهِ مَتىٰ عَهْدُهُ بِأَطْلالِ هِنْدِ
إِنْ يَكُنْ عَرْفُها ٱمْتَطاكَ[٥] إِلَيْنا فَلَقَدْ زُرْتَنا بِأَسْعَدِ سَعْدِ
أَهْدِ لِي نَفْحَةً تَضَمَّنُ رَيّا ها بِما شِئْتَ مِنْ عَرارٍ وَرَنْدِ
رُبَّما نَهْلَةٍ سُقِيتُ بِفِيها فَكَفَتْنِي مَعَ ٱلصَّدىٰ[٦] كُلَّ وِرْدِ
وَغَرِيمٍ مِنَ ٱلْهُمُومِ ٱقْتَضانِي دَلَجَ[٧] ٱلْعِيسِ بَيْنَ وَجْدٍ وَوَخْدِ
كُلَّما أَرْزَمَتْ مِنَ ٱلشَّوْقِ كِدْنا فَوْقَ أَكْوارِها مِنَ ٱلشَّوْقِ نُرْدِي

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الرزاق (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (س) .
(٣) يدٌ . . . (ت) .
(٤) هذا البيت وسبعة وعشرون بيتاً بعده ساقطة من (ي) .
(٥) استطال (س) .
(٦) مع الظما (ت) .
(٧) دَلَسَ العيس . . . (س ، ظ ، م ، ع) .

يا خليليَّ خليَّـــاني وهمّي   أنا أوْلا كما بغيِّي (١) ورُشْدِي
لوْ أمنتُ المَلامَ (٢) والدّمعَ ما اخترْ   تُ وقوفي على المنازل وحْدي
ولقدْ أصْحبُ المِراحَ إلى اللّـ   ذّاتِ مُلقى الوِشاحِ أسْحبُ بُرْدي
بيْنَ دُعْجٍ (٣) منَ الظّباء ونُعْجٍ   ولِدانٍ منَ الحِسانِ ومُلْدِ
في زمانٍ منَ الشّبيبةِ مَصْقُو   لٍ وعَيْشٍ منَ البَطالةِ رَغْدِ
وأمانٍ منَ الخُطوبِ كأنّي   لابْنِ عبْدِ الرّزّاقِ أخلصُ عبْدِ
لِكريمِ (٤) الثّناء واليدِ والخِيـ   ـمِ عميمِ الأخلاقِ والخَلْقِ نَجْدِ
يَقِظٍ تلْجأُ العُلى أبداً منْـ   ـهُ إلى أوْحدِ العزيمةِ فرْدِ
طالِبٍ أشْرفَ المَطالِبِ لا يَهْـ   ـجُمُ (٥) إلاّ على المَرامِ الأشدِّ
تُنْذِرُ النّائباتُ أنفُسَهـا منْـ   ـهُ بخصْمٍ للنّائباتِ ألَدِّ
جاعِلٍ مالَهُ طَريقاً إلى الحَمْـ   ـدِ فما يأتلي يُنيرُ ويُسْـدي

---

(١) بغي ورشد (م ، ع) .
(٢) الغرام (م) .
(٣) الدعج : جمع دعجاء ، وهي ذات العين الشديدة السواد مع سعتها .
والنعج : النساء البيض ، يقال « نساء نعج المحاجر ، دعج النواظر » .
(٤) الكريم ... (ك) .
(٥) لايقحم ... (ك) .

فَقِراهُ سارٍ إلىٰ كُلِّ سارٍ وَنَداهُ وَفْدٌ عَلَى كُلِّ وَفْدِ
يَوْمُهُ فِي اُلنَّدىٰ بِعامٍ (١) مِنَ اُلْغَيْثِ إذا قَلَّ مَنْ يَجُودُ وَيُجْدي
كَرَمٌ سافِعٌ (٢) بِناصِيَةِ اُلْفَقْرِ وَجُودٌ عَلَى اُلنَّوائِبِ مُعْدي
وَيَدٌ أَغْنَتِ اُلْمُقِلِّينَ حَتّىٰ ما تَرىٰ (٣) فِي اُلْأَنامِ طالِبَ رِفْدِ
جادَ قَبْلَ اُلسُّؤالِ لا ماءُ وَجْهي نابَ (٤) فِي جُودِهِ وَلا ماءُ حَمْدي
وَبَداني بِاُلْوُدِّ عَفْواً وَما كُنْتُ خَليقاً فِي ذا اُلزَّمانِ بِوُدِّ
وَلَعَمْري لَقَدْ عَلِمْتُ يَقيناً أَنَّ ذِكْري بِهِ (٥) سَيَعْلُو وَجَدّي (٦)
ما تَوَهَّمْتُهُ فَخالَجَ فِكْري أَنَّهُ لَيْسَ لي بِزادٍ مُعَدّ
جادَني مِنْ نَدىٰ عَلِيٍّ سَحابٌ مُسْتَهِلٌّ بِغَيْرِ (٧) بَرْقٍ وَرَعْدِ

---

(١) كعامٍ ... (ت) .

(٢) شافع (س ، ك ، ظ ، ع) ، شائع (م) ، وكل ذلك غير صواب ؛ والصواب ما انفردت به (ت) واثبتناه . يقال : « سَفَعَ بناصيته : قبض عليها فاجتذبها بشدة » ، وهو مأخوذ من الآية الكريمة « لَنَسْفَعَنْ بالناصية » .

(٣) مايُرى (ك) .

(٤) ذاب (ك) .

(٥) له (ت) .

(٦) ومجدي (ت) .

(٧) من غير (ك ، ن) .

حِينَ لا قادَني إِلَى⁽¹⁾ نَكَدُ الْمَطْلِ وَلا راعَني بِخَجْلَةِ رَدِّ
إِنَّ خَيْرَ الْمَعْرُوفِ ماجاءَ لا سِينُ سُؤالٍ فِيهِ⁽²⁾ وَلا واوُ وَعْدِ
عاقَدَتْني بِهِ⁽³⁾ اللَّيالي فَما تَخْفِرُ عَهْدي وَلا تُغَيِّرُ عَقْدي
وَلَعَمْري⁽⁴⁾ ما كُنْتُ لَوْلاهُ إِلاَّ في طِرادٍ مَعَ الْهُمُومِ⁽⁵⁾ وَطَرْدِ⁽⁶⁾
يا بْنَ عَبْدِ الرَّزّاقِ لا زايَلَتْكُمْ نِعَمُ اللهِ بَيْنَ طُرْفٍ وَتُلْدِ
مُطْلَقاتٍ أَعِنَّةَ الشُّكْرِ مِنْ كُلِّ لِسانٍ حَتّى يُعيدَ وَيُبْدي
مِنْ بُدُورٍ⁽⁷⁾ عَلَى نَمارِقَ ميثٍ وَلُيُوثٍ عَلَى سَوابِقَ جُرْدِ
وَكُهُولٍ قَشاعِمٍ تَتَلاقى في ذُرَى الْمَجْدِ أَوْ غَطارِفَ مُرْدِ
حَيْثُ يُلْفى⁽⁸⁾ أَبُو الْحُسَيْنِ مَلِيًّا بِالنَّفِيسَيْنِ مِنْ عَلاءٍ وَمَجْدِ
ذُو الْمَقامِ الْحَميدِ في كُلِّ فَضْلٍ يَتَعاطاهُ وَالْمَقالِ الْأَسَدِّ

---

(١) إلى كدر . . . (ك) .
(٢) سؤال يبدو . . . (ك) .
(٣) فيه الليالي (ك) ، يد الليالي (ت) .
(٤) ولعمري لولاك ما كنت إلا (س ، ك ، ت) .
(٥) مع الخطوب (ك ، ي ، ت) ، من الخطوب (ن) .
(٦) ونكد (ت) .
(٧) من ندور (م ، ع) .
(٨) يلقى (س ، ظ ، م ، ع) ، تلقى أبا الحسين (ت) ، تلفي أبا الحسين (ك) .

ضاربٌ في ٱلصَّميمِ مِنْهُ إلىٰ خَيْـرِ أبٍ باهِرِ ٱلْأُصُولِ وَجَـدِّ
هَلْ يُجارِي سَماحَ كَفِّكَ تَقْرِيـبِيَ في حَلْبَةِ ٱلثَّنـاءِ وَشَدِّي
فَأُجازِيكَ[1] بِٱلْمَدِيحِ وَهَيْهَا تَ وَلٰكِنَّني سَأَبْلُغُ جَهْدِي
وَلَئِنْ نَوَّهَتْ عُلاكَ بِأَشْعَـارِي وَأَوْرَيْتَ بِٱلْمَكارِمِ زَنْدِي
فَلَقَدْ أُودِعَتْ أَمِينًا عَلَى ٱلْمِنَّـةِ لا يُفْسِدُ ٱلْجَمِيلَ بِجَحْـدِ
بِقَوافٍ مِثْلِ ٱلنُّجُومِ سَوارٍ تَتَبـارىٰ في كُلِّ نَشْزٍ وَوَهْدِ
سابِقاتٍ[2] ٱلرِّكابَ وَٱلرَّكْبَ ما تَنْـفَكُّ تُحْدىٰ بِها ٱلرَّذايا فَتَخْدِي[3]
باقِياتٍ[4] لَمْ تَخْلُ ما قَدُمَ ٱلْعَهْـدُ عَلَيْها مِنْ مَفْخَرٍ مُسْتَجَدِّ
لَوْ أُتِيحَتْ لِلْغانِيـاتِ لَفَضَّلْـنَ بِها ٱلْمُنْفِساتِ مِنْ كُلِّ عِقْدِ
فَٱدَّخِرْها مالاً نَفِيسًا فَخَيْرُ[5] ٱلْـمالِ ما لَمْ يَنَلْهُ حادِثُ فَقْدِ

(١) فأجاريك (س) .
(٢) سايقات (ن) .
(٣) الرذايا : الإبل المهزولة من السير . وتخدي : تسرع .
(٤) ساقيات (ظ) ، ساقبات (ن) .
(٥) فخير الملك . . . (ك) .

٣٢

وقال [١] يشكر القاضي أبا علي الحسين بن أبي العيش على جميل تقدم له، ويستزيده، بطرابلس :

مَنْ كانَ مِثْلَ أَبِي عَلِيٍّ فَلْيَنَلْ   أُفُقَ ٱلسَّماءِ بِهِمَّةٍ لَمْ تُخْفَضِ
أَغْنَىٰ وَقَدْ أَبْدَىٰ ٱلنَّدَىٰ وَأَعادَهُ   عَنْ أَنْ أَقُولَ لَهُ أَطَلْتَ فَأَعْرِضِ
ما كانَ فِيما نِلْتُ مِنْهُ بِواعِدٍ   فَأَقُولَ إِنَّ ٱلْوَعْدَ غَيْرُ مُمَرَّضِ
سَبَقَتْ مَواهِبُهُ ٱلْوُعُودَ وَرُبَّما   جادَ ٱلسَّحابُ وَبَرْقُهُ لَمْ يُومِضِ
وَقَفَ ٱلْحُسَيْنُ عَلَى ٱلسَّماحِ غَرامَهُ   لَيْسَ ٱلْمُحِبُّ عَنِ ٱلْحَبِيبِ بِمُعْرِضِ
كَشّافُ كُلِّ عَظِيمَةٍ إِنْ تَدْعُهُ   لا تَدْعُهُ لِلْخَطْبِ ما لَمْ [٢] يُرْمِضِ
وَإِذا أَرَدْتَ إِلَىٰ ٱلْحُسَيْنِ صَنِيعَةً   فَأَعْرِضْ لِفَضْلِ نَوالِهِ وَتَعَرَّضِ
إِنَّ ٱلسُّؤالَ لَواقِعٌ مِنْهُ بِمَنْـــزِلَةِ ٱلنَّوالِ مِنَ ٱلْمُقِلِّ ٱلْمُنْفِضِ [٣]

---

(١) وكتب إلى القاضي أبي علي . . . يشكره . . . (ك) .
(٢) إن لم . . . (ك) .
(٣) المنفض : من هلك ماله وفني زاده .

وَلَهُ إذا وَعدَ ٱلْجَميلَ (١) مكارِمٌ لا يقتضيهِ بغيرِهنّ ٱلْمُقْتضي
مَحْضُ ٱلْعَلاءِ صَرِيحُهُ في أُسْرةٍ جُمَحِيّةِ ٱلنَّسَبِ ٱلصَّرِيحِ ٱلأَمْحَضِ
ضَرَبَ ٱلْحِمامُ عليْهِمُ فتقوّضُوا وَبناءُ ذاكَ ٱلْمَجْدِ لمْ يتقوّضِ
قَوْمٌ لَهُمْ شَرَفُ ٱلْحَطيمِ (٢) وَمُبْتَنَى ٱلْعِزِّ ٱلْمُشَيَّدِ في ٱلْبِطاحِ ٱلأَعْرَضِ
يُحْيي ٱلثّنا مَوْتى ٱلْكِرامِ وَرُبّما ماتَ ٱللَّئيمُ وَرُوحُهُ لمْ تُقْبَضِ
ماذا تقُولُ لِمَنْ أتاكَ مُصَرِّحاً نِعَمٌ تعرّضُها لِكُلِّ مُعَرِّضِ
قَدْ كانَ خَيَّمَ صَرْفُ كُلِّ مُلِمّةٍ عِنْدي فقالَ لهُ سَماحُكَ قَوِّضِ
وَلَحَظْتَني فعرفْتَ مَوْضِعَ خَلّتي نَظَرَ ٱلطَّبيبِ إلى ٱلْعَليلِ ٱلْمُمْرِضِ
وَنَظَرْتَ مِنْ تحْتِ ٱلْخُمُولِ تَطَلُّعي كَٱلْماءِ بُرْقِعَ وَجْهُهُ بِٱلْعَرْمَضِ (٣)
لَمّا رَأَيْتَ ٱلدَّهْرَ يَقْصُرُ هِمّتي عَنْ غايةِ ٱلأَمَلِ ٱلْبَعيدِ ٱلْمَرْكَضِ
أَنْهَضْتَني وَٱلسَّهْمُ ليْسَ بِصائبٍ غَرَضاً إذا ٱلرّامي بِهِ لمْ يُنْبِضِ
وَٱلْعَضْبُ ليْسَ بِبَيِّنٍ تأْثيرُهُ وَٱلأُثْرُ (٤) حتّى يَنْتَضيهِ ٱلْمُنْتَضي
وَعَلَيْكَ حَقٌّ رَفْعُ ما أَسَّسْتَهُ في مَذْهَبِ ٱلْكَرَمِ ٱلّذي لمْ يُرْفَضِ

---

(١) النوال (ت) .
(٢) الحطيم : جدار حجر الكعبة ، ويريد بمبتنى العز : الكعبة .
(٣) العرْمَض والعِرْميض : الطحلب .
(٤) الأثر : جوهر السيف .

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ يَدٍ والَيْتَها — أَنِّي بِشُكْرِ صَنِيعِها لَمْ أَنْهَضِ
إِنَّ ٱلْغَمامَ إِذا تَرادَفَ وَبْلُهُ — أَبْقَى أَنِيقَ ٱلرَّوْضِ غَيْرَ مُرَوَّضِ
وَلَئِنْ بَقِيتُ لَتَسْمَعَنَّ غَرائِباً — يَقْضِي ٱلزَّمانُ وَفَضْلُها لَمْ يَنْقَضِ
يَظْمَا إِلَيْها ٱلْمُنْعِمُونَ فَمَنْ يَرِدْ — يَرِدِ ٱلثَّناءَ ٱلْعَذْبَ غَيْرَ مُبَرَّضِ (١)
هٰذا وَلَسْتُ بِبالِغٍ بَعْضَ ٱلَّذِي — أَوْلَيْتَ (٢) ما لُبِسَ ٱلظَّلامُ (٣) وَما نُضِي
أَقْرَضْتَنِي حُسْنَ ٱلصَّنِيعِ تَبَرُّعاً — وَٱلْقَرْضُ أَفْضَلُ مِنْ جَزاءِ ٱلْمُقْرِضِ
فَأَعْذُرْ إِذا ما ٱلدَّهْرُ أَخْمَدَ فِكْرَتِي — أَيُّ ٱلْكِرامِ بِدَهْرِهِ لَمْ يَغْرَضِ (٤)
جاءَتْكَ تَنْذُرُ بِٱلتَّوالِي بَعْدَها — كَٱلْفَجْرِ فِي صَدْرِ ٱلصَّباحِ ٱلْأَبْيَضِ
أَبَنِي أَبِي ٱلْعَيْشِ ٱلْأَكارِمَ إِنَّنِي — لَوْلاكُمُ لَرَضِيتُ ما لَمْ أَرْتَضِ
ما زِلْتُ أَعْتَرِضُ ٱلْمَوارِدَ قامِحاً (٥) — حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى ٱلْبُحُورِ ٱلْفُيَّضِ

---

(١) ماء بَرْض : أي قليل .
(٢) أبليت (س ، ظ ، م ، ع) .
(٣) الزمان (س) .
(٤) غَرِضَ : ضجر وملَّ .
(٥) القامح : الكاره للماء . قامحاً (س ، م ، ع ، ن) ، جامحاً (ك) .

٣٣

وقال وقد أهدى إليه القاضي أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن أبي العيش ، أخو المقدم ذكره ، هدية ومعها أبيات يعتذر فيها من نزارة ما أنفذه إليه :

سَأَشْكُرُ ما مَنَنْتَ بِهِ وَمِثْلِي ... لِأَهْلِ ٱلْمَنِّ فَلْيَكُنِ ٱلشَّكُورُ

وَأَحْمَدُ حُسْنَ رَأْيِكَ فِيَّ حَمْداً ... يَدُومُ إذا تَطاوَحَتِ ٱلدُّهُورُ (١)

وَإِنْ تَكُ مُسْتَقِلاًّ ما أَتانِي ... فَمِثْلُكَ يُسْتَقَلُّ لَهُ ٱلْكَثِيرُ

وَأَذْكَى ما يَكُونُ ٱلرَّوْضُ نَشْراً ... إذا ما صابَهُ ٱلْقَطْرُ ٱلْيَسِيرُ

وَلا وَأَبِي ٱلْعُلَى ما قَلَّ نَيْلٌ ... بِنَيْلِ أَقَلِّهِ غَنِيَ ٱلْفَقِيرُ

وَلا (٢) فَوْقَ ٱلْغِنَى جُودٌ فَحَسْبِي ... كَفَى بِٱلْمَحْلِ عارِضُكَ ٱلْمَطِيرُ

وَلا عِنْدِي مَكانٌ لِلْعَطايا ... فَقُلْ لِلسَّيْلِ قَدْ طَفَحَ ٱلْغَدِيرُ

فِداؤُكَ (٣) مَعْشَرٌ سُئِلُوا فَأَجْدَوْا ... فَإِنَّكَ غَيْرَ مَسْئُولٍ تَمِيرُ

فَكَيْفَ (٤) بِأُمَّةٍ لَؤُمُوا وَذَلُّوا ... فَلا خَلْقٌ يَجُودُ وَلا يُجِيرُ

---

(١) لم يرد هذا البيت إلا في (ك) .

(٢) ولو فوق ... (ع) .

(٣) هذا البيت والذي يليه مكانهما في (ك) بعد ثمانيه أبيات .

(٤) فكيف لأمة ... (م، ع) .

رَأَيْتُكَ حاضِراً فِي حالِ (١) غَيْبٍ وَبَعْضُ ٱلْقَوْمِ كَالْغَيَبِ ٱلْحُضُورُ
لَقَدْ سُدَّتْ مَوارِدُ كُلِّ خَيْرٍ وَساحَ بِكَفِّكَ ٱلْكَرَمُ ٱلْغَزِيرُ
عَلَى رُغْمِ ٱلزَّمانِ أَجَرْتَ مِنْهُ وَقَدْ قَلَّ ٱلْمُمانِعُ وَٱلْمُجِيرُ
تَخَطَّى ٱلنّائِباتِ إِلَيَّ جُودٌ كَما فاجاكَ فِي ٱلظَّلْماءِ نُورُ
تَخِذْتَ (٢) بِهِ يَداً عِنْدَ ٱلْقَوافِي يَقُومُ بِشُكْرِها ٱلْفِكْرُ ٱلْمُنِيرُ
وَأَيْنَ (٣) ٱلشُّكْرُ مِمّا خَوَّلْتَهُ جَهِلْتُ (٤) وَرُبَّما جَهِلَ ٱلْخَبِيرُ
سَماحٌ (٥) رَدَّ رُوحاً فِي ٱلْأَمانِي وَمَعْرُوفٌ (٦) بِهِ جُبِرَ ٱلْكَسِيرُ
وَشِعْرٌ (٧) لَوْ يَكُونُ ٱلشِّعْرُ غَيْثاً لَباتَ وَنَوْؤُهُ ٱلشِّعْرَى (٨) ٱلْعَبُورُ
مَعانٍ تَحْتَ أَلْفاظٍ حِسانٍ كَما ٱجْتَمَعَ ٱلْقَلائِدُ وَٱلنُّحُورُ
يُخَيِّلُ لِي لِعَجْزِي عَنْهُ أَنِّي بِما أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ كَفُورُ
وَتَعْذُلُنِي ٱلْقَوافِي فِيكَ طَوْراً وَطَوْراً فِيكَ لِي مِنْها عَذِيرُ

(١) في كل غيث (ك) .
(٢) تخذت يداً به . . . (م) .
(٣) وليس الشكر . . . (ت) .
(٤) جهدت وربما جهد الخبيرُ (ت) .
(٥) سماحاً (ك ، ي ، م ، ع ، ت) .
(٦) ومعروفاً (ي) .
(٧) وشعراً (ك) .
(٨) الشِّعرى العَبُور : كوكب في الجوزاء .

وَأَعْلَمُ أَنَّ طَوْلَكَ لا يُجَازَى ... وَهَلْ تُجْزَى عَلَى ٱلدُّرِّ ٱلْبُحُورُ
وَتَسْمُو هِمَّتِي فَإِخَالُ أَنِّي ... عَلَى ما لَسْتُ واجِدَهُ قَدِيرُ
أُعَلِّلُها بِمَدْحِكَ كُلَّ يَوْمٍ ... وَما تَعْلِيلُها إِلاَّ غُرُورُ
أَمِثْلُكَ مُنْعِماً يُجْزَى بِشُكْرٍ ... لَقَدْ أَلْقَتْ مَقالِدَها ٱلأُمُورُ
وَما ٱلْعَنْقاءُ بِٱلْمَكْذُوبِ عَنْها ... حَدِيثٌ بَعْدَ ما زَعَمَ ٱلضَّمِيرُ
وَلا ٱلْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بَعْدَ ذا فِي ... أَمانٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرُ
أَغَرُّ مُهَذَّبٌ حَسَباً وَفِعْلاً ... يَخِفُّ لِذِكْرِهِ ٱلأَمَلُ ٱلْوَقُورُ
بَنَى ٱبْنِي أَبِي ٱلْعَيْشِ ٱلْمَعالِي ... فَتىً يَحْلُو بِهِ ٱلْعَيْشُ ٱلْمَرِيرُ
أُناسٌ لا يَزالُ لِمُجْتَدِيهِمْ ... عَلَيْهِمْ مِنْ مَكارِمِهِمْ ظَهِيرُ
هُمُ ٱنْتَجَبُوا[1] مِنَ ٱلْحَسَبِ ٱلْمُزَكَّى[2] ... كَما قُدَّتْ مِنَ ٱلأَدَمِ ٱلسُّيُورُ
وَهُمْ فَكُّوا مِنَ ٱلإِخْفاقِ ظَنِّي ... بِطَوْلِهِمُ كَما فُكَّ ٱلأَسِيرُ
وَقامَ بِنَصْرِ[3] آمالِي نَداهُمْ ... أَلا إِنَّ ٱلنَّدَى نِعْمَ ٱلنَّصِيرُ
فَإِنْ لَمْ أَحْبُهُمْ وُدِّي وَحَمْدِي ... فَلا طَرَدَ ٱلْهُمُومَ بِيَ ٱلسُّرُورُ
وَقُلْتُ شَبِيهُ جُودِهِمُ ٱلْغَوادِي ... إِذا هَطَلَتْ وَمِثْلُهُمُ ٱلْبُدُورُ

* * *

(١) انتخبوا (ك ، ت) .
(٢) المصفّى (ت) .
(٣) بيوم آمالي . . . (ك) .

٣٤

وقال يرثي الأمير مختار الدولة بن بزال [١] وقد توفي بطرابلس (سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة [٢]) :

لَقَدْ جاوَزَتْ فِيكَ مِقْدارَها ... خُطُوبٌ قَضَتْ مِنْكَ أَوْطارَها
وَكَيْفَ تَرَقَّتْ إِلىٰ مُهْجَةٍ ... يَوَدُّ ٱلرَّدىٰ لَوْ غَدا جارَها
سَمَتْ هِمَّةُ ٱلْخَطْبِ حَتّىٰ إِلَيْكَ ... لَقَدْ عَظَّمَ ٱلدَّهْرُ أَخْطارَها
وَمَنْ ذا ٱلَّذي يَأْمَنُ ٱلنّائِباتِ ... وَقَدْ أَنْشَبَتْ فِيكَ أَظْفارَها [٣]
سَماحُكَ أَثْكَلَها صَرْفَها ... فَجاءَتْكَ طالِبَةً ثارَها
سَتَبْكِيكَ ما عُمِّرَتْ دَوْلَةٌ ... دَعَتْكَ ٱلْمَكارِمُ مُخْتارَها
فَمَنْ لِحِماها إِذا ما ٱلْعَدُوُّ ... أَمَّتْ كَتائِبُهُ دارَها
وَمَنْ يَشْهَدُ ٱلْحَرْبَ غَيْرُ ٱلْجَبانِ ... إِذا ٱلْخَوْفُ غَيَّبَ أَنْصارَها
وَمَنْ يَجْعَلُ ٱلسَّيْفَ مِنْ دُونِها ... حِجاباً يُمِيطُ بِهِ عارَها
وَمَنْ ذا يُكَثِّرُ حُسّادَها ... وَمَنْ ذا يُقَلِّلُ أَنْظارَها

(١) نزال (ك، م، ت) .
(٢) ما بين القوسين من (ت، ي) .
(٣) هذا البيت ساقط من (س) .

وَمَنْ لِلْأُمُورِ إِذا أُورِدَتْ فَلَمْ يَمْلِكِ ٱلْقَوْمُ إِصْدارَها
وَمَنْ ذا يُطِيلُ قِراعَ ٱلْخُطُو بِ حَتّىٰ يُقَصِّرَ أَعْمارَها
سَقىٰ ٱللّٰهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَراكَ حَياءَ ٱلسَّماءِ وَأَمْطارَها
تَوَلّىٰ كَما أَقْلَعَتْ دِيمَةٌ وَأَوْدَعَتِ ٱلْأَرْضَ آثارَها
مَضَتْ وَٱقْتَضَتْ شُكْرَ آلائِها نَسِيمَ ٱلرِّياضِ وَنُوّارَها
خَلائِقُ إِنْ بانَ مِنْها ٱلْعِيانُ رَوَتْنا (١) ٱلصَّنائِعُ أَخْبارَها
أَرىٰ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ (٢) ٱلْحادِثاتِ لَنا وَقْعَةً نَصْطَلِي نارَها
فَيالَيْتَ شِعْرِي — وَمانَفْعُ لَيْتَ — مَتىٰ تَضَعُ ٱلْحَرْبُ أَوْزارَها (٣)
وَحَتّامَ ذِمَّةُ هٰذِي ٱلْجُسُو مِ لا يَرْهَبُ ٱلْمَوْتُ إِخْفارَها
تُفِيتُ ٱلْمَقادِيرُ أَرْواحَها وَتُبْلِي عَلَى ٱلدَّهْرِ أَبْشارَها (٤)
هَرَبْنا بِأَنْفُسِنا وَٱلْقَضا ءُ يَسْبِقُ بِٱلْمَشْيِ إِحْضارَها
وَما ٱعْتَرَفَتْ أَنْفُسٌ بِٱلْحِما مِ لَوْ كانَ يَقْبَلُ إِنْكارَها

(١) روتها . . . (س ، م ، ع) ، ولعلها : أرتنا .
(٢) مع الحادثات (س ، ظ ، ي ، ت) ،
(٣) لم يرد هذا البيت في (س) ،
(٤) لم يرد هذا البيت في (س ، ظ) .

إذا أَقْبَلَتْ بِأَلْفَتى عِيشَةٌ تَوَقَّعَ بِالْمَوْتِ إِدْبارَها
وَكَيْفَ يُحاوِلُ صَفْوَ الْحَيا ةِ مَنْ لَيْسَ يُمْنَحُ[1] أَكْدارَها
وَما عُمْرُ مَنْ أَدْرَكَتْهُ الْوَفا ةُ إِلاَّ كَمَرْحَلَةٍ سارَها

* * *

٣٥

وقال يرثي الأمير أبا العطاء رسلان المنقذي بطرابلس :

لَعَمْرُ أَبِي الْعَطاءِ لَئِنْ[2] تَوَلَّى لَنِعْمَ مُعَرَّجُ الرَّكْبِ الطِّلاحِ
وَنِعْمَ أَبُو الضُّيُوفِ إِذا أَطاحَتْ بُيُوتَ الْحَيِّ عاصِفَةُ الرِّياحِ
وَنِعْمَ الْمُوضِحُ الْعَمْياءِ رَأْياً وَقَدْ كَثُرَ التَّمادي وَالتَّلاحِي
وَنِعْمَ مُفَرِّجُ الْغَمَراتِ عَزَّتْ عَلَى سَوْمِ الأَسِنَّةِ وَالصِّفاحِ[3]
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أُهْدِي رِثائِي إِلَيْكَ بِغِبِّ شُكْرِي وَامْتِداحِي
وَكُنْتُ إِذا أَتَيْتُكَ مُسْتَمِيحاً لِمَكْرُمَةٍ نَزَلْتَ عَلَى اقْتِراحِي
سَأَبْكِي وَالْقَوافِي مُسْعِداتِي[4] بِنَدْبٍ مِنْ ثَنائِكَ أَوْ مَناحِ

---

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب (يمنع) .
(٢) وإن (س) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٤) مسعدات (م ، ت) .

إِذا ما خانَنِي دَمْعٌ بَلِيدٌ بَكَيْتُ بِأَدْمُعِ ٱلشِّعْرِ ٱلْفِصاحِ
جَزاءً عَنْ جَمِيلٍ مِنْكَ والَتْ يَداكَ بِهِ ٱدِّراعِي وَٱتِّشاحِي
فَلا بَرِحَتْ تَجُودُكَ كُلَّ يَوْمٍ مَدامِعُ مُزْنَةٍ ذاتُ ٱنْسِفاحِ
تَرُوحُ بِها فُرُوعُ ٱلرَّوْضِ سَكْرى تَمِيدُ كَأَنَّما مُطِرَتْ بِراحِ
إِلى أَنْ يَغْتَدِي(١) وَكَأَنَّ فِيهِ(٢) مَخايِلَ مِنْ خَلائِقِكَ ٱلسِّجاحِ

٣٦

وقال وهو في طرابلس :

إِذا ما ٱرْتاحَ لِلرّاحِ ٱلنَّدامى وَهَيَّجَتِ ٱبْنَةُ ٱلْكَرْمِ ٱلْكِراما
وَقامَ يُدِيرُها صَهْباءَ صِرْفاً تُمِيتُ ٱلْهَمَّ(٣) أَوْ تُحْيِي ٱلْغَراما
تُرِيكَ فَمَ ٱلنَّدِيمِ إِذا حَساها كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ لِثاما
وَطافَ(٤) بِها أَغَنُّ يَبِيتُ صَبّاً مُحاوِلُهُ وَيُصْبِحُ مُسْتَهاما

---

(١) تغتدي (ك) .
(٢) فيها (ك ، م) .
(٣) الفم (ك) .
(٤) وطاب بها أغن تبيت صباً يحاوله وتصبح مستهاما (ك).

تَرىٰ في قُرْبِهِ مِنكَ ٱزْوِراراً وَفي إِعْراضِهِ عَنْكَ ٱبْتِساما
فَلا تَكُ كَٱلَّذي إِنْ جِئْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ ٱلْوَجْدَ(١) أَوْسَعَني مَلاما
يَمُرُّ مَعَ ٱلْغَوايَةِ كَيْفَ(٢) شاءَتْ وَيَعْذِلُ في تَطَرُّفِها(٣) ٱلأَناما

٣٧

وقال وقد حضر الماوردية مع صديق له، وبها صبي بديع الجمال، قد احمرت وجنتاه من النار، فسأله صديقه أن يعمل في ذلك شيئاً، فقال مرتجلاً:

يا مُوقِدَ ٱلنّارِ ٱلَّذي لَمْ يَأْلُ(٤) في ٱسْـ ـتِخْراجِ ماءِ ٱلْوَرْدِ غايَةَ جَهْدِهِ
أَوَما تَرىٰ ٱلْقَمَرَ ٱلْمُحَرِّقَ ظالِماً قَلْبي بِنارٍ مِنْ جَفاهُ وَبُعْدِهِ
أُنْظُرْ إِلَيْهِ تَضَرَّجَتْ(٥) وَجَناتُهُ خَجَلاً وَقَدْ عاتَبْتُهُ في صَدِّهِ
إِنْ تَخْبُ نارُكَ فَٱقْتَبِسْ مِنْ مُهْجَتي أَوْ يَفْنَ وَرْدُكَ فَٱقْتَطِفْ مِنْ خَدِّهِ

* * *

(١) الدهر (ت).
(٢) حيث شاءت (م).
(٣) تطربها (ت).
(٤) لم يألف استخراج ... (ظ).
(٥) توردت (ن).

٣٨

وكتب إلى صديق له ، يعاتبه في تأخر حاجة سأله إياها :

أَبا أَحْمَدٍ كَيْفَ ٱسْتَجَزْتَ جَفائِي ... وَكَيْفَ أُضِيعَتْ خُلَّتِي وَإِخائِي[1]
وَهَبْنِي حُرِمْتُ ٱلْجُودَ عِنْدَ طِلابِهِ ... فَكَيْفَ حُرِمْتُ ٱلْبِشْرَ عِنْدَ لِقائِي
نَأَيْتَ عَلَى قُرْبٍ مِنَ ٱلدَّارِ بَيْنَنا ... وَكُلُّ قَرِيبٍ لا يَوَدُّكَ نائِي
كَأَنَّكَ لَمْ تُصْمِ ٱلْحَسُودَ بِمَنْطِقِي ... وَلَمْ تُلْبِسِ ٱلْأَيَّامَ ثَوْبَ ثَنائِي
لَئِنْ كانَ عُزِّي قَبْلَها عَنْ مَوَدَّةٍ ... صَدِيقٌ لَقَدْ حُقَّ ٱلْغَداةَ عَزائِي
وَفِي أَيِّ مَأْمُولٍ يَصِحُّ لِآمِلٍ ... رَجاءٌ إِذا ما ٱعْتَلَّ فِيكَ رَجائِي
أُعِيذُكَ بِٱلنَّفْسِ ٱلْكَرِيمَةِ أَنْ تُرَىٰ ... مُخِلًّا بِفَرْضِ ٱلْجُودِ فِي ٱلْكُرَماءِ
وَبِٱلْخُلُقِ ٱلسَّهْلِ ٱلَّذِي لَوْ سَقَيْتَهُ ... غَلِيلَ ٱلثَّرَىٰ لَمْ يَرْضَ بَعْدُ بِماءِ
فَلا تَزْهَدَنْ فِي صالِحِ ٱلذِّكْرِ إِنَّما ... يَلِيقُ رِداءُ ٱلْفَضْلِ بِٱلْفُضَلاءِ
فَلَيْسَ بِمَحْظُوظٍ مِنَ ٱلْحَمْدِ مَنْ غَدا ... وَلَيْسَ لَهُ حَظٌّ مِنَ ٱلشُّعَراءِ

* * *

(١) ووفائي (ت) .

٣٩

وكتب إلى القاضي أبي الفضل بن أبي الدوح ، وكان قد أمر القاضي جلال الملك أن يفرق على أهل دار العلم ذهباً ، فلم يصله منه شيء ، وكان ابن أبي الدوح متولياً دار العلم ، فأعطاه من ماله لما كتب له هذه الأبيات :

أبا ٱلْفضلِ كيْفَ تناسَيْتَني ... وَما كُنْتَ تَعْدِلُ نَهْجَ[1] ٱلرَّشادِ
فَأَوْرَدْتَ قَوْماً رِواءَ ٱلصُّدُورِ ... وَحَلَّأْتَ مِثْلي وَإِنِّي لَصادِ
لَقَدْ أَيْأَسْتَني مِنْ وُدِّكَ ٱلْـ ... ـحَقيقَةُ إِنْ كانَ ذا بِٱعْتِمادِ
مَنَحْتُكَ قَلْبي وَعانَدْتُ فِيـ ... ـكَ مَنْ لا يَهُونُ عَلَيْهِ عِنادي
أَظَلُّ نَهارِيَ وَٱلْحاسِدُوكَ[2] ... كَأَنِّي وَإِيّاهُمُ في جِهادِ
وَيُجْدِبُ ظَنِّيَ فِيمَنْ أَوَدُّ ... وَظَنِّيَ فيكَ خَصيبُ ٱلْمَرادِ
إِلىٰ أَنْ رَأَيْتُ جَفاءً يَدُ ... لُّ أَنَّ ٱعْتِقادَكَ غَيْرُ ٱعْتِقادي
فَيالَيْتَني لَمْ أَكُنْ قَبْلَها ... شَغَفْتُ[3] بِحُبِّكَ يَوْماً فُؤادي
فَإِنَّ ٱلْقَطيعَةَ أَشْهىٰ إِلَيَّ ... إِذا أَنا لَمْ أَنْتَفِعْ بِٱلْوِدادِ

---

(١) طرق (ت) .
(٢) والحاسدون (ك) .
(٣) شعفت (ك ، س ، ع) .

بَلَوْتُ ٱلْأَنامَ فَما إِنْ رَأَيْتُ   خَلِيلاً يَصِحُّ مَعَ[1] ٱلْانْتِقادِ
وَلَوْلا شَماتَةُ مَنْ لامَنِي   عَلَى بَثِّ شُكْرِكَ فِي كُلِّ نادِ
وَقَوْلُهُمُ وَدَّ غَيْرَ ٱلْوَدُودِ   فَجُوزِي عَلَى قُرْبِهِ بِٱلْبِعادِ
لَما كُنْتُ مِنْ بَعْدِ نَيْلِ ٱلصَّفاءِ   لِأَرْغَبَ فِي ٱلنَّائِلِ ٱلْمُسْتَفادِ[2]
وَما بِيَ أَنْ يَرْدَعَ ٱلشَّامِتِينَ   وِصالُكَ بِرِّي وَحُسْنَ ٱعْتِقادِي
وَلٰكِنْ لِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّنِي   شَكَرْتُ حَقِيقاً بِشُكْرِ ٱلْأَيادِي
وَلَمْ أَمْنَحِ ٱلْحَمْدَ إِلاَّ ٱمْرَأً   أَحَقَّ بِهِ مِنْ جَمِيعِ ٱلْعِبادِ
وَما كُنْتُ لَوْ لَمْ أَعُمْ فِي نَداكَ   لِأُثْنِي عَلَى ٱلرَّوْضِ قَبْلَ ٱرْتِيادِي
وَأَنَّكَ أَهْلٌ لِأَنْ تَقْتَنِي   ثَنائِيَ قَبْلَ ٱقْتِناءِ ٱلْعَتادِ
فَلا يُحْفِظَنَّكَ أَنِّي عَتَبْتُ   فَتَمْنَعَنِي[3] مِنْ بُلُوغِ ٱلْمُرادِ
فَإِنَّ ٱلْبِلادَ إِذا أَجْدَبَتْ   فَما تَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ ٱلْعِهادِ[4]
إِذا ما تَجافَى ٱلْكِرامُ ٱلشِّدا   دُ عَنَّا[5] فَمَنْ لِلْخُطُوبِ ٱلشِّدادِ

* * *

(١) على الانتقاد (هامش ك) .
(٢) المستراد (ي) .
(٣) فيمنعني (س ، ظ ، ي ، م ، ع) .
(٤) العِهاد : جمع العَهْد وهو أول المطر .
(٥) عني (ت) .

٤٠

وقال وقد سئل أن يعمل شعراً يكتب على قائم سيف (١) :

أنا وَٱلنَّدىٰ سَيْفانِ في يَدِ ماجِدٍ نَصَرَ (٢) ٱلْمَكارِمْ
هذا يَفُلُّ (٣) بِهِ ٱلْخُطُو بَ وَذا يَقُدُّ (٣) بِهِ ٱلْجَماجِمْ

٤١

وقال يعاتب صديقاً له، وهو أبو القاسم بن عبد الرزاق :

رأيتُكَ لَمّا شِمْتُ بَرْقَكَ خُلَّباً (٤) وَما أَرَبِي في عارِضٍ لَيْسَ يُمْطِرُ (٥)
فَأَخْطَأَني مِنْكَ (٦) ٱلَّذي كُنْتُ أَرْتَجِي وَأَدْرَكَني مِنْكَ ٱلَّذي كُنْتُ أَحْذَرُ
وَما ذاكَ عَنْ عُذْرٍ فَأَسْلُوهُ مَطْلَباً تَعَذَّرَ لٰكِنْ حَظِّيَ ٱلْمُتَعَذِّرُ

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٢) نضر المكارم (ت) .
(٣) تُفَلُّ به .... تُقَدُّ به .... (س ، ظ ، م ، ع) .
(٤) في جميع النسخ (مخلباً) إلا في (ت) وقد اخترنا روايتها .
(٥) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٦) فيك (ت) .

وَكَمْ مانِعٍ رِفْداً وَما كانَ مانِعاً ... وَلٰكِنْ أَبىٰ ذاكَ ٱلْقَضاءُ ٱلْمُقَدَّرُ
وَقَدْ كانَ فِيما بَيْنَنا مِنْ مَوَدَّةٍ ... وَمَعْرِفَةٍ مَعْرُوفُها لَيْسَ يُنْكَرُ
مِنَ ٱلْحَقِّ ما يَقْضِي عَلَيْكَ بِأَنْ أُرىٰ ... لَدَيْكَ وَحَظِّي مِنْ نَوالِكَ أَوْفَرُ
وَما هِيَ إِلاَّ حُرْمَةٌ لَوْ رَعَيْتَها ... رَعَيْتَ فَتًى عَنْ شُكْرِها لا يُقَصِّرُ
كَرِيماً مَتىٰ عاطَيْتَهُ كَأْسَ عِشْرَةٍ ... تَعَلَّمْتَ مِنْ أَخْلاقِهِ كَيْفَ يُشْكَرُ(١)

٤٢

وقال فيه أيضاً(٢) :

وَيَعْتادُنِي ذِكْراكَ في كُلِّ حالَةٍ ... فَتَشْتَفُّنِي حَتّىٰ تُهَيِّجَ وَسْواسِي
وَأَشْتاقُكُمْ وَٱلْيَأْسُ بَيْنَ جَوانِحِي ... وَأَبْرَحُ شَوْقٍ ما أَقامَ مَعَ(٣) ٱلْياسِ
وَلَوْلا ٱلرَّدىٰ ما كانَ بِٱلْعَيْشِ وَصْمَةٌ ... وَلَوْلا ٱلنَّوىٰ ما كانَ بِٱلْحُبِّ مِنْ باسِ

* * *

---

(١) كيف تشكر (ن) .
(٢) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٣) على (ن) .

٤٣

وقال بديهاً ، وقد سئل أن يصف غدير ماء قد شعشعته الشمس[١] :

أَوَ ما تَرَىٰ قَلَقَ ٱلْغَدِيرِ كَأَنَّما   يَبْدُو لِعَيْنِكَ مِنْهُ حَلْيُ مَنَاطِقِ[٢]
مُتَرَقْرِقٌ لَعِبَ ٱلشُّعَاعُ بِمَائِهِ   فَارْتَجَّ يَخْفُقُ مِثْلَ قَلْبِ ٱلْعَاشِقِ
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ رَاعَكَ لَمْعُهُ   وَعَلَتْ طَرْفَكَ مِنْ[٣] سَرَابٍ[٤] صَادِقِ

٤٤

وقال :

أَلا يا مُحْرِقِي بِٱلنَّارِ مَهْلاً   كَفَانِي[٥] نارُ حُبِّكَ وَٱشْتِيَاقِي
فَما تَرَكَتْ وَحَقِّكَ فِي فُؤَادِي   وَلا جَسَدِي مَكَاناً لِٱحْتِرَاقِ
فَها أَنَا مَاثِلٌ كَرَمَادِ[٦] عُودٍ   مَضَىٰ مَحْصُولُهُ وَٱلشَّخْصُ[٧] باقِ

(١) وقال يصف غديراً رمت الشمس عليه شعاعها (م ، ع) .
(٢) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٣) في (ن) .
(٤) شراب (ظ ، م ، ع ، ت) .
(٥) كفى بي (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ك ، ن)
(٦) كدخان عود (ك) .
(٧) والشوق باق (م) .

فَلَوْ واصَلْتَني يَوْماً لَأَوْدى ... بِجِسْمي مَسُّ جِسْمِكَ بِالْعِناقِ [١]

تُحَرِّقُني بِنــارِكَ مُؤْذِناً لي ... بِما أَنا فيكَ يَوْمَ الْبَيْنِ لاقِ

وَنيرانُ الصَّبابَةِ بالِغاتٌ ... مُرادَكَ فِيَّ مِنْ قَبْلِ الْفِراقِ [٢]

٤٥

وقال أيضاً :

أَمُعَذِّبي بِالنّارِ سَلْ [٣] بِجَوانِحي ... عِنْدي مِنَ الزَّفَراتِ ما يَكْفيني

لا تَبْغِ إِحْراقي فَإِنَّ مَدامِعي ... تُغْري بِنارِكَ ماءَها فَيَقيني

لَوْلا بَوادِرُها الْغِزارُ لَأَوْشَكَتْ ... وَهَواكَ نارُ هَواكَ أَنْ تُرْديني

كَمْ وَقْعَةٍ لِلشَّوْقِ شُبَّ ضِرامُها ... فَلَقيتُ [٤] فيها أَضْلُعي بِجُفوني

* * *

(١) في العناق (ت) . وهذا البيت والذي بعده لم يردا في (م ، ع) .
(٢) التلاقي (ت) .
(٣) بل (ن) .
(٤) كذا في جميع النسخ ، ولكن في هامش (ن) : لعله (فَوَقَيْتُ) .

٤٦

وقال أيضاً :

يا مُؤْذِياً بِالنّارِ جِسْمَ(١) مُحِبِّهِ ... نارُ الجوى أحرى بأنْ تُؤْذِيهِ
وَلِحَرِّها بَرْدٌ عَلَى كَبِدي إِذا ... أَيْقَنْتُ أَنَّ تَحَرُّقِي يُرْضِيهِ
عَذِّبْ بِها جَسَدِي(٢) فَداكَ مُعَذَّباً ... وَاحْذَرْ(٣) عَلَى قَلْبِي فَإِنَّكَ فِيهِ

٤٧

وقال ، وقد تعذرت مطالبه في بعض السنين ، بطرابلس :

يا لَيْتَ أَنَّ يَدِي شَلَّتْ وَلَمْ يَرَنِي ... خَلْقٌ أَمُدُّ إِلَيْهِ بِالسُّؤالِ يَدا(٤)
وَلَيْتَ سُقْمِي الَّذِي فِي الْحالِ مِنْ عَدَمِي ... أَحَلَّهُ الدَّهْرُ مِنِّي الرُّوحَ وَالْجَسَدا
بَلْ لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ خَلْقاً وَإِذْ قَسَمَ الْـ ... ـحَياةَ قاسِمُها لي قَصَّرَ الْأَمَدا
فَالْمَوْتُ أَرْوَحُ(٥) مِنْ عَيْشٍ مُنِيتُ بِهِ ... وَلَمْ يَعِشْ مَنْ تَقَضَّى عَيْشُهُ نَكَدا

* * *

(١) وجه محبه (م) .
(٢) جسمي (ك) .
(٣) وتجافَ عن قلبي (ت ، ن) .
(٤) لم ترد هذه الأبيات الأربعة في (ك) .
(٥) أيسر (ن) .

٤٨

وقال أيضاً في مثله :

أَلا فتىً مِنْ صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ يَحْمِيني ... أَلا كَرِيمٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ يُعْدِينِي
مَضى ٱلْكِرامُ وَقَدْ(١) خُلِّفْتُ بَعْدَهُمُ ... أَشْكُو ٱلزَّمانَ إِلىٰ مَنْ لَيْسَ يُشْكِينِي
كَمْ أَسْتَفِيدُ أَخاً بَرّاً فَيُعْجِزُني ... وَأَبْتَغِي ماجِداً مَحْضاً فَيُعْيِينِي(٢)
أَرْجُو ٱلسَّماحَةَ مِمَّنْ لَيْسَ يُسْعِفُنِي ... وَأَبْتَغِي ٱلرِّفْدَ(٣) مِمَّنْ لا يُواسِينِي
لَوْ كُنْتُ أَقْدِرُ وَٱلْأَقْدارُ غالِبَةٌ ... لَبِعْتُ فَضْلِي بِحَظٍّ غَيْرَ مَغْبُونِ
لَوْ كانَ فِي ٱلْفَضْلِ مِنْ خَيْرٍ لِصاحِبِهِ ... لَكانَ فَضْلِيَ عَنْ ذِي ٱلنَّقْصِ يُغْنِينِي
يا هٰذِهِ قَدْ أَصابَ(٤) ٱلدَّهْرُ حاجَتَهُ ... مِنِّي فَحَتّامَ لا يَنْفَكُّ يَرْمِينِي
إِنْ كانَ يَجْهَدُ أَنْ أَصْلىٰ نَوائِبَهُ ... جَمْعاً فَواحِدَةٌ مِنْهُنَّ تَكْفِينِي
كَأَنَّهُ لَيْسَ يَغْدُو مُرْسِلاً يَدَهُ ... بِكُلِّ نافِذَةٍ إِلّا لِيُصْمِينِي
سَلَوْتُ لا مَلَلاً عَمَّنْ كَلِفْتُ بِهِ ... وَمِثْلُ ما نالَ مِنِّي ٱلدَّهْرُ يُسْلِينِي
ما كُنْتُ أَرْضىٰ ٱلْهَوىٰ وَٱلْوَجْدُ يُنْحِلُنِي ... حَتّىٰ بُلِيتُ فَصارَ ٱلْهَمُّ يُنْضِينِي
مَنْ كانَ ذا أُسْوَةٍ فِيمَنْ بِهِ حَزَنٌ ... فَٱلْيَوْمَ بِي يَتَأَسّىٰ كُلُّ مَحْزُونِ

* * *

(١) فقد (س ، ك ، ظ ، ت) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٣) النيل (هامش ظ) .
(٤) أماتَ (ك) .

٤٩

وقال أيضاً :

نَفَضْتُ يَدِي مِنَ ٱلْآمالِ لَمّا رَأَيْتُ زِمامَها بِيَدِ ٱلْقَضاءِ (١)
وَما تَنْفَكُّ مَعْرِفَتِي بِحَظِّي تُرِينِي ٱلْيَأْسَ فِي نَفْسِ ٱلرَّجاءِ

* * *

٥٠

وكتب إلى الشريف أبي (٢) المجد بن أبي الجن ، يستهديه مسكاً ، بطرابلس :

أَبا ٱلْمَجْدِ كَمْ لَكَ مِنْ طالِبٍ يَرَىٰ بِكَ أَفْضَلَ مَطْلُوبِهِ (٣)
سَأَلْتُكَ مِسْكاً وَوَجْدِي بِهِ كَوَجْدِ ٱلْمُحِبِّ بِمَحْبُوبِهِ
وَلَوْ قَدْ ذَكَرْتُكَ فِي مَحْفِلٍ غَنِيتُ بِذِكْرِكَ عَنْ طِيبِهِ
وَذِكْرِي لِمِثْلِكَ نِعْمَ ٱلْبَدِيلُ إِذا ضَنَّ غَيْرُكَ عَنِّي بِهِ (٤)

* * *

(١) هذا البيت والذي بعده لم يردا في (ك) .

(٢) لعله القاضي اسماعيل بن إبراهيم ، انظر (ذيل تاريخ دمشق) لابن القلانسي ، ص ١٦٥ .

(٣) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .

(٤) لم يرد هذا البيت في (ي) .

٥١

وقال فيه أيضاً (١) :

تَحَرَّاني (٢) ٱلزمانُ بِكُلِّ خَطْبٍ وَعانَدَني ٱلْقَضاءُ بِغَيْرِ ذَنْبِ
كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ يُحْزِنُهُ سُرُورِي أَوِ ٱلْأَيَّامَ يُظْمِئُهُنَّ شُرْبِي
أَيا زَمَنَ ٱللِّئامِ إِلىٰ مَ حَمْلاً عَلَيَّ وَبَعْضُ ما حُمِّلْتُ حَسْبِي
أَما يَحْظىٰ ٱلْكِرامُ لَدَيْكَ يَوْماً فَأَرْكَبَ فِيكَ عَيْشاً غَيْرَ صَعْبِ
أَعُدْماً وَٱغْتِراباً وَٱكْتِئاباً لَقَدْ أَغْرَيْتَ بِي يا دَهْرُ نَحْبِي
لَعَلَّ فَتىً حَمَيْتُ بِهِ حَياتِي (٣) زَماناً وَٱلْخُطُوبُ يُرِدْنَ نَهْبِي
يُعِينُ كَما أَعانَ فَيَجْتَبِينِي بِنُعْمىٰ طالَما فَرَّجْنَ كَرْبِي
فَيُنْقِذَ مِنْ غِمارِ ٱلْمَوْتِ نَفْسِي وَيُطْلِقَ مِنْ إِسارِ ٱلْهَمِّ قَلْبِي
وَكُنْتُ إِذا عَتَبْتُ عَلَى زَمانٍ أَزالَ سَماحُ نَصْرِ ٱللهِ عَتْبِي
أُؤَمِّلُهُ لِحادِثَةِ ٱللَّيالِي فَأُخْصِبُ وَٱلزَّمانُ زَمانُ جَدْبِ
وَكَيْفَ يَخِيبُ مَنْ أَلْقىٰ عَصاهُ بِساحَةِ مُغْرَمٍ بِٱلْجُودِ صَبِّ

---

(١) لم ترد هذه القصيدة كلها في (ك) .
(٢) تحدّاني ... (س ، ي ، ن) .
(٣) جنابي (س ، ي ، م ، ن) ، جناني (ع) .

وَما يَنْفَكُّ يَنْفَحُ كُلَّ يَوْمٍ نَسِيمُ ٱلْعَيْشِ مِنْ[١] ذاكَ ٱلْمَهَبِّ
يَرُدُّ هُبُوبُهُ كَرَماً وَجُوداً رِياحَ ٱلدَّهْرِ مِنْ سُودٍ وَنُكْبِ
خَلائِقُ مِنْ أَبِي ٱلْمَجْدِ ٱسْتَطالَتْ بِهِمَّةِ فاخِرٍ لِلْمَجْدِ تِرْبِ
حَلَتْ أَعْراقُهُ كَرَماً فَباتَتْ تُتَيِّمُ كُلَّ ذِي أَمَلٍ وَتُصْبِي
مَكارِمُ طالَما رَوَّيْتُ صَدْرِي بِها وَوَرَدْتُ مِنْها كُلَّ عَذْبِ
تَزِيدُ غَزارَةً وَصَفاءَ وِرْدِ عَلَى ما طالَ مِنْ رَشْفِي وَعَبِّي
وَأَلْبَسَنِي صَنائِعَ لا أُبالِي إِذا سالَمْنَنِي مَنْ كانَ حَرْبِي
وَقَفْتُ بِها ٱلثَّناءَ عَلَى كَرِيمٍ يَرَى كَسْبَ ٱلْمَكارِمِ خَيْرَ كَسْبِ
فَتًى لَمْ يُدْعَ لِلْمَعْرُوفِ إِلّا وَنائِلُهُ لِداعِيهِ[٢] ٱلْمُلَبِّي[٣]
فِداؤُكَ كُلُّ مَمْنُوعٍ جَداهُ ضَنِينٍ بَلْ فِداؤُكَ كُلُّ نَدْبِ
فَكَمْ قَرَّبْتَ حَظِّي بَعْدَ نَأْيٍ وَباعَدْتَ ٱلنَّوائِبَ بَعْدَ قُرْبِ
إِذا ما كُنْتَ مِنْ عُشّاقِ حَمْدِي أَدَلَّ[٤] وَزارَ مَجْدَكَ غَيْرَ غِبِّ
وَمِثْلُكَ حَلَّ بَذْلُ ٱلْجُودِ مِنْهُ مَحَلَّ هَوَى ٱلْحَبِيبِ مِنَ ٱلْمُحِبِّ

* * *

(١) في ذاك (س) .
(٢) لسائله (ظ ، ت) .
(٣) يلبي (س ، ي) .
(٤) أذل (ظ ، م ، ع) ، أزل (ت) .

٥٢

وقال :

وَإِنِّي (١) لِلزَّمانِ لَذُو نِضالٍ فَبِي (٢) مِنْ حَدِّ أَسْهُمِهِ كُلُومُ
وَسَلاَّنِي عَنِ ٱلْأَحْبابِ دَهْرٌ يَضِيمُ ٱلْحُرَّ حادِثُهُ ٱلْغَشُومُ
فَقَدْ أَصْبَحْتُ لا تُجْرِي دُمُوعِي ٱلطُّلُولُ وَلا تُهَيِّجُنِي ٱلرُّسُومُ

٥٣

وقال بديهاً ، وقد حضر عند أبي الفضل بن يوسف ، وأحضر شراباً أصفر :

يا حُسْنَها صَفْراءَ ذاتَ تَلَهُّبٍ كَٱلنَّارِ إِلَّا أَنَّها لا تَلْفَحُ
عاطَيْتَنِيها وَٱلْمِزاجُ يَرُوضُها وَكَأَنَّها فِي ٱلْكَأْسِ طِرْفٌ يَجْمَحُ
وَتَضَوَّعَتْ مِسْكِيَّةً فَكَأَنَّها مِنْ نَشْرِ عِرْضِكَ أَوْ ثَنائِكَ تَنْفَحُ

* * *

---

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٢) بنا من ... (ت) .

٥٤

وقال يمدح منير الدولة (١) والي صور، ووفد إليه وأنشده إياها بصور، سنة أربع وثمانين وأربعمائة :

إذا عَزَّ نَفْسِي عَنْ هَواكَ (٢) قُصُورُها فَمِثْلُ ٱلنَّوى يَقْضِي عَلَيَّ يَسِيرُها
وَهَلْ غادَرَ ٱلهِجْرانُ إِلاَّ حُشاشَةً لِنَفْسٍ بِأَدْنى لَوْعَةٍ (٣) يَسْتَطِيرُها (٤)
هَوىً وَنَوىً يُسْتَقْبَحُ ٱلصَّبْرُ فِيهِما وَحَسْبُكَ مِنْ حالٍ يُذَمُّ صَبُورُها
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَماسَكَ مُهْجَتِي وَأَنَّكَ مِنْ جَوْرِ ٱلفِراقِ (٥) مُجِيرُها

(١) منير الدولة الجيوشي ولاه امير الجيوش وزير المستنصر الفاطمي على صور سنة ٤٨٢ ، فعصى بعد مدة على المستنصر وأمير الجيوش، وامتنع بصور، فسيرت العساكر من مصر إليه سنة ٤٨٦ ،وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه، فلما وصل العسكر المصري إلى صور وحصروها وقاتلوها ، ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد، وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع، ونهب من البلد شيء كثير، وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا إلى مصر، وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فأجحفت بهم. ولما وصل منير الدولة إلى مصر ومعه الأسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم .

« ابن الأثير ج ١٠ ص ٦٠ وص ٧٧ »

(٢) هواها (ك) .

(٣) روعة (ك ، ي ، ت ، ن) .

(٤) تستطيرها (س ، ظ ، ي ، م ، ع) .

(٥) الغرام (ك) ، الزمان (ت) .

فَما كانَ إلاّ غِرَّةً ما رَجَوْتُهُ ألا شَرُّ[1] ما أَرْدى ٱلنُّفُوسَ غُرُورُها
وَإنِّي لَرَهْنُ ٱلشَّوْقِ وَٱلشَّمْلُ جامِعٌ فَكَيْفَ إذا حَثَّ ٱلْحُداةَ مَسيرُها[2]
وَما زِلْتُ مِنْ أَسْرِ ٱلْقَطيعَةِ باكِياً فَمَنْ لي غَداةَ ٱلْبَيْنِ أَنِّي أَسيرُها
وَكُنْتُ أَرى أَنَّ ٱلصُّدُودَ مَنِيَّةٌ يَكُونُ مَعَ ٱللَّيْلِ ٱلتَّمامِ حُضُورُها
فَلَمّا قَضى ٱلتَّفْرِيقُ بِالْبُعْدِ بَيْنَنا وَجَدْتُ ٱللَّيالي كانَ حُلْواً مَريرُها
أَعُدُّ سُرُوري أَنْ أَراكَ بِغِبْطَةٍ وَأَنْفَسُ ما يُهْدى لِنَفْسٍ سُرُورُها
كَفى حَزَناً أَنِّي أَبِيتُ مُعَذَّباً بِنارِ هُمُومٍ لَيْسَ يَخْبُو سَعيرُها
وَأَنَّ عَدُوِّي لا يُراعُ وَأَنَّني أَبيتُ سَخِينَ ٱلْعَيْنِ وَهْوَ قَريرُها
تَعافُ ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُرَّ مِنْ وِرْدِ عَيْشِها وَتَكْرَهُ حَتّى يَسْتَمِرَّ[3] مَريرُها
وَلا وَٱلْقَوافي ٱلسّائِراتِ إذا غَلَتْ بِحُكْمِ ٱلنَّدى عِنْدَ ٱلْكِرامِ مُهُورُها
لَئِنْ أَنا لَمْ يَمْنَعْ حِمايَ ٱنْتِصارُها وَيَثْنِي أَذى ٱلْعادينَ عَنِّي نَكيرُها
فَلا ظَلَّ يَوْماً مُصْحِباً لي أَبِيُّها وَلا باتَ لَيْلاً آنِساً بي نَفُورُها
قَطَعْتُ صُدُورَ ٱلْعُمْرِ لَمْ أَدْرِ لَذَّةً وَغَفْلَةَ عَيْشٍ كَيْفَ كانَ مُرُورُها

---

(١) ألا شدّ ... (س ، ك ، ظ ، ي ، ن) .
(٢) أميرها (م) .
(٣) استمرّ مريره : قوي بعد ضعف .

وَلَمّا رَماني ٱلدَّهْرُ عُذْتُ بِدَوْلَةٍ جَلا ٱلْحادِثاتِ ٱلْفادِحاتِ مُنيرُها
وَكَيْفَ يَخافُ ٱلدَّهْرَ رَبُّ مَحامِدٍ غَدا كَرَمُ ٱلْمَنْصُورِ وَهْوَ نَصيرُها
إلى عَضُدِ ٱلْمُلْكِ ٱمْتَطَيْتُ غَرائِباً مُحَرَّمَةً إلّا عَلَيَّ ظُهُورُها
إلىٰ مَلِكٍ تَعْنُو ٱلْمُلُوكُ لِبَأْسِهِ وَيَقْصُرُ يَوْمَ ٱلْفَخْرِ عَنْهُ فَخُورُها
أَعَمِّهُمُ غَيْثاً (١) إذا بَخِلَ ٱلْحَيا وَأَطْعَنِهِمْ وَٱلْخَيْلُ تَدْمىٰ نُحُورُها
إلىٰ حَيْثُ تَلْقىٰ ٱلْجُودَ هَيْناً مَرامُهُ لِباغِيهِ وَٱلْحاجاتِ سَهْلاً (٢) عَسيرُها
لَدىٰ مَلِكٍ ما أَنْفَكَّ مِنْ (٣) مَكْرُماتِهِ مَوارِدُ (٤) يَصْفُو عَذْبُها وَنَميرُها
يَزِيدُ عَلَى غَوْلِ ٱلطُّرُوقِ (٥) صَفاؤُها وَيَنْمي (٦) عَلَى طُولِ ٱلْوُرُودِ غَزيرُها
أَغَرُّ لَوَ أَنَّ ٱلشَّمْسَ يَحْظىٰ جَبينُها بِبَهْجَتِهِ ما كانَ يُكْسَفُ نُورُها
غَنِيُّ ٱلْعُلىٰ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ وَسُؤْدَدٍ وَلٰكِنَّهُ مِنْ كُلِّ مِثْلٍ فَقيرُها
يَعُدُّ ٱلْمَنايا مُسْتَساغاً كَريهُها وَبِيضَ ٱلْعَطايا مُسْتَقَلّاً كَثيرُها
سَقىٰ ٱللّٰهُ أَيّامَ ٱلْمُؤَيَّدِ ما سَقَتْ حَوافِلُ مُزْنٍ لا يُغِبُّ مَطيرُها

---

(١) نيلاً (ت) .
(٢) سَهْلٌ (س ، م) .
(٣) عن (ظ ، م ، ع ، ت) .
(٤) على الناس يصفو . . . (ك) .
(٥) الطريق (ك) .
(٦) ينمو (م ، ع) .

فَما ثَقَلتْ جَرْداءِ سابحَةٌ لَهُ شَبيهاً وَلا وَجْناءِ يَقْلَقُ كُورُها
سَقَى هٰذِهِ ٱلدُّنْيا مِنَ ٱلعَدْلِ رِيُّها فَأَصْبَحَ لا يَخْشَى ٱلذَّواءِ نَضيرُها
وَهَبَّ لَهُ فيها نَسيمُ غَضارَةٍ مِنَ ٱلعَيْشِ حَتّى عادَ بَرْداً هَجيرُها
عَفُوُّ[١] فَما عايَنْتُ زَلَّةَ مُجْرِمٍ لَدَى عَفْوِهِ إِلاّ صَغيراً[٢] كَبيرُها
لَهُ ٱلرَّأْيُ وَٱلْبَأْسُ ٱللَّذانِ تَكَفَّلا لِأَعْدائِهِ أَوْحَى حِمامٍ يُبيرُها
سُيُوفٌ مِنَ ٱلتَّدْبيرِ وَٱلْفَتْكِ لَمْ يَزَلْ[٣] وَمُغْمَدُها في كَفِّهِ وَشَهيرُها
رَأَى أَرْضَ صُورٍ نُهْبَةً[٤] لِمُغالِبٍ يُنازِلُها[٥] يَوْماً وَيَوْماً يُغيرُها
تَدارَكَها وَٱلنَّصْرُ في صَدْرِ سَيْفِهِ أَخُو عَزَماتٍ لا يُخافُ فُتُورُها
هُمامٌ إِذا ما حَلَّ يَوْماً بِبَلْدَةٍ فَخَنْدَقُها حَدُّ ٱلْحُسامِ وَسُورُها
وَسُمْرٌ مِنَ ٱلخَطِّيِّ لا تَرِدُ ٱلْوَغَى فَتَحْطِمَ إِلاّ فِي ٱلصُّدُورِ صُدُورُها
أَرَى أُمَراءَ ٱلْمُلْكِ لِلْفَخْرِ غايَةً وَأَنْتَ إِذا عُدَّ ٱلْفَخارُ أَميرُها
وَما زِلْتَ تَسْمُو لِلْعَلاءِ بِهِمَّةٍ تَقِلُّ لَكَ ٱلدُّنْيا بِها كَيْفَ صُورُها

(١) غفورٌ (ك).
(٢) صغير (ك).
(٣) لم تزل (ك، ت).
(٤) نهبة لثعالب (ك)، بغيةً لمطالب (ن).
(٥) تنازلها يوماً عساه يغيرها (ك).

وأُقسِمُ لَوْ حاوَلْتَ قَدْرَكَ فِي ٱلْعُلَىٰ لَما آثَرَتْ عَنْكَ ٱلسَّماءَ بُدُورُها

وإِنَّ بِلاداً أَنْتَ حائِطُ(١) ثَغْرِها بِسَيْفِكَ قَدْ عَزَّتْ وَعَزَّ نَظِيرُها

سَعْداً لِأَمْلاكٍ(٢) عَلَيْكَ ٱعْتِمادُها وَفَخْراً لِأَيّامٍ إِلَيْكَ مَصِيرُها

لَقَدْ عَطَّرَ(٣) ٱلدُّنْيا ثَناؤُكَ فَٱنْثَنَىٰ بِهِ ذا كَسادٍ مِسْكُها وَعَبِيرُها

تَاهَتْ بِذِكْراهُ ٱلْبِلادُ وَأَهْلُها وَهَبَّتْ بِرَيّاهُ ٱلصَّبا وَدَبُورُها

مَلَأْتَ بِهِ ٱلْآفاقَ طِيباً مَتَىٰ دَعا إِلَىٰ نَشْرِهِ ٱلْآمالَ خَفَّ وَقُورُها

نَجَتْكَ ذا نَفْسٍ يُقَيِّدُها ٱلْجَوَىٰ(٤) وَقَدْ كادَ(٥) حُسْنُ ٱلظَّنِّ فيكَ يُطِيرُها

رَمِيمٍ أُزَجِّيها إِلَيْكَ لَعَلَّهُ يَكُونُ بِنُعْمَىٰ راحَتَيْكَ نُشُورُها

وَلَسْتُ بِشاكٍ مُدَّةَ ٱلْخَطْبِ بَعْدَها وَأَوَّلُ إِفْضائِي إِلَيْكَ أَخِيرُها(٦)

(١) حافظ (ك ، ت) .
(٢) لآمال (ك ، ت) .
(٣) ضوّع (ت) .
(٤) الهوى (ك) .
(٥) وقد كان ... (ك ، ي ، ت) .
(٦) لم يرد هذا البيت فى (ك) .

٥٥

وقال[١] يشكر صديقاً له على جميل أولاه إياه ويستنجزه وعداً ، من الطرابلسيات :

أَبا حَسَنٍ لَئِنْ كانَتْ أَجابَتْ هِباتُكَ مَطْلَبِي قَبْلَ ٱلدُّعاءِ
لَما ضاعَ ٱصْطِناعُكَ فِي كَرِيمٍ مَلِيٍّ حِينَ تَقْرِضُ[٢] بِٱلْجَزاءِ
سَأُثْنِي بِٱلَّذِي أَوْلَيْتَ جَهْدِي وَيُثْنِي السّامِعُونَ عَلَى ثَنائِي
وَكَيْفَ جُحُودُ مَعْرُوفٍ تَوالىٰ فَكانَ مِنَ ٱلْخُطُوبِ[٣] دَواءَ دائِي
أَأَجْحَدُ مِنَّةً بَدَأَتْ وَعادَتْ إِذَنْ فَعَدَلْتُ عَنْ سَنَنِ[٤] ٱلْوَفاءِ[٥]
سَبَقْتَ إِلىٰ جَمِيلِ ٱلصُّنْعِ ظَنِّي وَقَرْطَسَ جُودُ كَفِّكَ فِي رَجائِي
وَكانَ[٦] نَداكَ حِينَ يَسِيرُ[٧] نَحْوِي جَنِيباً[٨] لِلْمَوَدَّةِ وَٱلصَّفاءِ
فَما أَدْرِي أَأَشْكُرُ مِنْكَ قَصْدِي بِجُودِكَ وَٱصْطِناعِكَ أَمْ إِخائِي

---

(١) وله إلى صديق ... (ك) .
(٢) يقرض (ك ، ت ، ن) .
(٣) من الجواد ... (ك) .
(٤) سبل (ن) .
(٥) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٦) فكان ... (ت) .
(٧) يشار (س ، ظ ، م ، ع ، ن) ، يسار (ي) ، أشار (ت) .
(٨) جنيناً (س ، ظ ، م ، ع) ، حبيبا (ت) .

أَبَتْ أَخْلاقُكَ ٱلْغُرُّ ٱللَّواتي أَحَبُّ إِلىٰ ٱلنفُوسِ مِنَ ٱلْبَقاء
وَكَوْنُكَ وَٱلسَّماحُ إِلَيْكَ أَشْهىٰ مِنَ ٱلْماءِ ٱلزُّلالِ إِلىٰ ٱلظِّماء[1]
سِوىٰ كَرَمٍ وَمَعْرُوفٍ وَحِلْمٍ وَضَرْبٍ فِي ٱلتَّكَرُّمِ وَٱلسَّخاء
وَقَدْ أَسَّسْتُ بِٱلْمِيعادِ شُكْرِي وَما بَعْدَ ٱلْأَساسِ سِوىٰ ٱلْبِناء
فَإِنْ تَسْمَحْ يَداكَ فَلا عَجِيبٌ وَمَنْ ذا مُنْكِرٌ قَطْرَ[2] ٱلسَّماء

٥٦

وقال في غرض له[3] :

كَمْ ذا ٱلتَّجَنُّبُ[4] وَٱلتَّجَنِّي كَمْ ذا ٱلتَّحامُلُ وَٱلتَّعَدِّي
أَتَظُنُّنِي لا أَسْتَطِيـعُ أُحِيلُ عَنْكَ ٱلدَّهْرَ وُدِّي
مَنْ ظَنَّ أَنْ لا بُدَّ مِنْـهُ فَإِنَّ مِنْهُ أَلْفَ بُدِّ[5]

. . .

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٢) قدر السماء (ك) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٤) التجمل ؟ (س) .
(٥) المشهور أن (بدّ) لا تستعمل إلا منفية ، واستعمالها في الإثبات مولد .

٥٧

وقال بديهاً وقد قيل : إن الشعر يحتاج إلى طلاوة (١) :

يُحْتاجُ فِي ٱلشِّعْرِ إِلىٰ طَـلاوَهْ وَٱلشِّعْرُ ما لَمْ يَكُ ذا حَلاوَهْ
فَإِنَّما سَماعُهُ شَقاوَهْ

٥٨

وقال أيضاً (٢) :

لَيْتَ ٱلَّذِي قَلْبِي بِهِ مُغْرَمُ يَعْلَمُ مِنْ وَجْدِي كَما أَعْلَمُ
لَعَلَّهُ إِنْ لَمْ يَصِلْ رَغْبَةً يَرِقُّ لِلْمَـكْرُوبِ أَوْ يَرْحَمُ
أَذَلَّنِي حُبُّـكُمُ فِي ٱلْهَوىٰ فَما حَمَتْنِي ذِلَّتِي (٣) مِنْـكُمُ
وَمَذْهَبٌ ما زالَ مُسْتَقْبَحاً فِي ٱلْحَرْبِ أَنْ يُقْتَلَ مُسْتَسْلِمُ

* * *

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك ، ت) .
(٢) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .
(٣) عزتي (ن) .

٥٩

وقال(١) وقد سأله صديق له أن يستهدي له خمراً، وقد حضر عندهما غلام أمرد جميل الوجه(٢) :

أَبْلِغْ أَبا ٱلفَضْلِ ٱلَّذِي شَهِدَتْ   بِٱلْفَضْلِ مِنْهُ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ(٣)
ٱلْعُذْرُ عِنْدَكَ لا يَسُوغُ وَلِي   فِي أَنْ أُطِيلَ عِتابَكَ ٱلْعُذْرُ
أَيَجُوزُ فِي حُكْمِ ٱلْمُرُوَّةِ أَنْ   أَظْما وَدُونَ سَماحِكَ ٱلْبَحْرُ
وَٱلسَّبْتُ مِنْ شَرْطِ ٱلْمُدامِ وَلا   سِيَما وَثَوْبُ زَمانِهِ ٱلْقُرُّ(٤)
وَلَدَيَّ بَدْرٌ لَوْ تَأَمَّلَهُ   يَوْماً لَتاهَ بِحُسْنِهِ ٱلْبَدْرُ(٥)
لا ٱلْبَذْلُ شِيمَتُهُ وَلا لِفَتًى   عَرَفَ ٱلْهَوىٰ عَنْ مِثْلِهِ(٦) صَبْرُ
فِي خُلْقِهِ سَرَسٌ(٧) وَلَيْسَ يُرىٰ   إِلاَّ ٱلتَّمَنُّعُ مِنْهُ وَٱلْهَجْرُ

---

(١) لم ترد هذه القصيدة في (ك).
(٢) ورد في (ي) بعد كلمة الوجه (أبو الفضل الوزان) .
(٣) تسكين الضاد ضرورة .
(٤) الصبر (ت) .
(٥) القدر (م ، ع) .
(٦) عن وجهه (م ، ع) .
(٧) سَرِسَ الرجلُ سَرَساً : ساء خلقه ، أو عقل وحزم بعد جهل. وفي (س ، ت ، ن) شَرَسٌ .

فَابْعَثْ لَنا خَمْراً يُراضُ بِهـا   فَعَسَى يُذَلِّلُ صَعْبَهُ ٱلْخَمْرُ
وَٱلسُّكْرُ[1] قَدْ ضَمِنَ ٱلْوِصالَ لَنا   وَلَكُمْ وَفى بِضَمـانِهِ ٱلسُّكْرُ
سارِعْ إِلى كَرَمٍ يُحـازُ بِهِ ٱلـ   ـشُّكْرُ ٱلْجَميلُ وَيُعْدَمُ ٱلْأَجْرُ

٦٠

وقال يهجو ابن[2] المجلي، وكان يدعي الأدب والشعر، وفتح صيرفياً، وكان متهماً بالبغاء[3] :

صِرْتَ بَيْنَ ٱلصّادَيْنِ يا ٱبْنَ[2] ٱلْمُجَلِّي   بَيْنَ صَفْعٍ يُوهِي قَفـاكَ وَصَرْفِ
بَعْدَ باءَيْنِ مِنْ بُغاءٍ وَبَرْدٍ   حِلْفَ[4] صادَيْنِ فيكَ ضُرٌّ وَضُعْفِ
ثُمَّ شِينَيْنِ شُؤْمِ جَـدٍّ وَشِعْرٍ   لِمَغيضٍ[5] فيهِ يَنابيعُ كُنْفِ
قِرْنَ عَيْنَيْنِ عُدْمِ عَقْلٍ وَمالٍ   وَعَمىً عاجِلٍ بِوَقْعِ ٱلْأَكُفِّ
وَسَتَأْتِي ٱلْفاءانِ فَقْدُكَ بَلْ فَقْـ   ـرُكَ إِثْرَ ٱلْحاءَيْنِ حُرْفٍ[6] وَحَتْفِ

---

(١) فالسكر (ي) .
(٢) ابن المصلي (ت) .
(٣) لم ترد هذه المقطوعة في (ك) .
(٤) خلف (ي ، ت ، ن) .
(٥) كمغيض (ن) .
(٦) الحُرف : الحرمان . وفي (م ، ع) حذف وفي (ن) حرق.

وَإِذا ما ٱلسِّيناتُ حُزْنَكَ[١] يا حُزْ ... نَ ذَوِي ٱلصَّرْفِ قُمْتَ مِنْ غَيْرِ خُلْفِ[٢]

سَفَهٌ فِي سَفَالَةٍ فِي سُقُوطٍ ... دائِمٍ فِي سَوادِ وَجْهٍ وَسُخْفِ

٦١

وقال في جواب كتاب[٣] :

وافى كِتابُكَ أَسْنى[٤] ما يَعُودُ بِهِ ... وَفْدُ ٱلْمَسَرَّةِ مِنِّي إِذْ يُوافِينِي

فَظَلْتُ أَطْوِيهِ مِنْ شَوْقٍ[٥] وَأَنْشُرُهُ ... وَٱلشَّوْقُ يَنْشُرُنِي فِيهِ وَيَطْوِينِي

* * *

(١) جزنك (م) .
(٢) حلف (ي) .
(٣) لم يرد هذا البيتان في (ك) .
(٤) أوفى (ن) .
(٥) من وجدٍ (ي) .

٦٢

وقال [١] يمدح يمين الملك أبا النجم هبة الله [٢] بن محمد بن بديع الاصفهاني

(١) وعاد إلى دمشق فصحب يمين الملك أبا النجم هبة الله بن بديع الاصفهاني ، وهو مستوفي الأعمال للسلطان تاج الدولة ، فوصل معه إلى الري ، وخدمه بهذه القصيدة في سنة سبع وثمانين واربع مابة (ك) .

(٢) أبو النجم هبة الله بن محمد بن بديع الاصفهاني ، كان مستوفي الأعمال لتاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي صاحب دمشق ، وبعد مقتل تاج الدولة بالري سنة ٤٨٨ (ويظهر أنه كان معه) وزر لابنه فخر الملوك رضوان الذي استقل بمملكة حلب ، وبقي في الوزارة مدة . ثم عاد إلى دمشق وتقلبت الأحوال ، وملك دمشق بعد شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة الذي توفي سنة ٤٩٧ ظهير الدين طغتكين أتابكه وعتيق تاج الدولة ، وفي سنة ٥٠١ ذهب هبة الله الاصفهاني سفيراً إلى بغداد مع تاج الملوك بوري بن ظهير الدين وفخر الملك بن عمار مستنجدين بالخليفة والسلطان بركياروق بعد أن اشتد حصار الصليبيين لطرابلس الشام ، وكان هبة الله مدير أمور هذه الرحلة ، وقد اختاره لهذه المهمة ظهير الدين وجعله مشيراً للوفد ، وأصحبه كثيراً من الهدايا والتحف والخيول والثياب . وكان ظهير الدين حريصاً على أن يبقى السلطان راضياً عنه ، لكثرة حساده والساعين به . وعاد هبة الله إلى دمشق على غاية مراد ظهير الدين . وفي سنة ٥٠٢ استوزره ظهير الدين ، ولكن أمر بالقبض عليه في السنة نفسها واعتقاله في القلعة وحمل كل ما كان في داره وقبض أملاكه ، وأقام أياما في الاعتقال ، ثم أمر بخنقه فخنق ورمي في جب بالقلعة ثم أخرج ودفن في المقابر .

(ذيل تاريخ دمشق) لابن القلانسي ، ص ١٦١ وص ١٦٣

وأنشده إياها بالري [١] سنة سبع وثمانين وأربع ماية :

أيَا بَيْنُ ما سُلِّطْتَ إلاّ عَلَى ظُلْمِي ... وَيا حُبُّ ما أَبْقَيْتَ مِنِّيَ سِوى الْوَهْمِ [٢]
فِراقٌ أَتَى فِي إِثْرِ [٣] هَجْرٍ وَما أَذَىً [٤] ... بِأَوْجَعَ مِنْ كَلْمٍ أَصابَ عَلَى كَلْمِ
لَقَدْ كانَ لِي فِي الْوَجْدِ [٥] ما يُقْنِعُ الضَّنَى ... وَفِي الْهَجْرِ [٦] ما يُغْنِى بِهِ الْبَيْنُ عَنْ غَشْمِي [٧]
وَلكِنَّ دَهْراً أَثْخَنَتْنِي جِراحُهُ ... إِذا حَزَّ فِي جِلْدِي أَلَحَّ عَلَى عَظْمِي
وَإِنْ [٨] كُنْتُ مِمَّنْ لا يَذُمُّ سِوَى النَّوَى ... فَإِنَّ الْقِلَى وَالصَّدَّ أَجْدَرُ بِالذَّمِّ
وَما مَنْ رَمَى مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ فَأَقْصَدَتْ ... نَوافِذُهُ كَمَنْ تَعَمَّدَ أَنْ يَرْمِي
فَيا قَلْبُ كَمْ تَشْقَى بِدانٍ وَنازِحٍ ... فَشاكٍ إِلَى خَصْمٍ وَباكٍ عَلَى رَسْمِ [٩]
وَحَتّامَ أَسْتَشْفِي مِنَ النّاسِ مَنْ بِهِ [١٠] ... سَقامِي وَأَسْتَرْوِي [١١] مِنَ الدَّمْعِ ما يُظْمِي

(١) مدينة كانت من أشهر بلاد العجم .
(٢) سوي رسمي (ك)، سوى الرسم (ن) .
(٣) من بعد هجر (ن) .
(٤) وما أرى، (ك ، ت) .
(٥) في الهجر (ك) .
(٦) وفي الوجد (ك)، وفي البين (ت ، ن) .
(٧) عن غمي (ك) .
(٨) فان (ت) .
(٩) لم يرد هذا البيت في (م) .
(١٠) مابه (ظ ، م ، ع) .
(١١) واستسقي (س) .

غَرِيمِي بِدَيْنِ ٱلْحُبِّ هَلْ أَنْتَ مُقْتَضٍ (١) وَهَلْ لِفُؤَادٍ أَتْلَفَ ٱلْحُبُّ (٢) مِنْ غُرْمِ
أَحِنُّ إِلىٰ سُقْمِي لَعَلَّكَ عائِدي وَمِنْ كَلَفٍ أَنِّي أَحِنُّ إِلىٰ ٱلسُّقْمِ
وَبِي مِنْكَ ما يُرْدِي ٱلْجَلِيدَ وَإِنَّما لِحُبِّكَ أَهْوىٰ أَنْ يَزِيدَ وَأَنْ يَنْمِي
وَيالائِمِي (٣) أَنْ باتَ يُزْرِي بِيَ ٱلْهَوىٰ عَلَيَّ سَفاهِي لا عَلَيْكَ وَلِي (٤) حِلْمِي
أَقَلْبُكَ أَمْ قَلْبِي يُصَدَّعُ بِٱلنَّوىٰ وَجِسْمُكَ يَضْنىٰ بِٱلْقَطِيعَةِ أَمْ جِسْمِي
وَلا غَرْوَ أَنْ أَصْبَحْتَ غُفْلاً مِنَ ٱلْهَوىٰ فَأَنْكَرْتَ ما بِي لِلصَّبابَةِ مِنْ وَسْمِ (٥)
نُدُوبٌ بِخَدِّي لِلدُّمُوعِ كَأَنَّها فُلُولٌ بِقَلْبِي مِنْ مُقارَعَةِ ٱلْهَمِّ (٦)
وَعائِبَتِي أَنَّ ٱلْخُطُوبَ بَرَيْنَنِي وَرُبَّ نَحِيفِ ٱلْجِسْمِ ذُو (٧) سُؤْدَدٍ ضَخْمِ

---

(١) منصفي (ت ، ن) .
(٢) البين (ك) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٤) ولاحلمي ؟ (ظ) .
(٥) من رسم (ت) .
(٦) ورد على هامش النسخة المصرية بحذاء هذا البيت ما يأتي: « قال فتى من أهل المدينة في القرن الثاني ، وهو في العقيق، وقد نظر إلى جارية من الاعراب :

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت وقد غادرت جرحاً به وندوبا

فأجابته الجارية :

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجا يشفي السقام قريبا

والندب : الأثر . يعني خدد الدمع في خده خدا ، اهـ » .
(٧) ذي (س ، ك ، ظ ، ي ، ت ، ن) .

رَأَتْ أَثَراً لِلنّائِبـاتِ كَما بَدا ... مِنَ ٱلْعَضْبِ ما أَبْقىٰ بِهِ ٱلضَّرْبُ مِنْ ثَلْمِ
فَلا تُنْكِري ما أَحْدَثَ ٱلدَّهْرُ إِنَّما ... نَوائِبُهُ أَقْرانُ كُلِّ فَتىً قَرْمِ
وَلا بُدَّ مِنْ وَصْلٍ تُسَهِّلُ وَعْرَهُ ... وَغىً تَنْتَمي فيها ٱلسُّيوفُ إِلىٰ عَزْمي
فَرُبَّ (١) مَرامٍ قَدْ تَعاطَيْتُ وِرْدَهُ ... فَما ساغَ لي حَتّىٰ أَمَرَّ لَهُ طَعْمي
وَخَيْلٍ تَمَطَّتْ بي وَلَيْلٍ كَأَنَّهُ ... تَرادُفُ وَفْدِ ٱلْهَمِّ أَوْ زاخِرُ ٱلْيَمِّ
شَقَقْتُ دُجاهُ وَٱلنُّجُومُ كَأَنَّهـا ... قَلائِدُ نَظْمي أَوْ مَساعي أَبي ٱلنَّجْمِ
إِلَيْكَ يَمينَ ٱلْمُلْكِ واصَلْتُ شَدَّها ... مُقَلْقَلَةَ (٢) ٱلْأَعْلاقِ (٣) جائِلَةَ ٱلْحُزْمِ
غَوارِبُ أَحْياناً طَوالِعُ كُلَّما ... هَبَطْنَ فَضا سَهْلٍ عَلَوْنَ مَطا حَزْمِ
تَميلُ بِها ٱلْآمالُ عَنْ كُلِّ مَطْمَعٍ ... دَنِيءٍ وَتَسْمُو لِلطِّلابِ ٱلَّذي يُسْمي
تَزُورُ ٱمْرَأً لا يُجْتَنىٰ ثَمَرُ ٱلْغِنىٰ ... بِمِثْلِ نَداهُ ٱلْغَمْرِ وَٱلنّائِلِ ٱلْجَمِّ
مَتىٰ جِئْتَهُ وَٱلْمُعْتَفُونَ بِبابِهِ ... شَهِدْتَ بِنُعْمىٰ كَفِّهِ مَصْرَعَ ٱلْعُدْمِ
إِلىٰ مُسْتَبِدٍّ بِٱلْفَضـائِلِ قاسِمٍ ... لِهِمَّتِهِ مِنْ نَفْسِهِ أَوْفَرَ ٱلْقِسْمِ

(١) ورب . . . (ك) .
(٢) مفلقة الأعناق (ت) .
(٣) جمع عِلق : وهو بمعنى الجراب . وفي (س ، م) الاغلاق ، وفي (ك) الأعناق .

تُعَدُّ (١) عُــلاهُ مِنْ مَناقِبِ دَهْرِهِ ... كَعَدِّكَ فَضْلَ ٱللَّيْلِ بِٱلْقَمَرِ ٱلتَّمِّ
وَكَرَّمَهُ عَنْ أَنْ يُسَبَّ (٢) بِمِثْلِهِ ٱلزَّ ... مانُ كَمــالٌ زَيَّنَ ٱلْجِدَّ بِٱلْفَهْمِ
وَجُودٌ عَلَى ٱلْعافِي وَذَبٌّ عَنِ ٱلْعُلىٰ ... وَصَدٌّ عَنِ ٱلْواشِي وَصَفْحٌ عَنِ ٱلْجُرْمِ
وَرُتْبَةُ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱلْحَظَّ وَحْدَهُ ... طَرِيقاً إِلىٰ ٱلْعالِي مِنَ ٱلرُّتَبِ ٱلشُّمِّ
تَناوَلَهــا ٱسْتِحْقاقُهُ قَبْلَ حَظِّهِ ... وَحامىٰ عَلَيْها وَٱلْمَقادِرُ (٣) لَمْ تَحْمِ (٤)
وَغَيْرُ بَدِيعٍ مِنْ بَدِيعٍ مُشَيِّدٌ ... لِما شادَهُ وَٱلْفَرْعُ يُنْمىٰ إِلىٰ ٱلْجِذْمِ
سَقىٰ (٥) ٱللهُ عَصْراً حافِظَ ٱبْنَ مُحَمَّدٍ ... عِا في ثُغُورِ (٦) ٱلْغانِياتِ مِنَ ٱلظَّلْمِ (٧)
أَغَرُّ إِذا ما ٱلْخَطْبُ أَغْشىٰ ظَلامُهُ ... تَبَلَّجَ طَلْقَ (٨) ٱلرَّأْيِ فِي ٱلْحادِثِ ٱلْجَهْمِ
تَرِقُّ حَواشِي ٱلدَّهْرِ فِي ظِلِّ مَجْدِهِ (٩) ... وَتَظْرُفُ (١٠) مِنْهُ شِيمَةُ ٱلزَّمَنِ ٱلْفَدْمِ

---

(١) نعد ... (ك) .
(٢) نسب .... (ك) .
(٣) والمقادير (ك ، ي ، ن) .
(٤) ما تحمي (ك) .
(٥) شفى (ك ، ت) .
(٦) صدور ؟ (ك) .
(٧) الظَّلْمُ : ماء الأسنان وبريقها .
(٨) تبلج مثل الصبح في الحادث الجهم (ك) .
(٩) جوده (ن) .
(١٠) وتطرف (ظ ، ي ، ن)، وتطرق (ك) .

وَيَكْبُرُ قَدْراً أَنْ يُرَى مُتَكَبِّراً ... وَيَعْظُمُ مَجْداً أَنْ يَتِيهَ مَعَ العُظْمِ

وَيَكْرُمُ عَدْلاً أَنْ يَمِيلَ بِهِ الهَوَى ... وَيَشْرُفُ نَفْساً أَنْ يَلَذَّ مَعَ الإِثْمِ

وَيُورِدُ عَنْ فَضْلٍ وَيُصْدِرُ عَنْ نُهىً ... وَيَصْمُتُ عَنْ حِلْمٍ وَيَنْطِقُ عَنْ عِلْمِ (١)

بَدِيهَةُ رَأْيٍ فِي رَوِيَّةِ سُؤْدَدٍ ... وَإِقْدَامُ عَزْمٍ فِي تَأَيُّدِ ذِي حَزْمِ

خَلائِقُ إِنْ تَحْوِ الثَّنَاءَ بِأَسْرِهِ ... فَمَا الفَخْرُ إِلاَّ نُهْبَةُ (٢) الشَّرَفِ الفَخْمِ

أَبَرَّ عَلَى الأَقْوَامِ مِنْ شَيْبَةِ الحَيَا ... وَأَشْهَرُ فِي الأَيَّامِ مِنْ شَيْبَةِ الدُّهْمِ

أَضَاءَتْ بِكَ الأَوْقَاتُ وَالشَّمْسُ لَمْ تُنِرْ ... وَرُوِّضَتِ السَّاحَاتُ وَالغَيْثُ لَمْ يَهْمِ

وَشُدَّتْ أَوَاخِي المُلْكِ مِنْكَ بِأَوْحَدٍ ... بَعِيدِ عُرَى العَقْدِ الوَكِيدِ مِنَ الفَصْمِ

فَتىً لا تُصَافِي طَرْفَهُ لَذَّةُ الكَرَى ... وَلا تَطَّبِي أَجْفَانَهُ خُدَعُ (٣) الحُلْمِ

يُسَهِّدُهُ تَشْيِيدُهُ المَجْدَ (٤) وَالعُلَى ... وَتَفْرِيجُ غَمَّاءِ الحَوَادِثِ وَالغَمِّ

وَغَيْرُ النُّجُومِ الزُّهْرِ يَأْلَفُهَا الكَرَى ... وَيَعْدَمُهَا الإِشْرَاقُ فِي الظُّلَمِ العُتْمِ

لَقَدْ شَرَّفَ الأَقْلامَ مَسُّ أَنَامِلٍ ... بِكَفِّكَ لا تَخْلُو مِنَ الجُودِ وَاللُّثْمِ

---

(١) عن حكم (ك، ت، ن) .

(٢) نخبة ... (ي) .

(٣) جذع (س، ظ، م) .

(٤) الملك والعلى (ك، ت) .

فَكُلُّ نُحُولٍ فِي ٱلظُّبِیٰ حَسَدٌ لَهَا … وَكُلُّ ذُبُولٍ غَيْرَةٌ بِٱلْقَنَا ٱلصُّمِّ
وَكُنْتَ إِذَا طَالَبْتَ أَمْراً مُمَنَّعاً … أَفَدْتَ بِهَا مَا يُعْجِزُ ٱلْحَرْبَ فِي ٱلسِّلْمِ
كَفَيْتَ ٱلْحُسَامَ ٱلْعَضْبَ فَلَّ غِرَارِهِ … وَآمَنْتَ صَدْرَ ٱلسَّمْهَرِيِّ مِنَ ٱلْحَطْمِ
وَجَارَاكَ مَنْ لَا فَضْلَ يُنْجِدُ سَعْيَهُ … وَأَيُّ ٱمْرِىءٍ يَبْغِي ٱلنِّضَالَ بِلَا سَهْمِ
لَكَ ٱلذِّرْوَةُ ٱلْعَلْيَاءُ مِنْ كُلِّ مَفْخَرٍ … سَنِيٍّ وَمَا لِلْحَاسِدِينَ سِوَى ٱلرَّغْمِ
وَكَيْفَ يُرَجِّي نَيْلَ مَجْدِكَ طَالِبٌ … وَبَيْنَهُمَا مَا بَيْنَ عِرْضِكَ وَٱلْوَصْمِ
لَئِنْ أَوْحَدَتْنِي ٱلنَّائِبَاتُ فَإِنَّنِي … لَمِنْ سَيْبِكَ ٱلْفَيَّاضِ فِي عَسْكَرٍ دَهْمِ (١)
وَإِنْ لَمْ أَفِدْ (٢) غُنْماً فَقُرْبُكَ كَافِلٌ … بِأَضْعَافِهِ حَسْبِي لِقَاؤُكَ مِنْ غُنْمِ
هَجَرْتُ إِلَيْكَ ٱلْعَالَمِينَ مَحَبَّةً … وَمِثْلُكَ مَنْ يُبْتَاعُ بِٱلْعُرْبِ وَٱلْعُجْمِ
وَمَا قَلَّ مَنْ تَرْتَاحُ مَدْحِي صِفَاتُهُ … وَلٰكِنْ رَأَيْتُ ٱلدُّرَّ أَلْيَقَ بِٱلنَّظْمِ
أَرَى (٣) نَيْلَ أَقْوَامٍ وَآبَى ٱمْتِنَانَهُمْ … وَلَيْسَ تَفِي لِي لَذَّةُ ٱلشُّهْدِ بِٱلسُّمِّ
هَلْ لَكَ أَنْ تَنْتَاشَنِي بِصَنِيعَةٍ … يَلِينُ بِهَا عُودُ ٱلزَّمَانِ عَلَى عُجْمِي (٤)

(١) الدَّهْمُ : العدد الكثير .
(٢) وإن لم أجد . . . (ك) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ن) .
(٤) على العجم (ت ، ن) ، على عجم (ك) .

تَحُلُّ مَحَلَّ الْماءِ عِنْدِي مِنَ الثَّرىٰ — وَأَشْكُرُها شُكْرَ الرِّياضِ يَدَ الْوَسْمِي
أَقَرَّ ذَوُو الْآدابِ طُرّاً لِمَنْطِقي — وَغَيْرُهُمُ فِيما حَكىٰ كاذِبُ الزَّعْمِ
فَلَسْتُ بِمُحْتاجٍ عَلَى ما ادَّعَيْتُهُ — إِلىٰ شاهِدٍ بَعْدَ اعْتِرافٍ(١) مِنَ الْخَصْمِ
تُطيعُ الْقَوافِي الْآبِياتُ قَرائِحي — وَيَنْزِلُ فِيهِنَّ الْكَلامُ عَلىٰ حُكْمِي(٢)
وَسَيّارَةٍ(٣) بِكْرٍ قَصَرْتُ عِنانَها — فَطالَتْ(٤) بِهِ وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ فِي اللُّجْمِ
نَمىٰ ذِكْرُها قَبْلَ اللِّقاءِ وَإِنَّما — يَسُرُّكَ بَوْحِي(٥) بِالْمَحامِدِ لا كَتْمِي
كَمَخْتُومَةِ الدّارِيِّ(٦) نَمَّ بِفَضْلِها — إِلَيْكَ شَذاها قَبْلَ فَضِّكَ لِلْخَتْمِ
حَدِيثَةُ(٧) عَصْرٍ كُلَّما امْتَدَّ دَهْرُها(٨) — سَما فَخْرُها حَتّىٰ تَطُولَ عَلَى الْقِدَمِ
وَما فَضْلُ بِنْتِ الْكَرْمِ يَوْماً بِبَيِّنٍ — إِذا لَمْ يَطُلْ عَهْداً ابْنَةُ الْكَرْمِ بِالْكَرْمِ

* * *

(١) بعد اعتراف على حكمي (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٣) يريد بالسيارة هنا القصيدة .
(٤) فظلّت به (ك) .
(٥) وحيي (م ، ع) .
(٦) الداري نسبة إلى دارين، وهي فرضة بالبحرين ينسب إليها المسك .
(٧) حديثة عهد كلما امتد ذكره (ت) .
(٨) ذكره (ن) .

٦٣

وكتب إليه، وقد بلغه أنه استجفاه(١) :

أَتانِيَ أَنَّ ٱلْمَجْدَ(٢) عَنِّيَ سائِلٌ   وَأَنَّ ٱلْعُلَى لَمْ يَعْدُنِي فِيكَ عَتْبُها
فَيا فَخْرَ شَخْصٍ حَلَّ سِرَّكَ(٣) ذِكْرُهُ   وَيا سَعْدَ نَفْسٍ سَرَّ مِثْلَكَ قُرْبُها
وَلا عُذْرَ إِلاّ أَنَّ لُبًّا شَدَهْتَهُ   نَوائِبُ مَغْفُورٌ بِجُودِكَ ذَنْبُها
وَما كانَ لِي لَوْلاكَ(٤) بِٱلرَّيِّ مَنْزِلٌ   وَإِنْ شَعَفَتْ(٥) غَيْرِي وَتَيَّمَ حُبُّها
وَما هِيَ إِلاّ كَٱلْبِلادِ وَإِنَّما   بِوَطْئِكَ فَلْيَفْخَرْ عَلَى ٱلْمِسْكِ تُرْبُها

٦٤

وقال وقد شرفه بخلعة وصلة :

لَعَمْرِي لَئِنْ شَرَّفْتَنِي بِصَنِيعَةٍ   وَحَلَّيْتَ مِنِّي بِٱلنَّدَى راحَةً عُطْلا
فَلَمْ يَأْتِ(٦) عِنْدِي غَيْرُ ما أَنْتَ أَهْلُهُ   وَلا عَجَبٌ لِلْغَيْثِ أَنْ رَوَّضَ ٱلْمَحْلا

* * *

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٢) النجم (ن) .
(٣) ذكرك (ي) .
(٤) وما كان لي بالري لولاك منزل (ي ، ن) .
(٥) شغفت (ي) .
(٦) فلم تأتِ . . . (ك ، ي ، ن) .

٦٥

وقال وهو متوجه إلى دمشق من خراسان :

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... يُرَوِّحُنِي بِالْغُوطَتَيْنِ نَسِيمُ (١)
وَهَلْ يَجْمَعَنَّ (٢) الْكَأْسُ شَمْلِي بِفِتْيَةٍ ... عَلَى الْعَيْشِ مِنْهُمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ

٦٦

وقال يهجو مستوفي الري واسمه فخراوَر (٣) :

لَوْلا لِفَخْرَاوَرَ قَوْلَ امْرِئٍ ... فِي عِرْضِهِ عاثَ وَفِي الرِّيشِ (٤) راثْ
يا جَبَلَ اللُّؤْمِ الثَّقِيلَ الَّذِي ... لَيْسَ لَهُ فِي الصَّالِحَاتِ انْبِعاثْ
ما كُنْتَ أَهْلاً لِرَجائِي وَلا ... مِثْلُكَ فِي الْكُرْبَةِ (٥) مَنْ (٦) يُسْتَغاثْ
لٰكِنَّنِي كُنْتُ كَذِي جَوْعَةٍ ... حَلَّتْ لَهُ الْمَيْتَةُ بَعْدَ الثَّلاثْ

* * *

(١) لم يرد هذان البيتان في (ك) .
(٢) كذا في جميع النسخ ولعله : (وهل تجمعنّ ....) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٤) ريش : بالفارسية اللحية .
(٥) القربة (ت) ، الشدة (ن) .
(٦) أن يستغاث (ي) .

٦٧

وكتب إلى أبي النجم (١) بعد عودهما إلى (٢) دمشق (٣) :

تَجافَ عَنِ الْعُفـــاةِ وَلا تَرُعْهُمْ   فَإِنِّي ناصِـحٌ لَكَ يا زَمانُ
أَخافُ نَدىٰ يَمِينِ الْمُلْكِ يَقْضِي   عَلَيْكَ إِذا هَمَتْ تِلْكَ الْبَنـانُ
وَقَدْ عايَنْتَ سَطْوَتَهـا غَداةَ اسْـتَطَلْتَ وَلَيْسَ كَالْخَبَرِ الْعِيانُ

٦٨

وقال يمدح (٤) الأمير أبا الندى حسان بن مسمار بن سنان :

هِيَ الدِّيارُ فَعُجْ فِي رَسْمِها الْعارِي   إِنْ كانَ يُغْنِيكَ تَعْرِيجٌ عَلَى دارِ
إِنْ يَخْلُ طَرْفُكَ مِنْ سُكّانِها فَبِها   ما يَمْلَأُ الْقَلْبَ مِنْ شَوْقٍ وَتَذْكارِ

---

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٤٤) .
(٢) من دمشق ؟ (م ، ت) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٤) وعاد إلى دمشق فمدح الأمير جمال الدولة أبا الندى حسان بن مسمار ابن سنان بعد اتصاله بالأمير مجد الدين عضب الدولة ، ومدحه له تقدم ذكره (ك) . وقال يمدح الأمير جمال الدولة سيف الملك أبا الندى حسان بن مسمار ابن سنان (ي) . وحسان بن مسمار بن عليان أمير الكلبيين كان له قلعة في صرخد (ابن القلانسي ص ١٦٧) .

يا عَمْرُو ما وَقفَةٌ في رَسْمِ (١) مَنْزِلَةٍ أَثارَ شَوْقَكَ فِيهَا مَحْوُ آثارِ
أَنْكَرْتَ فِيها الْهَوى ثُمَّ ٱعْتَرَفْتَ بِهِ وَما ٱعْتِرافُكَ إِلاَّ دَمْعُكَ الْجارِي
تُشْجُو الدِّيارُ وَما يَشْجُو أَخا كَمَدٍ مِنَ الْهَوى مِثْلُ دارٍ ذاتِ إِقْفارِ
يا حَبَّذا مَنْزِلٌ بالسَّفْحِ مِنْ إِضَمٍ وَدِمْنَةٌ بِلِوى خَبْتٍ وَتِعْشارِ (٢)
وَحَبَّذا أُصُلٌ يُمْسِي يَجُرُّ بِهَا ذَيْلُ النَّسِيمِ عَلَى مِيثاءِ (٣) مِعْطارِ
لَوْ كُنْتُ ناسِيَ (٤) عَهْدٍ مِنْ تَقادُمِهِ نَسِيتُ فِيها لُباناتِي (٥) وَأَوْطارِي
أَيَّامَ يَفْتِكُ فِيها غَيْرَ مُرْتَقِبٍ ظَبْيُ الْكِناسِ بِلَيْثِ الْغابَةِ الضَّارِي
يَصْبُو (٦) إِلَيَّ وَيُصْبِي كُلَّ مُنْفَرِدٍ بِالدَّلِّ وَالْحُسْنِ مِنْ بادٍ وَمِنْ قارِ (٧)
لا أُرْسِلُ اللَّحْظَ إِلاَّ كانَ مَوْقِعُهُ (٨) عَلَى شُمُوسٍ مُنِيراتٍ وَأَقْمارِ
ما أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنِّي وَفَدْتُ بِهِ عَلَى شَبابٍ (٩) وَدَهْرٍ غَيْرِ غَدَّارِ

---

(١) في ربع منزلة (ك) .
(٢) إِضَم : وادٍ بجبال تهامة . وخَبْت : بين مكة والمدينة . وتِعشار : موضع بالدهناء .
(٣) الميثاء : الأرض السهلة اللينة الطيبة .
(٤) شاهد عهد ؟ (ت) .
(٥) ليلاتى (ك) .
(٦) يصبي ... (س ، ظ ، م ، ع) .
(٧) البادي : من ينزل البادية ، والقاري من ينزل القرية .
(٨) مرتعه (ت ، ن) .
(٩) على زمان ودهر ... (س ، ظ ، م ، ع ، ن) .

اَلْآنَ قَدْ هَجَرَتْ نَفْسِي غَوايَتَهـا وَحانَ بَعْدَ حُلُولِ ٱلشَّيْبِ إِقْصارِي
وَالْعَيْشُ ما صَحِبَ ٱلْفِتْيانُ دَهْرَهُمُ مُقَسَّمٌ بَيْنَ إِحْـلاءٍ وَإِمْرارِ
يا مَنْ بِمُجْتَمَعِ ٱلشَّطَّيْنِ إِنْ عَصَفَتْ بِكُمْ[1] رِياحِي فَقَدْ قَدَّمْتُ إِعْذارِي
لا تُنْكِرُنَّ رَحِيلِي عَنْ دِيارِكُمُ لَيْسَ ٱلْكَرِيمُ عَلَى ضَيْمٍ[2] بِصَبّارِ
يَأْبَى[3] لِيَ ٱلضَّيْمَ فُرْسانُ ٱلْخِلاجِ[4] وَما حَبَّرْتُ مِنْ غُرَرٍ تُهْدَى وَأَشْعارِ
وَقَدْ غَدَوْتُ بِعِزِّ ٱلدِّينِ مُعْتَصِماً إِنَّ ٱلْكِرامَ عَلَى ٱلْأَيّامِ أَنْصارِي
مَلْكٌ إِذا ذُكِرَتْ يَوْماً مَواهِبُهُ أَثْرَى ٱلرَّجاءُ بِها مِنْ بَعْدِ إِقْتارِ[5]
يُعْطِيكَ جُوداً عَلَى ٱلْإِقْلالِ تَحْسَبُهُ وافاكَ عَنْ نَشَبٍ جَمٍّ وَإِكْثارِ
رَيّانُ مِنْ كَرَمٍ مَلْآنُ مِنْ هِمَمٍ كَأَنَّهُ ٱلسَّيْفُ بَيْنَ ٱلْماءِ وَٱلنّارِ
لَيْسَ ٱلْجَوادُ جَواداً ما جَرَى[6] مَثَلَ حَتَّى يَكُونَ كَحَسّانَ بْنِ مِسْمارِ
اَلْواهِبُ ٱلْخَيْلَ إِمّا جِئْتَ زائِرَهُ أَقَلَّ سَرْجَكَ مِنْها كُلُّ طَيّارِ

---

(١) لكم (ت، ن) .
(٢) على عيش ؟ (م) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ن) .
(٤) خلجه بالسيف : ضربه .
(٥) لم يرد هذا البيت في (ع) .
(٦) ما بدا عَلَمٌ (ك)، ما جرى علم (ي) .

الطَّاعِنُ ٱلطَّعْنَةَ ٱلْفَوْهاءَ جائِشَةً تَرُدُّ طاعِنَهـــا عَنْها[١] بِتَيّارِ
يَكادُ يَنفذُ فيهـا[٢] حِينَ يُنْفِذُها لَوْلا عُبابُ دَمٍ مِنْ فَوْرِها جارِ
تَلْقَى ٱلسِّنانَ بِها وَٱلسَّرْدَ تَحْسَبُهُ ما ضَلَّ مِنْ فَتْلٍ فِيهـــا وَمِسْبارِ
فِي كَفِّهِ سَيْفُ مِسْمارَ[٣] ٱلَّذي شَقِيَتْ هامُ ٱلْمُلُوكِ بِهِ أَيّامَ سِنْجـارِ
لا يَأْمَلُ ٱلرِّزْقَ إِلاّ مِنْ مَضارِبِهِ فَرْسُ ٱلْهُمامِ[٤] بِأَنْيابٍ وَأَظْفارِ
نِعْمَ ٱلْمُناخُ لِشُعْثٍ[٥] فَوْتِ مَهْلَكَةٍ أَرْماقِ مَسْغَبَةٍ أَنْضاءِ أَسْفـارِ
لا يَشْتَكُونَ لَدَيْهِ[٦] ٱلْمَحْلَ فِي سَنَةٍ يَشْكُو بِها ٱلسَّغَبَ ٱلْمَقْرِيُّ وَٱلْقارِي
سَحابُ جَوْدٍ[٧] عَلَى ٱلرّاجِينَ مُنْهَمِلٍ[٨] وَبَحْرُ جُودٍ عَلَى ٱلْعافِينَ زَخّارِ

---

(١) منها (ك ، ت) .
(٢) منها (م ، ع ، ت ، ي) .
(٣) هو مسمار بن سنان بن عليان الكلبي ، أمير الكلبيين ووالد الممدوح بهذه القصيدة . ثار مسمار على الفاطميين ، واشترك مع من انتقضوا على امرائهم في دمشق ، ما بين سنة ٤٥٨ وسنة ٤٦٢ . انظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٦ و ٩٧ و ١١٠ .
(٤) الهمام : الأسد .
(٥) لشعب فوق مملكة (ك ، ت) .
(٦) إليه (ك ، ت) .
(٧) الجَوْد : المطر الغزير .
(٨) منهمر (ت ، ن) .

إذا تَرَحَّلَ عَنْ دارٍ أَقامَ لَهُ ... مِنَ ٱلصَّنائِعِ فِيهـا خَيْرَ آثارِ
كَٱلغَيْثِ أَقْلَعَ مَحْمُوداً وَخَلَّفَ ما ... يُرْضِيكَ مِنْ زَهَرٍ غَضٍّ وَنُوّارِ
تَبْقَى ٱلذَّخائِرُ مِنْ فَضَلاتِ نائِلِهِ ... كَأَنَّها غُدُرٌ مِنْ بَعْدِ أَمْطارِ
مُظَفَّرُ ٱلْعَزْمِ ما تَأْلُو مُوَفَّقَةً ... آراؤُهُ بَيْنَ إِيرادٍ وَإِصْدارِ
سـامٍ إِلىٰ ٱلشَّرَفِ ٱلْمَمْنُوعِ جانِبُهُ ... نامٍ إِلىٰ ٱلْحَسَبِ ٱلْعارِي مِنَ ٱلْعارِ
مُخَوَّلٌ فِي جَنابٍ (١) بَيْتَ مَمْلَكَةٍ ... عَزُّوا بِهِ وَأَذَلُّوا كُلَّ جَبّارِ
أَيّامَ كَلْبٌ (٢) لَهاما بَيْنَ جُوسِيَةٍ (٣) ... وَبَيْنَ غَزَّةَ (٤) مِنْ رِيفٍ وَأَمْصارِ
يَقُودُها مِنْ سِنانٍ (٥) عَزْمُ مُتَّقِدٍ ... أَمامَهـا كَسِنانِ ٱلصَّعْدَةِ ٱلْوارِي
تَرْمِي بِأَعْيُنِهـا فِي كُلِّ داجِيَةٍ (٦) ... مِنْهُ إِلىٰ كَوْكَبٍ بِٱلسَّعْدِ سَيّارِ
يَبِيتُ كُلُّ ثَقِيلِ ٱلرُّمْحِ حامِلُهُ ... فِي سَرْجِ كُلِّ خَفِيفِ ٱللِّبْدِ مِغْوارِ

(١) جناب : قبيلة عربية من قضاعة .
(٢) كلب : قبيلة عربية من قضاعة .
(٣) جوسية : كورة من كور حمص .
(٤) غزه : مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر .
(٥) هو سنان بن عليان أمير بني كلب ، جد حسان بن مسمار بن سنان الممدوح بهذه القصيدة ، ثار على الفاطميين وحاصر مدينة دمشق سنة ٤١٦، ومات سنة ٤١٩ . انظر الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٧٩ .
(٦) راجية (س، ظ، م، ع) .

ـدُ تأثَّلَ في نَجْدٍ أوائلُهُ   وَشيدَ(١) بالشّامِ منهُ الطّارفُ(٢) الطّاري

أنَّ الكرامِ الأُلى ما زالَ مَجْدُهُمُ   مغْرىً بِقلّةِ أشْباهٍ وَأنْظـــارِ

المانعِينَ غَـداةَ الخَوْفِ جارَهُمُ   وَالحافظِينَ بِغَيْبٍ حُرْمَةَ الجــارِ

يضُ العَوارِفِ أغْمارٌ(٣) إذا وَهَبُوا   جُوداً وَلَيْسُوا إذا عُدُّوا بأغْمارِ (٤)

لا يَصْحَبُ الدَّهْرَ منهُمْ طُولَ(٥) ما ذكرُوا   إلاّ الثَّناءُ وَإلاّ طِيبُ أخْبــارِ

إنَّ العَشائرَ مِنْ أحْياءِ ذي يَمَنٍ   لمّا بَغَوْكَ جَرَوْا في غَيْرِ مِضْمارِ

صْحَرْتَ إذْ مَدَّ بالمدّانِ(٦) سيلُهُمُ   وَاللّيْثُ لا يُتَّقى مِنْ غَيْرِ إصْحارِ

سالُوا فَأغْرَقَهُمْ قَطْرٌ نَضَحْتَ بِهِ   مـــا كُلُّ سَيْلٍ عَلَى خَيْلٍ بِجَرّارِ

مالُوا فَقَوَّمَ مِنْهُمْ(٧) كُلَّ مُنْأطِرٍ   طَعْنٌ يُعَدِّلُ مِنْهُمْ كُلَّ جَوّارِ

حتى(٨) إذا نَهَتِ الأُولى فما انْتفعُوا   بالنَّهْيِ ، وَالبَغْيُ فِيهِمْ شَرُّ أمّارِ

---

(١) وشيّد الشامُ . . . (ك) .

(٢) الطارق (ت) .

(٣) الأغمار : الكرام .

(٤) جمع غُمْر : وهو الذي لم يجرب الأمور .

(٥) كلما ذكروا (ت ، ن) .

(٦) المدّان : الماء الملح . وفي (ك) بالميدان .

(٧) فيهم (ظ ، ي ، م ،) .

(٨) لم يرد هذا البيت في (ن) .

أَبَحْتَهَا وَحَمَيْتَ الشَّامَ مُعْتَقِداً ... أَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ إِلاَّ كُلُّ ضَرَّارِ

قَدْ نَابَكَ الدَّهْرُ أَزْمَاناً بِغَيْرِهِمِ ... فَظَلَّ يَغْمِزُ (١) عُوداً غَيْرَ خَوَّارِ

وَكَمْ (٢) أَبَتَّ عَلَى ثَأْرٍ ذَوِي ضَغَنٍ ... وَلَمْ تَبِتْ قَطُّ مِنْ قَوْمٍ عَلَى ثَارِ

إِنْ زُرْتُ دَارَكَ عَنْ شَوْقٍ فَمَجْدُكَ بِي ... أَوْلَى وَمَا كُلُّ مُشْتَاقٍ بِزَوَّارِ

لَيْسَ الْمُطِيقُونَ حَجَّ الْبَيْتِ مَا تَرَكُوا ... فَرِيضَةَ الْحَجِّ عَنْ زُهْدٍ بِأَبْرَارِ

وَقَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَعْدِي عَلَى زَمَنٍ ... لا يَشْرَبُ الْحُرُّ فِيهِ غَيْرَ أَكْدَارِ

مُوَكَّلُ الْجَوْرِ بِالْأَحْرَارِ يَقْصِدُهُمْ ... كَأَنَّهُ عِنْدَهُمْ طَلاَّبُ أَوْتَارِ

وَالْحَمْدُ أَنْفَسُ مَذْخُورٍ (٣) تَفُوزُ بِهِ ... فَخُذْ بِحَظِّكَ مِنْ عُونِي وَأَبْكَارِي

مِنَ الْقَوَافِي الَّتِي مَا زِلْتُ أُودِعُهَا ... عُلاَلَةَ الرَّكْبِ مِنْ غَادٍ وَمِنْ سَارِ

إِنَّ السَّمَاحَةَ أُولاهَا وَآخِرَهَا ... فِي كَفِّ كُلِّ يَمَانٍ يَاابْنَ مِسْمَارِ

لا تَسْقِنِي بِسِوَى جَدْوَى يَدَيْكَ فَمَا ... يَرْوِي مِنَ السُّحْبِ إِلاَّ كُلُّ مِدْرَارِ

وَلَسْتُ أَوَّلَ رَاجٍ قَادَهُ أَمَلٌ ... قَدْ رَاحَ مِنْكَ عَلَى شَقْرَاءَ مِحْضَارِ

---

(١) يعجم (ت ، ن) .

(٢) لم يرد هذا البيت في (ن) .

(٣) مدخور (س) .

٦٩

وقال أيضاً يمدحه :

مَتىٰ أَنا طاعِنٌ قَلْبَ ٱلْفِجاجِ وَرامِي ٱلْخَرْقِ بِٱلْقُلُصِ ٱلنَّواجِي
وَقـائِدُ كُلِّ سَلْهَبَةٍ عَبُوسٍ إِلىٰ يَوْمٍ يَطُولُ بِهِ ٱبْتِهاجِي
سَيَعْتَمُّ ٱلْهَواجِرَ كُلُّ مُجْرٍ إِلىٰ أَمَدِي وَيَلْتَحِفُ[1] ٱلدَّياجِي
فِراشِي مَتْنُ كُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ وَثَوْبِي ما يُثِيرُ مِنَ ٱلْعَجاجِ
إِذا ٱلْجَوْزاءُ أَمْسَتْ مِنْ مَرامِي فَأَيْنَ سُرايَ مِنْهـا وَٱدِّلاجِي
سِوىٰ ٱلصَّهْبـاءِ عاصِفَةً بِهَمِّي وَغَيْرُ ٱلْبِيضِ مِنْ أَرَبِي وَحاجِي
عَزَفْتُ[2] فَما لِسارِي ٱلْبَرْقِ شَيْمِي وَلا لِلرَّسْمِ قَدْ أَقْوىٰ مَعاجِي
وَما عَنْ[3] سَلْوَةٍ إِغْبابُ دَمْعِي وَإِقْصارُ ٱلْعَواذِلِ عَنْ لَجاجِي
وَلٰكِنْ جَلَّ عَنْ فَنَدٍ وَلَوْمٍ غَرامِي بِٱلْمَحامِدِ[4] وَٱلتَّهاجِي
حَمانِي ٱلْعَزْمُ حَظِّي مِنْ ذَواتِ ٱلثُّـغُورِ ٱلْغُرِّ وَٱلْمُقَلِ ٱلسَّواجِي

---

(١) ويلتف (ن) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ن) .
(٣) من (ك) .
(٤) بالتجاحد والتهاجي (?) (ك) .

وَما عِنْدَ ٱلْحِسانِ جَوىً مَشُوقٍ صَدَعْنَ فُؤادَهُ صَدْعَ ٱلزُّجاجِ
عَرَضْنَ لَنا فَمِنْ لَحْظٍ مَرِيضٍ وَمِنْ بَرَدٍ غَرِيضٍ فِي مُجاجِ
وَمِسْنَ فَكَمْ قَضِيبٍ فِي كَثِيبٍ يَشُوقُكَ بِٱهْتِزازٍ فِي ٱرْتِجاجِ
كَأَنَّ نِعاجَ رَمْلٍ لاحَظَتْنا وَإِنْ كُرِّمْنَ عَنْ خَمْشِ ٱلنِّعاجِ
إِلامَ أَرُوضُ جامِحَةَ ٱلْأَمانِي وَداءُ ٱلدَّهْرِ مَغْلُوبُ ٱلْعِلاجِ
إِذا (١) ٱلْعَذْبُ ٱلنَّمِيرُ حَماهُ ضَيْمٌ فَجاوَزْهُ إِلىٰ ٱلْمِلْحِ ٱلْأُجاجِ
أُحِلُّ بِحَيْثُ لا غَوْثٌ لِعافٍ وَأَطَّرِحُ ٱلْمَغاوِثَ وَٱلْمَلاجِي
كَمَنْ تَرَكَ ٱلْأَسِنَّةَ صادِياتٍ غَداةَ وَغىً وَطاعَنَ بِٱلزِّجاجِ
أَأَبْغِي فِي ذِئابِ ٱلْقاعِ مَنْعاً وَأَتْرُكُ جانِبَ ٱلْأُسْدِ ٱلْمُهاجِ
فَأُقْسِمُ (١) لا تَقَعْتُ صَدىً بِماءٍ إِلىٰ غَيْرِ ٱلْكِرامِ بِهِ ٱحْتِياجِي
عَسىٰ ٱلطَّعْنُ ٱلْخِلاجُ (٢) يَذُبُّ عَنِّي إِذا (٣) جاوَرْتُ (٤) فُرْسانَ ٱلْخِلاجِ (٥)

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ن) .
(٢) يريد بالخلاج : كالمخلوجة : وهي الطعنة ذات اليمين وذات الشمال .
(٣) وإن (ن) .
(٤) في جميع النسخ « جاوزت » إلا في نسخة كوبنهاغن التي اخترنا روايتها .
(٥) يريد بهم فرسان الطعان .

أُولٰئِكَ إِنْ دُعُوا لِدِفاعِ خَطْبٍ ... أَضاءُوا نَجْدَةً وَٱلْيَوْمُ داجِ

هُمُ ٱلْأَمْلاكُ حَلُّوا مِنْ عَدِيٍّ[١] ... مَحَلَّ ٱلطَّرْفِ حُصِّنَ[٢] بِٱلْحَجاجِ[٣]

بُدُورُ دُجُنَّةٍ وَبُحُورُ سَيْبٍ[٤] ... وَأُسْدُ كَرِيهَةٍ وَحُصُونُ لاجِي

كِرامٌ وَٱلظُّبَىٰ كَٱلنَّارِ شُبَّتْ ... عَشِيَّةَ عاصِفٍ ذاتِ ٱهْتِياجِ

مَواسِمُهُمْ[٥] مَضارِبُ كُلِّ ماضٍ ... خَلُوطٍ لِلْجَماجِمِ بِٱلْحَجاجِي

إِذا عَمَدُوا لِداءٍ أَنْضَجُوهُ ... وَلَيْسَ ٱلْكَيُّ إِلَّا بِٱلنِّضاجِ

جَحاجِحُ لا يُعابُ[٦] مَنِ ٱسْتَباحَتْ ... صُدُورُ رِماحِهِمْ يَوْمَ ٱلْهِياجِ

لَهُمْ خَفْضُ ٱلنَّواظِرِ حَيْثُ حَلُّوا[٧] ... مِنَ ٱلدُّنْيا وَمُنْقَطَعُ ٱلضَّجاجِ

تَرَىٰ ٱلْهاماتِ ناكِسَةً لَدَيْهِمْ ... كَأَنَّ بِهِنَّ مُوضِحَةَ ٱلشِّجاجِ

بِحَسّانَ[٨] بْنِ مِسْمارٍ أُقِيمَتْ ... قَناةُ ٱلدِّينِ مِنْ بَعْدِ ٱعْوِجاجِ

---

(١) عدي : بطن من بني عامر بن صعصعة .

(٢) في أفق الحجاج (ك) .

(٣) الحَجاج : العظم الذي ينبت عليه الحاجب .

(٤) جود (ك) .

(٥) مياسمهم (ن) .

(٦) لايغاث (ك) .

(٧) ظلوا (ك) .

(٨) لحسان . . . (ك) .

بِأَرْوَعَ لا يَهابُ(١) هُجُومَ خَطْبٍ ... وَلا يَرْتاعُ لِلْحَدَثِ ٱلْمُفاجِي
تَقُودُ حَيْثُ لا تَصِلُ ٱلْعَوالِي ... إِلىٰ قَصْدٍ بِجُيزُ وَلا ٱنْعِراجِ
إِذا شَوْكُ ٱلْقَنا ٱلْيَزَنِيُّ أَضْحىٰ ... أَمامَ ٱلْخَيْلِ مَضْرُوبَ ٱلسِّياجِ
وَما طَرَقَ ٱلرَّجاءُ ٱلْفِكْرُ إِلاَّ ... وَعِزُّ ٱلدِّينِ غايَةُ كُلِّ راجِ
أَغَرُّ مَتىٰ أَخَذْتَ لَهُ بِحَبْلٍ ... فَمـا ٱلْغَمَراتُ إِلاَّ لِٱنْفِراجِ
جَمِيلُ مَكارِمِ ٱلْأَخْـلاقِ يَجْلُو ... بِها ٱلشَّحْناءَ مِنْ صَدْرِ ٱلْمُداجِي
عَمَدْتَ ٱلْبَيْتَ مِنْ كَلْبٍ وَطَيٍّ ... عَلَى حَسَبٍ وَصِهْرٍ(٢) ذِي ٱنْتِساجِ
يُناجِي مِنْهُ حَسَّـانٌ سِنانًا ... لَقَدْ كَرُمَ ٱلْمُناجىٰ وَٱلْمُناجِي
ذُؤابَةُ كُلِّ مُعْتَمٍّ بِفَخْرٍ ... وَنُخْبَةُ كُلِّ مُعْتَصِبٍ بِتـاجِ
وَرامَ ٱلْحاسِدُونَ لَدَيْكَ تَبْلاً(٣) ... وَدُونَ مَرامِهِمْ حَزُّ ٱلْوِداجِ
وَإِنَّ طِلابَ مَجْدِكَ وَهْوَ بَسْلٌ ... كَخِيسِ ٱللَّيْثِ مَحْذُورِ ٱلْوِلاجِ
لَأَعْجَزُ مِنْ قُصُورِكَ عَنْ سَماحٍ ... وَأَعْوَزُ مِنْ عَدُوٍّ مِنْكَ ناجِ
وَما غَرّاءُ سـارِيَةٌ هَطُولٌ ... تَبَجَّسُ بِٱنْسِفاحٍ وَٱرْتِجاجِ

(١) لا يخاف (ك، م، ت).
(٢) وطهر (س).
(٣) نيلاً (ك، ن).

كَأَنَّ بُرُوقَهـا بِسَناكَ لاحَتْ فَهُمْ ٱللَّيْلُ مِنْها بِٱنْبِلاجِ (١)
يَشُوقُكَ (٢) ما تُغادِرُ مِنْ غَدِيرٍ وَرَوْضٍ بِٱلْأَناعِمِ (٣) وَٱلنِّباجِ
بِأَجْوَدَ مِنْ نَدى كَفَّيْكَ جُوداً وَلا طامِي ٱلْغَوارِبِ ذُو ٱلثِّجاجِ (٤)
أَبَيْتَ أَبا ٱلنَّدى إِلاَّ ٱخْتِلاطِي بِنائِلِكَ ٱلْمُؤَمَّلِ وَٱمْتِزاجِي
وَما ٱلشِّيَمُ ٱلْحِسانُ بِمُسْلِماتٍ فَتىً مِثْلِي إِلى ٱلنُّوَبِ ٱلسِّماجِ
مَتى ما أَدَّعِي أَنَّ ٱلْقَوافِي يَمانِيَةُ ٱلْهَوى فَبِكَ ٱحْتِجاجِي
أَلَمْ تَرَها تَزُورُكَ (٥) مُحْكَماتٍ كَرائِمَ مِنْ وُحادٍ (٦) أَوْ زُواجِ (٧)
يَضِيقُ ٱلْأَعْصُرِيُّ (٨) بِها ذِراعاً وَيَعْذُرُ عَجْزَهُ عَنْها ٱلْخَفاجِي (٩)

(١) لم يرد هذا البيت إلا في (ك) .
(٢) سقط هذا البيت من (ي) .
(٣) الأناعم جمع أنْعَم، والأنعمان : واديان . والنِّباج : الآكام العالية .
(٤) يقال ثجَّ الماء ثجوجا وليس ثجاجاً : سال .
(٥) تزول محكَمات (س ، ظ ، ت) .
(٦) وُحادُ وأُحادُ : معدول عن واحدٍ واحدٍ .
(٧) وازدواج (ن) .
(٨) الأعْصُرِي : هو ابو الفتيان محمد ابن حَيُّوس الشاعر المشهور (٣٩٤ — ٤٧٣) المنسوب الى قبيلة غني بن أعْصُر بن سعد . وهو القائل :

أيا أخت ما بال ذا الأعصري سلا حين بلّغته ما طلبْ

ديوان ابن حيوس ج ١ ص ٦٦

وقد طبع المجمع العلمي العربي ديوانه بدمشق في جزءين بتحقيقنا .

(٩) الخفاجي : ابو محمد عبد الله ابن سنان الخفاجي الشاعر المشهور توفي سنة ٤٦٦ .

كَسَرْدِ ٱلتُّبَّعِيِّ ثَنَىٰ ٱلْعَوالي بِأَمْنَعَ مِنْ مُصَفَّحَةِ ٱلرِّتاجِ
تُكَلِّفُ مَعْشَراً فَتَهِيمُ وَجْداً بِمَدْحِكَ وَٱلشَّجىٰ غَيْرُ ٱلتَّشاجِي
إذا ما هَجْمَةٌ وَرَدَتْ لِخِمْسٍ كَفاها ظِمْئُها زَجَلَ ٱلْمُجاجِي (١)
وَغَيْرُكَ مَنْ يُقَصِّرُ بِي فَيُمْسِي لِساني مادِحاً وَٱلْقَلْبُ هاجِ
وَظَنِّي (٢) فِيكَ لَيْسَ بِمُسْتَحِيلٍ كَهَمِّي (٣) عِنْدَ مَدْحِكَ وَٱعْتِلاجِي
كَما أَرْسَلْتَ في عِدٍّ جَمُومٍ مَرِيرَ ٱلْفَتْلِ مَشْدُودَ ٱلْعِناجِ (٤)
سَأَشْكُرُ (٥) حادِثاً أَلْقىٰ زِمامي إِلَيْكَ وَرُبَّ أَمْنٍ في ٱنْزِعاجِ
وَيَجْزِي حُسْنَ صُنْعِكَ رَبُّ فِكْرٍ ذَكِيُّ ٱلزَّنْدِ وَهّاجُ ٱلسِّراجِ
وَتَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ ٱلْمالِ مالٌ سَقاكَ ٱلْحَمْدَ مَعْسُولَ ٱلْمِزاجِ
فَإِنَّ لَقائِحَ ٱلْمَعْرُوفِ كانَتْ لَدىٰ ٱلْكُرَماءِ مُنْجِبَةَ ٱلنِّتاجِ

* * *

(١) الهجمة : من الإبل أولها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين إلى المائة . والخِمْسُ : من أظماء الابل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع. والظِّمْءُ : ما بين السقيتين . والمجاجيء : من يدعو الإبل للشرب بقوله : جِيْءِ جِيْءِ .

(٢) فظني (ي ، ن) .

(٣) كظني (ك) .

(٤) العِدُّ : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع . والجموم : الكثير الماء . والعناج : حبل يشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يشد إلى العراقي .

(٥) لم يرد هذا البيت في (ن) .

٧٠

وقال يعاتب قوماً من العرب :

تَغَيَّرْتُمُ عَنْ عَهْدِكُمْ آلَ كامِلٍ (١) فَلِلْيَوْمِ مِنْكُمْ غَيْرُ ما أَسْلَفَ الأَمْسُ
نَبا السَّيْفُ مِنْكُمْ فِي يَدِي وَهْوَ قاطِعٌ كَما أَظْلَمَتْ فِي ناظِري مِنْكُمُ (٢) الشَّمْسُ
وَأَوْحَشْتُمُ مِنِّي مَكانَ اصْطِفائِكُمْ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ المَوَدَّةُ وَالأُنْسُ
غَرَسْتُمْ ثَناءً (٣) لَمْ تَجُدْهُ سَحابُكُمْ بِرِيٍّ وَهَلْ يَنْمِي مَعَ العَطَشِ الغَرْسُ
مَواعِدُ (٤) مَرْضَى كُلَّما قُلْتُ قَدْ بَرا (٥) لَكُمْ مَوْعِدٌ بِالْبَذْلِ عاوَدَهُ النُّكْسُ
وَإِنِّي لَذُو شَجْوٍ بِكُمْ عَنْ تَقَلُّبٍ إِلَى (٦) خُلُقٍ فِيهِ لِأَعْراضِكُمْ وَكْسُ
وَأَنْتُمْ بَنُو الجُودِ الَّذِي ابْتَسَمَتْ بِهِ (٧) مِنَ الزَّمَنِ المُرْبَدِّ أَيّامُهُ العُبْسُ

(١) آل ماجد (ي) .
(٢) بكم (ك) .
(٣) نباتاً (ت) .
(٤) لم يرد هذا البيت في (ت) .
(٥) بَرِئَ من المرض بُرْءاً بالضم ، وأهل الحجاز يقولون بَرَأْتُ من المرض بَرْءاً بالفتح : نقهت وتعافيت وشفيت .
(٦) إلى خلف فيه لأغراضكم وكس (ك) .
(٧) بكم (ن) .

سَماحًا فَإِنْ تَدْعُو كِفاحًا فَأَنْتُمُ ٱلْـــفَوارِسُ لا مِيلٌ هُناكَ وَلا نُكْسُ
فَما بالُ سُوقِي لَيْسَ تَنْفُقُ عِنْدَكُمْ وَحَظُّ ثَنائِي مِنْكُمُ ٱلثَّمَنُ ٱلْبَخْسُ
أَيَرْتَجِعُ ٱلْمَعْرُوفَ مَنْ كانَ واهِبًا وَيَسْلُبُ ثَوْبَ ٱلْمَنِّ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَكْسُو
أُساهِلُ إِغْضاءً وَفِيكُمْ تَصَعُّبٌ[(١)] وَأَرْطَبُ إِجْمالًا وَفِي عُودِكُمْ يُبْسُ
وَلَيْسَ بِعَدْلٍ أَنْ أَلِينَ وَتَخْشُنُوا وَلَيْسَ بِحَقٍّ أَنْ أَرِقَّ وَأَنْ تَقْسُوا[(٢)]
عَلَيْكُمْ سَلامٌ لَمْ أَقُلْ ما يُرِيبُكُمْ وَلٰكِنَّهُ عَتْبٌ تَجِيشُ بِهِ[(٣)] ٱلنَّفْسُ
حَبَسْتُ ٱلْقَوافِي قَبْلَ إِغْضابِ رَبِّها وَما لِلْقَوافِي بَعْدَ إِغْضابِها[(٤)] حَبْسُ
إِذا ٱلْعَرَبُ ٱلْعَرْباءُ لَمْ تَرْعَ ذِمَّةً فَغَيْرُ مَلُومٍ بَعْدَها ٱلرُّومُ وَٱلْفُرْسُ

* * *

(١) تعصبٌ (س ، ظ ، م ع) ، تغضبٌ (ك ، ت) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ت ، و ، ن) .
(٣) له النفس (ت ، و ، ن) .
(٤) اغضابه (ن) .

٧١

وقال يمدح عبد المنعم بن حفاظ بن أحمد [١] البقلي [٢] :

قَدْ [٣] تَوالَتْ عَلَيَّ مِنْكَ أَيادي   عائِداتٍ بِالْمَكْرُماتِ بَوادي [٤]
ما أُبالِي إذا تَعَهَّدْنَ مَغْنا   يَ بِأَنْ لا يَصُوبَ صَوْبُ الْعِهادِ [٥]
وَالْجَميلُ [٦] الْمُعادُ أَحْلَى وَإِنْ أَزْ   رى بِشُكْرِي [٧] مِنَ الشَّبابِ الْمُعادِ
ما ثَنائي وَإِنْ تَطاوَلَ إلاّ   دُونَ آلائِكَ الْحِسانِ الْمُرادِ
كَيْفَ أَشْكُو حَظّاً عَليلاً وَحالاً   كانَ فِيها نَداكَ مِنْ عُوّادي
سَوْفَ أُثْني عَلَى الْجِيادِ فَقَدْ أَهْـ   ـدَتْ إِلَيْنا الْجِيادُ خَيْرَ جَوادِ
حَمَلَتْ صَوْبَ مُزْنَةٍ مِنْ بِلادٍ   مِنْكَ أَحْيَتْ بِهِ رَبيعَ بِلادي
كُنْتُ أَرْتادُ جُودَ كُلِّ كَريمٍ   فَكَفَى جُودُ راحَتَيْكَ ارْتِيادي

---

(١) .... بن البقلي (س ، ظ) .
(٢) النفيلى (ت) .
(٣) لم ترد هذه القصيدة في (ك) .
(٤) غواد (ي) ، عواد (س ، ظ ، م ، ع) .
(٥) صوب الغوادي (ت ، ن) .
(٦) فالجميل (ت) .
(٧) بشكرٍ (ظ) .

زُرْتَنا مُنعِماً وما بَرِحَ الزَّا(١) ئِرُ يَرْجُو الإِنْعامَ في كُلِّ وادِ
وَكَذاكَ الحَيا يَرُوحُ مِنَ الغَوْ رِ وَتَغْدو لَهُ بِنَجْدٍ غَوادِ
لا أَرىٰ لي حَقّاً عَلَيْكَ سِوىٰ بِرِّكَ عِنْدي وَمَنْطِقي وَوِدادي
وَإِذا ما الخُطُوبُ كانَتْ شِداداً دَفَعَتْنا(٢) إِلىٰ الكِرامِ الشِّدادِ

٧٢

وقال يمدح(٣) الأمير مجد الدين عضب الدولة أبق(٤) بن عبد الرزاق:

خُذا مِنْ صبا نَجْدٍ أَماناً لِقَلْبِهِ فَقَدْ كادَ رَيّاها يَطيرُ بِلُبِّهِ
وَإِيّاكُما ذاكَ النَّسيمَ فَإِنَّهُ إِذا هَبَّ كانَ الوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
خَليلَيَّ لَوْ أَحْبَبْتُما لَعَلِمْتُما مَحَلَّ الهَوىٰ مِنْ مُغْرَمِ القَلْبِ صَبِّهِ
تَذَكَّرَ وَالذِّكْرىٰ تَشُوقُ وَذُو الهَوىٰ يَتُوقُ وَمَنْ يَعْلَقْ بِهِ الحُبُّ يُصْبِهِ

(١) وما برح المنعم يزجي ... (ن).
(٢) بعثتنا (ت، ن).
(٣) ... يمدح الأمير مجد الدين عضب الدولة جمال الملك زعيم الجيوش أبا منصور أتق (؟) بن عبد الرزاق عند وروده إلى دمشق سنة سبع وثمانين وأربعماية. (ك).
(٤) الأمير أبق بن عبد الرزاق أحد مقدمي أمراء دمشق، توفي ليلة عيد النحر من سنة (٥٠٢). «ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٦٤».

رامٌ على يأسِ الهوى ورجائهِ ... وشوقٌ على بُعدِ المزارِ وقُربهِ

وفي الرَّكبِ مطويُّ الضُّلوعِ على جوىً ... متى يدعُهُ داعي الغرامِ (١) يُلبِّهِ

إذا خطرتْ من جانبِ الرَّملِ (٢) نفحةٌ ... تضمَّنَ منها داءَهُ دونَ صحبهِ

ومُحتجبٍ بينَ الأسنَّةِ مُعرضٍ ... وفي القلبِ من إعراضهِ مثلُ حُجبهِ

أغارُ إذا آنستُ في الحيِّ أنَّةً ... حذاراً وخوفاً أنْ تكونَ لِحُبِّهِ

ويومَ الرِّضى والصَّبُّ يحملُ سخطَهُ ... بقلبٍ ضعيفٍ عن تحمُّلِ عتبهِ

حلالي برّاقَ الثَّنايا شتيتَها ... وحلَّأني عن باردِ الوِردِ (٣) عذبهِ

كأنّي لم أقصرْ بهِ اللَّيلَ زائراً ... تحولُ (٤) يدي بينَ المهادِ (٥) وجنبهِ

ولا ذقتُ أمناً من سِرارِ حجولِهِ ... ولا ارتعتُ خوفاً من نميمةِ حقبهِ (٦)

فيا لسقامي من هوىً مُتجنِّبٍ ... بكى عاذلاهُ رحمةً لمُحبِّهِ

ومن ساعةٍ للبينِ غيرِ حميدةٍ ... سمحتُ بطلِّ الدَّمعِ فيها وسكبهِ

---

(١) داعي السقام (س ، م ، ظ ، ي ، ع ، ت ، ن) .

(٢) الحي (ن) .

(٣) الماء (ن) .

(٤) تجول (ك ، ي ، ن ،) .

(٥) الفراش (هامش ك) .

(٦) الحَقَبُ : شيء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلي ، تشده على وسطها . وتسكين القاف للضرورة .

أَلا لَيْتَ أَنِّي لَمْ تَحُلْ بَيْنَ حاجِرٍ [1] وَبَيْنِي ذُرى أَعْلامِ رَضْوى [1] وَهَضْبِ

وَلَيْتَ ٱلرِّياحَ ٱلرّائِحاتِ خَوالِصٌ إِلَيَّ وَلَوْ لاقَيْنَ قَلْبِي بِكَرْبِ

أَهِيمُ إِلىٰ ماءٍ بِبُرْقَةِ عاقِلٍ ظَمِئْتُ عَلَى طُولِ ٱلْوُرُودِ بِشُرْبِ

وَأَسْتافُ حُرَّ ٱلرَّمْلِ شَوْقاً إِلىٰ ٱللِّوىٰ وَقَدْ أَوْدَعَتْنِي ٱلسُّقْمَ قُضْبانُ كُثْبِ

وَلَسْتُ عَلَى وَجْدِي بِأَوَّلِ عاشِقٍ أَصابَتْ سِهامُ ٱلْحُبِّ حَبَّةَ قَلْبِ

صَبَرْتُ عَلَى وَعْكِ [2] ٱلزَّمانِ وَقَدْ أُرىٰ خَبِيراً بِداءِ ٱلْحـــادِثاتِ وَطِبِّ

وَأَعْرَضْتُ عَنْ غُرِّ ٱلْقَوافِي وَمَنْطِقِي مَلِيءٌ لِمُرْتادِ ٱلْكَلامِ بِخِصْبِهِ [3]

وَما عَزَّنِي لَوْ شِئْتُ مَلْكٌ مُهَذَّبٌ يَرىٰ أَنَّ صَوْنَ ٱلْحَمْدِ عَنْهُ كَسَبِّ

لَقَدْ طالَما هَوَّمْتُ فِي سِنَةِ ٱلْكَرىٰ وَلا بُدَّ [4] لِي مِنْ يَقْظَةِ ٱلْمُتَنَبِّ

سَأَلْقىٰ بِعَضْبِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلدَّهْرَ واثِقاً بِأَمْضىٰ شَباً مِنْ باتِرِ ٱلْحَدِّ عَضْبِ

وَأَسْمُو عَنِ ٱلْآمالِ هَمّاً وَهِمَّةً سُمُوَّ جَمالِ ٱلْمُلْكِ عَنْ كُلِّ مُشْبِ

هُوَ ٱلْمَلْكُ يَدْعُو ٱلْمُرْمِلِينَ سَماحُهُ [5] إِلىٰ واسِعِ باعَ ٱلْمَكارِمِ رَحْبِ

---

(١) حاجر : منزل للحاج بالبادية . ورضوى : جبل بالمدينة .

(٢) وعد الزمان . . . (ك) .

(٣) بخضبه (ع ، ت) ، بحسبه (ك) .

(٤) فلا بد . . . (ي) .

(٥) سماحةٌ (ك ، ن) .

...ـنّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِه يَوْمَ جُودِهِ ‏ وَيعْذَرُ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ يَوْمَ حَرْبِهِ

...ـأَني إِذا حَيَّيْتُهُ بِصِفَـــاتِهِ ‏ أَمُتُّ إِلىٰ بَدْرِ ٱلسَّماءِ بِشُبْهِهِ

...ـو ٱلسَّيْفُ يُغْشِي (١) ناظِراً عِنْدَ سَلِّهِ ‏ بَهاءً وَيُرْضِي فاتِكاً يَوْمَ ضَرْبِهِ

...ـرُوقٌ (٢) جَمالاً أَوْ يَرُوعُ مَهابَةً ‏ كَصَفْحِ ٱلْحُسامِ ٱلْمَشْرَفِيِّ وَغَرْبِهِ

...ـمامٌ إِذا أَجْرىٰ لِغـــايَةِ سُؤْدُدٍ ‏ أَضَلَّكَ عَنْ شَدِّ ٱلْجَـوادِ وَخَبِّهِ

...ـخَطَّىٰ إِلَيْهـــا وادِعًا وَكَأَنَّهُ ‏ تَمَطَّىٰ عَلَى (٣) جُرْدِ ٱلرِّهانِ وَقُبِّهِ

...ـوما أَبَقٌ (٤) إِلا حَياً مُتَهَلِّلٌ ‏ إِذا جادَ لَمْ تُقْلِـعْ مَواطِرُ سُحْبِهِ

...ـغَرُّ غِيـــاثٌ لِلْأَنامِ وَعِصْمَةٌ ‏ يُعاشُ بِنُعْمـــاهُ وَيُحْمَىٰ (٥) بِذَبِّهِ

...ـقُولُونَ تِرْبٌ لِلْغَمامِ وَإِنَّمـــا ‏ رَجاءُ ٱلْغَمامِ أَنْ يُعَدَّ (٦) كَتِرْبِهِ

...ـتًى لَمْ يَبِتْ وَٱلْمَجْدُ مِنْ غَيْرِ هَمِّهِ ‏ وَلَمْ يَحْتَرِفْ وَٱلْحَمْدُ مِنْ غَيْرِ كَسْبِهِ

...ـوَلَمْ يُرَ يَوْمًا راجِيًا غَيْرَ سَيْفِهِ ‏ وَلَمْ يُرَ يَوْمًا خائِفًا غَيْرَ رَبِّهِ

---

(١) كذا في جميع النسخ، إلا في (ن) : يُعشي .
(٢) يروع (م، ع ت) .
(٣) فكأنه تخطى إلى ... (ك) .
(٤) أبق : اسم الممدوح .
(٥) ويحيى (ك) .
(٦) أن يكون (ن) .

تَنَزَّهَ عَنْ نَيْلِ ٱلْغِنَىٰ بِضَرَاعَـةٍ ... وَلَيْسَ طَعَامُ ٱللَّيْثِ إِلَّا بِغَصْبِهِ

أَلا رُبَّ بَاغٍ كَانَ حَاسِمَ فَقْرِهِ ... وَبَاغٍ عَلَيْهِ كَانَ قَاصِمَ صُلْبِهِ

وَيَوْمِ فَخَارٍ قَدْ حَوَىٰ خَصْلَ (١) مَجْدِهِ ... وَأَعْـدَاؤُهُ فِيمَا ٱدَّعَاهُ كَحِزْبِهِ

هُوَ ٱلسَّيْفُ لا تَلْقَاهُ إِلَّا مُؤَهَّلاً ... لِإِيجَابِ عِزٍّ قَاهِرٍ أَوْ لِسَلْبِهِ

مِنَ ٱلْقَوْمِ رَاضُوا (٢) ٱلدَّهْرَ وَٱلدَّهْرُ جَامِحٌ ... فَرَاضُوهُ حَتَّىٰ سَكَّنُوا (٣) حَدَّ شَغْبِهِ (٤)

بِحَارٌ إِذَا أَنْحَتْ لَوَازِبُ مَحْلِهِ ... جِبَالٌ إِذَا هَبَّتْ زَعَازِعُ نُكْبِهِ

إِذَا (٥) وَهَبُوا جَادَ ٱلْغَمَامُ بِصَوْبِهِ ... وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ ٱلْعَرِينُ بِغُلْبِهِ

إِذَا مَا وَرَدْتَ ٱلْعِزَّ يَوْمًا بِنَصْرِهِمْ ... أَمَلَّكَ مِنْ رَشْفِ ٱلنَّمِيرِ وَعَبِّهِ (٦)

أَجَابَكَ خَطِّيُّ ٱلْوَشِيجِ بِلُدْنِهِ ... وَلَبَّاكَ هِنْدِيُّ ٱلْحَدِيدِ بِقُضْبِهِ

أُعِيدَ لَهُمْ مَجْدٌ عَلَى ٱلدَّهْرِ بَعْدَمَا ... مَضَىٰ بِقَبِيلِ ٱلْمَجْدِ مِنْهُمْ وَشَعْبِهِ

بِأَرْوَعَ لا تَعْيَا لَدَيْهِ بِمَطْلَبٍ ... سِوَىٰ شَكْلِهِ فِي ٱلْعَالَمِينَ وَضَرْبِهِ

---

(١) المراد بالخَصْل : الرهان .

(٢) قادوا (ك ، ن) .

(٣) مكّنوا (ك) .

(٤) شعبه (ظ ، ي) .

(٥) لم يرد هذا البيت إلا في (ك) .

(٦) وغبه (ك ، ظ ، م ، ع ، ت) .

تَروضُ قبلَ الرَّوضِ أخلاقُهُ الثَّرى (١) ... وتبعثُ قبلَ السُّكرِ سُكراً لشَربِهِ
وتفخرُ دارٌ حلَّها بمُقامِهِ ... وتشرُفُ أرضٌ مرَّ فيها برَكبِهِ
ولمَّا دعتهُ عن دمشقَ عزيمةٌ ... أبى أنْ يحُلَّ (٢) البدرُ فيها بقطبِهِ
ترحَّلَ عنها فهيَ كاسفةٌ لهُ ... وعادَ إليها فهيَ مشرقةٌ بهِ
وإنَّ محلّاً أوطئتهُ جيادُهُ ... لحقٌّ (٣) على الأفواهِ تقبيلُ تُربِهِ
رأيتكَ بينَ الحزمِ والجودِ قائماً ... مقامَ فتى المجدِ الصَّميمِ وندبِهِ
فمن غِبِّ رأيٍ لا تُساءُ بورْدِهِ ... ومن وِرْدِ جودٍ لا تُسَرُّ بغِبِّهِ
ولمَّا استطالَ الخطبُ قصَّرتَ باعَهُ ... فعادَ وجِدُّ الدَّهرِ فيهِ كلَعبِهِ
وما كانَ إلَّا العرَّ دبَّ دبيبُهُ ... فأمَّنتَ أنْ تُعدى الصِّحاحُ بجُربِهِ
وصدعاً منَ المُلكِ استغاثَ بكَ الورى ... إليهِ فما أرجأتَ في لمِّ شعبِهِ (٤)
فعاضَ أتيٌّ (٥) كنتَ خائضَ غمرِهِ ... وأصحبَ خطبٌ كنتَ رائضَ صعبِهِ
حُبيتَ حياءً في سماحٍ كأنَّهُ ... ربيعٌ يزينُ النَّورُ ناضرَ عُشبِهِ

(١) الندى (ن) .
(٢) يحل (ك ، ع ، م ، ت) .
(٣) يحق (ك) .
(٤) شعثه (س) .
(٥) أبي (س ، ظ ، ع ، م ت) .

وَأَكْثَرْتَ حُسّادَ ٱلْعُفاةِ بِنائِلٍ ... مَتى ما يُغِرْ[1] يَوْمًا عَلَى ٱلْحَمْدِ[2] يَسْبِهِ
مَناقِبُ يُنْسِيكَ ٱلْقَدِيمَ حَدِيثُها ... وَيَخْجَلُ صَدْرُ ٱلدَّهْرِ فِيها بِعُقْبِهِ
لَئِنْ خَصَّ مِنْكَ ٱلْفَخْرُ ساداتِ فُرْسِهِ ... لَقَدْ عَمَّ مِنْكَ ٱلْجُودُ سائِرَ عُرْبِهِ
إِذا ما هَزَزْتُ ٱلدَّهْرَ بِٱسْمِكَ مادِحًا ... تَثَنَّى تَثَنِّي ناضِرِ ٱلْعُودِ رَطْبِهِ
وَإِنَّ[3] زَمانًا أَنْتَ مِنْ حَسَناتِهِ ... حَقِيقٌ بِأَنْ يَخْتالَ مِنْ فَرْطِ عُجْبِهِ
مَضى[4] زَمَنٌ قَدْ كانَ بِٱلْبُعْدِ مُذْنِبًا ... وَحَسْبِي بِهٰذا ٱلْقُرْبِ عُذْرًا لِذَنْبِهِ
وَما كُنْتُ[5] بَعْدَ ٱلْبَيْنِ إِلَّا كَمُصْرِمٍ[6] ... تَذَكَّرَ عَهْدَ ٱلرَّوْضِ أَيّامَ جَدْبِهِ
وَعِنْدِي عَلَى ٱلْعِلّاتِ دَرٌّ قَرائِحٍ ... حَوى زُبَدَ ٱلْأَشْعارِ ماخِضُ وَطْبِهِ
وَمَيْدانُ فِكْرٍ لا يُحازُ لَهُ مَدًى ... وَلا يَبْلُغُ ٱلْإِسْهابُ غايَةَ سَهْبِهِ
يُصَرِّفُ فِيهِ ٱلْقَوْلَ فارِسُ مَنْطِقٍ ... بَصِيرٌ بِإِرْخاءِ ٱلْعِنانِ وَجَذْبِهِ

(١) متى ما يعر ... (م ، ت) .
(٢) على الدهر (ي) .
(٣) ورد في هامش (ك) إلى يمين هذا البيت ما نصه : ينظر إلى معنى بيت المتنبي :
لقد حسنت بك الأيام حتى ... كأنك في فم الدنيا ابتسام
(٤) خلا زمناً ... وحسبي بعد القرب ... (ك) .
(٥) وما كان ... (ك) .
(٦) أصرم الرجل فهو مصرم : افتقر وفيه تماسك .

وَغَرَّاءُ مَيَّزْتُ ٱلطَّوِيلَ بِخَفْضِها ... فَطالَ عَلَى رَفْعِ ٱلْكَلامِ وَنَصْبِهِ
مِنَ ٱلزُّهْرِ لا يُلْفَيْنَ (١) إلاّ كَوَاكِباً ... طَوالِعَ فِي شَرْقِ ٱلزَّمانِ وَغَرْبِهِ
حَوالِيَ مِنْ حُرِّ ٱلثَّنَاءِ وَدُرِّهِ ... كَواسِيَ مِنْ وَشْيِ ٱلْقَرِيضِ وَعَصْبِهِ
خَطَبْتَ فَلَمْ يَحْجُبْكَ عَنْها وَلِيُّها ... إذا رُدَّ عَنْها خاطِبٌ غَيْرَ خِطْبِهِ (٢)
ذَخَرْتُ لَكَ ٱلْمَدْحَ ٱلشَّرِيفَ وَإِنَّما ... عَلَى قَدْرِ فَضْلِ ٱلزَّنْدِ قِيمَةُ قُلْبِهِ (٣)
فَجُدْهُ (٤) بِصَوْنٍ عَنْ سِواكَ (٥) وَحَسْبُهُ ... مِنَ ٱلصَّوْنِ أَنْ تُغْرِي ٱلسَّماحَ بِنَهْبِهِ

٧٣

وقال (٦) عقيب هذه القصيدة، وقد خلع عليه وشرّفه:

لَقَدْ أَصْبَحَتْ نُعْماكَ عِنْدِي مُشِيدَةً ... بِذِكْرِكَ فِي سُوقٍ مِنَ ٱلْحَمْدِ قائِمِ
وَقَدْ يُعْجِبُ ٱلرَّوْضُ ٱلْأَنِيقُ وَإِنَّما ... يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ ٱلْحَيا ٱلْمُتَراكِمِ

(١) لايلقين ... (ك ، ت ، ن) .
(٢) الخِطب : المرأة المخطوبة .
(٣) القُلب : السوار .
(٤) نخذه (ك) .
(٥) عن سؤال (ي) .
(٦) وقال أيضاً ، وقد شرفه الأمير بخلعة ، وأدنى مكانه (ك) .

غَمَرْتَ نَوالاً وَٱصْطِفاءً وَإِنَّمــا يُحَلَّى وَيُقْنَى [١] كُلُّ أَبْيَضَ صارِمِ
وَلَسْتُ عَلَى عَلْيَاكَ [٢] أَوَّلَ وافِدٍ وَلا أَنا مِنْ جَدْواكَ أَوَّلُ غانِمِ
وَما شِئْتُ إِلاَّ أَنْ أُشَرِّفَ مَنْطِقي بِمَدْحِكَ [٣] أَوْ أَقْضِي ذِمامَ ٱلْمَكارِمِ

٧٤

وقال [٤] يمدحه ويعاتبه :

مَتَى ٱرْتَجَعَتْ مَواهِبَها ٱلْكِرامُ وَهَلْ يَسْتَرْجِعُ ٱلْغَيْثَ ٱلْغَمامُ
أَيَصْعَدُ عائِداً فِي ٱلسُّحْبِ قَطْرٌ تَنَزَّلَ فِي ٱلْوِهادِ بِهِ ٱلرِّهامُ [٥]
أَرَى [٦] ٱلْعَلْياءَ مِنْ تَقْصِيرِ أَمْرِي بِها خَجَلٌ وَبِٱلْمَجْدِ ٱحْتِشامُ
جَمالَ ٱلْمُلْكِ غَيْرِي مِنْكَ يُدْهَى وَغَيْرَكَ مَنْ تُغَيِّرُهُ ٱللِّئـــامُ

---

(١) ويقضى (؟) (ظ) ، وينضى (ن) .
(٢) نعماك (ك) .
(٣) بوصفك (ك) .
(٤) وتوهم أن قوماً حسدوه، وأحالوا حسن رأي الأمير فيه، فقال معرضاً بالحال ومستعطفاً (ك) .
(٥) الرِّهام : المطر الضعيف الدائم .
(٦) هذا البيت وواحد وعشرون بيتاً بعده من هذه القصيدة لم ترد في (ك) ، وهي من اضعف شعر ابن الخياط .

أُعِيذُكَ مِنْ رِضىً يَتْلُوهُ سُخْطٌ ... وَمِنْ نُعْمىٰ يُكَدِّرُها ٱنْتِقامُ
أَيَرْجِعُ جَفْوَةً ذاكَ ٱلتَّصافِي[(١)] ... وَيُخْفَرُ ذِمَّــــةً ذاكَ ٱلذِّمامُ
أَتَبْرِينِي يَدٌ راشَتْ جَنــاحِي ... وَيَحْسِمُنِي نَدىً هُوَ لِي حُسامُ
وَيُغْرِي بِي ٱلْحِمامَ أَخُو سَماحٍ ... بِهِ عَنْ مُهْجَتِي دُفِعَ ٱلْحِمـامُ
أَعِرْنِي طَرْفَ عَدْلِكَ تَلْقَ عِرْضاً ... نَقِيّاً لا يُلِمُّ بِهِ ٱلْمَـلامُ
وَحَقِّقْ بِٱلتَّأَمُّلِ كَشْفَ حالِي ... فَغَيْرِي عاشِقٌ وَبِيَ ٱلسَّقـامُ
إِذا ما ٱفْتَرَّ بَرْقُكَ فِي سَمائِي ... تَجَلَّىٰ ٱلظُّلْمُ عَنِّي وَٱلظَّلامُ
أَتُغْرِقُنِي وَلَيْسَ ٱلْماءُ مِنِّي ... وَتُحْرِقُنِي وَمِنْ غَيْرِي ٱلضِّرامُ
وَأُوخَذُ فِي حِماكَ بِذَنْبِ غَيْرِي ... فَأَيْنَ ٱلْعَدْلُ عَنِّي[(٢)] وَٱلْكِرامُ
وَأَيْنَ خَلائِقٌ سَتَحُولُ عَنْهــا ... إِذا حالَتْ عَنِ ٱلسُّكْرِ ٱلْمُدامُ
فَلا تَعْدِلْ إِلىٰ ٱلْواشِينَ سَمْعاً ... فَإِنَّ كَلامَ أَكْثَرِهِمْ كِلامُ
وَإِنَّ[(٣)] ٱلْوُدَّ عِنْدَهُمُ نِفاقٌ ... إِذا طاوَعْتَهُمْ وَٱلْحَمْدَ[(٤)] ذامُ

(١) التجافي (س ، ظ ، ي ، م ، ع ، ن) .
(٢) مني (ت) .
(٣) فانَّ (س) .
(٤) والمدح (س) .

وَلِلْأَقْوالِ إِنْ سُمِعَتْ سِهامٌ تُقَصِّرُ عَنْ مَواقِعِها ٱلسِّهامُ
فَما نُصْحاً لِمَجْدِكَ بَلْ مُراداً لِما قَدْ ساءَنِي قَعَدُوا وَقامُوا
وَلَوْ إِذْ أَقْدَمُوا لاقَوْكَ دُونِي كَعَهْدِكَ أَحْجَمُوا عَنِّي وَخامُوا
فَلَيْتَكَ تَسْمَعُ ٱلْقَوْلَيْنِ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ فِي مَنِ ٱلْحَقُّ ٱلْخِصامُ
أَبَعْدَ تَمَسُّكِي بِنَداكَ دَهْراً[1] وَحَبْلُ نَداكَ لَيْسَ لَهُ ٱنْصِرامُ
وَكَوْنِي مِنْ دِفاعِكَ فِي حُصُونٍ مَنِيعــاتِ ٱلذَّوائِبِ لا تُرامُ
وَأَخْذِي مِنْكَ مِيثاقاً كَرِيماً وَعَهْداً ما لِعُرْوَتِهِ ٱنْفِصامُ
يَنالُ مُرادَهُ مِنِّي حَسُودٌ وَيُمْكِنُ عادِياً فِيَّ ٱهْتِضامُ
أَتَرْضَىٰ لِلْمَحامِدِ أَنْ تَراها بِأَرْضِكَ تُسْتَباحُ وَتُسْتَضامُ
وَتَصْبِرُ عَنْ غَرائِبِها وَصَبْرُ ٱلْـــفَتَىٰ فِي دِينِها أَبَداً حَرامُ
وَهَلْ يَسْلُو عَنِ ٱلْأَحْبابِ يَوْماً مُحِبٌّ لَيْسَ يَسْلُوهُ ٱلْغَرامُ
فَلا تَدَعِ ٱلْعِراقَ وَأَرْضَ مِصْرٍ تَفُوزُ بِها وَيُحْرَمُهــا ٱلشَّآمُ
فَمِنْ حَقِّ ٱلْقَوافِي مِنْكَ دَفْعٌ بِجَيْشٍ عِثْلِهِ ٱلْجَيْشُ ٱللُّهامُ
لَقَدْ مَلَّ ٱلرُّقادُ جُفُونَ عَيْنِي وَما مَلَّ ٱلدُّمُوعَ لَها ٱنْسِجامُ

(١) حيناً (ن) .

فَمَا يَسْرِي إِلىٰ قَلْبِي سُرُورٌ وَلٰكِنْ لِلْهُمُومِ بِيَ ٱهْتِمَامُ
سَيَرْضَىٰ ٱلْحَاسِدُونَ إِذَا تَمَطَّتْ بِيَ ٱلْوَجْنَاءُ وَٱضْطَرَبَ ٱلزِّمَامُ
إِذَا جَاوَزْتُ غُرَّبَ[1] أَوْ غُرَابًا وَحَالَ ٱلْقَاعُ دُونِي وَٱلْإِكَامُ
فَمَنْ يَجْلُو عَلَيْكَ بَنَاتِ فِكْرِي وَأَنْتَ بِهِنَّ صَبٌّ مُسْتَهَامُ
يُقَيِّدُنِي بِنَجْدِ[2] ٱلشَّامِ وَجْدٌ وَيَدْعُونِي إِلىٰ ٱلْغَوْرِ[3] ٱعْتِزَامُ
فَمِنْ أَمْرِ ٱلنَّوَائِبِ لِي رَحِيلٌ وَفِي حُكْمِ ٱلصَّبَابَةِ لِي مُقَامُ
وَمَنْ يَرْضَىٰ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِعَيْشٍ عَلَيْهِ[4] لِجَائِرٍ فِيهِ ٱحْتِكَامُ
تَأَمَّلْ مَا أَبُثُّ تَجِدْ حَقِيقًا بِشَمْلٍ فِي ذَرَاكَ لَهُ ٱلْتِئَامُ
أَيَعْظُمُ أَنْ تَذُودَ ٱلْخَطْبَ عَنِّي وَعِنْدَكَ تَصْغُرُ ٱلنُّوَبُ ٱلْعِظَامُ
إِذَا لَمْ أَعْتَصِمْ بِكَ مِنْ عَدُوٍّ فَهَلْ فِي ٱلْعَالَمِينَ لِيَ ٱعْتِصَامُ
لَعَلَّ دُجَىٰ ٱلْحَوَادِثِ أَنْ تُجَلَّىٰ بِبَدْرٍ لَا يُفَارِقُهُ ٱلتَّمَامُ
أَتِيهُ عَلَى ٱلزَّمَانِ بِهِ ٱبْتِهَاجًا وَتَحْسُدُنِي ٱلْكَوَاكِبُ لَا ٱلْأَنَامُ

---

(١) غُرَّب : اسم جبل دون الشام ، وغُراب : موضع بدمشق . (معجم البلدان لياقوت) .
(٢) بأرض الشام (ك) .
(٣) إلى نجد (ك) .
(٤) يكون لجائر ... (ك) .

وَحَسْبِي ٱللّٰهُ فِيما أَرْتَجِيهِ   وَعَضْبُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَلِكُ ٱلْهُمامُ
لَقَدْ شَغَلَ ٱلْمَحامِدَ عَنْ سِواهُ   أَغَرُّ بِمَدْحِهِ شَرُفَ ٱلْكَلامُ
جَمَعْتُ صِفاتِهِ جَمْعَ ٱللَّآلِي   فَلِي مِنْها ٱلْفَرائِدُ وَٱلتُّؤامُ
تَدُلُّ عَلَيْهِ فِي ٱلْجُلَّىٰ عُلاهُ   وَهَلْ لِلْبَدْرِ فِي ٱلظُّلَمِ ٱكْتِتامُ
أَنافَ عَلَى ٱلْقِيامِ فَطالَ عَنْهُمْ   كَأَنَّ قُعُودَهُ فِيهِمْ قِيامُ
تَصَوَّبَ جُودُهُ فِي كُلِّ وادٍ   كَما يَتَصَوَّبُ ٱلسَّيْلُ ٱلرُّكامُ
دَقِيقُ مَحاسِنِ ٱلْأَخْلاقِ يَبْدُو   أَمامَ نَداهُ بِشْرٌ وَٱبْتِسامُ
وَمُقْتَرِحٌ[1] عَلَيَّ ٱلْحَمْدَ أَرْضَىٰ   سَلامَتَهُ ٱقْتِراحِي وَٱلسَّلامُ

٧٥

وقال يمدحه أيضاً ويحضه[2] على الجهاد، وذكر أنه عمل هذه القصيدة في ليلة واحدة[3] :

فَدَتْكَ ٱلصَّواهِلُ قُبّاً وَجُرْدا   وَشُمُّ ٱلْقَبائِلِ شِيباً وَمُرْدا
وَذَلَّتْ لِأَسْيافِكَ ٱلْبِيضِ قُضْباً   وَدانَتْ لِأَرْماحِكَ ٱلسُّمْرِ مُلْدا

(١) ومقترحي عليَّ المجد ... (ك) .
(٢) ويحثه (ك) .
(٣) لعلها أول قصيدة قيلت في الحروب الصليبية .

وَقُلْ لِمَنْ قَامَ فِي ذَا الزَّمانِ مَقامَكَ أَنْ باتَ بِالْخَلْقِ يُفْدا
أَلَسْتَ أَبَرَّ الْبَرايا يَداً وَأَنْدىٰ مِنَ الْمُزْنِ كَفاً وَأَجْدا
وَأَمْضىٰ حُساماً وَأَوْفىٰ ذِماماً وَأَهْمىٰ غَماماً إِذا الْغَيْثُ أَكْدا
وَأَكْلا إِذا ضُيِّعَ الْأَمْرُ طَرْفاً وَأَوْرىٰ إِذا أَظْلَمَ الْيَوْمُ (١) زَنْدا
إِذا الْتَبَسَ الرَّأْيُ (٢) كُنْتَ الْأَسَدَّ وَإِنْ غالَبَ الْخَطْبُ كُنْتَ الْأَشَدّا
وَإِنْ قَصَّرَ النّاسُ عَنْ غايَةٍ سَبَقْتَ إِلَيْها مِنَ النّاسِ فَرْدا
وَمَنْ ذا يُجارِيكَ فَضْلاً وَنُبْلاً وَمَنْ ذا يُساوِيكَ حَلاً وَعَقْدا
سَجِيَّةُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِالثَّنا ءِ وَالْحَمْدِ مُنْفَرِداً مُسْتَبِدّا
تَجِلُّ مَعالِيهِ أَنْ تُسْتَطاعَ وَتَأْبىٰ مَناقِبُهُ أَنْ تُعَدّا
حَقِيقٌ إِذا ما انْتَضىٰ سَيْفَهُ بِأَنْ يَجْعَلَ الْهامَ لِلسَّيْفِ غِمْدا
زَعِيمَ الْجُيُوشِ لَقَدْ أَعْجَزَتْ أَيادِيكَ واصِفَها أَنْ تُحَدّا
وَأَمْعَنَ ذِكْرُكَ فِي الْخافِقَيْـنِ شَرْقاً وَغَرْباً وَغَوْراً وَنَجْدا
فَسارَ مَسِيرَ هِلالِ السَّما ءِ يَزْدادُ نُوراً إِذا ازْدادَ بُعْدا
فَلَوْ طُبِعَ الْفَخْرُ سَيْفاً لَكُنْـتَ دُونَ الْوَرىٰ حَدَّهُ وَالْفِرِنْدا

(١) الرأي (ت) .
(٢) الأمر (ت) .

وَكَمْ لَكَ مِنْ نائلٍ نائلٍ رِقابَ ٱلْمآثِرِ شُكْراً وَحَمْدا
نَدىً يعتِقُ ٱلْعَبْدَ مِنْ رِقِّهِ وَلٰكِنَّهُ يَتْرُكُ ٱلْحُرَّ عَبْدا
وَإِنّي لَمُهْدٍ إِلَيْكَ ٱلْقَرِيـضَ يَطْوِي عَلَى ٱلنُّصْحِ وَٱلنُّصْحُ يُهْدا
إِلىٰ كَمْ وَقَدْ زَخَرَ ٱلْمُشْرِكُونَ بِسَيْلٍ (١) يُهالُ لَهُ ٱلسَّيْلُ (٢) مَدّا
وَقَدْ جاشَ مِنْ أَرْضِ إِفْرَنْجَةٍ جُيُوشٌ كَمِثْلِ جِبالٍ تَرَدّا
تُراخُونَ (٣) مَنْ يَجْتَرِي شِدَّةً وَتَنْسُونَ (٤) مَنْ يَجْعَلُ ٱلْحَرْبَ نَقْدا
أَنَوْماً عَلَى مِثْلِ هَدِّ ٱلصَّفاةِ وَهَزْلاً وَقَدْ أَصْبَحَ ٱلْأَمْرُ جِدّا
وَكَيْفَ تَنامُونَ عَنْ أَعْيُنٍ وَتَرْتُمْ فَأَسْهَرْتُمُوهُنَّ حِقْدا
وَشَرُّ ٱلضَّغـائِنِ ما أَقْبَلَتْ لَدَيْهِ (٥) ٱلضَّغائِنُ (٦) بِالْكُفْرِ (٧) تُحْدا
بَنُو ٱلشِّرْكِ لا يُنْكِرُونَ ٱلْفَسادَ وَلا يَعْرِفُونَ مَعَ ٱلْجَوْرِ قَصْدا
وَلا يَرْدَعُونَ عَنِ ٱلْقَتْلِ نَفْساً وَلا يَتْرُكُونَ مِنَ ٱلْفَتْكِ جُهْدا

(١) بخيلٍ (ت) .
(٢) البحر (ت) .
(٣) يراخون . . . وينسون (ك) .
(٤) نسأ وأنسأ : أخّر .
(٥) إليه (ك) .
(٦) الظعائن (ت) .
(٧) بالكف (ك) .

فَكَمْ مِنْ فَتاةٍ بِهِمْ أَصْبَحَتْ تَدُقُّ مِنَ الْخَوْفِ نَحْراً وَخَدّا
وَأُمِّ عَواتِقَ ما إِنْ عَرَفْـــنَ حَرّاً وَلا ذُقْنَ فِي اللَّيْلِ بَرْدا
تَكادُ عَلَيْهِنَّ مِنْ خِيفَةٍ تَذُوبُ وَتَتْلَفُ حُزْناً وَوَجْدا
فَحامُوا عَلَى دِينِكُمْ وَالْحَرِيمِ مُحاماةَ مَنْ لا يَرَى الْمَوْتَ فَقْدا
وَسُدُّوا الثُّغُورَ بِطَعْنِ النُّحُورِ فَمِنْ حَقِّ ثَغْرٍ (١) بِكُمْ أَنْ يُسَدّا
فَإِنْ تَعْدَمُوا فِي انْتِشارِ الأُمُورِ أَخا تُدْرَإٍ (٢) حازِمَ الرَّأْيِ جَلْدا
يُظاهِرُ تَدْبِيرُهُ بَأْسَـــهُ مُظاهَرَةَ السَّيْفِ كَفّاً وَزَنْدا
كَمِثْلِ زَعِيمِ الْجُيُوشِ الْمَلِيِّ بِعَزْمٍ يَبِيتُ لَهُ الْحَزْمُ رِدّا (٣)
وَعاداتُ بَأْسِكُمُ فِي اللِّقا ءِ لَيْسَتْ تَحُولُ عَنِ النَّصْرِ (٤) عَهْدا
فَدُونَكُمُ ظَفَراً عاجِـــلاً لَكُمْ (٥) جاعِلاً سائِرَ الأَرْضِ مَهْدا
فَقَدْ أَيْنَعَتْ أَرْؤُسُ الْمُشْرِكِينَ فَلا تُغْفِلُوها قِطافاً وَحَصْدا
فَلا بُدَّ مِنْ حَدِّهِمْ أَنْ يُفَلَّ وَلا بُدَّ مِنْ رُكْنِهِمْ أَنْ يُهَدّا

(١) ثغركمُ أن يسدا (ك ، ت ، ن) .
(٢) أي ذو عدة وقوة على دفع الأعداء (لسان العرب) .
(٣) ردّاً ، يريد بها ردءاً ، والرِّدْءُ : العون والناصر .
(٤) عن السير (ك) .
(٥) يكرن له سائر الأرض مهدا (ت) .

فَإِنَّ أَلْبَ رَسْلانَ (١) في مِثْلِها مَضَى وَهْوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَدّا
فَأَصْبَحَ أَبْقَى مِنَ الفَرْقَدَيْنِ ذِكْراً وَأَسْنَى مِنَ الشَّمْسِ مَجْدا
لَعَلَّكُمُ أَنْ تُعِيدُوا مِنَ الْمَآثِرِ وَالْمَجْدِ ما كانَ أَبْدا
وَهٰذا ابْنُهُ (٢) قائِماً فِيكُمُ مَقامَ الْمُفاخِرِ جَدّاً وَجِدّا
بِخَيْلٍ تَخالُ غَداةَ الْمَكَرِّ طَيْراً تَحَمَّلْنَ غاباً وَأُسْدا
وَطَعْنٍ أَمَرَّ مِنَ الْمَوْتِ طَعْماً وَضَرْبٍ أَحَرَّ مِنَ النّارِ وَقْدا
إِذا (٣) ما السُّيُوفُ غَداةَ الْحُتُوفِ نَوَّعَتِ الضَّرْبَ قَطّاً (٤) وَقَدّا

(١) ألب أرسلان : هو محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، ثاني ملوك السلجوقية. ولد سنة ٤٢٤ ، واستولى على المملكة بعد وفاة عمه طغرلبك سنة ٤٥٥ ، وعظمت مملكته ورهبت سطوته وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه طغرلبك ، مع سعة ملك عمه ، وقصد بلاد الشام وانصرف عنها وقد قدمت له الطاعة . وقتل في بليدة يقال لها فرير على شاطىء جيحون سنة ٤٦٥ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى أن أرمانوس ملك الروم خرج في جيش عدده مائتا ألف، وقصد بلاد الاسلام، فسار إليه ألب أرسلان، والتقى الجمعان قرب خلاط، وكان جيش الب ارسلان قليل العدد، فانجلت المعركة عن هزيمة الروم هزيمة منكرة، وأخذ أرمانوس أسيراً. وكان ذلك سنة ٤٦٣ . وتفصيل ذلك في (الكامل) لابن الاثير ج ١٠ ص ٢٢ .

(٢) هو تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان، استولى على دمشق سنة ٤٧١، ثم ملك حلب سنة ٤٧٨ ، واستولى على البلاد الشامية ، وقتل بالقرب من مدينة الري سنة ٤٨٨ .

(٣) لم يرد هذا البيت في (ك) .

(٤) قَـطّاً وقدّاً (ي ، ن) .

تَرى[١] لُمَعاً وُقَّعاً لا يَزَلْـ ـنَ يَخطفْنَ بَرْقاً وَيَقْصُفْنَ رَعْدا
فَذُو ٱلْبَأْسِ مَنْ جابَ[٢] مِنْ تَرْكَةٍ لَهُ عِمَّةً وَمِنَ ٱلدِّرْعِ بُرْدا
وَلَمْ يَضَعِ[٣] ٱلسَّرْدَ عَنْ مَنْكِبَيْـ ـهِ حَتّىٰ يَصِيرَ مَعَ ٱلْجِلْدِ جِلْدا
فَما يَنْزِعُ ٱلْيَوْمَ عَنْـهُ ٱلْحَدِيـ ـدَ مَنْ رامَ أَنْ يَلْبَسَ ٱلْعِزَّ[٤] رَغْدا
وَأَيْسَرُ ما كابَدَتْهُ ٱلنُّفُوسُ مِنَ ٱلْأَمْرِ مالَمْ تَجِدْ مِنْهُ[٥] بُدّا
بَقِيتُمْ وَلا زِلْتُمُ فِي ٱللِّقاءِ[٦] بُدُوراً تُوافِقُ فِي ٱلْأُفْقِ[٧] سَعْدا
وَلا بَرِحَ ٱلْعِزُّ لِلْمُسْلِمِيـ ـنَ مِنْ[٨] بَحْرِكُمْ أَبَداً مُسْتَمَدّا
فَلَسْنا نَرىٰ بَعْدَ طُولِ ٱلْبَقا ءِ أَكْرَمَ مِنْكُمْ عَلَى ٱللهِ[٩] وَفْدا
وَقَدْ قِيلَ فِي ٱلتُّرْكِ إِنَّ ٱلَّذي يُتارِكُهُمْ أَسْعَدُ ٱلنّاسِ جَدّا

* * *

(١) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٢) جاب : قطع ، والتركة : بيضة الحديد ، وفي جميع النسخ (تركه) بالهاء لا بالتاء المربوطة ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) ولم يدع (م ، ع) .
(٤) العيش (ك ، ي ، ت ، ن) .
(٥) عنه (س) .
(٦) في البقاء (ت) .
(٧) في الأرض (ت) .
(٨) ومن بحركم (ك) .
(٩) على الأرض (ك) .

٧٦

وقال (١) يمدحه رحمه الله، ويهنيه بتشريف (٢) الخليفة :

جَرى لَكَ بِالتَّوْفِيقِ أَيْمَنُ طائِرِ ... وَمُلِّيتَ (٣) مَأْثُورَ الْعُلىٰ وَالْمَآثِرِ
وَأَيَّدَكَ اللّٰهُ الْعَلِيُّ ثَنـاؤُهُ ... بِعاجِلِ نَصْرٍ خالِدِ الْعِزِّ قاهِرِ
وَلا زِلْتَ وَرّاداً إِلىٰ كُلِّ مَفْخَرٍ ... مَوارِدَ مَحْمُودٍ سَعِيدِ الْمَصادِرِ
لَقَدْ دَلَّ تَشْرِيفُ الْخَلِيفَةِ أَنَّهُ ... بِخَيْرٍ بَنِي أَيّامِهِ خَيْرُ خابِرِ
وَأَنَّ لَهُ فِي حَوْطَةِ الدِّينِ هِمَّةً ... بِها يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ مِنْ كُلِّ ناصِرِ
تَسَرْبَلْتَ عَضْبَ الدَّوْلَةِ الْمُلْكَ فَخْرَهُ ... وَما الْفَخْرُ إِلاَّ لِلسُّيُوفِ الْبَواتِرِ
وَما جَهِلَتْ نُعْماهُ عِنْدَكَ قَدْرَها ... وَقَدْ كَشَفَتْ عَمّا طَوىٰ فِي الضَّمائِرِ
وَما نَبَهَتْ إِلاَّ عَلَى ذِي نَباهَةٍ ... كَما سُقِيَ الرَّوْضُ الْخَصِيبُ بِماطِرِ

(١) ولما وصل القاضي زين الاسلام الهروي من بغداد إلى دمشق حضر بين يديه، وأوصل خلع أمير المؤمنين المستظهر بالله إليه، وعرض مكاتباته الشريفة عليه، قال يهنيه بذلك . (ك) .

(٢) التشريف : خلعة وألطاف يتحف بها الخليفة من يشاء من الملوك والأمراء وغيرهم لمناسبات خاصة . انظر (صبح الأعشى) للقلقشندي ج ٣ ص ٧٦ و ج ٤ ص ٥٢ .

(٣) مُلِّيتَ : مُتِّعْتَ .

وَما كانَ إلاّ ٱلْعَنْبَرَ ٱلْوَرْدَ فِعْلُهُ ... أُضِيفَ إلىٰ نَشْرٍ مِنَ ٱلْمِسْكِ عاطِرِ
وَما شاءَ إلاّ أَنْ تُحَقِّقَ[1] عِنْدَهُ ... مَحَلَّكَ مِنْ طاوٍ هَواهُ وَناشِرِ
وَأَنَّكَ[2] مَعْقُودٌ بِأَكْبَرِ[3] هِمَّةٍ ... وَأَنَّكَ مَعْدُودٌ لَهُ في ٱلذَّخائِرِ
وَلَيْسَ يَبِينُ ٱلدَّهْرَ إخْلاصُ باطِنٍ ... إذا أَنْتَ لَمْ تُدْلَلْ عَلَيْهِ بِظاهِرِ
رَآكَ بِعَيْنِ ٱللُّبِّ أَبْعَدَ في ٱلْعُلىٰ ... وَأَسْعَدَ مِنْ زُهْرِ ٱلنُّجُومِ ٱلْبَواهِرِ[4]
وَأَبْهىٰ مَحَلّاً في ٱلْقُلُوبِ وَمَوْقِعاً ... وَأَشْهىٰ إلىٰ لَحْظِ ٱلْعُيُونِ ٱلنَّواظِرِ
وَأَطْعَمَ في ٱللَّأْواءِ وَٱلدَّهْرُ ساغِبٌ ... وَأَطْعَنَ في صَدْرِ ٱلْكَمِيِّ ٱلْمُغامِرِ
فَناهَزَ فَخْراً بِٱصْطِفائِكَ عاجِلاً ... عَلَى كُلِّ باقٍ في ٱلزَّمانِ وَغابِرِ
وَماذاكَ مِنْ فِعْلِ ٱلْخَلِيفَةِ مُنْكَرٌ[5] ... وَلا عَجَبٌ فَيْضُ ٱلْبُحُورِ ٱلزَّواخِرِ
وَما عُدَّ إلاّ مِنْ مَناقِبِهِ ٱلَّتي ... مَثَلْنَ[6] بِهِ في ٱلْفِعْلِ طِيبَ ٱلْعَناصِرِ
وَما كانَ تَأْثِيلٌ[7] شَرِيفٌ وَسُؤْدُدٌ ... لِيُنْكَرَ مِنْ أَهْلِ ٱلنُّهىٰ وَٱلْبَصائِرِ

(١) يحقق (ي ، ن) .
(٢) فانك (ت) .
(٣) بأول همة (ي) ، بأكثر همة (ت) .
(٤) البواتر (م ، ع) ، الزواهر (ت) .
(٥) منكراً (ك) .
(٦) حكين (ك) .
(٧) تأثير (ك) .

وَأَنْتَ ٱلَّذي مِنْ بَأْسِهِ في حَجافِلٍ ... وَمِنْ مَجْدِهِ في أُسْرَةٍ وَعَشائِرِ [١]

بِعَزْماتِ [٢] مَجْدٍ ثاقِباتٌ هُمُومُها ... وَآراءِ مَلْكٍ مُحْصَداتِ ٱلْمَرائِرِ

يَراها ذَوُو ٱلْأَضْغانِ بَثَّ حَبائِلٍ ... وَما هِيَ [٣] إلاَّ أَسْهُمٌ في ٱلْمَناحِرِ

وَآياتُ مَجْدٍ باهِراتٌ كَأَنَّها ... بَدائِعُ تَأْتي بِٱلْمَعاني ٱلنَّوادِرِ

وَأَخْلاقُ مَعْشُوقِ ٱلسَّجايا كَأَنَّما [٤] ... سَقاكَ بِها كَأْسَ ٱلنَّديمِ ٱلْمُعاقِرِ

يَبِيتُ [٥] بَعيداً أَنْ تُوَجَّهَ [٦] وَصْمَةٌ ... عَلَى عِرْضِهِ وَٱلدَّهْرُ باقي ٱلْمَعايِرِ

إذا دَفَعَ ٱلطُّلاَّبَ إلْحاحُ لَزْبَةٍ ... فَأَنْتَ ٱلَّذي لا يَتَّقي [٧] بِٱلْمَعاذِرِ

وَما لِلْبُدُورِ [٨] أَنْ تَكُفَّ ضِياءَها ... وَلاَ ٱلْبُخْلُ في [٩] طَبْعِ ٱلْغَمامِ ٱلْبَواكِرِ

لَعَمْري لَقَدْ أَتْعَبْتَ بِٱلْحَمْدِ مَنْطِقي ... وَأَكْثَرْتَ مِنْ شُغْلِ ٱلْقَوافي ٱلسَّوائِرِ

وَما نَوَّهَتْ مِنْكَ ٱلْقَوافي بِخامِلٍ ... وَلٰكِنْ رَأَيْتُ ٱلشِّعْرَ قَيْدَ ٱلْمَفاخِرِ

---

(١) وعساكر (ك) .
(٢) بعزمات فتك باقيات هومها (ك) ، باقيات... (ن) .
(٣) وما هن (ك) .
(٤) كأنها (ك ، ي) .
(٥) تبيت (س ، ظ ، م ، ع) .
(٦) يوجه (س ، ظ ، م ، ع) .
(٧) لا تتقي (ك) .
(٨) وما لبدورٍ (م) ، وهل للبدور (ت) .
(٩) من (ن) .

إذا أَنْتَ لَمْ تجْعَلْ لَهُ منك جانبًا ... فمَنْ يقتَني الحَمْدَ اقْتناءَ الجَواهرِ
وَما زلتَ مَشْغُوفًا لديَّ مُتيَّمًا ... بكُلِّ رَداحٍ مِنْ بَناتِ الخَواطرِ
لَهُنَّ إذا وافَيْنَ مَجْدَكَ قُرْبَةُ الْـ ... ـإحسانِ وَدلُّ الآنساتِ الغَرائرِ
يَرِدْنَ رَبيعًا مِنْ جَنابكَ مُمْرِعًا ... وَيرْتَعْنَ في إِثْرِ الغُيُومِ المَواطرِ
وَإنِّي لقَوّالٌ(١) لِكُلِّ قَصيدَةٍ ... إذا قيلَ شِعْرٌ أفْحَمَتْ كُلَّ شاعرِ
فَمِنْ كَلِمٍ يَكْلُمْنَ أكْبادَ حُسَّدي ... وَمِنْ فِقَرٍ تَرْميهِمُ بالفَواقرِ
أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أفُوزُ بِدَوْلَةٍ ... تُصرِّفُ كَفِّي في عِنانِ المَقادرِ
وَهَلْ تَنْهَضُ الأيّامُ بي في مَقاومٍ(٢) ... تَطُولُ بِناءً لِلزَّمانِ(٣) وَآمرِ
فَإنَّ مِنَ العَجْزِ المُبينِ — وَأنْتَ لي — ... نُزُولي عَلى حُكْمِ اللَّيالي الجَوائرِ

* * *

(١) نظّام (ك) .
(٢) لعله أراد بها جمع مقام .
(٣) في الزمان (س ، ك ، ت) .

٧٧

وقال، وقد حضر في غداة مطيرة توالى فيها الغيث بعد محل، وهناك تمثال ديك في وسط بركة دار الأمير عضب الدولة رحمه الله يجري الماء من اجنحته وذنبه، وقد حضر الشراب، بديهاً يصف ذلك :

نَشَدْتُكَ[1] لا تُعْدِمِ ٱلرَّاحَ راحا   وَلا تَمْنَعَنَّ ٱلصَّبُوحَ ٱلصَّباحا[2]
فَقَدْ أَصْبَحَ ٱلْغَيْثُ يَكْسُو ٱلْجَمالَ   وُجُوهاً مِنَ ٱلْأَرْضِ كانَتْ قِباحا
يُعِيدُ إِلىٰ ٱلْعُودِ إِيراقَهُ[3]   وَيَهْتَزُّهُ بِٱلنَّسِيمِ ٱرْتِياحا
بَكىٰ رَحْمَةً لِجُدُوبِ ٱلْبِلادِ   وَحَنَّ ٱشْتِياقاً إِلَيْها فَساحا
وَسَحَّ كَما غَلَبَ ٱلْمُسْتَهامَ وَجْدٌ فَأَجْرىٰ دُمُوعاً وَباحا
كَأَنَّ ٱلْغُيُومَ جُيُوشٌ تَسُومُ   مِنَ ٱلْعَدْلِ فِي كُلِّ أَرْضٍ صَلاحا
إِذا قاتَلَ ٱلْمَحْلَ فِيها ٱلْغَمامُ   بِصَوْبِ ٱلرِّهامِ أَجادَ ٱلْكِفاحا
فَوافاهُ يَحْمِلُ مِنْ طَلِّهِ   وَمِنْ وَبْلِهِ لِلِّقاءِ ٱلسِّلاحا
يُقَرْطِسُ بِٱلطَّلِّ فِيهِ ٱلسِّهامَ   وَيُشْرِعُ بِٱلْوَبْلِ فِيهِ ٱلرِّماحا

---

(١) حسدتك (؟) (ك) .
(٢) صباحا (ي) .
(٣) إشراقه (ك) .

وَسلَّ عليهِ سيُوفَ الْبُرُوقِ فَأَثْخَنَ بِالضَّرْبِ فِيهِ الْجِراحا
تَرىٰ أَلْسُنَ النَّوْرِ تُثْني عليهِ فَتَعْجَبُ مِنْهُنَّ خُرْساً فِصاحا
كَأَنَّ الرِّياضَ عَذارىٰ جَلَوْنَ عَلَيْكَ مَلابِسَهُنَّ الْمِلاحا
وَقَدْ غادرَ الْقَطْرُ مِنْ فَيْضِهِ غَديراً هُوَ السَّيْلُ حَلَّ الْبِطاحا
إذا صافَحَتْهُ هَوافِي[1] الرِّياحِ تَمَوَّجَ كَالطَّرْفِ رامَ الْجِماحا
وَدِيكاً تَرىٰ الصُّفْرَ جِسْماً لَهُ وَمِنْ فِضَّةٍ رِيشَهُ وَالْجَناحا
إذا الْماءُ راسَلَهُ بِالْخَرِيــرِ أَحْسَنَ تَغْرِيدَهُ وَالصِّياحا
لَهُ شِيمَتانِ مِنَ الْمَكْرُماتِ يُرِيكَ الْوَقارَ بِها وَالْمِراحا[2]
إذا هَمَّ مِنْ طَرَبٍ أَنْ يَطِيــرَ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْ حَياءٍ بَراحا
إذا ما تَغَنَّىٰ أَغارَ الْحَمامَ فَرَجَّعَ أَلْحانَهُ ثُمَّ ناحا
غَداةَ غَدا الْيَوْمُ فِيها صَرِيحاً وَأَضْحىٰ الْغَمامُ لَدَيْها صُراحا
كَأَنَّ حَياها يُجارِي الْأَمِيرَ لِيُشْبِهَ مَعْرُوفَهُ وَالسَّماحا
وَكَيْفَ يُشاكِلُ[3] مَنْ لا يُغِبْـــبُ مَجْداً مَصُوناً وَمالاً مُباحا

(١) هوى في ... (ك) .
(٢) والمزاحا (س ، ك ، م ، ت ، ن) .
(٣) يساجل (ت) .

أَعَمَّ نَوالاً مِنَ ٱلْبَحْرِ فاضَ ... وَأَطْيَبَ نَشْراً مِنَ ٱلْمِسْكِ فاحا
فَدُونَكَ فَاشْرَبْ كُؤُوساً تُصِيبُ ... مِزاجاً لَهُنَّ ٱلسُّرُورَ ٱلْقَراحا[1]
إِذا ما جَلَوْنا عَرُوسَ ٱلْمُدامِ ... أَجالَ ٱلْحَبابُ عَلَيْها وِشاحا
وَقَدْ فَسَحَ ٱلْوَصْلَ لِلْعاشِقِينَ ... فَصادَفَ مِنْهُمْ صُدُوراً فِساحا
إِذا كَرُمَ ٱلدَّهْرُ فِي عَصْرِنا ... فَكَيْفَ نَكُونُ عَلَيْهِ شِحاحا

* * *

٧٨

وقال، وقد ناوله الأمير عضب الدولة، رحمه الله، تفاحة حمراء وطاقتين من نرجس وبنفسج، وأمره أن يقول في ذلك[2] :

أَهْدَى ٱلْأَمِيرُ إِلَيْكَ خَيْرَ تَحِيَّةٍ ... مِنْ خَيْرِ بَسّامٍ أَغَرَّ بَشُوشِ
عَضْبٌ لِأَكْرَمِ دَوْلَةٍ وَبَهاءُ أَشْـرَفِ مِلَّةٍ وَزَعِيمُ أَيِّ جُيُوشِ
مِنْ نَرْجِسٍ وَبَنَفْسَجٍ غَضٍّ وَتُفّـاحٍ كَوَشْيِ ٱلْحُلَّةِ ٱلْمَرْشُوشِ[3]
جُمَلٌ كَما قُضِيَتْ مَواعِدُ عاشِقٍ ... مِنْ ناصِحٍ فِي ٱلْحُبِّ غَيْرِ غَشُوشِ
فَكَأَنَّها وَجْهُ ٱلْحَبِيبِ إِذا رَنا ... وَبِخَدِّهِ أَثَرٌ مِنَ ٱلتَّخْمِيشِ

* * *

---

(١) القَراح : الخالص .

(٢) لم ترد هذه القطعة في (ك) .

(٣) المنقوش (ن) .

٧٩

وقال[١]، وقد حضر عند الأمير عضب الدولة رحمه الله في مجلس، فيه سماع. وقد نضد بطرائف من الأزهار، وقد أوقدت نار ذكية الجمر، وفيه شراب رائق ونارنج شديد الاحمرار، بديهاً بعد أن ثمل:

لَنا مَجْلِسٌ ما فِيهِ لِلهَمِّ مَدْخَلٌ ... وَلا مِنْهُ يَوْماً لِلْمَسَرَّةِ مَخْرَجُ
تَضَمَّنَ أَصْنافَ[٢] الْمَحاسِنِ كُلَّها ... فَلَيْسَ لِباغِي الْعَيْشِ[٣] عَنْهُ مُعَرَّجُ
غِناءٌ إِلَى الْفِتْيانِ أَشْهَى مِنَ الْغِنَى ... بِهِ الْعَيْشُ يَصْفُو وَالْهُمُومُ تُفَرَّجُ
يَخِفُّ لَهُ[٤] حِلْمُ الْحَلِيمِ صَبابَةً ... وَيَصْبُو إِلَيْهِ النَّاسِكُ الْمُتَحَرِّجُ
وَرَوْضاً[٥] كَأَنَّ الْقَطْرَ غاداهُ فَاغْتَدَى ... يَضُوعُ بِمِسْكِيِّ النَّسِيمِ وَيَأْرَجُ
تَرَى نُكَتَ الْأَزْهارِ فِيهِ كَأَنَّها ... كَواكِبُ[٦] فِي أُفْقٍ تُنِيرُ وَتُسْرَجُ
وَيُذْكِرُكَ[٧] الْأَحْبابَ فِيهِ[٨] بَدائِعٌ ... مِنَ النَّوْرِ مِنْها نَرْجِسٌ وَبَنَفْسَجُ

(١) لم ترد هذه القصيدة أيضاً في (ك).
(٢) أوصاف (ظ).
(٣) لباغي الخير (ت).
(٤) يخف به ... (ت).
(٥) وروض ... (ت).
(٦) الكواكب (ت).
(٧) وتذكرك (ت).
(٨) فيك (م، ع، ت).

ا

فَهٰذا كَما يَرْنُو إِلَيْكَ بِطَرْفِهِ ... أَغَنُّ غَرِيرٌ فاتِنٌ[١] ٱلطَّرْفِ أَدْعَجُ

وَهٰذا كَما حَيّا بِخَطٍّ عِذارِهِ ... مِنَ ٱلْهِيفِ مَمْشُوقُ ٱلْعِذارِ مُعَرَّجُ

غَرِيبُ ٱفْتِنانِ ٱلدَّلِّ فِي ٱلْحُسْنِ لَمْ يَزَلْ ... تَعَقْرَبُ أَصْداغٌ لَهُ وَتُصَوْلَجُ

وَمَعْشُوقُ نارَنْجٍ يُرِيكَ[٢] ٱحْمِرارُهُ ... خُدُودَ عَذارَى بِٱلْعِتابِ تُضَرَّجُ

وَنارٌ تُضاهِيها ٱلْمُدامُ بِنُورِها ... فَتَخْمُدُ لٰكِنَّ ٱلْمُدامَ تَأَجَّجُ

كُؤُوسٌ كَما تَهْوَى ٱلنُّفُوسُ كَأَنَّها ... بِنَيْلِ ٱلْأَمانِي وَٱلْمَآرِبِ تُمْزَجُ

كَأَنَّ ٱلْقَنانِي[٣] وَٱلصَّوانِي لِناظِرٍ ... نُجُومُ سَماءٍ سائِراتٌ وَأَبْرُجُ

مَعانٍ كَأَخْلاقِ ٱلْأَمِيرِ مَحاسِناً ... وَلٰكِنَّهُ مِنْهُنَّ أَبْهَى وَأَبْهَجُ

كَأَنّا جَمِيعاً دُونَهُ وَهْوَ واحِدٌ ... بِساحِلِ بَحْرٍ رِيعَ مِنْهُ ٱلْمُلَجِّجُ[٤]

أَغَرُّ غَرِيبُ ٱلْمَكْرُماتِ بِمِثْلِهِ ... تَقَرُّ عُيُونُ ٱلْمَكْرُماتِ وَتَثْلَجُ

هُوَ ٱلْبَحْرُ لٰكِنْ عِنْدَهُ ٱلْبَحْرُ باخِلٌ ... هُوَ ٱلْبَدْرُ لٰكِنْ عِنْدَهُ ٱلْبَدْرُ يَسْمُجُ

* * *

(١) فاتر (س ، ي ، ن) .
(٢) يكون احمراره (ت) .
(٣) كأن الصواني والقناني ... (س) .
(٤) لَجَّجَ فهو ملجِّج : ركب اللجة ، واللجة : معظم الماء ، وخصه بعضهم بمعظم البحر .

٨٠

وقال [١]، يمدحه ويهنيه بقدومه من سفر :

شَرَفاً لِمَجْدِكَ بانِياً وَمُقَوِّضَا ... وَلِسَعْدِ جَدِّكَ ناهِضاً أَوْ مُنْهِضا
إمَّا أَقَمْتَ أَوِ ٱرْتَحَلْتَ فَلِلْعُلَى ... وَٱلسَّيْفُ يَشْرُفُ مُغْمَداً أَوْ مُنْتَضا
لَقَضَى [٢] لَكَ ٱللهُ ٱلسَّعادَةَ آيِباً ... أَوْ غائِباً وَٱللهُ [٣] أَعْدَلُ مَنْ [٤] قَضا
تَقِصُ ٱلْأَعادي ظاعِناً أَوْ قاطِناً ... وَٱللَّيْثُ أَغْلَبُ مُصْحِراً وَمُغَيِّضا [٥]
مُسْتَعْلِياً إِنْ جَدَّ سَعْيُكَ [٦] أَوْ وَنَى [٧] ... وَمُظَفَّراً إِنْ كَفَّ عَزْمُكَ أَوْ مَضا
حَزْماً وَإِقْداماً وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ ... بَأْسُ ٱلضَّراغِمِ وُثَّباً أَوْ رُبَّضا
وَإِلَيْكَ عَضْبَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْماضي ٱلشَّبا ... أَلْقَى مَقالِدَهُ ٱلزَّمانُ وَفَوَّضا

---

(١) وقال أيضاً يهنيه بالعيد، وقد عوّل على المسير إلى بعض الأطراف (ك) .
(٢) يقضي . . . (ت) .
(٣) فالله . . . (ك) .
(٤) أعدل ما قضا (ظ) .
(٥) وَقَصَ : كسر . وأصْحَرَ : برز إلى الصحراء . وغَيَّضَ الأسدُ : ألف الغيضة .
(٦) سعدك (س)، سيفك (ت) .
(٧) أو دنا (م، ع) .

فَإِلَى[١] ٱرْتِيَاحِكَ يَنْتَمِي صَوْبُ ٱلْحَيَا[٢] وَعَلَى ٱقْتِرَاحِكَ يَنْتَهِي صَرْفُ ٱلْقَضَا
يَا مَنْ إِذَا نَزَعَ ٱلْمُنَاضِلُ سَهْمَهُ يَوْمًا كَفَاهُ مُنَاضِلًا أَنْ يُنْبَضَا
وَإِذَا ٱلنَّدَى عَزَّ ٱلطِّلَابَ مُصَرَّحًا بَلَغَ ٱلْمُنَى[٣] رَاجِي نَدَاهُ مُعَرِّضَا
أَرْعَيْتَ هٰذَا ٱلْمُلْكَ أَشْرَفَ هِمَّةٍ تَأْبَى لِطَرْفِكَ طَرْفَةً أَنْ يُغْمِضَا
حَصَّنْتَ[٤] هَضْبَةَ عِزِّهِ أَنْ تُرْتَقَى وَمَنَعْتَ عَالِيَ جَدِّهِ أَنْ يُخْفَضَا
وَحَمَيْتَ بِٱلْجُنْدَيْنِ طَوْلَكَ وَٱلنُّهَى مَبْسُوطَ ظِلِّ ٱلْعَدْلِ مِنْ أَنْ يُقْبَضَا
أَشْرَعْتَ حَدَّ صَوَارِمٍ لَنْ تَخْتَطَا[٥] وَشَرَعْتَ دِينَ مَكَارِمٍ لَنْ يُرْفَضَا
مَا إِنْ تُؤَيِّدُهُ بِبَأْسٍ يُتَّقَى[٦] حَتَّى تُشَيِّدَهُ بِسَعْيٍ[٧] مُرْتَضَى
وَلَقَدْ نَعَشْتَ ٱلدِّينَ أَمْسِ مِنَ ٱلَّتِي مَا كَادَ[٨] وَاصِمُ عَارِهَا أَنْ يُرْحَضَا

---

(١) وإلى . . . (ت) .
(٢) العلى (ي) .
(٣) الندى (س) .
(٤) هذا البيت والذي بعده لم يردا في (ي) .
(٥) كذا في جميع النسخ إلا في (ن) فانها (لن تحتطا) .
(٦) متقى (ك) .
(٧) بسعد (ك) .
(٨) ما كان (س ، ت) .

حِينَ (١) اُسْتَحالَ بِها الْعُقُوقُ نَدامَةً ... وَأَخَلَّ (٢) راعِيها الْمُضِلُّ فَأَحْمَضا
وَغَدا الْمَرِيضَ بِها الَّذِي لا يُهْتَدَى ... لِشِفائِهِ مَنْ كانَ فِيها الْمُمْرِضا
لَمَّا دَجا ذاكَ الظَّلامُ فَلَمْ يَكُنْ ... مَعَهُ لِيُغْنِيَنا الصَّباحُ وَإِنْ أَضا
إِذْ باطِلُ الْأَقْوامِ أَكْثَرُ ناصِراً ... وَالْحَقُّ مَدْفُوعُ الدَّلِيلِ لِيَدْحَضا
وَالنُّصْحُ مُطَّرَحٌ مُذالٌ مَحْضُهُ ... إِنْ كانَ يُمْكِنُ ناصِحاً أَنْ يَمْحَضا
حَتَّى أَقَمْتَ الْحَزْمَ أَبْلَغَ خاطِبٍ ... فِيها فَحَثَّ عَلَى الصَّلاحِ (٣) وَحَضَّضا
يَثْنِي (٤) بِوَجْهِ الرَّأْيِ (٥) وَهْوَ كَأَنَّهُ ... ماءُ الْغَدِيرِ حَسَرْتَ عَنْهُ الْعَرْمَضا (٦)
حَتَّى (٧) اسْتَضاءَ كَأَنَّما كَشَفَتْ بِهِ ... كَفّاكَ فِي الظَّلْماءِ فَجْراً (٨) أَبْيَضا
لَمْ تُبْدِ إِلَّا لَحْظَةً أَوْ لَفْظَةً ... حَتَّى فَضَضْتَ الْجَيْشَ قَدْ مَلَأَ الْفَضا

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٢) أخَلَّ القومُ : رعت إبلهم الخُلَّة وهي ما حـلا من النبات . وأحمضَ الإبل : أطعمها الحمض وهو ما ملح وأمَرَّ من النبات .
(٣) على السلاح (ت ، ي) .
(٤) لم يرد هذا البيت في (س ، ظ ، م ، ع). تبني (ن)، ولعله الصواب .
(٥) بعين الرأي (ك) .
(٦) العَرْمَضُ : الطحلب .
(٧) ثم استضاء (ي ، ت) .
(٨) وجهاً أبيضا (ت) .

دانيتَ بَيْنَ قلوبِ قومِكَ بعدَما شَجَبَ الْوَرى متبايناتٍ رُفَّضا
وَرَفَعْتَ ثَمَّ بناءَ مجدٍ شامخٍ لَوْ لَمْ تَشِدْهُ لكادَ أَنْ يتقوَّضا
مِنْ بَعْدِ ما أحصدْتَ(١) عقدَ مواثِقٍ يأبى كريمُ مُمَرِّها أنْ يُنقَضا
لِلهِ أيَّةُ نعمةٍ مَحْقُوقَةٍ(٢) بالشُّكرِ فيكَ وأيُّ سعدٍ قُيِّضا
أَخَذَ الزمانُ فما أَلْمنا أَخْذَهُ إذْ كانَ خيراً منْهُ ما قدْ عوَّضا
وَمكينةٍ(٣) لوْ أمكنتْ زُحَلاً إذاً لغدا لها مُتَرَشِّحاً مُتَعَرِّضا
عزَّتْ سواكَ وأسمحتْ لكَ صعبةً فعلوْتَ صهوتَها ذَلُولاً رَيِّضا
أُعطيتَ في ذاكَ المقامِ نُبُوَّةً حُقَّتْ لمجدِكَ أنْ تُسَنَّ وَتُفْرَضا
وبأيِّما خطبٍ مُنيتَ فلمْ تكنْ سكنتَ منْهُ ما طغى وتغيَّضا
ما مرَّ يوْمٌ منْ زمانِكَ واحدٌ إلَّا أطالَ شجى الحسودِ وأجرضا
لكَ كلَّ يومٍ عيدُ مجدٍ عائدٌ للحمدِ فيهِ أنْ يطولَ ويعرُضا
فالدَّهرُ(٤) يغنمُ منْ علائكَ مفخراً طوْراً ويلبسُ منْ ثنائكَ(٥) مِعْرَضا(٦)

---

(١) أحصدَ الحبلَ : فتله . والمُمَرُّ : المفتول فتلاً شديداً .

(٢) محقوقة : خليقة . وفي (ك ، ت ، ن) محفوفة .

(٣) المكينة : التؤدة والهينة . وزُحَل : كوكب من الخُنَّس، ويقولون له شيخ النجوم .

(٤) لم يرد هذا البيت في (ي) .

(٥) بنائك (ن) .

(٦) المِعْرَضُ : الثوب تجلى فيه الجارية ليلة العرس .

فتهنَّهُ وَتَمَلَّ عُمْرَ سَعادَةٍ تَقْضِي ٱلنُّجُومُ ٱلْخالداتُ وَما ٱنْقضا
لَوْ حُلِّيَ ٱلْمَدحُ ٱلسَّنِيُّ بِحِلْيَةٍ (١) يَوْماً لَذُهِّبَ ما أَقُولُ وَفُضِّضا
أَوْ (٢) عُطِّرَتْ يَوْماً مَقالَةُ (٣) مادِحٍ لَغَدا مَقالِي لِلْغَوالِي مِخْوَضا (٤)
وَكَفاهُ عِطْرٌ (٥) مِنْ ثَناكَ كَناسِمٍ بِالرَّوْضِ مَرَّ تَحَرُّشاً وَتَعَرُّضا
أَلْبَسْتُهُ شَرَفاً بِمَدْحِكَ لا سَرى (٦) عَنْ مَتْنِهِ ذاكَ ٱللِّباسَ وَلا نَضا
وَلَقَدْ (٧) مَطَلْتُكَ بِٱلْمَحامِدِ بُرْهَةً وَلَرُبَّما مَطَلَ ٱلْغَرِيمَ ٱلْمُقْتَضا
لَوْلا ٱلْهَوى وَدَلالُ مَعْشُوقِ ٱلْهَوى ماسَوَّفَ ٱلْوَعْدَ ٱلْحَبِيبُ وَمَرَّضا (٨)
وَلَدَيَّ مِنْها ما يَهُزُّ سَماعُهُ لَوْ كُنْتُ أَرْضى مِنْ مَدِيحِكَ بِٱلرِّضا
فَإِلَيْكَ (٩) مَجْدَ ٱلدِّينِ غُرَّ قَصائِدٍ أَسْلَفْتَهُنَّ جَمِيلَ صُنْعِكَ مُقْرِضا
وَبَلَوْتَهُنَّ وَإِنَّما يُنْبِيكَ عَنْ فَضْلِ ٱلْجِيادِ وَسَبْقِها أَنْ تُرْكَضا

(١) بحلة (ظ) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٣) مقاول مادح (ظ ، ي ، م ، ع ، ت) .
(٤) المِخْوَض : من أواني الشراب .
(٥) عطراً (ك) .
(٦) سَرى : ألقى .
(٧) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٨) مَرَّض في الأمر : ضجَّع فيه أي قصَّر فيه .
(٩) وإليك (ك) .

مِمّــا تَنَخَّلَهُ وَحَصَّلَ ماهِرٌ فَضْلَ ٱلْبَرِيَّةِ ناثِراً وَمُقَرِّضا
رَقَّتْ كَما رَقَّ ٱلنَّسِيمُ بِعَرْفِهِ مَرِضاً وَلَيْسَ يَصِحُّ حَتَّىٰ يَمْرَضا
يُخْجِلْنَ ما حاكَ ٱلرَّبِيعُ مُفَوَّفاً وَيَزِدْنَهُ خَجَلاً إِذا ما رَوَّضا
وَكَأَنَّ نُوّارَ ٱلثُّغُورِ مُقَبَّلاً فِيها وَتُفّاحَ ٱلْخُدُودِ مُعَضَّضا
تُهْدَىٰ إِلَىٰ مَلِكٍ نَداهُ مَعْقِلٌ حَرَمٌ إِذا خَطْبٌ أَمَضَّ وَأَرْمَضا
عارِي(١) ٱلشَّمائِلِ مِنْ حَبائِلِ غَدْرَةٍ يُمْسِي بِها ٱلْعِرْضُ ٱلْمَصُونُ مُعَرَّضا
لا يُمْطِرُ ٱلْأَعْداءَ عارِضُ بَأْسِهِ إِلَّا إِذا بَرْقُ ٱلصَّوارِمِ أَوْمَضا
أَثْرَىٰ مِنَ ٱلْحَمْدِ ٱلزَّمانُ بِجُودِهِ وَلَقَدْ عَهِدْناهُ ٱلْمُقِلَّ ٱلْمُنْفَضا
كُلٌّ عَلَى ذَمِّ ٱللَّيالِي مُقْبِلٌ ما دامَ عَنْهُ ٱلْحَظُّ فِيها مُعْرِضا
فَلَأَمْنَحَنَّكَ ذا ٱلثَّناءَ مُحَبَّباً ما دامَ مَدْحُ ٱلْباخِلِينَ مُبَغَّضا
أُثْنِي عَلَى مَنْ لَمْ أَجِدْ مُتَحَوَّلاً عَنْهُ وَلا مِنْ جُودِهِ مُتَعَوَّضا
ما سَوَّدَ ٱلدَّهْرُ ٱلْخَؤُونُ مَطالِبِي إِلَّا مَحا ذاكَ ٱلسَّوادَ وَبَيَّضا
مَنْ لَمْ يَرِدْ جَدْوَىٰ أَنامِلِكَ ٱلَّتِي كَرُمَتْ لَمْ يَرِدِ ٱلْبُحُورَ(٢) ٱلْفُيَّضا

. . .

(١) هذا البيت والذي بعده لم يردا في (ك) .
(٢) البحار (ت) .

٨١

وقال بديهاً، وقد أمره الأمير عضب الدولة بمدح أُناس [١] :

أَلا أَيُّها ٱلْعَضْبُ ٱلَّذي لَيْسَ نابِياً وَلا مُغْمَداً بَلْ مُصْلَتاً في ٱلْحَوادِثِ
رَأَيْتُكَ تَدْعُوني إِلىٰ مَدْحِ مَعْشَرٍ تَفُوقُهُمُ عِنْدَ ٱلْخُطُوبِ ٱلْكَوارِثِ
وَإِنِّي وَمَدْحِيهِمْ وَتَرْكَكَ كَٱلَّذي رَأَى ٱلْجِدَّ أَوْلىٰ أَنْ يُناطَ بِعابِثِ
وَكُنْتُ عَلَى عَهْدِ ٱصْطِناعِكَ ثابِتاً فَلَسْتُ لَهُ ما عِشْتُ يَوْماً بِناكِثِ

. . .

٨٢

وقال يرثي أبا عبد الله محمد بن الأمير عضب الدولة، ويعزيه عنه، وقد توفي بدمشق :

سِوىٰ باكِيكَ مَنْ يَنْهىٰ ٱلْعَذُولُ وَغَيْرُ نَواكَ يَحْمِلُها ٱلْحَمُولُ
أَيُنْكَرُ يا مُحَمَّدُ لي نَحِيبٌ وَقَدْ غالَتْكَ لِلْأَيّامِ غُولُ
أَذا ٱلْوَجْهِ ٱلْجَمِيلِ وَقَدْ تَوَلَّىٰ قَبِيحٌ بَعْدَكَ ٱلصَّبْرُ ٱلْجَمِيلُ [٢]

---

(١) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت إلا في (ك ، ي ، ت).

رَحَلْتَ مُفارِقًا فَمَتَىٰ ٱلتَّلاقِي ... وَبِنْتَ مُوَدِّعًا فَمَتَىٰ ٱلْقُفُولُ
وَكُنْتَ يَقِينَ مَنْ يَرْجُوكَ يَوْمًا ... فَأَنْتَ ٱلْيَوْمَ ظَنٌّ مُسْتَحِيلُ
نَضَتْ بِكَ ثَوْبَ بَهْجَتِها ٱللَّيالِي ... وَغالَ بَهاءَهُ ٱلدَّهْرُ ٱلْجَهُولُ
وَلَوْ تَدْرِي ٱلْحَوادِثُ ما جَنَتْهُ ... بَكَتْكَ غَداةَ دَهْرِكَ وَٱلْأَصِيلُ
أَيا قَمَرَ ٱلْعُلَىٰ بِمَنِ ٱلتَّسَلِّي ... إِذا لَمْ تَسْتَنِرْ وَمَنِ ٱلْبَدِيلُ
مَتَىٰ حالَتْ مَحاسِنُكَ ٱللَّواتِي ... لَها فِي ٱلْقَلْبِ عَهْدٌ لا يَحُولُ
مَتَىٰ صالَ ٱلْحِمامُ عَلَى ٱبْنِ بَأْسٍ ... بِهِ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ يَصُولُ[(١)]
مَتَىٰ وَصَلَ ٱلزَّمانُ إِلَىٰ مَحَلٍّ ... إِلَىٰ دَفْعِ ٱلزَّمانِ بِهِ ٱلْوُصُولُ
سَأَعْوِلُ بِٱلْبُكاءِ وَأَيُّ خَطْبٍ ... يَقُومُ بِهِ بُكاءٌ أَوْ عَوِيلُ
فَإِمّا خانَنِي جَلَدٌ عَزِيزٌ ... فَعِنْدِي لِلْأَسَىٰ دَمْعٌ ذَلِيلُ
وَما أَنْصَفْتَ إِنْ[(٢)] وَجِلَتْ قُلُوبٌ ... مِنَ ٱلْإِشْفاقِ أَوْ ذَهِلَتْ عُقُولُ
وَهَلْ قَدْرُ ٱلرَّزِيَّةِ فَرْطُ حُزْنٍ ... فَيُرْضِي فِيكَ دَمْعٌ أَوْ غَلِيلُ
لَقَدْ أَخَذَ ٱلْأَسَىٰ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ ... كَما أَخَذَتْ مِنَ ٱلسَّيْفِ ٱلْفُلُولُ
وَما كَبِدٌ تَذُوبُ عَلَيْكَ وَجْدًا ... بِشافِيَةٍ وَلا نَفْسٌ تَسِيلُ

---

(١) نصول (ك ، ت) .
(٢) إذ ... (ت) .

فَيا قَبْراً حَوى الشَّرَفَ المُعَلّى ... وَضُمِّنَ لَحْدُهُ المَجْدُ الأَثيلُ
أَحلَّ ثَراكَ مِنْ كَرَمٍ غَمامٌ ... وَأُودِعَ فيكَ مِنْ بَأْسٍ قَبيلُ
حُسامٌ أَغْمَدَتْهُ بِكَ اللَّيالي ... سَيَنْحَلُ فيكَ مَضْرَبُهُ النَّحيلُ
وَكانَ السَّيْفُ يُخْلِقُ كُلَّ جَفْنٍ ... فَأَخْلَقَ عِنْدَكَ السَّيْفُ الصَّقيلُ
تَخَرَّمَهُ الحِمامُ وَكُلُّ حَيٍّ ... عَلَى حُكْمِ الحِمامِ لَهُ نُزُولُ
فَيا لِلّهِ أَيُّ جَليلِ خَطْبٍ ... دَقيقٌ عِنْدَهُ الخَطْبُ الجَليلُ
أَما هَوْلٌ بِأَنْ يُحْثى وَيُلْقى ... عَلَى ذاكَ الجَمالِ ثَرىً مَهيلُ
أَما انْدَقَّتْ رِماحُ الخَطِّ حُزْناً ... عَلَيْكَ أَما تَقَطَّعَتِ النُّصُولُ
أَما وَسَمَ الجِيادَ أَسىً فَتُحْمى ... بِهِ غُرَرُ السَّوابِقِ وَالحُجُولُ
أَما ساءَ البُدُورَ وَأَنْتَ مِنْها ... طُلُوعٌ مِنْكَ أَعْقَبَهُ الأُفُولُ
أَما أَبْكى الغُصُونَ الخُضْرَ غُصْنٌ ... نَضيرُ العُودِ عاجَلَهُ الذُّبُولُ
أَما رَقَّ الزَّمانُ عَلَى عَليلٍ ... يَصِحُّ بِبُرْئِهِ الأَمَلُ العَليلُ
تَقَطَّعَ بَيْنَ حَبْلِكَ وَاللَّيالي ... كَذاكَ الدَّهْرُ لَيْسَ لَهُ خَليلُ
وَأَسْرَعْتَ التَّرَحُّلَ عَنْ[1] دِيارٍ ... سَواءٌ هُنَّ بَعْدَكَ وَالطُّلُولُ

(١) من ديار (س) .

وَمِثْلُكَ لا تَجُودُ بِهِ ٱللَّيالي ... وَلٰكِنْ رُبَّما سَمَحَ ٱلْبَخِيلُ
أَنِفْتَ مِنَ ٱلْمُقامِ بِشَرِّ دارٍ ... تَرىٰ أَنَّ ٱلْمُقامَ بِها رَحِيلُ
وَما خَيْرُ ٱلسَّلامَةِ في حَياةٍ ... إِذا كانَتْ إِلىٰ عَطَبٍ تَؤُولُ
هِيَ ٱلْأَيّامُ مُعْطِيها أَخُوذٌ ... لِما يُعْطِي وَمُطْعِمُها أَكُولُ
تَمُرُّ بِنا وَقائِعُ كُلَّ يَوْمٍ ... يُسَمّىٰ مَيِّتاً فِيها ٱلْقَتِيلُ
سَقاكَ — وَمَنْ سَقىٰ قَبْلِي سَحاباً ... تُرَوِّضُ (١) قَبْلَ مَوْقِعِهِ ٱلْمَحُولُ —
غَمامٌ يُلْبِسُ ٱلْأَهْضامَ (٢) وَشْياً ... تَتِيهُ بِهِ ٱلْحُزُونَةُ وَٱلسُّهُولُ
كَأَنَّ نَسِيمَ عَرْفِكَ فِيهِ يُهْدىٰ ... إِذا خَطَرَتْ بِهِ ٱلرِّيحُ ٱلْقَبُولُ
كَجُودِكَ أَوْ كَجُودِ أَبِيكَ هامٍ ... عَمِيمُ ٱلْوَدْقِ مُنْبَجِسٌ هَطُولُ
وَلَوْلا سُنَّةٌ لِلْبِرِّ عِنْدِي ... لَقُلْتُ سَقَتْكَ صافِيَةٌ شَمُولُ
أَعَضْبَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَأْمُولَ صَبْراً ... وَكَيْفَ وَهَلْ إِلىٰ صَبْرٍ سَبِيلُ (٣)
وَما فارَقْتَ مَنْ يُسْلىٰ وَلٰكِنْ ... سِوىٰ ٱلْآسادِ تُحْزِنُها ٱلشُّبُولُ
وَما فَقْدُ ٱلْفُرُوعِ كَبِيرُ رُزْءٍ ... إِذا سَلِمَتْ عَلَى ٱلدَّهْرِ ٱلْأُصُولُ

(١) تُرَوِّض : تصير كالروض . والأرض المَحُول : المجدبة .
(٢) الأهضام : جمع هِضْم وهو المطمئن من الأرض .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ك) .

وَما عَزّاكَ مِثْلُكَ عَنْ مُصابٍ إذا ما راضَكَ اللُّبُّ[1] الأَصيلُ
سَدادُكَ مُقْنِعٌ وَحِجاكَ مُغْنٍ وَدُونَكَ ما أَقُولُ فَما أَقُولُ
فَلا قَصُرَتْ عَوالِيكَ الأَعالِي وَلا زالَ الزَّمانُ بِها يَطُولُ

* * *

٨٣

وقال[2] بديهاً في المأمونية[3]، يصف الوقت والبركة والأنابيب والفوّارة والشاذروان[4] والساقي وزهر الخشخاش، وكان الأمير عضب الدولة قد جعل الأتراك من جانبه، والعرب إلى جانب سيف الدولة بن الصقيل:

وَيَوْمٍ أَخَذْنا بِهِ فُرْصَةً مِنَ العَيْشِ وَالعَيْشُ مُسْتَفْرَصُ

---

(١) الأدب الأصيل (ي) .

(٢) ولما حضر الأمير بالمأمونية، اقترح عليه وصف البركة والشاذروان وأحوال جرت في ذلك اليوم، وكان قد انقسم عضب الدولة والأتراك إلى موضع، وسيف الدولة والعرب إلى موضع، فقال . . . .

(٣) المأمونية : بستان قرب قرية جوبر (من أرياض دمشق) من جهة الغرب. ومن المحلات التابعة لحي القصاع بدمشق محلة تعرف اليوم بمحلة المأمونية.

(٤) الشاذروان : يراد به مسيل في جدار أو مصبٌّ، ينحدر عليه الماء إلى حوض . قال ابن جبير يصف سقاية في الربوة بدمشق: « . . . وفيها سقاية لم ير أحسن منها، قد سيق إليها الماء من علو، وماؤها ينصب على شاذروان في الجدار، متصل بحوض من رخام يقع الماء فيه.» رحلة ابن جبير طبعة ليدن الثانية ص ٢٧٦ ، وانظر أيضاً ص ٢٨٤ ، وانظر (قاطول) في معجم البلدان، فقد ورد ذكر الشاذروان .

رَكَضْنا مَعَ ٱللَّهْوِ فِيهِ ٱلصِّبىٰ وَأَفْراسُهُ مَرَحًا تَقْمُصُ
إِلىٰ (١) جَنَّةٍ لا مَدىٰ عَرْضِها يَضِيقُ وَلا ظِلُّها يَقْلِصُ
أَعَزُّ ٱلْمَآرِبِ فِيها يَهُونُ وَأَغْلىٰ ٱلسُّرُورِ بِها يَرْخُصُ
وَشَرْبٍ تَعاطَوْا كُؤُوسَ ٱلْحَياةِ فَما كَدَّرُوها وَلا نَغَصُوا
سَدَدْنا بِها طُرُقاتِ ٱلْهُمُومِ فَعادَتْ عَلى عَقْبِها تَنْكُصُ
فَلَوْ هَمَّ هَمٌّ بِنا لَمْ يَجِدْ طَرِيقًا إِلَيْنا بِها يَخْلُصُ
ظَلِلْنا كَجَيْشَيْ كِفاحٍ تَكُرُّ (٢) عَلَى ٱلْعُرْبِ أَتْراكُهُ ٱلْخُلَّصُ
لَدىٰ بِرْكَةٍ حُرِّكَتْ راؤُها فَلَيْسَتْ تَقِلُّ وَلا تَنْقُصُ
تَغَنَّىٰ لَنا طَرَبًا ماؤُها وَقامَتْ أَنابِيبُها تَرْقُصُ
يُرِيكَ ٱلْجَواهِرَ تَقْبِيبُها وَهُنَّ طَوافٍ بِها غُوَّصُ
وَمُسْتَضْحِكٍ ذَهَبِيِّ ٱلشِّفاهِ بِما جَزَعُوا مِنْهُ أَوْ فَصَّصُوا
مُنِيفٍ يَخِرُّ (٣) بِذَوْبِ ٱللُّجَيْنِ عَلَى ذَهَبٍ سَبْكُهُ ٱلْمُخْلَصُ
تَرىٰ ٱلطَّيْرَ وَٱلْوَحْشَ مِنْ جانِبَيْـــهِ يَشْكُو ٱلْبَطِينَ بِها ٱلْأَخْمَصُ

(١) لم يرد هذا البيت في (ن) .
(٢) يكر (ك ، ت) .
(٣) يجر ذيول اللجين (ت) .

دَوانٍ رَوانٍ فَلا هٰـــذهِ تُراعُ وَلا هٰـــذهِ تُقْنَصُ
تَرىٰ آمِنًا فيهِ سِرْبَ ٱلظِّبا ءِ وَٱلذِّئْبُ ما بَيْنَها يَرْعَصُ[1]
وَفَوّارَةٍ ما بَغىٰ وَصْفَهـــا جَريرٌ[2] وَلا رامَهُ[3] ٱلْأَحْوَصُ[4]
كَأَنَّ لَها مَطْلَبًا في ٱلسَّما ءِ فَهْيَ عَلَى نَيْلِهِ تَحْرِصُ
إِذا ما وَفىٰ قَدُّها بِٱلسُّمُوِّ أَخْلَفَهـــا عُنُقٌ يَوْقَصُ[5]
وَتَوَّجَهـــا ٱلشَّرْبُ نارَنْجَةً فَخِلْتُ ٱلْمُـــذَبَّةَ تَسْتَخْوِصُ
مُشَجَّرَةَ ٱلْمـــاءِ نَخْلِيَّةً كَجُمَّةِ شَمْطـــاءَ لا تُعْقَصُ
وَدَوحٍ أَغانِيُّ قُمْرِيِّـــهِ يَهُزُّ[6] ٱللَّبيبَ وَيَسْتَرْقِصُ
يَشُوقُ وَبَيِّنُهُ مُشْـكِلٌ وَيَشْجُو وَمُسْهَلُهُ أَعْوَصُ
وَرَوْضٍ جَلا ٱلنَّوْرَ خَشْخاشُهُ تَحارُ لَهُ ٱلْعَيْنُ أَوْ تَشْخَصُ
كَأَنَّ بِهِ مَعْشَرًا وُقَّفًا بِزِينَةِ عيـــدٍ لَهُ أَخْلَصُوا

(١) يَرْعَصُ : يختلج .
(٢) جرير بن عطية الشاعر المشهور (٢٨ — ١١٠) .
(٣) ولا سامه (ك) .
(٤) الأحوص : عبد الله بن محمد الأنصاري ، شاعر من أهل المدينة ، حسن الديباجة حلو الغزل ، توفي سنة ١٠٥ .
(٥) وَقِصَ يَوْقَصُ : قصر عنقه خلقةً .
(٦) تهز اللبيب وتسترقص (ك ، ن) .

تَخالَفُ في ٱلشَّكْلِ تيجانُهُمْ وَتَحْكي غلائِلَها ٱلأَقْمُصُ
فَمِنْ أَبْيَضٍ يَقَقٍ لَوْنُهُ يَرُوقُكَ كافُورُهُ ٱلأَخْلَصُ
وَمِنْ أَحْمَرٍ شابَهُ زُرْقَةٌ حَكَى ٱلْوَجَناتِ إذا تُقْرَصُ
وَحِلفَيْنِ(١) مِثْلُهُما يُصْطَفَى لِيَوْمِ ٱلْمُدامِ وَيُسْتَخْلَصُ
رَسيلَيْنِ مَعْناهُما في ٱلْغِناءِ أَدَقُّ وَلَفْظُهُما أَخْمَصُ
يَظَلُّ ٱلْحَليمُ إذا غَنَّيا كَأَنَّ فَرائِصَهُ تُفْرَصُ(٢)
وَبَيْنَ ٱلسُّقاةِ مَريضُ ٱلْجُفُونِ يَسُومُ ٱلْقُلُوبَ فَيَسْتَرْخِصُ
غَنِيٌّ بِأَلْحاظِهِ لَوْ يَشاءُ عَنِ ٱلْكَأْسِ لٰكِنَّهُ أَحْرَصُ
فَدُونَكُمُ فَٱسْأَلُوا(٣) طَرْفَهُ وَعَنْ خَبَري فِيهِ لا تَفْحَصُوا
إذا ما غَدَوْنا(٤) عَلَى(٥) لَذَّةٍ فَحَظُّ مُفارِقِنا ٱلأَنْقَصُ
مَحاسِنُ فِي(٦) حَسَناتِ ٱلأَميـرِ تَصْغُرُ قَدْراً وَتُسْتَنْقَصُ

---

(١) يريد بالحلفين المغنيين .

(٢) فَرَصَ فلاناً : أصاب فريصته . والفريصة: لحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع. وفي (ظ) تُقْرَص .

(٣) فسلوا (ن) .

(٤) عدونا (ظ) .

(٥) إلى لذة (ن) .

(٦) من (ك) .

سَقَى اللهُ مَنْ لَمْ يَزَلْ جُودُهُ يَعُمُّ إذا مَعْشَرٌ خَصَّصُوا
فَكائِنْ مَحا بِنَداهُ العُفَاةُ ذُنُوبَ الزَّمانِ وَكَمْ مَحَّصُوا
وَكُنْتُ إذا عَنَّ بَحْرُ (١) القَرِيضِ فَإِنِّي عَلَى دُرِّهِ أَغْوَصُ

* * *

٨٤

وقال أيضاً في مجلس شرابه، وقد أحضر سبع من ورد، وفي فمه وردة حمراء دون جسده جميعاً، فأنشأ (٢) :

لَنا أَسَدٌ وَرْدٌ سَبانا بِهِ (٣) الهَوَى وَما كانَ يَهْوَى قَبْلَهُ الأَسَدُ الوَرْدُ
يُحَبِّبُ (٤) لِي مِنْ أَجْلِهِ كُلُّ ضَيْغَمٍ هَصُورٍ وَتُصْبِينِي (٥) إلى قُرْبِها الأُسْدُ
لَهُ وَرْدَةٌ حَمْراءُ فِي فِيهِ غَضَّةٌ يُرَى عادِياً مِنْها وَإِنْ كانَ لا يَعْدُو
كَلَيْثٍ قَرِيبٍ بِالفَرِيسَةِ عَهْدُهُ فَباقِي (٦) دَمِ المَفْرُوسِ فِي فَمِهِ يَبْدُو

* * *

(١) سحر القريض (ي)، حر القريض (ك) .
(٢) لم ترد هذه القطعة إلا في (ك)، ووردت ثلاثة أبيات منها في بدائع البدائه للازدي ص ١٠١ على هامش الجزء الثاني من معاهد التنصيص للعباسي .
(٣) في الأصل سبانا له الهوى، والتصحيح من بدائع البدائه .
(٤) لم يرد هذا البيت في بدائع البدائه .
(٥) في الأصل (وتسبيني) .
(٦) في الأصل (فتلقى)، والتصحيح من بدائع البدائه .

٨٥

وقال أيضاً بديهاً [(١)] :

لِلّهِ نَيْلُ مَسَرَّةٍ ضَمِنَ الْهَوىٰ فَوَفىٰ عَلَى رَغْمِ النَّوىٰ بِضَمانِهِ
سَمَحَ الزَّمانُ بِصَفْوِهِ وَجَرىٰ بِنا فِيهِ السُّرُورُ يَعُدُّ [(٢)] فِي مَيْدانِهِ
بِمُقَرْطَقٍ يَمْحُو إِساءَةَ صَدِّهِ فَالْحُبُّ إِنَّ الْحُسْنَ مِنْ إِحْسانِهِ
اَلْوَرْدُ فِي وَجَناتِهِ وَالْخَمْرُ فِي رَشَفاتِهِ وَالسِّحْرُ فِي أَجْفانِهِ
فَكَأَنَّما الرَّوْضُ اسْتَعارَ مَحاسِناً مِنْ حُسْنِ صَنْعَتِهِ وَمَفْخَرِ شانِهِ
فَلِثَغْرِهِ الْمَرْشُوفِ رِقَّةُ نَوْرِهِ وَلِقَدِّهِ الْمَهْزُوزِ نَشْوَةُ بانِهِ

* * *

٨٦

وقال بديهاً ، وقد أمره الأمير بوصف منثور ، حضر ، أحمر وأصفر [(٣)] :

تَأَمَّلْ بَدائِعَ ما يَصْطَفِيكَ بِهِ الرَّوْضُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ عَجِيب
فَفِي نَظْمِ مَنْثُورِهِ قُرَّةُ الْـ ـعُيُونِ وَفِيهِ حَياةُ الْقُلُوب

---

(١) لم ترد هذه القطعة إلا في (ك) .
(٢) في الأصل يمد .
(٣) لم ترد هذه الأبيات إلا في (ك) .

تبدَّتْ غَرائِبُ أَنْوارِهِ (تلاقي بها) (١) كُلَّ حُسْنٍ وَطِيبِ
فَمِنْ أَحْمَرٍ ضَمَّهُ أَصْفَرٌ كَلَوْنِ ٱلْمُحِبِّ وَلَوْنِ ٱلْحَبِيبِ
تَلاصَقَ خَدّاهُما لِلْعِناقِ وَقَدْ وَجَدا غَفْلَةً مِنْ رَقِيبِ

* * *

٨٧

وقال (٢) يرثي السلارقول (٣) بن الأمير عثمان، وكان قتل في البقاع سنة ٥٠١ . (٤) ويعزي به الأمير عضب الدولة :

لَيْسَ ٱلْبُكاءُ وَإِنْ أُطِيلَ بِمُقْنِعِي ٱلْخَطْبُ أَعْظَمُ قِيمَةً مِنْ أَدْمُعِي
أَوَكُلَّما أَوْدَى ٱلزَّمانُ بِنَفْسٍ (٥) مِنِّي جَعَلْتُ إِلَى ٱلْمَدامِعِ مَفْزَعِي
هَلاَّ شَجانِي أَنَّ نَفْسِيَ لَمْ تَفِظْ (٦) أَسَفاً وَأَنَّ حَشايَ لَمْ تَتَقَطَّعِ

---

(١) ما بين الهلالين غير واضح في المخطوطة .

(٢) وقال أيضاً يعزيه بالسلارقول بن الأمير عثمان، وكان عزيزاً عنده، مكيناً منه، فخرج معه إلى البقاع، فقتله الأفرنج، ووجد عليه وجداً شديداً (ك).

(٣) سالار : كلمة فارسية معناها : الرئيس والقائد .

(٤) سنة احدى عشر وخمس مابة (ت)، سنة واحد وخمسين وخمسماية (م ، ع) ، والصواب ما اثبتناه لأن عضب الدولة توفي سنة ٥٠٢ .

(٥) المُنْفِسُ : مايتنافس به .

(٦) لم تفض (ك ، ن ، ت) .

ما كانَ هٰذا ٱلقَلْبُ أَوَّلَ صَخْرَةٍ ... مَلْمُومَةٍ قُرِعَتْ فَلَمْ تَتَصَدَّعِ
أَلْقىٰ ٱلسِّلامَ (١) عَلَى أَبَرَّ مُؤَمَّلٍ ... وَحَثا ٱلتُّرابَ عَلَى أَغَرَّ سَمَيْدَعِ (٢)
يا لَلرِّجالِ لِنازِلٍ لَمْ يُحْتَسَبْ ... وَلِحادِثٍ ما كانَ بِٱلْمُتَوَقَّعِ
ما خِلْتُنِي أَلْجا إِلىٰ صَبْرٍ عَلَى ... زَمَنٍ بِتَفْرِيقِ ٱلْأَحِبَّةِ مُولَعِ
تَٱللّٰهِ (٣) ما جارَ ٱلزَّمانُ وَلا ٱعْتَدىٰ ... بِأَشَدَّ مِنْ هٰذا ٱلْمُصابِ وَأَوْجَعِ
خَطْبٌ يُبَرِّحُ بِٱلْخُطُوبِ وَفادِحٌ ... مَنْ لَمْ يَمُتْ جَزَعاً لَهُ لَمْ يَجْزَعِ
لا أَسْمَعَ ٱلنّاعِي فَأَيْسَرُ ما جَنىٰ ... صَدْعُ ٱلْفُؤادِ بِهِ وَوَقْرُ ٱلْمَسْمَعِ
يا قَوْلُ (٤) قَوْلَةَ مُكْمَدٍ مُسْتَنْزِرٍ ... ماءَ ٱلشُّؤُونِ لَهُ وَنارَ ٱلْأَضْلُعِ
شاكِي ٱلنَّهارِ إِذا تَأَوَّبَ لَيْلُهُ ... هَجَعَ ٱلسَّلِيمُ وَطَرْفُهُ لَمْ يَهْجَعِ
مَلْآنَ مِنْ حُزْنٍ فَلَيْسَ لِتَرْحَةٍ ... أَوْ فَرْحَةٍ بِفُؤادِهِ مِنْ مَوْضِعِ
يَبْكِي (٥) لَهُ مَنْ لَيْسَ يَبْكِي مِنْ أَسىً ... وَجْداً وَيُصْدَعُ قَلْبُ مَنْ لَمْ يُصْدَعِ

(١) السِّلام : جمع سَلِمة وهي الحجارة .
(٢) كذا ، بالدال المهملة ، في جمع النسخ ، والسميذع : السيد الكريم الشريف السخي ، ولا يقال بالدال المهملة .
(٣) بالله . . . (ن) .
(٤) يريد به المرثي السلارقول .
(٥) لم يرد هذا البيت إلا في (ك) .

أَشْكُو إِلَى ٱلْأَيَّامِ فِيكَ رَزِيَّتِي   لَوْ تَسْمَعُ ٱلْأَيَّامُ شَكْوَى مُوجَعِ
وَأَبِيتُ مَمْنُوعَ ٱلْقَرَارِ كَأَنَّنِي   ما راعَنِي ٱلْحَدَثانُ قَطُّ بِأَرْوَعِ
وَرَنِينِ مَفْجُوعٍ لَدَيْكَ وَصَلْتُهُ   بِحَنِينِ باكِيَةٍ عَلَيْكَ مُرَجِّعِ
غَلَبَ ٱلْأَسَى فِيكَ ٱلْأُساةَ فَلا أَرَى   مَنْ لا يُكاثِرُ عَبْرَتِي (١) وَتَفَجُّعِي
فَإِذا صَبَرْتُ فَقَدْتُ (٢) مِثْلِيَ صابِراً   وَإِذا بَكَيْتُ وَجَدْتُ مَنْ يَبْكِي مَعِي
قَدْ غَضَّ يَوْمُكَ ناظِرِي بَلْ فَضَّ فَقْـــدُكَ أَضْلُعِي وَأَقَضَّ بَعْدَكَ مَضْجَعِي
أَخْضَعْتَنِي لِلنّائِباتِ وَمَنْ يُصَبْ   يَوْماً بِمِثْلِكَ يَسْتَذِلَّ وَيَخْضَعِ
وَأَهانَ خَطْبُكَ ما بِقَلْبِي (٣) مِنْ جَوىً   كَالسَّيْلِ طَمَّ عَلَى ٱلْغَدِيرِ ٱلْمُتْرَعِ
يا قَوْلُ ما خانَ ٱلْبَقاءُ وَإِنَّما   صُرِعَ الزَّمانُ غَداةَ ذاكَ ٱلْمَصْرَعِ
ما كُنْتُ خائِفَها عَلَيْكَ جِنايَةً   لَوْ كانَ هٰذا ٱلدَّهْرُ يَعْقِلُ (٤) أَوْ يَعِي
صُلْ بَعْدَها يا دَهْرُ أَوْفَا كْفُفْ وَخُذْ   مَنْ شِئْتَ يا صَرْفَ (٥) ٱلْمَنِيَّةِ أَوْ دَعِ
قَدْ بانَ بِٱلْمَعْرُوفِ أَشْجَى بائِنٍ   وَنَعَى إِلَيْنا ٱلْجُودُ أَعْلَى (٦) مَنْ نَعِي

(١) دمعتي (ن) .
(٢) عدمت (ك)، وجدت (ي ، ت) .
(٣) ما تقدم من أسى (ك) .
(٤) يسمع أو يعي (ك) .
(٥) يا طرف . . . (م) .
(٦) أغلى (ع) .

غاضَ ٱلْحِمامُ بِزاخِرٍ مُتَدَفِّقٍ وَهَوى(١) ٱلْحُسامُ بِباذِخٍ(٢) مُتَمَنِّعِ
مِنْ دَوْحَةِ ٱلْحَسَبِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْمُنْتَمى وَسُلالَةِ ٱلْكَرَمِ ٱلْغَزِيرِ ٱلْمَنْبَعِ
إِنْ أَظْلَمَتْ تِلْكَ ٱلسَّماءُ فَقَدْ خَلا مِنْ بَدْرِها ٱلأَبْهى مَكانُ ٱلْمَطْلَعِ
أَوْ أَجْدَبَتْ تِلْكَ ٱلرِّباعُ فَبَعْدَما وَدَّعْتَ تَوْدِيعَ ٱلْغَمامِ ٱلْمُقْلِعِ
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِمِثْلِ(٣) فَقْدِكَ هالِكاً خَلَعَ ٱلشَّبابَ وَبُرْدُهُ لَمْ يُخْلَعِ
لَوْ أُمْهِلَتْ تِلْكَ ٱلشَّمائِلُ لَمْ تَفُزْ يَوْماً بِأَغْرَبَ مِنْ عُلاكَ وَأَبْدَعِ
قُلْ لِي لِأَيِّ فَضِيلَةٍ لَمْ تُبْكِنِي إِنْ كانَ قَلْبِي ما بَكاكَ وَمَدْمَعِي(٤)
لِجَمالِكَ ٱلْمَشْهُورِ أَمْ لِكَمالِكَ ٱلْمَذْكُورِ(٥) أَمْ لِنَوالِكَ ٱلْمُتَبَرِّعِ
ما خالَفَ ٱلإِجْماعَ فِيكَ مَقالَتِي فَأُقِيمَ بَيِّنَةً عَلَى ما أَدَّعِي
أَيُضَيِّعُ ٱلْفِتْيانُ عَهْدَكَ إِنَّهُ ما كانَ عِنْدَكَ عَهْدُهُمْ بِمُضَيَّعِ
قَدْ كُنْتَ أَمْرَعَهُمْ لِمُرْتادِ ٱلنَّدى كَفّاً وَأَسْرَعَهُمْ إِلى ٱلْمُسْتَفْزِعِ(٦)

---

(١) وهو الحسام (م ، ت) .
(٢) بشاهق (ت) .
(٣) برزء مثلك هالكا (ك) .
(٤) وأدمعي (ت) .
(٥) الموفور (ت) .
(٦) محل هذا البيت في (ك) بعد الذي يليه هنا .

حَلِيَتْ مَجالِسُهُمْ بِذِكْرِكَ وَحْدَهُ ... وَعَطِلْنَ مِنْ ذاكَ ٱلْأَبِيِّ ٱلْأَرْوَعِ
وَٱلدَّهْرُ(١) يَقْطَعُ بَعْدَ طُولِ تَواصُلٍ ... وَيُشَتِّتُ بَعْدَ تَلاؤُمٍ وَتَجَمُّعِ
قُبْحاً لِعادِيَةٍ رَمَتْكَ فَإِنَّها ... عَدَتِ ٱلذَّلِيلَ إِلَى ٱلْأَعَزِّ ٱلْأَمْنَعِ
ما كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ ضَيْماً واصِلٌ ... بِيَدِ ٱلدَّنِيِّ إِلَى ٱلشَّرِيفِ ٱلْأَرْفَعِ (٢)
قَدَرٌ تَرَفَّعَ يَوْمَ رُزْئِكَ هَمُّهُ ... فَرَمَى إِلَى ٱلْغَرَضِ ٱلْبَعِيدِ ٱلْمَنْزَعِ
كَيْفَ ٱلْغِلابُ وَكَيْفَ بَطْشُكَ واحِداً ... فَرْداً وَأَنْتَ مِنَ ٱلْعِدَى فِي مَجْمَعِ
عَزَّ ٱلدِّفاعُ وَما عَدِمْتَ مُدافِعاً ... لَوْلا مَقادِرُ ما لَها مِنْ مَدْفَعِ
وَلَقَدْ لَقِيتَ ٱلْمَوْتَ يَوْمَ لَقِيتَهُ ... كَرَماً بِأَنْجَدَ مِنْهُ ثَمَّ وَأَشْجَعِ
عِفْتَ ٱلدَّنِيَّةَ وَٱلْمَنِيَّةُ دُونَها ... فَشَرَعْتَ فِي حَدِّ ٱلرِّماحِ ٱلشُّرَّعِ
وَلَوَ ٱنَّكَ(٣) ٱخْتَرْتَ ٱلْأَمانَ وَجَدْتَهُ ... أَنَّى(٤) وَخَدُّ ٱللَّيْثِ لَيْسَ بِأَضْرَعِ
مَنْ كانَ مِثْلَكَ لَمْ يَمُتْ إِلَّا لَقًى(٥) ... بَيْنَ ٱلصَّوارِمِ وَٱلْقَنا ٱلْمُتَقَطِّعِ

(١) فالدهر (ك) .
(٢) الأروع (ج) .
(٣) لو أنك ... (ي) .
(٤) إني وجدت الليث ... (ك) .
(٥) اللقى : الملقى المطروح .

جادتك واكفة الدموع ولم تكن(١) — لولاك مخجلة الغيوم (٢) الهمّع
وبكاك منهلّ الغمام فإنه — ما كان منك إلى السماح بأسرع
وتعهدت مغناك سارية متى — تذهب تعد ومتى تفارق ترجع
تغشاك تائقة تزور وتنثني — بمسلّم من مزنها (٣) ومودّع
تحبوك موشيّ الرياض وإنما — تهدي الربيع إلى الربيع الممرع
لا يطمع الأعداء يوم سرّهم — إنّ الردى في طيّ ذاك المطمع
الثأر مضمون وفي أيماننا — بيض كخاطفة البروق اللمّع
وذوابل تهوي إلى ثغر العدى — توق العطاش إلى صفاء المشرع
قد آن للدهر (٤) المضلّ سبيله — أن يستقيم على الطريق المهيع
مستدركاً غلط الليالي فيكم — متنصلاً من جرمها المستفظع
أفغرّكم أن الزمان أجرّكم — طولاً بغيكم الوخيم المرتع
هلا(٥) ومجد الدين(٦) قد عصفت بكم — عزماته بالغور (٧) عصف الزعزع

(١) فلم تكن (ك) .
(٢) الغيوث (ت)، الغمام (ك)، العيون (ي)، الدموع (س ، ظ ، م ، ع).
(٣) من صوبها (ك) .
(٤) هذه رواية (ك)، وفي بقية النسخ : قد آن للحظ . . .
(٥) هذا . . . (ك) .
(٦) مجد الدين : من ألقاب عضب الدولة .
(٧) الغور : هنا هو غور الاردن .

وَغداةَ علْعالَ (١) الَّتي رَوَّتكُمُ ... بالْبِيضِ مِنْ سُمِّ الضِّرابِ الْمُنْقَعِ

لا تَأْمَنَنَّ صَرِيعَةً عَضْبِيَّةً ... مِنْ أَنْ تُقيمَ الْحَقَّ عِنْدَ الْمَقْطَعِ

بَقَنًا لِغَيْرِ رِداكُمُ لَمْ تُعْتَقَلْ ... وَظُبىً لِغَيْرِ بَوارِكُمْ (٢) لَمْ تُطْبَعِ

يا خَيْرَ مَنْ سُمِّي وَأَكْرَمَ (٣) مَنْ رُجِي (٤) ... وَأَبَرَّ مَنْ نُودِي وَأَشْرَفَ مَنْ دُعِي

إِنَّا وَإِنْ عَظُمَ الْمُصابُ فَلا الْأَسى ... فيهِ الْعَصِيُّ وَلا السُّلُوُّ بِطَيِّعِ

لَنَرى بَقاءَكَ نِعْمَةً مَحْقُوقَةً ... بِالشُّكْرِ ما سُقِيَ الْأَنامُ وَما رُعِي

وَلَقَدْ عَلِمْتَ وَلَمْ تَكُنْ بِمُعَلَّمٍ ... أَنَّ الْأَسى وَالْوَجْدَ (٥) لَيْسَ بِمُنْجِعِ

هَيْهاتَ غَيْرُكَ مَنْ يَضِيقُ بِحادِثٍ ... وَسِواكَ مَنْ يَعْيى بِحَمْلِ الْمُضْلِعِ (٦)

دانَتْ لَكَ الدُّنْيا كَأَحْسَنِ (٧) رَوْضَةٍ ... شُعِفَ (٨) النَّسيمُ بِنَشْرِها الْمُتَضَوِّعِ

---

(١) علعال : جبل بالشام، مشرف على البثنية، بين الغور وجبال الشراة .
(٢) رقابكم (ت) .
(٣) وأكبر (ك) .
(٤) من يحيي (ج) .
(٥) والحزن (ن) .
(٦) المظلع (س ، ظ ، م ، ع)، المطلع (ي ، ت) .
(٧) بأحسن (ك ، ت) .
(٨) شغف (ي ، ج) .

لا زالَ رَبْعُ عُلاكَ غيْرَ مُعطَّلٍ أَبَداً وَسِرْبُ حِماكَ غيْرَ مُروَّعِ
ما تاقَ ذُو شجَنٍ إلىٰ سَكَنٍ وَما وَجَدَ ٱلْمُقيمُ علاقَةً بِالْمُزْمِعِ(١)

* * *

٨٨

وقال بديهاً على السكر. في غلام كان يسقي في مجلس الأمير عضب الدولة رحمه الله، وعليه قباء أخضر :

سَقـاني بعينيْهِ شِبْهَ ٱلَّتي بِكَفّيْهِ هٰذا ٱلْأَغَنُّ ٱلرَّشيقُ
فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهُما ٱلْمُسْكِري(٢) وَأَيُّ ٱلشَّرابَيْنِ مِنْهُ ٱلرَّحيقُ
بَدا في قَبـاءٍ لَهُ أَخْضَرٍ كَما ضَمِنَ ٱلنَّوْرَ رَوْضٌ أَنيقُ
وَقَدْ أَسِيَ(٣) ٱلدُّرُّ مِنْ ثَغْرِهِ وَأَخْجلَ مِنْ وَجْنَتَيْهِ ٱلشَّقيقُ
فَما كِدْتُ مِنْ سَكْرَتي أَنْ أُفيقَ وَكَيْفَ يُفيقُ ٱلْمُحِبُّ ٱلْمَشُوقُ
عَلَى كَبِدي مِنْهُ بَرْدُ ٱلرِّضىٰ وَإِنْ كانَ في ٱلْقَلْبِ مِنْهُ ٱلْحَريقُ(٤)
وَلَسْتُ بِـأَوَّلِ ذِي صَبْوَةٍ تَحَمَّلَ فِي ٱلْحُبِّ ما لا يُطيقُ

* * *

(١) للمزمع (ن) .
(٢) مسكري (ج) .
(٣) أسبأ (ك)، ومعنى أسبأ : خضع .
(٤) حريق (ن) .

٨٩

وقال يمدح عضب الدولة :

سَلُوا سَيْفَ أَلْحاظِهِ ٱلْمُمْتَشَقْ أَعِنْدَ ٱلْقُلُوبِ دَمٌ لِلْحَدَقْ
أَما مِنْ مُعِينٍ وَلا عاذِرٍ إِذا عَنُفَ(١) ٱلشَّوْقُ يَوْماً رَفَقْ
تَجَلَّى(٢) لَنا صارِمُ ٱلْمُقْلَتَيْـــنِ ماضِي ٱلْمُوَشَّحِ وَٱلْمُنْتَطَقْ
مِنَ ٱلتُّرْكِ ما سَهْمُهُ لَوْ رَمى(٣) بِأَقْتَلَ(٤) مِنْ لَحْظِهِ(٥) إِذْ رَمَقْ(٦)
تَعَلَّقْتُهُ وَكَأَنَّ ٱلْجَمالَ يُضاهِي غَرامِي بِهِ وَٱلْعَلَقْ
وَلَيْلَةَ راقَبْتُــــهُ زائِراً سَمِيرَ ٱلسُّهادِ ضَجِيعَ ٱلْقَلَقْ
كَأَنِّي لِرِقْبَتِــــهِ حابِلٌ دَنَتْ أُمُّ خَشْفٍ لَهُ مِنْ وَهَقْ
دَعَتْنِي ٱلْمَخافَةُ مِنْ فَتْكِهِ إِلَيْـهِ وَكَمْ مُقْدِمٍ مِنْ فَرَقْ
وَقَدْ راضَتِ ٱلْكَأْسُ أَخْلاقَــهُ وَوُقِّرَ بِٱلسُّكْرِ مِنْهُ ٱلنَّزَقْ

---

(١) إذا خفق . . . (ن) .
(٢) تجلى (ت) .
(٣) إذ رمى (ك) .
(٤) بأفتك (ت) .
(٥) من طرفه (ي ، ن ، ت) .
(٦) رَمَقَ : لحظ لحظاً خفيفاً .

وَحُقَّ (١) ٱلعِنَـــاقُ فَقَبَّلْتُهُ شَهِيَّ ٱلْمُقبَّلِ وَٱلْمُعْتَنَقْ
وَباتَتْ ثَنايَـــاهُ عانِيَةَ (٢) ٱلْـــمُرَشَّفِ (٣) دارِيَّةَ (٤) ٱلْمُنْتَشَقْ
وَبِتُّ أُخالِجُ شَكِّي بِهِ أَزْوَرٌ طَرا أَمْ خَيَــالٌ طَرَقْ
أُفَكِّرُ فِي ٱلْهَجْرِ كَيْفَ ٱنْقَضَى وَأَعْجَبُ لِلْوَصْلِ كَيْفَ ٱتَّفَقْ
فَلِلْحُبِّ ما عَزَّ مِنِّي وَهانَ وَلِلْحُسْنِ ما جَلَّ مِنْـهُ وَدَقّْ
لَقَدْ أَبِقَ (٥) ٱلْعُدْمُ مِنْ راحَتَيَّ لَمَّـــا أَحَسَّ بِنُعْمَى أَبَقْ (٦)
تَطاوَحَ (٧) يَهْرُبُ مِنْ جُودِهِ وَمَنْ أَمَّهُ ٱلسَّيْلُ خافَ ٱلْغَرَقْ

* * *

(١) وحان (ك) .
(٢) عانة : قرية على الفرات، ينسب إليها الخمر العانيَّة .
(٣) المراشف (ك ، ت) .
(٤) نسبة إلى دارين، وهي فرضة في البحرين يحمل اليها المسك من الهند .
(٥) أَبِقَ : هرب من سيده .
(٦) أبَقْ : اسم عضب الدولة .
(٧) تطاوحت به النوى : ترامت ، وتطوَّح في البلاد : رمى بنفسه فيها وذهب فيها ههنا ههنا .

٩٠

وقال بديهاً، وعضب الدولة يرمي في مجلس الشراب :

لَقَدْ غالَ نَبْلُكَ[١] يا نابِلُ وَقَصَّرَ عَنْ فِعْلِكَ ٱلْقائِلُ
أَسَهْمُكَ حِينَ يُصِيبُ ٱلْقَضا ءُ أَمْ يَدُكَ ٱلْقَدَرُ ٱلنّازِلُ
يَدٌ لِلنَّدىٰ وَالرَّدىٰ صَوْبُها فَعَزْمُكَ مُحْيٍ بِها قاتِلُ
فَلَيْسَ يَطِيشُ لَها مُرْسَلٌ كَما لا يَخِيبُ لَها آمِلُ

* * *

٩١

وقال يرثي الأمير عضب الدولة (توفي ليلة عيد النحر سنة اثنتين وخمس مايه[٢] :

أَبَعْدَكَ أَتَّقِي نُوَبَ ٱلزَّمانِ أَبَعْدَكَ أَرْتَجِي دَرْكَ ٱلْأَماني
أَيَجْمُلُ بِيَ ٱلْعَزاءُ وَأَنْتَ ثاوٍ[٣] أَيَحْسُنُ بِي ٱلْبَقاءُ وَأَنْتَ فانِ
لِكُلِّ رَزِيَّةٍ أَلَمٌ وَمَسٌّ وَلا كَرَزِيَّةِ ٱلْمَلِكِ ٱلْهِجانِ

---

(١) سهمك (س ، ظ ، م ، ع) .
(٢) الزيادة بين الهلالين من (ك) .
(٣) ثوي الميت : قبر . وفي (ي) بالتاء . والتاوي : الهالك .

وَما أنا بِالرَّبيطِ الْجَأْشِ فيها فَأَسْلُوَهُ وَلا الثَّبْتِ الْجَنانِ
أَلامُ عَلَى امْتِناعِ الشِّعْرِ مِنّي وَما عِنْدَ اللَّوائِمِ ما دَهاني
أَلِي[1] قَلْبٌ أَلِي[1] لُبٌّ فَأَمْضي مَضاءَ[2] السَّيْفِ فيهِ وَالسِّنانِ
كَفى بِدَليلِ حُزْني أَنَّ دَمْعي أَطاعَ وَأَنَّ فِكْرِيَ قَدْ عَصاني
إذا خَطَرَتْ لِمَجْدِ الدِّينِ[3] ذِكْرى وَجَدْتُ الشِّعْرَ حَيْثُ الشِّعْرَيانِ[4]
وَما إنْ ذاكَ تَقْصيرٌ بِحَقٍّ وَلكِنَّ الأَسى قَيَّدُ اللِّسانِ
وَمَنْ كَمُصيبَتي وَعَظيمِ رُزْئي أُصيبَ وَمَنْ عَراهُ كَما عَراني
أَعَضْبَ الدَّوْلَةِ اخْتَرَمَتْكَ[5] مِنّا يَدٌ ما لِلأَنامِ بِها يَدانِ
وَكُنْتَ[6] السَّيْفَ تُشْحَذُ شَفْرَتاهُ لِفَلِّ كَتيبَةٍ وَلِفَكِّ عانِ
فَقُطِّعَ بِالنَّوائِبِ صَفْحَتاهُ[7] وَفُلِّلَ بِالْخُطوبِ الْمَضْرِبانِ

---

(١) ألا (ك ، ج) .
(٢) مُضِيَّ . . . (ي) .
(٣) مجد الدين : من ألقاب عضب الدولة .
(٤) الشّعريان : كوكبان هما الشّعرى العَبور والشّعرى الغُمَيْصاء .
(٥) اختلستك (هامش ظ) .
(٦) هذا البيت والذي بعده لم يردا في (ك) .
(٧) شفرتاه (ن) .

سَحابٌ لِلأَباعِدِ مُسْتَهِلٌّ (١) وَبَحْرٌ مُسْتَفِيضٌ لِلأَداني
وَبَدْرٌ لَوْ أَضاءَ لَما أَسينا عَلَى أَنْ لا يُضيءَ النَّيِّرانِ
سَأُنْفِقُ ما بَقيتُ (٢) عَلَيْكَ عُمْرِي بُكاءً شَأْنُهُ أَبَداً وَشاني
وَلَوْ أَنِّي قَتَلْتُ عَلَيْكَ نَفْسي مُكافاةً لِحَقِّكَ ما كَفاني

* * *

٩٢

وقال (٣) يمدح تاج الملوك (٤) :

هُوَ الرَّسْمُ لَوْ أَغْنَى الْوُقُوفُ عَلَى الرَّسْمِ هُوَ الْحَزْمُ لَوْلا بُعْدُ عَهْدِكَ بِالْحَزْمِ

(١) مستمد (ك) .

(٢) ما حييت (ك) .

(٣) وكان كثيراً ما ينشد قصيدته، التي مدح بها يمين الملك أبا النجم الاصفهاني:

أيا بين ما سلطت إلا على ظلمي (ويا حب ما أبقيت مني سوى الوهم)

فيستبدعها ويستحسن مقاصده فيها، فقال يمدحه بوزنها :

هو الرسم لو أغنى الوقوف على رسم هو الحزم لولا بعد عهدك بالحزم

(ك)، وقال يمدح الأمير الاجل فخر الدين تاج الملوك أبا سعيد بوري بن الأمير ظهير الدين أتابك (ن ، ي) ، وقال يمدح تاج الملوك أبا سعيد بوري (ت).

(٤) تاج الملوك أبو سعيد بوري بن طغتكين ، ولد في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وولي إمرة دمشق بعد موت أبيه طغتكين في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسماية، وكانت سيرته غريبة وكان فيه حلم وسماحة، وفي سنة خمس وعشرين وخمسماية، هجم عليه أعجميان من الباطنية فجرحاه بجراحات أثخنته، وبقي مجروحا إلى أن مات في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ست وعشرين وخمسماية (تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ — ٢٩٦) .

تَجاهَلْتُ عِرْفاني بِهِ غَيْرَ جاهِلٍ وَلِلشَّوْقِ آياتٌ تَدُلُّ عَلى عِلْمي
وَوَٱللهِ ما أَدْري أَبَوْحِيَ نافِعِي عَشيَّةَ هاجَتْني ٱلْمَنازِلُ أَمْ كَتْمي
عَشيَّةَ جُنَّ ٱلْقَلْبُ فيها جُنونُهُ وَنازَعَني شَوْقي مُنازَعَةَ ٱلْخَصْمِ
وَقَفْتُ أُداري ٱلْوَجْدَ خَوْفَ مَدامِعٍ تُبيحُ مِنَ ٱلسِّرِّ ٱلْمُمَنَّعِ ما أَحْمي
أُغالِبُ بِٱلشَّكِّ ٱلْيَقينَ صَبابَةً وَأَدْفَعُ في[1] صَدْرِ ٱلْحَقيقَةِ بِٱلْوَهْمِ
فَلَمّا أَبىٰ إِلّا ٱلْبُكاءَ لِيَ ٱلْأَسىٰ بَكَيْتُ فَما أَبْقَيْتُ لِلرَّسْمِ مِنْ رَسْمِ
وَما مُسْتَفيضٌ مِنْ غُروبٍ تَنازَعَتْ عُراها ٱلسَّواني فَهْيَ سُجْمٌ عَلى سُجْمِ[2]
بِأَغْزَرَ مِنْ عَيْنَيَّ يَوْمَ تَمَثَّلَتْ عَلَى ٱلظَّنِّ أَعْلامَ ٱلْحِمىٰ وَعَلَى ٱلرَّجْمِ
كَأَنّي بِأَجْزاعِ[3] ٱلنَّقيبَةِ[4] مُسْلَمٌ إِلىٰ ثائِرٍ لا يَعْرِفُ ٱلصَّفْحَ عَنْ جُرْمي
لَقَدْ وَجَدَتْ وَجْدي ٱلدِّيارُ بِأَهْلِها وَلَوْ لَمْ تَجِدْ وَجْدي[5] لَما سَقِمَتْ سُقْمي
عَلَيْهِنَّ وَسْمٌ لِلْفِراقِ وَإِنَّما عَلَيَّ لَهُ ما لَيْسَ لِلنّارِ مِنْ وَسْمِ

---

(١) عن (ظ).

(٢) الغُروب : جمع غَرْب، وهي الدلو العظيمة . والسواني جمع سانية، وهي الناقة يستقى عليها من البئر . والسُجُم : جمع سَجُوم، تقول ناقة سَجوم أي دَرور .

(٣) بأجراع (س ، ي ، ن ، ت) .

(٤) كذا في جميع النسخ، وليس لها ذكر في معجم البلدان، ولعلها (النقيّة)، وهي من قري البحرين كما في معجم البلدان .

(٥) مثلي (ي) .

وَكَمْ قسم ٱلْبَيْنُ ٱلضنىٰ بَيْنَ منزلٍ وَجسمٍ (١) وَلٰكِنَّ ٱلْهوىٰ جائرُ ٱلْقَسْمِ
منازلُ أَدْراسٌ شجاني نحولُهـا فَهلّا شجاها ناحلُ ٱلقلبِ وَٱلْجسْمِ
سَقاها ٱلْحَيا قبلي فلمّا سقيتُها بدمعي رأتْ فضلَ ٱلْوَليِّ عَلَى ٱلْوَسْمِي
وَلَوْ أَنّني أَنْصفتُها ما عدلتُها (٢) عَنِ (٣) ٱلْكرمِ ٱلْفيّاضِ وَٱلنّائلِ ٱلْجَمِّ
إِذا ما ندىً تاجِ ٱلْمُلُوكِ ٱنْبرىٰ لها فما عارضٌ ينهلُّ أَوْ ديمةٌ تهْمي
هُوَ ٱلْمَلْكُ أَمّا حاتمٌ (٤) ٱلْجُودِ عندهُ فيلغىٰ، وَينسىٰ عندهُ أَحنفُ (٥) ٱلْحِلْمِ
يجلُّ عَنِ ٱلتمثيلِ بِٱلْماطرِ ٱلرّوىٰ (٦) وَيعلُو عَنِ ٱلتشبيهِ بِٱلْقمرِ ٱلتِّمِّ
وَيكرُمُ أَنْ نرجُوهُ لِلأَمْرِ هيِّناً وَيشرُفُ أَنْ ندعُوهُ بِٱلْماجدِ ٱلْقرْمِ
إِذا نحنُ قُلْنا ٱلْبدْرُ وَٱلْبحْرُ وَٱلْحيا فَقَدْ ظُلمتْ أَوْصافُهُ غايَةَ ٱلظُّلْمِ
وَأَيْسَرُ حَقٍّ لِلْمَكارمِ عِنْدهُ إِذا هُوَ عَدَّ ٱلْغُرْمَ فيها مِنَ ٱلْغُنْمِ
يَرُوحُ سَلُوباً لِلنُّفوسِ مَعَ ٱلْوَغىٰ وَيغدُو سَليباً لِلثَّناءِ مَعَ ٱلسِّلْمِ
وَلا يعرِفُ ٱلْإِحْجامَ إِلّا عَنِ ٱلْخَنا وَلا ينكرُ ٱلْإِقْدامَ إِلّا عَلَى ٱلذّمِّ
خفيفٌ إِلىٰ ٱلْعلْياءِ وَٱلْحَمْدِ وَٱلنّدىٰ ثَقيلٌ عَنِ ٱلْفَحْشاءِ وَٱلْبَغْيِ وَٱلْإِثْمِ

(١) وبيني ... (في جميع النسخ ما عدا ت) .
(٢) ما عذلتها (م، ن، ع)، لعدلتها (ك)، وفي هامشها : لعرضتها .
(٣) على ... (ك) .
(٤) حاتم الطائي المشهور بالجود .
(٥) الاحنف بن قيس التميمي المشهور بالحلم .
(٦) الرّوَى مثل إلى : الماء الكثير المروي .

سَرِيعٌ إِلَى ٱلدَّاعِي بَطِيءٌ عَنِ ٱلْأَذَى ... قَرِيبٌ مِنَ ٱلْعَافِي بَعِيدٌ مِنَ ٱلْوَصْمِ (١)

هُمَامٌ إِذَا مَا ضَافَهُ ٱلْهَمُّ (٢) لَمْ يَجِدْ ... سِوَى ٱلْمَجْدِ شَيْئًا بَاتَ مِنْهُ عَلَى هَمِّ

إِذَا ذُكِرَ ٱلْأَحْبَابُ كَانَ ٱدِّكَارُهُ ... شِفَارَ ٱلْمَوَاضِي أَوْ صُدُورَ ٱلْقَنَا ٱلصُّمِّ

يَرَى ٱلْمَالَ بَسْلًا مَا عَدَاهَا وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَطْعَمَ لَيْثٌ دُونَ فَرْسٍ وَلَا ضَغْمِ

وَكَمْ فِي ظُبَاهَا مِنْ ظِبَاءٍ غَرِيرَةٍ ... وَفِي قَصَبِ ٱلْمُرَّانِ مِنْ قَصَبٍ فَعْمِ

إِذَا قَارَعَ (٣) ٱلْأَعْدَاءَ وَٱلْخَصْمَ (٤) لَمْ يَقِفْ ... عَلَى غَايَةٍ بَيْنَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلْحَزْمِ

يَعُولُ مِنْهُ ٱلْعَسْكَرُ ٱلدَّهْمُ (٥) فِي ٱلْوَغَى ... عَلَى وَاحِدٍ كَمْ فِيهِ مِنْ عَسْكَرٍ دَهْمِ

إِذَا حَلَّ فَٱلْأَمْوَالُ لِلْبَذْلِ وَٱلنَّدَى ... وَإِنْ سَارَ فَٱلْأَعْدَاءُ لِلذُّلِّ وَٱلْوَقْمِ (٦)

حُسَامُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱبْنُ سَيْفِهِ ... فَيَا لَكَ مِنْ فَرْعٍ وَيَا لَكَ مِنْ جِذْمِ

مُكَابِدُ أَيَّامِ ٱلْجِهَادِ وَمَوْئِلُ ٱلْـ ... ـعِبَادِ وَحَامِيهِمْ وَقَدْ (٧) قَلَّ مَنْ يَحْمِي

وَمُقْتَحِمُ ٱلْأَجْبَالِ يَوْمَ تَمَنَّعَتْ ... ذِئَابُ ٱلْأَعَادِي فِي ذَوَائِبِهَا ٱلشُّمِّ

---

(١) هذا البيت وسبعة أبيات بعده لم ترد في (ي) .

(٢) الأمر (ت) .

(٣) قارن (س) .

(٤) والخطب (س ، ظ ، م ، ن ، ع ، ت) .

(٥) الدَّهْمُ : العدد الكثير .

(٦) الوَقْمُ : القهر والذل وأشد الحزن .

(٧) إذا قلّ . . . (ت) .

غَداةَ يَعُورُ (١) السَّهْمُ في السَّهْمِ وَالقنا ... بحَيْثُ القَنا وَالكَلْمُ في مَوْضِعِ الكَلْمِ
وَلا فَرْقَ فِيها بَيْنَ عَزْمٍ وَصارِمٍ ... كَأَنَّ الظُّبى فِيها طُبِعْنَ مِنَ العَزْمِ
وَما يَوْمُهُ في المُشْرِكِينَ بِواحِدٍ ... فَنَجْهَلَه وَالعالَمُونَ ذَوُو عِلْمِ
وَقَدْ عَجَمَ الأَعْداءَ مِنْ قَبْلُ عُودَهُ ... فَأَدْرَدَهُمْ (٢) وَالنَّبْعُ (٣) مُمْتَنِعُ العَجْمِ
سَمَوْتُ إِلى الفَخْرِ الشَّرِيفِ مَقامُهُ ... وَمِثْلِي مَنْ يَسْمُو إِلَيْهِ وَمَنْ يُسْمِي
وَكُنْتُ عَلى حُكْمِ النَّوائِبِ نازِلاً ... فَأَنْزَلَها تاجُ المُلُوكِ عَلى حُكْمِي
وَما العُذْرُ عِنْدِي بَعْدَ أَخْذِي بِحَبْلِهِ ... إِذا قَدَمِي لَمْ أُوطِها هامَةَ النَّجْمِ
إِذا ما نَظَمْتُ الحَمْدَ عِقْداً لِمَجْدِهِ ... تَمَنَّتْ نُجُومُ اللَّيْلِ لَوْ كُنَّ مِنْ نَظْمِي
وَكَمْ لِلْمَعالِي مِنْ مَعالٍ بِمَدْحِهِ (٤) ... وَلِلشَّرَفِ المَذْكُورِ مِنْ شَرَفٍ فَخْمِ
أَلا لَيْتَ لِي ما حاكَهُ كُلُّ قائِلٍ ... وَما سارَ في عُرْبٍ مِنَ المَدْحِ أَوْ عُجْمِ
فَأُثْنِي عَلى العِيسِ العِتاقِ لِقَصْدِهِ ... بِعاجِلِ مِنْ فِكْرِي وَما دَقَّ مِنْ فَهْمِي
فَلَمْ أَقْضِ إِبْلاً أَوْصَلَتْنِيهِ حَقَّها ... وَلَوْ عُفِّيَتْ (٥) مِنْها المَناسِمُ بِاللَّثْمِ

---

(١) يعود (ك ، ت) .
(٢) أَدْرَدَ أسنانه : أذهبها . وفي (س ، ى) فأكبدهم ، وفي (ك) فأكمدهم .
(٣) النبع : شجر تتخذ منه القسي ، ومن أغصانه السهام .
(٤) بحمده (ك ، ت) .
(٥) عنّت (ظ) ، عقبت (ت) ، ولعل الصواب : ولو حَفِيَتْ . . .

إلَيْكَ ٱبْنَ خَيْرِ ٱلنَّاسِ ظَلَّتْ رِكابُنا ... كَأَنَّ عَلَيْها ٱلسَّيْرَ حَتْمٌ مِنَ ٱلْحَتْمِ

إلىٰ مَلِكٍ ما حَـلَّ مِثْلُ وَقارِهِ ... عَلَى مَلِكٍ صَتْمٍ (١) وَلا سَيِّدٍ ضَخْمِ

جَوادٌ وَما جادَتْ سَماءٌ بِقَطْرِها ... كَرِيمٌ وَما دارَتْ عَلَيْهِ ٱبْنَةُ ٱلْكَرْمِ

تَخَوَّنَتِ ٱلْأَيَّامُ حالِي وَأَقْسَمَتْ ... عَلَيَّ ٱللَّيالِي أَنْ أَعِيشَ بِلا قِسْمِ

وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي ٱلدَّهْرُ إلاَّ حُشاشَةً ... وَإلاَّ كَما أَبْقىٰ نَداكَ مِنَ ٱلْعُدْمِ

رَمىٰ غَرَضَ ٱلدُّنْيا هَوايَ فَلَمْ يُصِبْ ... وَكَمْ غَرَضٍ مِنْها أُصِيبَ (٢) وَلَمْ أَرْمِ

وَما بَعْدَ إفْضائِي إلَيْكَ وَمَوْقِفِي ... بِرَبْعِكَ مِنْ شَكْوىً لِدَهْرٍ (٣) وَلا ذَمِّ

وَها أَنا ذا قَدْ قُدْتُ وُدِّي وَمُهْجَتِي ... إلىٰ ذا (٤) ٱلنَّدىٰ قَوْدَ ٱلذَّلُولِ بِلا خَزْمِ

لِتَبْسُطَ بِٱلْمَعْرُوفِ ما كَفَّ مِنْ يَدِي ... وَتَجْبُرَ بِٱلْإحْسانِ ماهاضَ مِنْ عَظْمِي (٥)

* * *

---

(١) الصَّتْمُ : المحكم التام .

(٢) أصبتُ (ك ، ي) .

(٣) لديك (س) .

(٤) إلى ذي الندى (ي ، ن ، ت) .

(٥) ورد بعد هذا البيت في نسخة كوبنهاغن ، المرموز اليها بـ (ك)، والتي يختلف ترتيبها عن بقية النسخ، ما نصه : « هذا ما علقته من إملائه رضي الله عنه، ولم أجد عشره في ديوانه عند جامعي شعره ومدوّني شكره، ثم أعود إلى ما نظمه في عنفوان شبابه وزمان أطرابه، وأبتدىء بالسابق من مدائحه، والمستغرب من قرائحه، فاجعل مدح كل ممدوح يتبع بعضه بعضاً على الوضع المقدَّم ، في كل رئيس ومقدَّم ، ثم لما صدر في صدره من أغراضه باباً ـ

٩٣

وقال أيضاً يمدحه :

أَمَّا ٱلْعُفَاةُ فَأَنْتَ خَيْرُ رَجَائِها ... وَٱلْمَكْرُماتُ فَأَنْتَ بَدْرُ سَمائِها
ما أَحْسَنَتْ بِكَ ظَنَّها في رَغْبَةٍ ... أَوْ رَهْبَةٍ فَعَداكَ حُسْنُ ثَنائِها
لَوْلاكَ يا تاجَ ٱلْمُلُوكِ لَعَزَّها ... مَلِكٌ يُجِيبُ نَداهُ قَبْلَ نِدائِها
أَحْيَيْتَها[١] قَبْلَ ٱلسُّؤالِ بِأَنْعُمٍ ... رَدَّتْ وُجُوهَ ٱلسَّائِلِينَ بِمائِها
حَمْداً[٢] لِأَيّامٍ سَما بِكَ فَخْرُها ... أَنَّى تُذَمُّ وَأَنْتَ مِنْ أَبْنائِها
مَنْ ذا يَقُومُ بِشُكْرِها وَعُلاكَ مِنْ ... حَسَناتِها وَنَداكَ مِنْ آلائِها
مَعَ أَنَّنِي أَبْغِي دُيُوناً عِنْدَها ... مَمْطُولَةً هٰذا أَوانُ قَضائِها
وَكَفَى بِزِفِّي كُلَّ[٣] بِكْرٍ حُرَّةٍ ... لَوْلاكَ ما زُفَّتْ إِلَى أَكْفائِها

= مفرداً ، وما رأيت أن أقدم على مدائح المولين المذكورين نوّر الله ضريحهما ممن يمدحهم أحداً » ، ويريد بهذين الممدوحين عضب الدولة وتاج الملك بوري . ثم أورد بعد ذلك القصيدة التي يمدح بها الأمير سديد الملك أبا الحسن علي بن المقلد بن منقذ ومطلعها :

يقيني يقيني حادثات النوائب ... وحزمي حزمي في ظهور النجائب

انظر (ص ١٢) من هذا الديوان .

(١) حييتها ... (ك) .
(٢) حمداً لأيام الزمان وإن طغت (ك) .
(٣) ... كل يومٍ حرةً (ك) .

سَعِدَتْ بِكَ ٱلْأَقْمَارُ جاراً فَلْتَفُزْ[1] بِمُجَاوِرِ ٱلْأَقْمَارِ فِي عَلْيائِهَا
أَشْبَهْتَهَا فِي سَعْدِهَا وَعُلُوِّهَا وَبَهَائِهَا فَبَقِيتَ مِثْلَ بَقائِهَا

٩٤

وقال بديهاً في مجلس شرابه[2] :

بَنِي ٱلْعُلَى وَٱلنَّدَى مالِي صِفَتْ وَصَفَتْ عِنْدِي لَكُمْ طُرَفُ ٱلْأَشْعَارِ وَٱلْمُلَحُ
إِنِّي لَرَبُّ ٱلْقَوَافِي فِي زَمانِكُمُ وَقَدْ سَأَلْتُ ٱقْتِراحَ ٱلْقَوْمِ فَٱقْتَرِحُوا
مَعْنىً بَلِيغاً وَأَلْفاظاً يَرُقْنَ وَأَغْــراضاً[3] يَفُقْنَ وَبَحْراً لَيْسَ يُنْتَزَحُ
وَما يَكادُ يُدِيرُ ٱلْفِكْرُ أَكْؤُسَهُ إِلاَّ بِحَيْثُ يَدُورُ ٱللَّهْوُ وَٱلْقَدَحُ
أَلا تَرَوْنَ وُجُوهَ ٱلْعَيْشِ مُقْبِلَةً تُزْهَى وَصَدْرُ ٱلْأَمَانِي وَهْوَ مُنْشَرِحُ
وَٱلْيَوْمَ[4] يَوْمٌ يُرِينَا ٱلشَّمْسَ ضاحِكَةً طَوْراً وَدَمْعُ ٱلْغَوادِي وَهْوَ مُنْسَفِحُ[5]

---

(١) فلتقم (ت) .
(٢) لم ترد هذه القصيدة في (ك) .
(٣) وأعراضاً (ظ ، م ، ن ، ع) .
(٤) لم يرد هذا البيت في (ع) .
(٥) وهو ينسفح (س) .

وَٱلنَّايُ كَٱلنَّأْيِ فِي قَلْبِ ٱلْمُحِبِّ وَلِلْـأَوْتَارِ فِي كُلِّ سَمْعٍ أَلْسُنٌ فُصُحُ

وَمُسْمِعِينَ إِذَا مَرَّتْ لَهُمْ نَغَمٌ كَادَتْ لَهُنَّ قُلُوبُ ٱلْقَوْمِ تَنْجَرِحُ

لَا تَعْذِرَنَّ بَنِي ٱللَّذَّاتِ إِنْ نَزَعُوا عَنْهَا فَأَفْسَدُ مَا كَانُوا إِذَا صَلَحُوا

وَفِي ذُرَى ٱلْمَجْدِ مِنْ تَاجِ ٱلْمُلُوكِ فَتًى بِٱلْعِزِّ (١) مُغْتَبِقٌ بِٱلسَّعْدِ مُصْطَبِحُ

أَلْيَوْمَ حَصَّنَ مَدْحِي (٢) بَعْدَ بِذْلَتِهِ مَلْكٌ بِهِ تَفْخَرُ ٱلْأَيَّامُ وَٱلْمِدَحُ

مَلْكٌ إِذَا أُنْهِلَ فِي بَأْسٍ (٣) وَفَيْضِ نَدًى فَٱللَّيْثُ مُهْتَصِرٌ وَٱلْغَيْثُ مُفْتَضِحُ

بَدْرٌ لَوَانَّ لِبَدْرِ ٱلْأُفْقِ بَهْجَتَهُ أَضْحَى بِهِ ٱللَّيْلُ مِثْلَ ٱلصُّبْحِ يَتَّضِحُ

حَارَ (٤) ٱلثَّنَاءُ فَمَا يَدْرِي أَغَايَتُهُ أَعْرَاقُهُ ٱلْبِيضُ أَمْ أَخْلَاقُهُ ٱلسُّجُحُ

لَوْ لَمْ تَكُنْ أَوْحَدَ ٱلْأَقْوَامِ كُلِّهِمِ لَقُلْتُ إِنَّ ٱلْمَعَالِي (٥) وَٱلنَّدَى مِنَحُ

أَمَّا ٱلزَّمَانُ فَقَدْ أَضْحَى بِدَوْلَتِهِ نَضْراً حَكَى ٱلرَّوْضَ، وَٱلطُّلَّابُ قَدْ نَجَحُوا

وَٱلْعَيْشُ مُتَّسِعٌ وَٱلْأَمْنُ (٦) مُقْتَبَلٌ وَٱللَّهْوُ مُسْتَخْلَصٌ وَٱلْهَمُّ مُطَّرَحُ

* * *

(١) في جميع النسخ (فالعز) إلا في (ع) ، وقد اخترنا روايتها .

(٢) دمعي بعد ذلته (ت) .

(٣) ياس (م) .

(٤) حاز (س ، ي ، ن ، ت) .

(٥) المعاني (م) .

(٦) كذا في جميع النسخ ، ولعله (والأمر) .

٩٥

وقال بديهاً في مجلس شرابه بالميدان(١) :

أَلا هٰكَذا فَلْيُحْرِزِ الْحَمْدَ وَالأَجْرا ... وَيَحْوِ(٢) جَمِيلَ الذِّكْرِ مَنْ طابَ الذِّكْرا
لَقَدْ كَرَّمَ اللّٰهُ ابْنَ دَهْرٍ تَسُودُهُ ... وَشَرَّفَ يا تاجَ الْمُلُوكِ بِكَ الدَّهْرا
وَمَنَّ عَلَى هٰذا الزَّمانِ وَأَهْلِهِ ... بِأَرْوَعَ لا يَعْصِي الزَّمانُ لَهُ أَمْرا
حُسامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ تَكُنْ(٣) ... حُساماً لَهُ فَلْيَقْتُلِ الْخَوْفَ وَالْفَقْرا
هَزَزْناكَ لَدْنًا وَانْتَضَيْناكَ صارِماً ... فَطُلْتَ الْقَنا صُمًّا وَغُلْتَ الظُّبَى بُتْرا
حُساماً(٤) نَرَى فِي صَفْحَةِ الصَّفْحِ(٥) وَالنَّدَى ... وَفِي حَدِّهِ الْجَدَّ الْمُظَفَّرَ وَالنَّصْرا
وَفِي قُرْبِهِ الزُّلْفَى وَفِي نَيْلِهِ الْعُلَى(٦) ... وَفِي حُكْمِهِ(٧) الْبُقْيا وَفِي ظِلِّهِ الْيُسْرا(٨)

---

(١) الميدان الأخضر بدمشق، ويعرف اليوم بمرجة الحشيش، وفي زاويته الشرقية الشمالية المتحف، ويلي المتحف إلى الغرب مدينة المعرض . وفي (س ، ظ ، ي ، م ، ن) بالمدان .

(٢) ويحي (ت) .

(٣) ومن يكن (ك ، ت) .

(٤) حسام (ن) .

(٥) البأس والندى (ك) .

(٦) الغنى (ن) .

(٧) حلمه (ن) .

(٨) البشرا (ت) .

فَتىً لا يَرىٰ إلاّ ٱلْمَحامِدَ مَغْنَماً   وَلا يَقْتَنِي إلاّ ٱلثَّناءَ لَهُ ذُخْرا

وَمُقْرَبَةً جُرْداً وَزُغْفاً سَوابِغاً   وَهِنْدِيَّةً بِيضاً وَخَطِّيَّةً سُمْرا

إذا صالَ بَأْساً قَطَّعَ ٱلْبِيضَ وَٱلْقَنا   وَإِنْ(١) فاضَ جُوداً أَخْجَلَ(٢) ٱلدِّيَمَ ٱلْغُزْرا

لَعَمْرِي لَئِنْ أَعْدَتْ أَنامِلُكَ ٱلْحَيا   سَماحاً لَقَدْ أَعْدَتْ شَمائِلُكَ ٱلْخَمْرا

وَكائِنْ مَنَحْتَ ٱلرّاحَ(٣) مِنْ خُلْقِكَ ٱلصَّفا   وَأَكْسَبْتَها مِنْ نَشْرِكَ ٱلطَّيِّبِ ٱلنَّشْرا

وَأَوْدَعْتَها مِنْ حَدِّ بَأْسِكَ سَوْرَةً   وَعَلَّمْتَها مِنْ أَرْيَحِيَّتِكَ ٱلسُّكْرا

كَأَنَّ ٱلثُّرَيّا تَلْثِمُ ٱلْبَدْرَ كُلَّما   تَعَطَّقْتَها فِي ٱلْكَأْسِ عانِسَةً بِكْرا

أَبا ٱلْأَنْجُمِ ٱلزُّهْرِ ٱلْأُولَىٰ لَوْ تَحَلَّتِ ٱلسَّـماءُ بِهِمْ لَمْ تَحْفِلِ ٱلْأَنْجُمَ ٱلزُّهْرا

إذا واحِدٌ مِنْهُمْ جَلَتْهُ مَخِيلَةٌ   تَبَيَّنْتَ فِي أَعْطافِهِ ٱلْعَسْكَرَ ٱلْمَجْرا

وَكَمْ لَيْثِ غابٍ كانَ شِبْلاً مُرَيَّناً(٤)   وَعادِيِّ نَبْعٍ قَدْ غَدا غُصُناً نَضْرا

رَجَوْتُكَ بَحْراً يُخْجِلُ ٱلْبَحْرَ نائِلاً   وَزُرْتُكَ بَدْراً جَلَّ أَنْ يُشْبِهَ ٱلْبَدْرا

وَقَدْ خَطَبَ ٱلْأَمْلاكُ مَدْحِي فَصُنْتُهُ   لِأَكْرَمِهِمْ نَجْراً وَأَشْرَفِهِمْ قَدْرا

---

(١) فان (ك) .

(٢) أنحل (ك) .

(٣) الكأس (ت) .

(٤) كذا في جميع النسخ، ولعله (مُرَبَّباً) من ربَّبَ أي ربّى .

وَما كانَ لِي أَنْ لا أَزُفَّ عَرائِسِي(١) إِلَيْكَ وَقَدْ أَغْلَيْتَها دُونَهُمْ مَهْ
جَعَلْتُ لَها مِنْ مَدْحِكَ الفاخِرِ الحُلَى وَمِنْ جُودِكَ النُّعْمَى وَمِنْ ظِلِّكَ الخِدْ
وَإِنْ طالَ عُمْرٌ لَمْ تُقَصِّرْ غَرائِبٌ يَعِزُّ اللَّيالِي أَنْ تُطاوِلَها عُمْ
بَدائِعُ إِنْ بَغْدادُ هامَتْ بِحُبِّها فَقَدْ تَيَّمَتْ مِنْ قَبْلِها وَشَجَتْ مِصْ
وَوَاللهِ لا أُغْبِبْتُ شُكْراً وَسُمْتُهُ بِمَدْحِكَ ذا ما اسْتَوْجَبَ المُحْسِنُ الشُّكْ
لِيَلْبَسَ جِيدُ المَجْدِ مِنْ حَلْيِ مَنْطِقِي قَلائِدَ دُرٍّ تَزْدَرِي عِنْدَهُ الدُّ
إِذا قُلْتُ فِي تاجِ المُلُوكِ قَصِيدَةً مِنَ الشِّعْرِ قالُوا قَدْ مَدَحْتَ بِهِ الشِّعْ

* * *

٩٦

وقال أيضاً يمدحه، وأنشده إياها في عيد النحر سنة أربع عشرة وخمس مائة :

أَلَمْ تَكُ لِلْمُلُوكِ الغُرِّ تاجا وَلِلدُّنْيا وَعالَمِها سِراجا
أَلَمْ تَحْلُلْ ذُرَى المَجْدِ التِهاما بِغاياتِ المَكارِمِ وَالتِهاجا
لَقَدْ شَرُفَ الزَّمانُ بِكَ افْتِخاراً كَما سَعِدَ الأَنامُ بِكَ ابْتِهاجا
رَأَوْا مَلِكاً أَنامِلُهُ بِحارٌ مِنَ المَعْرُوفِ تَلْتَجُّ التِجاجا

(١) قصائدي (ك) .

حَقيقاً أَنْ يُجابَ (١) عَلَى ٱللَّيالي ... بِهِ ثَوْبُ ٱلثَّناء وَأَنْ يُساجا (٢)
يَكادُ ٱلْغَيْثُ يُشْبِهُهُ سَماحًا ... إِذا ٱنْهَلَّ ٱنْسِفاحًا وَٱنْثِجاجا
أَغَرُّ يَهِيجُ طِيبُ ٱلذِّكْرِ مِنْهُ ... هَوىً بِرَجائِهِ ما كانَ هاجا
تَبِيتُ رِكابُنا ما يَمَّمَتْهُ ... تُخالِجُنا أَزِمَّتُها خِلاجا
كَأَنَّ ٱلْعِيسَ خابِرَةٌ إِلىٰ مَنْ ... بِنا تَطْوِي ٱلْمَخارِمَ وَٱلْفِجاجا
كَأَنَّ ٱلْفَوْزَ بِٱلْآمالِ تُمْسِي ... إِلَيْهِ ٱلنّاجِياتُ بِهِ تُناجا
مَلِيٌّ حِينَ يُنْذَرُ بِٱلْأَعادِي ... وَأَمْضَىٰ ٱلْعالَمِينَ إِذا يُفاجا
يَرُوحُ وَخَيْلُهُ تَخْتالُ (٣) تِيهاً ... بِأَشْجَعِ مَنْ بِها شَهِدَ ٱلْهِياجا
وَما ٱلْمِسْكُ ٱلسَّحِيقُ إِذا ٱمْتَطاها ... بِأَهْلٍ أَنْ يَكُونَ لَها عَجاجا
يَطُولُ بِها ٱلثَّرَىٰ إِنْ صافَحَتْهُ ... وَإِنْ سَلَكَتْ بِهِ سُبُلاً فِجاجا (٤)
كَأَنَّ بِسَهْلِهِ وَٱلْحَزْنِ مِنْها ... عِضاضاً لِلسَّنابِكِ أَوْ شِجاجا
مَدَدْتَ إِلىٰ ٱقْتِناءِ ٱلْحَمْدِ (٥) كَفّاً ... طَمىٰ بَحْرُ ٱلسَّماحِ بِها وَماجا

---

(١) جاب الثوب : قطعه .
(٢) ساج الحائك نسيجه بالمسوجة : جاء بها وذهب عليه والمسوجة : المرشة .
(٣) ترتاح (ك ، ن) .
(٤) نهاجا (س ، ظ ، م ، ت) ، تهاجا (ع) ، أجاجا (ك) .
(٥) المجد (ك) .

وَغادَرْتَ ٱلْعَوالِيَ بِٱلْمَعالِي كَخِيسِ ٱللَّيْثِ عَزَّ بِهِ وِلاجا(١)
وَأَنْتَ جَعَلْتَ بَيْنَهُما ٱنْتِساباً بِما آلَى إِباؤُكَ وَٱنْتِساجا
ضَرَبْتَ مِنَ ٱلظُّبَى سُوراً عَلَيْها وَمِنْ شَوْكِ ٱلرِّماحِ لَها سِياجا
وَلَمْ تَقْنُ ٱلْقَنا يَوْماً لِتَقْضِي بِغَيْرِ صُدُورِها لِلْمَجْدِ حاجا
وَلَوْلا ٱلطَّعْنُ فِي ٱلْهَيْجاءِ شَزْراً لَما فَضَلَتْ أَسِنَّتُها ٱلزِّجاجا
إِذا داءٌ مِنَ ٱلْأَيّامِ أَعْيا عَلَى ٱلْأَيّامِ طِبّاً أَوْ عِلاجا
أَعَدْتَ لَهُ بِبِيضِ ٱلْهِنْدِ كَيّاً وَأَشْفَى ٱلْكَيِّ أَبْلَغُهُ نِضاجا
وَكَمْ سَيْلٍ(٢) ثَنَيْتَ بِها وَمَيْلٍ أَقَمْتَ فَلَمْ تَدَعْ فِيهِ ٱعْوِجاجا
وَقَيْلٍ قَدْ دَلَفْتَ لَهُ بِخَيْلٍ كَشُهْبِ ٱلْقَذْفِ تَرْتَهِجُ ٱرْتِهاجا
كَأَنَّ دَبىً(٣) وَرِجْلاً مِنْ جَرادٍ بِها وَٱلْغابَ يُرْقِلُ وَٱلْحِراجا
عَصَفْنَ بِعِزِّهِ وَضَرَبْنَ مِنْهُ مَعَ ٱلْهامِ ٱلْمَعاقِدَ وَٱلْوِداجا
وَكُنْتَ إِذا عَلَوْتَ مَطا جَوادٍ مَلَأْتَ ٱلْأَرْضَ أَمْناً(٤) وَٱنْزِعاجا

(١) الولاج : الباب والغامض من الأرض والوادي .
(٢) وكم خيل . . . (ك) .
(٣) الدَّبى : أصغر الجراد . والرِّجْلُ : القطعة العظيمة من الجراد خاصة ، وهو جمع على غير لفظ واحده ، كالصوار لجماعة البقر ، والعانة لجماعة الحمر ، والرعيل لجماعة الخيل ، وهو كثير في كلامهم .
(٤) رعباً وانزعاجا (ج) .

وَكَمْ أَحْصَدْتَ مِنْ عَقْدٍ لِجارٍ ... وَلا كَرَبًا[١] شَدَدْتَ[٢] وَلا عِناجا

إذا باتَتْ[٣] لِأَبْناءٍ[٤] عِظامٍ[٥] ... بَناتُ الصَّدْرِ تَعْتَلِجُ اعْتِلاجا

جَزاكَ اللّهُ نَصْراً عَنْ مَساعٍ ... حَمَيْنَ الدِّينَ عِزّاً أَنْ يُهاجا

فَلَمْ تَكُ إذْ تَمُورُ الأَرْضُ مَوْراً ... وَتَرْتَجُّ الجِبالُ بِها ارْتِجاجا

لِثَغْرٍ مَخُوفَةٍ إلاّ سِداداً ... وَبابِ مُلِمَّةٍ إلاّ رِتاجا

وَلَمْ تَضِقِ الخُطُوبُ السُّودُ إلاّ ... جَعَلْنا مِنْ نَداكَ لَها انْفِراجا

كَفَى ظُلَمَ النَّوائِبِ[٦] واللَّيالي ... بِبَهْجَتِكَ[٧] انْحِساراً وَانْبِلاجا

وَحَسْبُ العِيدِ عِيدٌ مِنْكَ يَحْظَى[٨] ... بِهِ ما عادَ مُرْتَقَباً وَعاجا

قَدِمْتَ لَهُ وَلِلنِّعَمِ اللَّواتي ... غَدَوْتَ بِها لِرَبِّ التّاجِ تاجا

---

(١) الكَرَب : حبل يشد في وسط العراقي ايلي الماءَ فلا يعفن الحبل الكبير . والعِناج : حبل يشد في أسفل الدلو العظيمة ثم يشد الى العراقي .

(٢) يشد (ك) ، عقدت (ن) .

(٣) بانت (ك) .

(٤) لأنباء (ج) .

(٥) كرام (ت) .

(٦) الحوادث (ت) .

(٧) بسيمتك انحيازاً وانبلاجا (ك) .

(٨) أضحى (ك) .

تَجَلَّ (١) حِلىً إِذا ما ٱلْقَطْرُ حَلَّى ... بِرَيِّقِهِ ٱلْأَنَاعِمَ (٢) وَٱلنِّبَاجا
إِذا ما كُنْتَ تاجَ عُلىً فَمَنْ ذا ... يَكُونُ لكَ ٱلْجَبِينَ أَوِ ٱلْحِجاجا (٣)
إِلَيْكَ زَفَفْتُ أَبْكارَ ٱلْقَوافِي ... وُحاداً (٤) كَٱلْفَرائِدِ أَوْ زَواجا (٥)
سَوامِيَ ٱلْهَمِّ لا تَعْدُوكَ مَدْحاً ... إِذا ٱخْتَلَجَ ٱلضَّمِيرُ بِها ٱخْتِلاجا
تَزُورُ عُلاكَ مَرّاً (٦) وَٱنْثِناءً ... وَقَصْداً بِٱلْمَحامِدِ وَٱنْعِراجا
فَكَمْ شادٍ لَها طَرِبٍ (٧) وَحادٍ ... بِها غَرِدٍ بُكُوراً وَٱدِّلاجا
وَكَمْ راوٍ كَأَنَّ بِفِيهِ مِنْها ... مُجاجَ ٱلنَّحْلِ حُبَّ (٨) بِهِ مُجاجا
يَزِيدُ بِها ٱلشَّجِيُّ شَجىً وَبَثّاً ... وَيَهْتاجُ ٱلْخَلِيُّ بِها ٱهْتِياجا
أَقُولُ بِحَقِّ ما تُسْدِي (٩) وَتُولِي ... وَلَيْسَ بِحَقِّ مَنْ (١٠) حابَى وَداجا

(١) تحل (س ، ظ ، ي ، م ، ع) .
(٢) الأناعم : جمع أنعم والأنعمان واديان كما في القاموس المحيط ، ويريد بالأناعم الأودية . والنِّباج : الآكام العالية .
(٣) الحَجاج : العظم الذي ينبت عليه الحاجب .
(٤) أحادا (ك) .
(٥) وازدواجا (ت) .
(٦) مسرى ، (ك) مرأى ، (ت) .
(٧) طرباً (س) .
(٨) حُبَّ به : أي ما أحبَّهُ .
(٩) ما تولي وتسدي (ك) .
(١٠) ما (س ، ظ ، ت ، ج) .

وَأَنْتَ أَعَدْتَ لِي بِيضاً حِساناً لَيالِيَ دَهْرِيَ السُّودَ السِّماجا
أَتَيْتُكَ لَمْ أَدَعْ لِلْحَظِّ عُذْراً إِلَيَّ وَلا عَلَيَّ لَهُ احْتِجاجا
وَلَمْ أَجْعَلْكَ دُونَ الْخَلْقِ قَصْدِي لِتَجْعَلَ لِي إِلَى الْخَلْقِ احْتِياجا
أُقِيمُ عَلَى الصَّدَى ما لَمْ يُهَبْ[1] بِي إِلَى الْوِرْدِ الْكَرِيمِ وَلَمْ يُجاجا[2]
فَكَمْ[3] جاوَزْتُ مِنْ عَذْبٍ زُلالٍ إِلَيْكَ أَعُدُّهُ مِلْحاً أُجاجا
إِلَى مَلِكٍ سَقَى الْإِحْسانَ صِرْفاً فَلَمْ يَذَرِ الْمِطالَ لَهُ مِزاجا
سَنِيِّ الْبَذْلِ ما حَمَلَتْ تَماماً مَواعِدُهُ[4] وَلا وَضَعَتْ خِداجا
وَخَيْرُ لَقائِحِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ النَّـدَى ما كانَ أَسْرَعَها نَتاجا
إِذا ما عاتَبَ الْأَيّامَ حُرٌّ بِغَيْرِكَ لَمْ تَزِدْ إِلّا لَجاجا

* * *

(١) أهاب بالخيل إهابة : دعاها .
(٢) جأجأ بالإبل ونحوها جأجأة : دعاها للشرب بقوله جيءجيء .
(٣) وكم (ك)
(٤) مراضعه (ن) .

٩٧

وقال يمدح الرئيس أبا الذوّاد المفرج بن الحسن بن الحسين الصوفي[١] بدمشق :

أَفَيْضُ دُمُوعٍ أَمْ سُيُولٌ تَمَوَّجُ ... وَحَرُّ ضُلُوعٍ أَمْ لَظىً تَتَأَجَّجُ
كَفَى مِنْ[٢] شَجايَ عَبْرَةٌ بعدَ زَفْرَةٍ ... وَلُبٌّ مُطارٌ أَمْ سَقامٌ مُهيجُ
شَرِبْتُ مِنَ الأَيَّامِ كَأْساً رَوِيَّةً ... وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الصَّفْوَ بِالرَّنْقِ يُمْزَجُ
وَلَمْ يُبْكِنِي رَسْمٌ بِنَعْمانَ[٣] دارِسٌ ... وَلا شَفَّنِي ظَبْيٌ بِرامَةَ[٤] أَدْعَجُ
وَلَكِنْ جُنُونٌ مِنْ زَمانٍ مُسَفَّهٍ ... وَدَهْرٌ جَهُولٌ[٥] أَوْلَقُ الرَّأْيِ أَهْوَجُ

---

(١) هو وجيه الدولة أبو الذوّاد المفرّج بن الحسن بن الحسين الصوفي ، رئيس دمشق ووزير تاج الملوك صاحب دمشق . تولى رئاسة دمشق مع أخيه سيف بعد وفاة والدهما الذي كان رئيساً لها سنة ٤٩٧ . وتقلد الوزارة سنة ٥٢٤ ، وفي سنة ٥٢٥ عزل عن الوزارة والرئاسة واعتقل مدة قصيرة، ثم أعيد في السنة نفسها إلى رئاسة دمشق دون الوزارة ، وقتل سنة ٥٣٠ . ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق . وانظر فهرس ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي.

(٢) مَن شجاني (ي ، ك ، ن)، شجى بي (ت) .

(٣) نَعمان : واد قريب من الفرات على أرض الشام قريب من الرحبة .

(٤) رامة : من قرى بيت المقدس .

(٥) مهول (س) .

سَلَوْتُ وَما كادَ[١] ٱلسُّلُوُّ يُطِيعُنِي ... لَوَ أنَّ زَماناً جائِراً يَتَحَرَّجُ
إذا[٢] دَخَلَ ٱلْهَمُّ ٱلْغَرِيبُ عَلَى فَتىً ... رَأَيْتَ ٱلْهَوىٰ مِنْ قَلْبِهِ[٣] كَيْفَ يَخْرُجُ
تَعَفَّتْ رُسُومُ ٱلْمَكْرُماتِ كَما عَفا ... عَلَى ٱلدَّهْرِ مَلْحُوبٌ[٤] وَأَقْفَرَ مَنْعِجُ
فَلَوْلا بَنُو ٱلصُّوفِيِّ أَعْوَزَ مُفْضِلٌ[٥] ... إلىٰ بابِهِ لِلْوَفْدِ[٦] مَسْرىً وَمَدْلَجُ
وَلِلسَّيِّدِ ٱلْمَأْمُولِ فِيهِمْ[٧] مَكارِمٌ ... تُساحُ[٨] بِأَرْزاقِ ٱلْعُفاةِ[٩] وَتُمْزَجُ
لَعَمْرِي لَقَدْ سادَ ٱلْكِرامَ وَبَذَّهُمْ ... أَغَرُّ صَقِيلُ ٱلْعِرْضِ أَزْهَرُ أَبْلَجُ
حَطَطْنا رِحالَ ٱلْعِيسِ فِي ظِلِّ جُودِهِ ... إلىٰ خَيْرِ مَنْ تُحْدىٰ إلَيْهِ وَتُحْدَجُ[١٠]
خَصِيبُ مَرادِ ٱلْخَيْرِ وَٱلْخَيْرُ مُجْدِبٌ ... جَدِيدُ رِداءِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْفَضْلُ مُنْهَجُ
أَبَرُّ وَأَنْدىٰ مِنْ نَدىٰ ٱلْمُزْنِ راحَةً ... وَأَبْهىٰ مِنَ ٱلْبَدْرِ ٱلْمُنِيرِ وَأَبْهَجُ

---

(١) وما كان . . . (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (س) .
(٣) من قبله (م ، ن ، ع) .
(٤) ملحوب : قرية باليمامة . ومَنْعِجُ : واد لبني أسد .
(٥) ماجد (ك) .
(٦) للوجد (ك) .
(٧) فيكم (س) ، فيه (م ، ع) ، منهم فضائل (ت) .
(٨) تساج (ي ، ك ، ت) .
(٩) العباد (ك) .
(١٠) وتسرج (س ، ظ ، م ، ع ، ت) .

قَضىٰ حاجَتي بِٱلْجُودِ حَتّىٰ كَأَنَّهُ إِلىٰ بَذْلِ ما يُسْدِي مِنَ ٱلْجُودِ أَحْوَجُ
وَكُنّا إِذا ما رابَنا ٱلدَّهْرُ مَرَّةً وَلِلدَّهْرِ أَحْوالٌ تَسُوءُ وَتُبْهِجُ
دَعَوْنا لَهُ جُودَ (ٱلْوَجِيهِ)(١) وَإِنَّما دَعَوْنا حَياً أَوْ وابِلاً يَتَثَجَّجُ
وَكَمْ قَطَعَتْ فِينا ٱللَّيالِي وَغالَنا لَها مُقْلِقٌ مِنْ فادِحِ ٱلْخَطْبِ مُزْعِجُ
فَذادَ (أَبُو ٱلذَّوّادِ)(١) عَنّا صُرُوفَها وَفَرَّجَ غَمّاءَ ٱلْخُطُوبِ (ٱلْمُفَرِّجُ)(١)
فَتىً يَسَعُ(٢) ٱلْآمالَ أَدْنىٰ ٱرْتِياحِهِ وَيَغْرَقُ فِي نُعْماهُ مَنْ لا يُلَجِّجُ
فَتىً لَمْ يَزَلْ لِلْمَجْدِ تاجاً وَمَفْخَراً إِذا ماجِدٌ بِٱلْفَخْرِ أَمْسىٰ يُتَوَّجُ
كَفانِي نَدىٰ كَفَّيْهِ خُلْفَ مَواعِدٍ بِها يَسْتَقِيمُ ٱلْقَوْلُ وَٱلْفِعْلُ أَعْوَجُ
وَأَغْنىٰ عَنِ ٱلْبُخّالِ راجَعْتُ جُودَهُمْ فَلَمْ أَرَ جُلْمُوداً عَلَى ٱلطَّبْخِ يَنْضَجُ
حَلَفْتُ لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ نِعْمَةً بِها ٱلشُّكْرُ يُغْرىٰ وَٱلْمَحامِدُ تَلْهَجُ
وَأَحْسَنَ بِي مِنْ قَبْلِكَ (ٱلْحَسَنُ)(٣) ٱلَّذِي تَوَلّىٰ وَما لِلْمَجْدِ عَنْهُ مُعَرَّجُ

---

(١) وجيه الدولة : لقب الممدوح، وأبو الذوّاد : كنيته ، والمفرج : اسمه .
(٢) تسمع (ك) .
(٣) هو أمين الدولة أبو محمد الحسن بن الحسين الصوفي رئيس دمشق ، كان جليلاً نبيلاً ، مات بدمشق سنة ٤٩٧ ، ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، في حوادث سنة ٤٩٥ ، وذكره ابن القلانسي في تاريخه .

أَبُوكَ ٱلَّذِي ما زالَ يَرْحَبُ هِمَّةً يَضِيقُ بِها صَدْرُ ٱلزَّمانِ وَيَحْرَجُ
بَنَى لَكُمُ بَيْتاً رَفِيعاً عِمادُهُ تَرَقَّى إِلَيْهِ ٱلنَّيِّراتُ وَتَعْرُجُ
فَلا ظِلُّهُ عَنْ مُسْتَظِلٍّ بِقاصِرٍ وَلا بابُهُ عَنْ مُرْتَجِي ٱلْخَيْرِ مُرْتَجُ
بِرَغْمِ ٱلْعِدَى أَنْ بِتَّ وارِثَ مَجْدِهِ وَذلِكَ حَقٌّ لَمْ تَكُنْ عَنْهُ تَفْرُجُ
وَما هِيَ إِلاّ صَعْبَةٌ عَزَّ(١) ظَهْرُها وَأَنْتَ عَلَى أَمْثالِها تَتَفَحَّجُ(٢)
وَمازِلْتَ تَعْلُو مَنْكِبَ(٣) ٱلْعَزْمِ ظافِراً وَتُلْجِمُ بِٱلْحَزْمِ(٤) ٱلْحَمِيدِ وَتُسْرِجُ
تَزِيدُ عَلَى وَعْكِ(٥) ٱلزَّمانِ نَباهَةً كَأَنَّكَ صُبْحٌ فِي دُجًى يَتَبَلَّجُ(٦)
تُشَرَّفُ وَٱلْأَيّامُ فِيها دَناءَةٌ وَتَخْلُصُ وَٱلْأَقْوامُ زَيْفٌ وَبَهْرَجُ
عَزائِمُ مَحْسُودِ ٱلْمَعالِي كَأَنَّها سَوابِقُ تَرْدِي(٧) بِٱلْكُماةِ وَتَمْعَجُ(٨)
خَلائِقُ تَجْتاحُ ٱلْخُطُوبَ كَأَنَّها ظُبًى بِدَمِ ٱلْفَقْرِ ٱلْمُضِرِّ تُضَرَّجُ

---

(١) عَنَّ ظهرها (م) .
(٢) تفحَّج الرجل : فرَّج بين رجليه . وفي (ط) تتفجَّج .
(٣) مركب العز (ك) .
(٤) بالحمد الجميل (س)، بالحمد الحميد (ي ، ك)، بالعزم الحميد (ت) .
(٥) وعد الرمان (ك) .
(٦) تتبلَّجُ (ظ) .
(٧) رَدَتِ الفرس : رجمت الأرض بحوافرها .
(٨) مَعَجَ : سار في كل وجه، وذلك من النشاط .

أتتكَ بمسكيِّ الثناءِ كأنَّما أطابَ شذاها عرضُكَ المتأرِّجُ
لها من نظامِ الدرِّ ما جلَّ قدرُهُ وقيمتُهُ لا ما يُحاكُ وينسجُ
مُحجَّبةٌ لولاكَ لم يحوِ ناظرٌ بها الفوزَ والحسناءُ لا تتبرَّجُ
وكلُّ ثناءٍ دونَ قدرِكَ قدرُهُ وإنْ زانَ قوماً وشيُهُ والمُدبَّجُ
أرى فيكَ للآمالِ وعدَ مخيلةٍ وما هيَ إلاّ مُقرِبٌ سوفَ تُنتَجُ
سقى اللهُ حُسنَ الظنِّ فيكَ فإنَّهُ طريقٌ إلى الغُنمِ الكريمِ ومَنهجُ
فأسمحُ خلقٍ عندَ جودِكَ باخلٌ وأحسنُ فعلٍ عندَ فعلِكَ يسمجُ

* * *

٩٨

وقال يعزيه بولده أبي الغنائم :

أظنُّ الدهرَ جاءكَ مستثيرا فقد أحقدتَهُ كرماً وخيرا
تبيتُ على نوائبِهِ مُعيناً وتُضحي من حوادثِهِ مُجيرا
وتَصرِفُ صرفَهُ عن كلِّ حُرٍّ وتمنعُ خطبَهُ من أنْ يجورا
فكمْ أنقذتَ من تلفٍ أخيذاً وكمْ أطلقتَ من عُدمٍ أسيرا
فلا عجبٌ وإنْ وافى بأوفى الـ ـفوادحِ أنْ يسوءَ وأنْ يسورا

وَهَلْ قَصَدَ ٱلزَّمانُ سِوىٰ كَرِيمٍ ... حَماهُ أَنْ يَضِيمَ وَأَنْ يَضِيرا
وَما زالَتْ صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ تَحْدُو ... إلىٰ ٱلْأَخيارِ شَرّاً مُسْتَطِيرا
تُسِيءُ إلىٰ ذَوِي ٱلْحُسْنَىٰ وَتَحْبُو ... مُقِيلَ عِثارِها ٱلْجَدَّ ٱلْعَثُورا
وَلَوْ راعىٰ ذَوِي ٱلْأَخْطارِ دَهْرٌ ... رَعىٰ ذا ٱلْمَجْدِ وَٱلشَّرَفَ ٱلْخَطِيرا
وَلَوْ دُفِعَ ٱلْحِمامُ بِعِزِّ قَوْمٍ ... لَكُنْتَ أَعَزَّ ذِي(١) عِزٍّ نَصِيرا
هُوَ ٱلْقَدَرُ ٱلَّذِي لَمْ تَلْقَ(٢) خَلْقاً ... عَلَىٰ دَفْعٍ لَهُ أَبَداً قَدِيرا
سَواءٌ مَنْ يَقُودُ إلَيْهِ جَيْشاً ... وَمَنْ يَحْدُو مِنَ ٱلْأَقْوامِ عِيرا
وَما يَنْفَكُّ هٰذا ٱلدَّهْرُ حَتّىٰ ... يَصِيرَ إلىٰ ٱلْفَناءِ بِنا ٱلْمَصِيرا
فَيالِيَ مِنْهُ صَوّالاً فَتُوكاً ... وَيالِيَ مِنْهُ خَلّاباً سَحُورا
كَذٰلِكَ شِيمَةُ ٱلْأَيّامِ فِينا ... تَسُوءُ حَقِيقَةً وَتَسُرُّ زُورا
وَكَمْ سُكّانِ دُنْيا لَوْ أَفاقُوا(٣) ... لَما سَكَنَتْ قُلُوبُهُمُ ٱلصُّدُورا
أَهَبَّ عَلَيْهِمُ(٤) ٱلْحَدَثانُ رِيحاً ... بِكُلِّ عَجاجَةٍ تُغْرِي مُثِيرا
تَحَدّاهُمْ كَأَنَّ عَلَيْهِ فِيهِمْ ... يَمِيناً أَوْ قَضىٰ بِهِمُ ٱلنُّذُورا

---

(١) .. ذي نصر نصيرا (ن) .
(٢) لم تلق (ظ ، م ، ن ، ع) ، لم يلق (ك) .
(٣) أقاموا (ي ، ت) .
(٤) اليهم (م ، ع) .

فَيا عَيْشاً مُنِحْناهُ خِداعًا وَيا دُنْيا صَحِبْناها غُرُورا
وَيا دَهْراً أَهابَ بِنا رَداهُ لِيُتْبِعَ أَوَّلاً مِنّا أَخِيرا
أَما تَنْصَدُّ[1] وَيْحَكَ عَنْ فَعالٍ ذَمِيمٍ لا تَرىٰ فِيهِ عَذِيرا
سَمَوْتَ إِلىٰ سَماءِ الْفَخْرِ حَتّىٰ تَناوَلْتَ الْهِلالَ الْمُسْتَنِيرا
وَطُفْتَ بِدَوْحَةِ الْعَلْياءِ حَتّىٰ خَلَسْتَ بِكَيْدِكَ الْغُصْنَ النَّضِيرا[2]
كَأَنَّ أَبا الْغَنائِمِ كانَ مِمَّنْ تَعُدُّ وَفاتَهُ غُنْماً كَبِيرا
كَأَنَّكَ كُنْتَ تَطْلُبُهُ بِثَأْرٍ غَشُومٍ لا تَرىٰ عَنْهُ قُصُورا[3]
خَطَوْتَ الْعالَمِينَ إِلَيْهِ قَصْداً كَأَنَّكَ قَدْ سَأَلْتَ بِهِ خَبِيرا
إِلىٰ أَنْ أَغْمَدَتْ كَفّاكَ مِنْهُ حُساماً زانَ حامِلَهُ شَهِيرا
مُصابٌ لَوْ تَحَمَّلَهُ ثَبِيرٌ[4] دَعا وَيْلاً وَأَتْبَعَها ثُبُورا
يُذَكِّرُنِي سَدِيدَ الْمُلْكِ وَجْداً وَكُنْتُ لِمِثْلِهِ أَبَداً ذَكُورا
فَما أَطْفَأْتَ مِنْ نارٍ لَهِيباً إِلىٰ أَنْ عُدْتَ[5] تُذْكِيها سَعِيرا

---

(١) وما تنصد (س ، م ، ع)، وما ينصد (ظ) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ت) .
(٣) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٤) ثبير : جبل بظاهر مكة .
(٥) كدت (ك) .

وَما طالَ ٱلْمَدى فَيَسُوغَ عُذْرٌ ... بِأَنْ يَكْبُوا ٱلْجَوادُ وَأَنْ يَخُورا(١)
قَصَرْتَ مَداهُ حَتّى كادَ يَوْماً ... بِهِ أَنْ يَسْبُقَ ٱلنّاعِي ٱلْبَشيرا
وَلَمْ يَكْسُ ٱلْفَتى كَمَداً طَويلاً ... كَمَفْقُودٍ نَضى عُمْراً قَصيرا
وَلَمْ أَجِدِ ٱلْكَبيرَ ٱلرُّزْءِ إِلاَّ ... سَليلَ عُلاً فُجِعْتَ بِهِ صَغيرا
عَلَى أَنَّ ٱلْكِرامَ تَعُدُّ لَيْثاً ... هَصُوراً مِنْهُمُ ٱلرَّشَأَ ٱلْغَرِيرا
تَرى أَيّامَهُمْ أَعْوامَ(٢) قَوْمٍ ... وَساعاتِ ٱلْفَتى مِنْهُمْ شُهُورا
فَلا يَبْعُدْ حَبيبٌ بانَ عَنّا ... وَإِنْ كانَ ٱلْبِعادُ بِهِ جَديرا
وَكَيْفَ دُنُوُّ مَنْ طَوَتِ ٱللَّيالي ... كَما تَطْوِي عَلَى ٱلظَّنِّ ٱلضَّميرا
فَيا رامِيهِ عَنْ قَوْسِ ٱلْمَنايا ... أَصَبْتَ بِواحِدٍ عَدَداً كَثيرا
وَيا راجِيهِ يَجْعَلُهُ ظَهيراً ... نَبا(٣) بِكَ حادِثٌ قَطَعَ ٱلظُّهُورا
وَيا حاثِي ٱلتُّرابِ عَلَيْهِ مَهْلاً ... كَسَفْتَ بَهاءَهُ ذاكَ ٱلْبَهيرا
فَلَوْ أَنِّي ٱسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْهُ ... ثَقيلَ ٱلتُّرْبِ وَٱلْخَطْبَ ٱلْكَبيرا
أَصُونُ جَمالَهُ وَأُجِلُّ مِنْهُ ... جَبينَ ٱلْبَدْرِ أَنْ يُمْسِي عَفيرا

(١) وأن يحورا (ك ، ت) .
(٢) أعمار (ك) .
(٣) بيابك (ظ)، نبالك (ي) .

بِنَفْسِي نـازِحٌ بِالْغَيْبِ دانٍ يُجاوِرُ مَعْشَراً غَيَباً حُضُورا[١]
أَقـامَ بِحَيْثُ لا يَهْوىٰ مُقاماً وَلا يَبْغِي إِلىٰ جِهَةٍ مَسِيرا
وَلا هَجْراً يَوَدُّ وَلا وِصالاً وَلا بَرْداً[٢] يُحِسُّ وَلا هَجِيرا
أَقُولُ سَقىٰ مَحَلَّتَهُ غَمـامٌ يَمُرُّ بِهـا مِراراً لا مُرُورا
وَرَوَّضَ ساحَتَيْهِ كَأَنَّ وَشْياً يَحُلُّ بِهـا وَدِيباجاً نَشِيرا
إِذا خَطَرَ النَّسِيمُ عَلَيْهِ أَهْدىٰ إِلىٰ زُوّارِهِ أَرَجاً عَطِيرا
وَما أَرَبِي لَهُ فِي ماءِ مُزْنٍ وَقَدْ وَدَّعْتُ مِنْهُ حَياً مَطِيرا
وَلَوْلا عادَةُ السُّقْيـا بِغَيْثٍ إِذاً لَسَقَيْتُهُ الدُّرَّ النَّثِيرا
وَقَلَّ لِقَدْرِهِ مِنِّي وَقَلَّتْ لَهُ زُهْرُ الْكَواكِبِ أَنْ تَغُورا
أَحِنُّ إِلىٰ الصَّعِيدِ كَأَنَّ فِيهِ شِفايَ[٣] إِذا مَرَرْتُ بِهِ حَسِيرا
وَأَسْتافُ[٤] الثَّرىٰ مُذْ حَلَّ فِيهِ وَأَلْصِقُـهُ التَّرائِبَ وَالنُّحُورا
وَلَوْلا قَبْرُهُ ما كُنْتُ يَوْماً لِأَلْثِمَهُ وَأَعْتَنِقَ الْقُبُورا

(١) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٢) ولا ردا يحس ولا صحيرا (?) (ت) .
(٣) شفائي إن . . . (ت)، شقائي إذ . . . (ك) .
(٤) وأشتاق (ي ، ك ، ن)، وأشتاف (ت) .

عَلَيْكَ بِأَدْمُعٍ آلَيْنَ أَلاّ ... يَغِضْنَ وَلَوْ أَفَضْنَ دَمًا غَزِيرا
يَزُرْنَكَ مُسْعِداتٍ مُنْجِداتٍ ... رَواحًا بِالتَّفَجُّعِ أَوْ بُكُورا
فَأَوْلى(١) مَنْ يُقاسِمُكَ الأَسى في ... خُطُوبِكَ مَنْ تُقاسِمُهُ(٢) السُّرُورا
وَلا تَعْلَقْ بِصَبْرٍ بَعْدَ بَدْرٍ ... ذَمَمْنا الصَّبْرَ عَنْهُ وَالصَّبُورا
وَإِنْ قالُوا اسْتَرَدَّ الدَّهْرُ مِنْهُ ... مُعاراً كَيْفَ تَمْنَعُهُ(٣) المُعِيرا
فَلَمْ أَعْطاكَهُ نَجْمًا خَفِيًّا ... وَعادَ لِأَخْذِهِ قَمَراً مُنِيرا
أَبا الذَّوّادِ ما كَبِدٌ أُذِيبَتْ ... بِشافِيَةٍ وَلا قَلْبٌ أُطِيرا
فَهَلْ لَكَ أَنْ تُراقِبَ فِيهِ يَوْمًا ... يُوَفَّى الصّابِرُونَ بِهِ الأُجُورا
وَلَوْلا أَنْ أَخافَ اللّهَ مِنْ أَنْ ... يَراني بَعْدَ إِيمانٍ كَفُورا
لَما عَزَّيْتُ قَلْبَكَ عَنْ حَبِيبٍ ... وَكُنْتُ بِأَنْ أُحَرِّقَهُ بَصِيرا
وَلَمْ نَعْهَدْكَ في سَرّاءِ حالٍ ... وَلا ضَرّائِها إِلاّ شَكُورا
فَصَبْراً لِلْمُلِمِّ وَإِنْ أَصَبْنا ... جَناحَ الصَّبْرِ مُنْهاضًا كَسِيرا
أَلَمْ تَعْلَمْ وَكانَ أَبُوكَ مِمَّنْ ... إِذا خَطَبَ العُلى أَغْلى المُهُورا

(١) فأول مَن . . (م) .
(٢) يقاسمه (س، ظ، م، ع) .
(٣) يمنعه (س، ظ، ك، م، ن، ع) .

بِأَنَّكُمُ أَطَبُّ بِكُلِّ أَمْرٍ إذا ما ضَيَّعَ ٱلنَّاسُ ٱلْأُمُورا
وَأَيُّ ٱلْخَطْبِ يَنْقُصُ مِنْ عُلاكُمْ وَأَيُّ ٱلنَّزْفِ يَنْتَزِحُ ٱلْبُحُورا
وَأَيُّ عَواصِفِ ٱلْأَرْواحِ (١) يَوْماً تَهُبُّ فَتَقْلَقُ ٱلطَّوْدَ ٱلْوَقُورا
وَإِنَّكَ شائِدٌ وَأَخُوكَ (٢) مَجْداً سَيَخْلُدُ ذِكْرُهُ حَسَناً أَثِيرا
إذا وُقِيتُما مِنْ كُلِّ خَطْبٍ فَما نَبْغِي عَلَى زَمَنٍ ظَهِيرا
وَما ٱلْقَمَرانِ إِذْ سَعِدا وَتَمّا بِأَبْهَرَ مِنْكُما فِي ٱلْفَضْلِ نُورا
أَرانِي لا أَسُومُ ٱلصَّبْرَ قَلْبِي فَأُدْرِكَهُ يَسِيراً أَوْ عَسِيرا
كَأَنِّي مُبْتَغٍ (٣) لَكُما شَبِيهاً بِهِ أَوْ مُدَّعٍ لَكُما نَظِيرا
فَلا أَخْلَى ٱلزَّمانُ لَكُمْ مَحَلّاً وَلا عَدِمَتْ سَماؤُكُمُ ٱلْبُدُورا

* * *

٩٩

وقال فيه وفي أخيه سيف (٤) :

مَهْلاً بَنِي ٱلصُّوفِيِّ إِنَّكُمُ لَيَعُدُّ دُونَ حَساتِكُمْ جَبَلِي

---

(١) الأرباح (ت) .
(٢) انظر التعريف بأخي الممدوح في الحاشية رقم (٤) من هذه الصفحة.
(٣) مُدَّعٍ (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٤) هو أبو المجالي سيف بن الحسن الصوفي تولى هو وأخوه أبو الذوّاد المفرج رياسة دمشق سنة ٤٩٧ . (ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٤٤) .

لَوْ تُنْصِفُونَ صَفاءَ نِعْمَتِكُمْ   ما ٱحْتاجَ بَحْرُكُمُ إِلىٰ وَشَلِي
لا يَشْهَرَنَّ عَلَيَّ سَيْفُكُمُ   سَيْفاً بِهِ فِي ٱلْحَقِّ لَمْ يَصُلِ
إِنَّ ٱلْكَرِيمَ ٱلْمَحْضَ سُؤْدَدُهُ   مَنْ لَمْ تَضِقْ بِوَفائِهِ حِيَلِي
وَٱلْماجِدَ ٱلْمَرْجُوَّ نائِلُهُ   مَنْ لَمْ يَخِبْ فِي وُدِّهِ أَمَلِي
بِئْسَ ٱلْجَزاءُ جَزَيْتُمُ رَجُلاً   لَمْ يَخْفَ مَوْضِعُهُ عَلَى رَجُلِ
دَبَّتْ عَقارِبُكُمْ إِلَيَّ وَقَدْ   تَهْوِي إِلىٰ أَقْدامِكُمْ قَبْلِي

* * *

١٠٠

وقال في وجيه الدولة أبي الذوّاد المفرج [(١)]، وكتب بها إليه :

كَمْ سَما لِي بِحُسْنِ رَأْيِكَ جَدُّ   وَصَفا لِي بِفَيْضِ كَفِّكَ وِرْدُ
وَتَوالَتْ عَلَيَّ مِنْكَ أَيادٍ   كَتَوالِي ٱلْحَيا يَرُوحُ وَيَغْدُو
فَاجِئاتٌ فَلَيْسَ يُعْدَمُ بَذْلٌ   مِنْ نَداها وَلَيْسَ يُوجَدُ وَعْدُ
ثِقَةَ ٱلْمُلْكِ لَيْسَ فِي ٱلْحُكْمِ جَوْرٌ   مِنْكَ يَوْماً وَلَيْسَ فِي ٱلْجُودِ قَصْدُ
رُبَّ بِرٍّ فِي إِثْرِهِ مِنْكَ بِرٌّ   بَعْدَ رِفْدٍ فِي طَيِّهِ مِنْكَ رِفْدُ

(١) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٤٢)

كُلَّ يَوْمٍ جُودٌ أَتِيٌّ(١) وَمَعْرُو ... فٌ فَتِيٌّ وَنائِلٌ مُسْتَجِدُّ
كُلُّ أَيّامِ حُبِّكَ ٱلْجُودَ وَصْلٌ ... مُسْتَمِرٌّ وَٱلْحُبُّ وَصْلٌ وَصَدُّ
كَرَمٌ لا أَبِيتُ إِلاَّ وَلِي مِنْـ ... ـهُ عَلَى ما ٱقْتَرَحْتُ زادٌ مُعَدُّ
أَعْجَزَ ٱلْحَمْدَ وَٱلثَّنـاءَ فَلَمْ يَنْـ ... ـهَضْ ثَناءٌ بِهِ وَلا قامَ حَمْدُ
وَمِنَ ٱلْعَجْزِ(٢) أَنَّ شُكْرِي نَسِيءٌ ... كُلَّ وَقْتٍ وَأَنَّ بِرَّكَ نَقْدُ
أَيْنَ عُذْرِي إِذا ٱسْتَزَدْتُكَ جُوداً ... لَمْ يَدَعْ(٣) خَلَّةً لَدَيَّ تُسَدُّ
غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو نَداكَ إِلَىٰ يَوْ ... مٍ بِهِ زادَ فِي عَبِيـدِكَ عَبْدُ
وَلَعَمْرِي ما كانَ يَخْرُجُ نَجْلٌ ... عَنْ قَبِيلٍ أَبُوهُ فِيهِمْ(٤) يُعَدُّ
وَلَأَنْتَ ٱلْأَوْلَىٰ بِعَبْدِكَ مِنِّي ... كُلُّ مَوْلًى بِعَبْدِهِ مُسْتَبِدُّ

* * *

١٠١

وقال أيضاً يمدحه :

لَوْ كُنْتَ شاهِدَ عَبْرَتِي يَوْمَ ٱلنَّقا ... لَمَنَعْتَ قَلْبَكَ بَعْدَها أَنْ يَعْشَقا

---

(١) إليّ (س ، ك ، ت) .
(٢) ومن الحمد . . . (ي)، ومن المعجزات شكري نسيء (ك) .
(٣) لم تدع (ك ، ت) .
(٤) فيكم (س) .

وَلَكُنْتَ أَوَّلَ نازِعٍ مِنْ خُطَّتِي يَدَهُ وَلَوْ كُنْتَ ٱلْمُحِبَّ ٱلْمُشْفِقَا
وَعَذَرْتَ فِي أَنْ لا أُطِيقَ تَجَلُّداً وَعَجِبْتَ مِنْ أَنْ لا أَذُوبَ تَحَرُّقا
نَاشَدْتُ حَادِيَ نُوقِهِمْ فِي مُدْنَفٍ أَبْكَى ٱلْحُداةَ بُكاؤُهُ وَٱلأَيْنُقا
وَمَنَحْتُهُمْ جَفْناً إِذا نَهْنَهْتُهُ رَقَأَتْ جُفُونُ ٱلثَّاكِلاتِ وَما رَقا
يا عَمْرُو أَيُّ عَظِيمِ خَطْبٍ لَمْ يَكُنْ خَطْبُ ٱلْفِراقِ أَشَدَّ مِنْهُ وَأَوْبَقا
كِلْنِي إِلَىٰ عُنْفِ ٱلصُّدُودِ فَرُبَّما كانَ ٱلصُّدُودُ مِنَ ٱلنَّوىٰ بِي أَرْفَقا
قَدْ سالَ حَتَّىٰ قَدْ أَسالَ سَوادَهُ طَرْفِي فَخالَطَ دَمْعَهُ ٱلْمُتَرَقْرِقا
وَٱسْتَبْقِ لِلْأَطْلالِ فَضْلَةَ أَدْمُعٍ أَفْنَيْتَهُنَّ قَطِيعَةً وَتَفَرُّقا
أَوْ فَٱسْتَمِحْ لِي مِنْ خَلِيٍّ سَلْوَةً إِنْ كانَ ذُو ٱلْإِثْراءِ يُسْعِفُ مُمْلِقا
إِنَّ ٱلظِّباءَ غَداةَ رامَةَ (١) لَمْ تَدَعْ إِلَّا حَشىً قَلِقاً وَقَلْباً شَيِّقا
سَنَحَتْ فَما (٢) مَنَحَتْ وَكَمْ مِنْ عارِضٍ قَدْ مَرَّ مُجْتازاً عَلَيْكَ وَما سَقا
غِيدٌ نَصَبْتُ لِصَيْدِهِنَّ حَبائِلاً يَعْلَقْنَهُنَّ فَكُنْتُ فِيها أَعْلَقا
وَلَكَمْ نَهَيْتُ ٱللَّيْثَ أَغْلَبَ باسِلاً عَنْ أَنْ يَرُودَ ٱلظَّبْيَ أَتْلَعَ أَرْشَقا
فَإِذا ٱلْقَضاءُ عَلَى ٱلْمَضاءِ مُرَكَّبٌ وَإِذا ٱلشَّقاءُ مُوَكَّلٌ بِأَخِي ٱلشَّقا

(١) رامة : من قرى بيت المقدس .
(٢) وما (ك ، ت) .

وَلَقَدْ سَرَيْتُ إذا (١) ٱلسَّماءُ تَخالُها بُرْداً بِراكِدَةِ ٱلنُّجُومِ مُشَبْرَقا (٢)
وَٱللَّيْلُ مِثْلُ ٱلسَّيْلِ لَوْلا لُجَّةٌ تَغْشَى ٱلرُّبىٰ بِأَعَمَّ مِنْهُ وَأَعْمَقا
وَمُشَمِّرِينَ تَدَرَّعُوا ثَوْبَ ٱلدُّجىٰ فَأَجَدَّ لُبْسَهُمُ ٱلزَّماعُ (٣) وَأَخْلَقا
عاطَيْتُهُمْ كَأْسَ ٱلسُّرىٰ فِي لَيْلَةٍ أَمِنَ ٱلظَّلامُ بِفَجْرِها أَنْ يَشْرَقا
حَتَّىٰ إذا حَسَرَ ٱلصَّباحُ (٤) كَأَنَّهُ وَجْهُ ٱلْوَجِيهِ (٥) تَبَلَّجاً وَتَأَلُّقا
حَطُّوا رِحالَ ٱلْعِيسِ مِنْهُ بِخَيْرِ مَنْ هَزُّوا إلَيْهِ رِقابَها وَٱلْأَسْؤُقا
بِأَغَرَّ يَجْلُو لِلْوُفُودِ جَبِينُهُ شَمْساً تَكُونُ لَها ٱلْمَعالِي مَشْرِقا
نَزَلُوا فَما وَصَلُوهُ مَهْجُوراً وَلا فَتَحُوا إلىٰ نُعْماهُ باباً مُغْلَقا
إنْ زُرْتَهُ فَتَوَقَّ فَيْضَ بَنانِهِ إنَّ ٱلْبِحارَ مَلِيَّةٌ أَنْ تُغْرِقا
وَإذا أَبُو ٱلذَّوّادِ (٦) حاطَكَ ذائِداً فَلَقَدْ أَخَذْتَ مِنَ ٱللَّيالِي مَوْثِقا
يَشْتَدُّ مَمْنُوعاً وَيُكْرِمُ قادِراً وَيَطُولُ مَحْقُوقاً (٧) وَيَصْفَحُ مُحْنَقا

(١) إذ (ك ، ج) .
(٢) المُشَبْرَق : المقطّع المزّق .
(٣) الزمان (ك ، ن) .
(٤) الظلام (ت) .
(٥) من ألقاب الممدوح : وجيه الدولة .
(٦) أبو الذوّاد : كنية الممدوح .
(٧) المحقوق : الخليق .

لَوْ أَنَّ مَنْ يَرْوِي حَدِيثَ سَماحِهِ يَرْوِيهِ عَنْ صَوْبِ ٱلْحَيا ما صُدِّقا
صَحِبَ ٱلزَّمانَ وَكانَ يَبْساً ذاوِياً فَسَقاهُ بِٱلْمَعْرُوفِ حَتّىٰ أَوْرَقا
لا تَذْكُرَنَّ[1] لَهُ ٱلْمَكارِمَ وَٱلْعُلىٰ فَتَهِيجَ صَباً أَوْ تَشُوقَ مُشَوَّقا
عَشِقَ ٱلْمَحامِدَ وَهْيَ عاشِقَةٌ لَهُ وَكَذاكَ ما بَرِحَ ٱلْجَمالُ مُعَشَّقا
يَجْرِي عَلَى سَنَنِ ٱلْمَكارِمِ فِعْلُهُ خُلُقاً إِذا كانَ ٱلْفَعالُ تَخَلُّقا
لا يَمْنَحُ ٱلْإِحْسانَ إِلّا شامِلاً خَيْرُ ٱلْحَيا ما عَمَّ مِنْهُ وَطَبَّقا[2]
كَتَمَ ٱلصَّنائِعَ فَٱسْتَشاعَ ثَناؤُها مَنْ ذا يَصُدُّ ٱلصُّبْحَ[3] عَنْ[4] أَنْ يُشْرِقا
قَدْ حالَفَ ٱلْعَزْمَ[5] ٱلْحَمِيدَ فَلَمْ يَخَفْ خَطْباً يُحاوِلُ فَتْقَهُ أَنْ يُرْتَقا
وَرَمىٰ إِلَى ٱلْغَرَضِ ٱلْبَعِيدِ فَلَمْ يَبِتْ أَبَداً بِغَيْرِ ٱلْمَكْرُماتِ مُؤَرَّقا
سامِي ٱلْمَرامِ شَرِيفُهُ إِنْ تَدْعُهُ لا تَدْعُهُ لِلْخَطْبِ إِلّا مُقْلَقا
إِنْ جادَ[6] فِي بِشْرٍ تُوُهِّمَ عارِضاً أَوْ حَلَّ فِي نَفَرٍ تَراءَوْا[7] فَيْلَقا

(١) لم يرد هذا البيت مع بيتين بعده في (ك).
(٢) فطبّقا (ك) .
(٣) الفجر (ت) .
(٤) من أن (ن) .
(٥) الحزم (ي ن) .
(٦) حاد (ظ ، م ، ع) .
(٧) تراأى (ك ، ن ، ت) .

تَلْقاهُ فِي هَيْجاءِ كُلِّ مُلِمَّةٍ بَطَلاً إِذا شَهِدَ ٱلْكَرِيهَةَ حَقَّقا
كَٱلْمَشْرَفِيِّ ٱلْعَضْبِ إِلاَّ أَنَّهُ أَمْضَى شَبًا مِنْهُ وَأَبْهَرُ[1] رَوْنَقا
جارَى عِنانَ ٱلْفَضْلِ فِي أَمَدِ ٱلْعُلَى أَدْنَى وَأَقْرَبُ شَأْوِهِ أَنْ يَسْبِقا
لا يُدْرِكُ ٱلْجارُونَ غايَةَ مَجْدِهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِلَى ٱلسَّماءِ تَسَلُّقا
هَيْهاتَ يَمْنَعُ ذاكَ حَقٌّ أَخْلَقٌ لا يُحْسِنُ ٱلْعَيُّوقُ فِيهِ تَحَلُّقا[2]
وَمِنَ ٱلتَّأَخُّرِ أَنْ يُقَدِّمَ واطِئٌ قَدَماً عَلَى دَحْضٍ أَزَلَّ وَأَزْلَقا
ما كُلُّ مَنْقَبَةٍ يُحاوِلُ نَيْلَها تُحْوَى وَلا كُلُّ ٱلْمَنازِلِ تُرْتَقَى
يا سَيِّدَ ٱلرُّؤَساءِ أَيُّ مُطاوِلٍ أَنْ[3] يَسْتَطِيعَ بِكَ ٱللَّحاقَ فَيَلْحَقا
ماذا يُحاوِلُهُ ٱلْمُغامِرُ بَعْدَما وَجَدَ ٱلْمَجالَ إِلَى قِراعِكَ ضَيِّقا
إِنَّ ٱلرِّياسَةَ لا تَلِيقُ بِغَيْرِ مَنْ مُذْ كانَ كانَ بِثَدْيِها[4] مُتَمَطِّقا
بِغَنائِها مُتَكَفِّلاً وَبِفَضْلِها مُتَوَحِّداً وَبِمُلْكِها مُتَحَقِّقا
كَمْ فِيكَ مُجْتَمِعاً مِنَ ٱلْحَسَناتِ ما يُعْيِي وَيُعْجِزُ فِي ٱلْوَرَى مُتَفَرِّقا

---

(١) وأبهى (ت) .
(٢) تخلقا (ي ، س ، ت) .
(٣) لن (ك) .
(٤) لثديها (ي ، ك ، ن ، ت) .

وَلبيْتِكَ ٱلْفَخْرُ ٱلَّذي لَوْ أَنَّهُ سامى ٱلسِّماكَ[١] لَكانَ مِنْهُ أَسْمَقا[٢]
مَنْ كانَ يَفْخَرُ أَنَّهُ مِنْ أُسْرَةٍ كَرُمَتْ وَيَضْرِبُ فِي ٱلْكِرامِ مُعْرِقا
فَلْيَأْتِنا بِأَبٍ كَمِثْلِ أَبِيكَ[٣] فِي ٱلْـعَلْياءِ أَوْ جَدٍّ كَجَدِّكَ[٤] فِي ٱلتُّقا
أَمّا دِمَشْقُ فَقَدْ حَوَتْ بِكَ عِزَّةً كَرُمَتْ بِها عَنْ أَنْ تَكُونَ ٱلْأَبْلَقا[٥]
حَصَّنْتَهـا بِسَدادِ رَأْيِكَ ضارِباً سُوراً عَلَيْها مِنْ عُلاكَ وَخَنْدَقا
وَحَمَيْتَ حَوْزَتَها بِهِمَّةِ أَوْحَـدٍ ما زالَ مَيْمُونَ ٱلْفَعالِ مُوَفَّقا
أَمْطَرْتَها مِنْ فَيْضِ عَدْلِكَ[٦] أَنْعُماً لا تَعْدَمُ ٱلرُّوّادَ رَوْضـاً مُونِقا
إِنْ أَظْلَمَتْ كُنْتَ ٱلضُّحاءَ ٱلْمُجْتَلى[٧] أَوْ أَجْدَبَتْ كُنْتَ ٱلرَّبِيـعَ ٱلْمُغْدِقا
وَأَنا ٱلَّذي أَضْحى أَسِيرَ عَوارِفٍ لَكَ لا يَوَدُّ أَسِيرُها أَنْ يُطْلَقا
أَوْفى وَأَشْرَفُ ما يُؤَمِّلُ آمِـلٌ أَنْ لا يُرى مِنْ رِقِّ جُودِكَ مُعْتَقا

---

(١) السماك : كوكب .
(٢) أشهقا (ك) .
(٣) كان أبوه الحسن بن الحسين الصوفي رئيس دمشق (تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ١٧١) .
(٤) كان جده الحسين بن محمد الكلابي يقصر ثيابه فلقب بالصوفي (تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ١٧١) .
(٥) الأبلق : حصن السموأل، وفي المثل : (تمرد مارد وعزّ الأبلق) .
(٦) كفك (ن) .
(٧) المنجلى (ت) .

أَجْمَمْتُ جُودَكَ فَاسْتَفاضَ سَماحَةً ... وَإِذا حَبَسْتَ السَّيلَ زادَ تَدَفُّقا
وَحَمَيْتُ آمالِي سِواكَ وَعاطِلٌ ... مَنْ كانَ مِنْ مَنِّ اللِّئامِ مُطَوَّقا
لَمْ يُبقِ سَيْبُ(١) نَداكَ مَوْضِعَ نائِلٍ ... فَهَقَ الغَدِيرُ وَحَقُّهُ أَنْ يَفْهَقا
وَلَئِنْ مَنَنْتَ فَواجِبٌ لَكَ فِي النَّدىٰ ... إِمّا نَزَعْتَ بِسَهْمِهِ أَنْ يُغْرِقا
أُثْنِي عَلَيْكَ بِحَقِّ حَمْدِكَ صادِقاً ... حَسْبُ المَعالِي أَنْ تَقُولَ(٢) فَتَصْدُقا
وَلَكَمْ يَدٍ لَكَ لا يُؤَدّى حَقُّها ... ما خَبَّ رَكْبٌ بِالْفِجاجِ(٣) وَأَعْنَقا
أَعْيَتْ ثَنايَ وَأَوْجَبَتْ شُكْرِي لِسا ... نِفِها فَأَفْحَمَنِي نَداكَ وَأَنْطَقا
خُذْها كَما حَيّاكَ نَوْرُ(٤) خَمِيلَةٍ ... خَطَرَ النَّسِيمُ بِهِ ضُحىً فَتَفَتَّقا
تَأْبىٰ عَلَى الكِتْمانِ غَيْرَ تَضَوُّعٍ ... مَنْ ذا يَصُدُّ المِسْكَ عَنْ أَنْ يَعْبَقا
عَذْراءُ لا تَجْلُو الثَّناءَ عَلَيْكَ إِطْـ ... ـراءً وَلا تَصِفُ الوَلاءَ(٥) تَمَلُّقا
تُحْيِي حَبِيباً(٦) وَالوَلِيدَ وَتَجْتَبِي ... لِخُلُودِ(٧) فَخْرِكَ أَخْطَلاً وَفَرَزْدَقا

(١) سيل (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٢) يقول (ن ، ت) .
(٣) في الفجاج (ت) .
(٤) روض خميلة (ت) .
(٥) الوداد (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٦) حبيب : هو أبو تمام الطائي ، والوليد : هو البحتري ، وهما مع الأخطل والفرزدق من أئمة الشعراء .
(٧) بخلود (ي ، ك ، ن ، ت) .

وَكَأَنَّ تَغْرِيدَ ٱلْغَرِيضِ (١) مُرَجِّعاً ... فِيهَا وَعَانِيَّ (٢) ٱلرَّحِيقِ مُعَتَّقا
وَكَأَنَّ أَيَّامَ ٱلصَّبَابَةِ رِقَّةً ... فِيهَا وَمُفْتَرَقَ ٱلنَّوَىٰ وَٱلْمُلْتَقَا
وَقَدِ (٣) ٱسْتَشَادَ لَكَ ٱلثَّنَاءَ فَمَا تَرَىٰ ... إِلاَّ بَلِيغاً بِٱمْتِدَاحِكَ مُفْلِقَا
فَمَتَىٰ تَغَنَّىٰ ٱلرَّكْبُ يَوْماً أَوْ حَدَا ... لَمْ يَعْدُ مَدْحَكَ مُشْئِماً أَوْ مُعْرِقَا
وَٱلدُّرُّ يَشْرُفُ قِيمَةً وَيَزِيدُهُ (٤) ... شَرَفاً إِذَا مَا كَانَ دُرّاً مُنْتَقَى
مَنْ بَاتَ يَسْأَلُ رَبَّهُ أُمْنِيَّةً ... فَٱللّٰهَ أَسْأَلُ أَنْ يُطِيلَ لَكَ ٱلْبَقَا

* * *

١٠٢

وقال يمدحه وقد توجه إلى بعلبك :

أَطَاعَكَ فِيمَا تَرُومُ (٥) ٱلْقَدَرْ ... وَأَسْفَرَ عَمَّا تُحِبُّ ٱلسَّفَرْ
وَأَسْعَدَكَ ٱللّٰهُ بِٱلْوِرْدِ مِنْهُ ... وَأَحْمَدَ بِٱلْيُمْنِ مِنْكَ ٱلصَّدَرْ
يَزِيدُ مَسِيرُكَ ذَا عِزَّةٍ ... كَمَا ٱزْدَادَ بِٱلسَّيْرِ نُورُ ٱلْقَمَرْ

---

(١) الغريض : من أشهر المغنين في العصر الأموي .
(٢) نسبة إلى عانة المشهورة بجودة الخمر .
(٣) وإذا بثثنا ذا الثناء فما ترى (ك) .
(٤) فيزيده (ن) .
(٥) يروم (ن) .

دَعاكَ ٱلْهُمامُ لِنَيْلِ ٱلْمَرامِ فَكُنْتَ ٱلْحُسامَ ٱلْحَميدَ ٱلْأَثَرْ
رَأَى ثِقَةَ ٱلْمُلْكِ عَوْنًا لَهُ فَباتَ عَلَى ثِقَةٍ بِٱلظَّفَرْ
وَلَمْ يَدْعُ ذُو خَطَرٍ لِلْمُلِمِّ مِنَ ٱلْأَمْرِ إِلاَّ ٱلْعَظِيمَ (١) ٱلْخَطَرْ
بَقاؤُكَ أَشْرَفُ ما يُرْتَجَى وَأَوْبُكَ أَبْهَجُ ما يُنْتَظَرْ

٠٠٠

١٠٣

وقال يمدحه ويهنيه بشهر رمضان (٢) :

بَقاؤُكَ أَوْفَى ٱقْتِراحِ ٱلْأَماني وَعِزُّكَ أَشْرَفُ حَظِّ ٱلتَّهاني
وَحَمْدُكَ أَفْضَلُ نُطْقِ ٱللَّبِيبِ وَمَدْحُكَ أَصْدَقُ سِحْرِ ٱلْبَيانِ
وَما ٱلشَّهْرُ وَٱلدَّهْرُ إِلاَّ بِأَنْ تَفُوزَ بِسَعْدِهِما يَسْعَدانِ
بِمَجْدِكَ يا ثالِثَ ٱلنَّيِّرَيْنِ وَثانِي ٱلْحَيا يَفْخَرُ ٱلنَّيِّرانِ
فَلا تَجْهَلَنَّكَ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ فَإِنَّكَ مِنْها عَلَى ٱلْبُعْدِ دانِ
فَيا سَيِّدَ ٱلرُّؤَساءِ ٱلَّذِيـــنَ سادُوا وَسَيِّدَ أَهْلِ ٱلزَّمانِ

(١) عظيم الخطر (ن) .
(٢) سقطت هذه القصيدة كلها من (ك) .

وَيا خَيْرَ مَنْ وَلَدَ ٱلْمُنْجِبُونَ وَأَكْرَمَهُمْ شائِداً بَعْدَ بانِ
دَعانِي نَداكَ فَكَمْ نِعْمَةٍ تَقَلَّبْتُ فِي ظِلِّها مُذْ دَعانِي
إِذا ما سَأَلْتُ أَفادَ ٱلْغِنىٰ وَإِنْ لَمْ أَسَلْ جادَنِي وَٱبْتَدانِي
وَإِنْ أَنـا أَغْبَبْتُهُ زائِراً تَعَهَّدَنِي تائِقاً وَٱقْتَضانِي
مَواهِبُ تُنْتَجُ قَبْلَ ٱلْمَخا ضِ جُوداً وَتُثْمِرُ قَبْلَ ٱلْأَوانِ
فَمـالِي تُطاوِلُنِي حاجَةٌ عَنانِيَ مِنْ شَأْنِها ما عَنانِي
وَكَيْفَ يُحَلِّئُنِي مَنْ شَفَى(١) أُوامِي وَيُهْمِلُنِي مَنْ رَعانِي
وَكَمْ باتَ يَخْذُلُنِي مَنْ أَعا نَ فَضْلِي وَيُسْلِمُنِي مَنْ حَمانِي
وَما كُنْتُ آمُلُ أَنِّي لَدَيْـ ـكَ أُلْجا إِلىٰ غَفْلَةٍ أَوْ تَوانِ
وَلَوْ شِئْتُ إِذْ رابَنِي ما يَرِيبُ هَزَزْتُكَ هَزَّ ٱلْحُسامِ ٱلْيَمانِي
أُدِلُّ عَلَيْكَ وَأَشْكُو إِلَيْـ ـكَ نَبْوَةَ حَظٍّ شَدِيدِ ٱلْحِرانِ
وَيُطْمِعُنِي فِيكَ أَنَّ ٱلثَّنا ءَ ما زالَ مِنْكَ مَكِينَ ٱلْمَكانِ
بَقِيتَ لِإِحْسانِكَ ٱلْمُرْتَجىٰ بَقاءَ ٱلْمَدائِحِ فِيكَ ٱلْحِسانِ
وَعِشْتَ لِراجِيكَ فِي ٱلنّائِبا تِ فَلّاً لِعادٍ وَفَكّاً لِعانِ

(١) سقى (ت) .

فَكَمْ لَكَ مِنْ نِعْمَةٍ ضَخْمَةٍ لَدَيَّ وَمَنٍّ بِغَيْرِ ٱمْتِنَانِ
أَرَاكَ أَمَانًا مِنَ ٱلْحَادِثَاتِ فَلا زِلْتَ مِنْ صَرْفِهَا فِي أَمَانِ
وَشَدَّ لَكَ ٱلْأَزْرَ رَبٌّ حَبَاكَ بِنَجْلَيْنِ نَسْلِ ٱلْأَغَرِّ ٱلْهِجَانِ
إِلَىٰ أَنْ تَرَىٰ قَمَرًا طَالِعًا عَلَى ٱلْخَلْقِ يَحْجُبُهُ ٱلْفَرْقَدَانِ

* * *

١٠٤

وقال يمدحه ويهنيه بقدومه من الحج (١) :

أَلَمْ أَكُ لِلْقَوَافِي ٱلْغُرِّ خِدْنًا وَقِرْنًا لَنْ يُرَامَ وَلَنْ يُرَازَا
أَبِيتُ أَرُوضُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا أُذَلِّلُهَا صِعَابًا أَوْ عِزَازَا
تَكَادُ تَئِنُّ مِنْ أَلَمٍ إِذَا مَا ثِقَافُ ٱلْفِكْرِ عَاصَرَهَا لِزَازَا
أَلَسْتُ إِلَىٰ ٱلنَّدَىٰ أَنْمَىٰ ٱعْتِزَاءً أَلَمْ أَكُ بِٱلنَّدَىٰ أَحْمَىٰ ٱعْتِزَازَا
أَلَمْ تُثْمِرْ يَدُ ٱلْمَعْرُوفِ عِنْدِي وَقَدْ طَابَتْ غِرَاسًا أَوْ غِرَازَا
فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ أَعْدُو صَنِيعًا عَدَا حَدَّ ٱلسَّمَاحِ بِهِ وَجَازَا
وَكَمْ مِنْ جَاهِدٍ قَدْ رَامَ عَفْوِي فَمَا بَلَغَتْ حَقِيقَتُهُ ٱلْمَجَازَا

(١) سقطت هذه القصيدة كلها من (ك) .

يَرُومُ بِعَجْزِهِ ٱلْإِعْجازَ جَهْلاً ... وَكَيْفَ يَصِيدُ بِٱلْكَرَوانِ بازا

سَأَبْسُطُ فِي ٱلثَّناءِ لِسانَ صِدْقٍ ... يَطُولُ بِهِ ٱرْتِجالاً وَٱرْتِجازا

يَعُبُّ عُبابُهُ بَحْراً خِضَمّاً ... وَيَبْتُكُ حَدُّهُ عَضْباً جُرازا

لَعَلِّي أَنْ يَفُوزَ بِسَعْدِ مَدْحِي ... فَتًى سَعِدَ ٱلزَّمانُ بِهِ وَفازا

فَأَجْزِيَ سَيِّدَ ٱلرُّؤَساءِ نُعْمَى ... لَهُ عِنْدِي وَجَلَّتْ أَنْ تُجازا

وَمَنْ لِي أَنْ أَقُومَ لَها بِشُكْرٍ ... وَأَنْ أُغْرِيَ بِما أَعِدُ ٱلنَّجازا

عَنَتْنِي(١) لا ٱلثَّناءَ لَها مُطِيقاً ... وَلا كُفْرانُها(٢) لِي مُسْتَجازا

رَأَى يَدِنِي وَبَيْنَ ٱلدَّهْرِ حَرْباً ... أُكابِدُها نِزالاً أَوْ بِرازا

تَتُوقُ إِلَى ٱلْغُمُودِ ٱلْبِيضُ فِيها ... وَتَشْتاقُ ٱلرِّماحُ بِها ٱلرِّكازا

فَأَصْلَتَ مِنْ مَكارِمِهِ حُساماً ... يَجُبُّ غَوارِبَ ٱلنُّوَبِ ٱحْتِزازا

حَمى وَهَمى فَعُذْتُ وَلُذْتُ مِنْهُ ... بِأَكْرَمِ مَنْ أَجارَ وَمَنْ أَجازا

وَإِنِّي مُذْ تَحَدَّتْنِي ٱللَّيالِي ... لَمُنْحازٌ إِلَى ٱلْكَرَمِ ٱنْحِيازا

إِلَى مُتَوَحِّدٍ بِٱلْحَمْدِ فاتَ ٱلْـكِرامَ بِهِ ٱخْتِصاصاً وَٱمْتِيازا

---

(١) يمني ... (ت) .

(٢) ولا كفراً بها ... (س، ظ، م، ع) .

أَعَمُّهُمُ إِذا كَرُمُوا سَماحاً وَأَثْقَلُهُمْ إِذا حَلُمُوا[1] مَرازا[2]
عَلِيٌّ أَنْ يُطاوَلَ أَوْ يُسامى أَبِيٌّ أَنْ يُماثَلَ أَوْ يُوازى
أَقَلُّ النَّاسِ بِالْمالِ احْتِفالاً وَأَكْثَرُهُمْ عَلى الْمَجْدِ احْتِرازا
تَهُونُ طَرِيقُ سائِلِهِ إِلَيْهِ وَإِنْ عَزَّ احْتِجاباً وَاحْتِجازا
فَتىً لَمْ يَسْتَكِنْ لِلدَّهْرِ يَوْماً وَلَمْ تَضِقِ الْخُطُوبُ بِهِ الْتِزازا
وَلَمْ يَكُ جُودُهُ فَلَتاتِ غِرٍّ أُبادِرُ فُرْصَةً مِنْها انْتِهازا
صَلِيبٌ حِينَ تَعْجُمُهُ اللَّيالِي وَغَيْرُ النَّبْعِ يَنْغَمِزُ انْغِمازا
يُغالِبُها اقْتِداراً وَاقْتِساراً وَيَسْلُبُها ابْتِذالاً وَابْتِزازا
عُلىً تُقْذِي الْعُيُونَ مِنَ الْأَعادِي وَتُنْبِتُ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَزازا
أَبا الذَّوَّادِ كَمْ لِي مِنْ مَقامٍ لَدَيْكَ وَكَمْ أَفادَ وَكَمْ أَفازا
أُغِيرُ عَلى نَداكَ وَكانَ حَقّاً لِجُودِكَ أَنْ يُغاوَرَ أَوْ يُغازى
وَما لِسَوامِ وَفْرِكَ مِنْكَ حامٍ فَيَأْمَنَ سَرْحُهُ مِنِّي اخْتِزازا[3]
عَمَمْتَ الشَّامَ صَوْبَ حَياً فَلَمَّا تَرَوَّى الشَّامُ ناهَضْتَ الْحِجازا

---

(١) حكموا (ن)، حرموا (ت) .
(٢) المراز : المقدار والوزن .
(٣) في جميع النسخ (احترازا) إلا في (ت) التي اخترنا روايتها . واختزه بسهمه ورمحه : انتظمه وطعنه .

أُتِيحَ لَهُ وَقُيِّضَ مِنْكَ غَيْثٌ حَوَىٰ خِصْبَ ٱلزَّمانِ بِهِ وَحازا
فَأَمْطَرَهُ ٱلنَّدَىٰ لا ماءَ مُزْنٍ وَأَنْبَتَهُ ٱلْغِنَىٰ لا ٱلْخازَبازا (١)
سَقَىٰ بَطْحاءَ مَكَّةَ فَٱلْمُصَلَّىٰ وَرَوْضَ سَهْلَ طَيْبَةَ وَٱلْعَزازا (٢)
وَكُنْتَ إِذا وَطِئْتَ تُرابَ أَرْضٍ رَبا بِنَداكَ وَٱهْتَزَّ ٱهْتِزازا
إِذا لَمْ تَرْوِها ٱلْأَنْواءُ قَصْداً كَفاها أَنْ تَمُرَّ بِها ٱجْتِيازا
رَأَى ٱلْحُجّاجُ يَوْمَ حَجَجْتَ بَدْراً وَبَحْراً لَنْ يُغامَ (٣) وَلَنْ يُجازا
سُقُوا وَرُعُوا بِجُودِكَ لا ٱسْتِقاءً أَيا جَمَّ ٱلسَّماحِ وَلا ٱحْتِيازا
أَجَزْتَهُمُ ٱلْمَخافَةَ لَمْ يُرابُوا بِها رَيْباً وَمِثْلُكَ مَنْ أَجازا
وَأَرْهَبُ ما يَكُونُ ٱلسَّيْفُ حَدّاً إِذا ما فارَقَ ٱلسَّيْفُ ٱلْجِهازا (٤)
وَكَمْ لَكَ حِجَّةً لَمْ تَدْعُ فِيها إِلىٰ ٱلْوَخْدِ ٱلْمُضَبَّرَةَ ٱلْكِنازا
صَنائِعُ كَمْ رَفَعْتَ بِها مَناراً لِفَخْرٍ وَٱتَّخَذْتَ بِها مَفازا

(١) الخازباز : ذباب يكون في الروض، أو يطير على الشجر ، وقيل حكاية أصواته ، وضربان من النبات .
(٢) العزاز : الأرض الصلبة .
(٣) في جميع النسخ (لن يعام) والصواب ما ذهبنا اليه . ويريد بقوله (لن يغام) أي لا يحجبه الغيم .
(٤) كأنه يريد بالجهاز الغمد، ولم أره بهذا المعنى .

وَما جارَاكَ فِي فَضْلٍ فَخارٌ ... فَلَمْ (١) يَجْتَزْ مَدى ٱلْفَضْلِ ٱجْتِيازا
وَلا ساماكَ فِي علْياءَ إلاّ ... وَفُزْتَ بِها ٱنْفِراداً وَٱنْفِرازا
لَبِسْتَ مِنَ ٱلْفَضائِلِ ثَوْبَ فَخْرٍ ... وَلٰكِنْ كُنْتَ أَنْتَ لَهُ ٱلطِّرازا (٢)

* * *

١٠٥

وقال أيضاً يمدحه (٣) :

أَنْتَ لِلْمُسْلِمِينَ حِصْنٌ وَحِرْزُ ... وَلِراجِي نَداكَ ذُخْرٌ وَكَنْزُ
أَبَداً ما تَزالُ عَطْفاً عَلَيْهِمْ ... وَدِفاعاً عَنْهُمْ تَحُجُّ وَتَغْزُو
أَصْبَحَتْ هٰذِهِ ٱلرَّعِيَّةُ مِنْ عَدْ ... لِكَ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ لا تُبَزُّ
سَكَنَتْ مَعْقِلاً مِنَ ٱلْأَمْنِ لا تُزْ ... عَجُ يَوْماً بِهِ وَلا تُسْتَفَزُّ
ما لَهَا مِنْ مُزِيلِ خَطْبٍ وَلا كا ... شِفِ كَرْبٍ سِواكَ حِينَ تُلَزُّ (٤)
فَهْيَ مِنْ بَعْدِ حَمْدِها ٱللهَ لا يُسْـ ... ـمَعُ مِنْها بِغَيْرِ حَمْدِكَ رِزُّ (٥)

---

(١) فلم يجتز (ظ، ت) .
(٢) طرازا (ن) .
(١) سقط ثلاثة عشر بيتاً من أول هذه القصيدة من نسخة كوبنهاغن.
(٢) يلز (ن) .
(٣) الرِّزُّ : الصوت تسمعه من بعيد . وفي (م، ع، ن) رِكْزُ ، وهو الصوت الخفي والحس .

لا تَرَىٰ إنْ دَعَتْ إلىٰ ٱللهِ أَوْلىٰ مِنْ دُعاءٍ تبْقىٰ بِهِ وَتعِزُّ
وَمَعَ ٱلرَّأْفَةِ ٱلَّتِي أَلِفَتْ مِنْـــكَ فَفِي ٱللِّينِ شِـــدَّةٌ وَمَهَزُّ
رُضْتَها لَمْ تَجُزْ(١) مُقِيماً(٢) لِمَيْلٍ رُبَّما صَدَّعَ ٱلْمُثَقَّفَ غَمْزُ
كَيْفَ يُبْطِي عَنْكَ ٱلثَّناءُ وَقَدْ أَسْـــرَعَ جُودٌ يَحْدُوهُ حَثٌّ وَحَفْزُ
غَرَّقَ(٣) ٱلسَّائِلِينَ وَٱلنَّجْدَ غَوْرٌ وَحَمىٰ ٱلْعائِذِينَ وَٱلْوَهْدَ نَشْزُ
لا كَجُودٍ يُعْيِي وَيُعْنِفُ إِدْلا ءً إلىٰ جَفْرِهِ ٱلْعَمِيقِ وَنَهْزُ
ما رَأَيْناكَ نابِياً عَنْ مَرامٍ مُذْ هَزَزْناكَ وَٱلْحُسامُ يُهَزُّ
لا وَلا غَيَّرَتْكَ عَنْ طِيبِ أَعْرا قِكَ(٤) هٰذِي ٱلْخُطُوبُ وَٱلْبَزُّ بَزُّ
فَمَنِ ٱلْمُرْتَجىٰ لِلَهْفَةِ حُرٍّ باتَ فِي صَدْرِهِ مِنَ ٱلْهَمِّ وَخْزُ
يَتَحامىٰ ٱلشَّكْوىٰ إذا أَعْلَنَ ٱلنَّجْـــوىٰ وَحَسْبُ ٱلْكَرِيمِ لَمْحٌ وَرَمْزُ
قَدْ نَحَتْ عَظْمِيَ ٱلْخُطُوبُ فَفِيهِ بَيْنَ جِلْدِي وَٱلنَّحْضِ حَزٌّ وَجَزُّ
كَيْفَ يُغْضِي عَلَى ٱلنَّوائِبِ مُغْضٍ وَلِأَنْيابِهِنَّ نَهْشٌ وَنَكْزُ

---

(١) في جميع النسخ (لم تجز) إلا في (ت) التي اخترنا روايتها .

(٢) مقيلا (س) .

(٣) من هذا البيت الى آخر هذه القصيدة ساقط من (ظ) .

(٤) أخلاقك (ك) .

فِي زَمانٍ بِهِ ٱلرَّئِيسُ وَجِيهُ ٱلـدَّوْلَةِ (١) ٱلْأَوْحَدُ ٱلْأَجَلُّ (٢) ٱلْأَعَزُّ
ٱلَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱللَّيَالِي أَبَداً مِنْ نَدَاهُ حَسْمٌ وَحَجْزُ
يا هُمامًا ما شانَهُ قَطُّ لُؤْمٌ يا غَمامًا (٣) ما شابَهُ قَطُّ رِجْزُ
أَنْتَ أَحْمَيْتَ (٤) مَشْرَبِي وَهْوَ مَطْرُو قٌ وَأَعْزَزْتَ مَطْلَبِي وَهْوَ نَزْرُ
أَنْتَ أَنْهَضْتَنِي وَقَدْ خَرِقَ ٱلْخَطْـبُ فَلَمْ يُغْنِ فِيهِ رَكْلٌ وَهَمْزُ
أَنْتَ أَلْبَسْتَنِي مَلَابِسَ نُعْمَى خَشِنٌ عِنْدَهُنَّ خَزٌّ وَقَزُّ (٥)
قَدْ هَجَرْتُ ٱلْوَرَى إِلَيْكَ وَلَمْ أَظْلِمْ وَمَدْحِي سِوَاكَ لِلْمَدْحِ وَهْزُ (٦)
لا تُقِلُّ ٱلرِّكابُ رَحْلِي وَلا يَحْمِلُ رِجْلِي إِلّا لِقَصْدِكَ (٧) غَرْزُ (٨)
مَشْيُها ٱلْقَهْقَرَى إِلَيْهِمْ وَإِنْ أَمَّتْكَ يَوْمًا فَٱلْمَشْيُ وَثْبٌ وَجَمْزُ
وَإِذا ٱلْبَحْرُ عَنَّ لِي وَهْوَ طامٍ فَقُعُودِي مَعَ ٱلصَّدَى عَنْهُ عَجْزُ

---

(١) وجيه الدولة من ألقاب الممدوح .
(٢) الكريم (ن) .
(٣) وغماما (س) .
(٤) في جميع النسخ (أجمت) إلا في (ت) .
(٥) وبَزٌّ (ت)
(٦) الوَهْزُ : الدفع . وفي (ي ، ك ، ن ، ت) هَزٌّ .
(٧) في جميع النسخ (بقصدك) إلا في (ت) .
(٨) الغَرْزُ : الركاب من جلد .

لَيْسَ أَيَّامُكَ ٱلْمُنِيرَةُ(١) لِلأَيَّـــامِ إِلاَّ حُلًى تَزِينُ وَطَرْزُ
أَنْتَ أَعْلَى مِنْ كُلِّ ما يَنْسُبُ ٱلنَّا سُ مِنْ سُؤْدُدٍ إِلَيْكَ وَيَعْزُو

* * *

١٠٦

وقال يمـــدح الوزير كمال الدين أمين الملك أبا علي طاهر بن سعد بن علي المزدقاني(٢) :

أَمِينَ ٱلْمُلْكِ حَسْبُكَ مِنْ أَمِينٍ وُقِيتَ نَوائِبَ ٱلزَّمَنِ ٱلْخَؤُونِ
لِيَهْنِ ٱلْمُلْكَ أَنَّكَ بِتَّ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ ٱلْخَدِينِ(٣) مِنَ ٱلْخَدِينِ
وَلَوْ تُحْبَا بِقَدْرِكَ كُنْتَ مِنْهُ مَكانَ ٱلتَّاجِ مِنْ أَعْلَى ٱلْجَبِينِ
سَمَوْتَ بِهِمَّتَيْ عَزْمٍ(٤) وَحَزْمٍ وَطُلْتَ بِشِيمَتَيْ كَرَمٍ وَدِينِ
فَمـــا تَنْفَكُّ مِنْ فَضْلٍ عَمِيمٍ عَلَى ٱلْعـــافِي وَمِنْ فَضْلٍ مُبِينِ

(١) الكريمة (ت) .
(٢) المزدقاني : وزير تاج الملوك بوري بن طغتكين صـــاحب دمشق . كان يراعي البـــاطنية ولم يكن منهم، ولكنه اتفق مع زعيمهم بهرام على بني الصوفي رؤساء دمشق . قتله تاج الملوك في قلعة دمشق سنة ٥٢٢ . وأخباره في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (ص ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣) .
(٣) الخديم (?) (س) .
(٤) رأي (ن ، ت) .

كَأَنَّكَ مُطْلَقُ الْحَدَّيْنِ ماضٍ أَفاضَتْ ماءَهُ أَيْدي الْقُيونِ
صَفاءَ خَلائِقٍ وَبَهاءَ خَلْقٍ فَسَعْداً لِلْقُلوبِ وَلِلْعُيونِ
كَأَيّامِ الصِّبا حَسُنَتْ وَرَقَّتْ وَأَيّامِ الصَّبابَةِ وَالشُّجونِ
ظَنَنْتُ بِكَ الْجَميلَ فَكُنْتَ أَهْلاً لِتَصْديقي وَتَصْديقِ الظُّنونِ
وَما شيمَتْ سَحابُ (١) نَداكَ إِلاّ سَحَبْتُ ذَلاذِلَ الْحَمْدِ الْمَصونِ
فَما بالي (٢) جُفيتُ وَكُنْتُ مِمَّنْ إِلَيْهِ الشَّوْقُ مَجْلوبُ الْحَنينِ
أَبَعْدَ تَعَلُّقي بِكَ مُسْتَعيذاً وَأَخْذي مِنْكَ بِالْحَبْلِ الْمَتينِ
يُرَشَّحُ لِلْعُلى (٣) مَنْ لَيْسَ مِثْلي وَيُدْعى لِلْغِنى (٤) مَنْ كانَ دوني
أَرى عيدانَ قَوْمٍ غَيْرَ عودي مِنَ الْأَثْمارِ مُثْقَلَةَ الْغُصونِ
وَمالِيَ لا أَذُمُّ إِلَيْكَ دَهْري إِذا الْمُتَأَخِّرونَ تَقَدَّموني
وَما إِنْ قُلْتُ ذا حَسَداً لِحُرٍّ أَفاقَ الدَّهْرُ فيهِ مِنَ الْجُنونِ
وَلٰكِنَّ الْغُمومَ (٥) مِنَ الْغَوادي أَحَقُّ بِشيمَةِ الْغَيْثِ الْهَتونِ

---

(١) سماء نداك (ن ، ت) .
(٢) وما بالي (س ، ظ ، م ، ع) .
(٣) للندى (ظ) .
(٤) للعلى (ظ) .
(٥) الغيوم (ت) .

لَقَدْ قَبَضَ ٱلزَّمانُ يَدِي وَأَعْيَتْ عَلَيَّ رِياضَةُ ٱلْحَظِّ ٱلْحَرُونِ
وَما ٱسْتَصْرَخْتُ فَيْضَ نَداكَ حَتّىٰ عَنانِي مِنْهُ بِٱلْحَرْبِ ٱلزَّبُونِ
بَقِيتَ لِرَوْحِ مَكْرُوبٍ لَهِيفٍ دَعاكَ وَفَكِّ مَأْسُورٍ رَهِينِ
وَعِشْتَ مُحَسَّدَ ٱلْأَيّامِ تَسْمُو إِلَى ٱلْعَلْياءِ مُنْقَطِعَ ٱلْقَرِينِ

* * *

١٠٧

وقال في مجلسه بديهاً، وقد عزم على السفر إلى العراق :

أَسْعَدَ ٱللّٰهُ بِٱلْمَسِيرِ وَأَعْطَىٰ فِيهِ عَزْمَ ٱلْوَزِيرِ نُجْحاً وَنَصْرا
وَحَباهُ ٱلْمُرادَ فِيهِ وَأَسْنَىٰ مِنْهُ ذِكْراً يَبْقَىٰ وَأَعْلاهُ قَدْرا
غَيْرُ نُكْرٍ أَنْ تُدْرِكَ (١) الْحَظَّ فِيهِ كَمْ هِلالٍ قَدْ عادَ بِٱلسَّيْرِ بَدْرا

* * *

١٠٨

وقال يمدحه أيضاً :

أَما وَعِتاقِ ٱلْعِيسِ لَوْ وَجَدَتْ وَجْدِي لَقَيَّدَ أَيْدِي ٱلْواخِداتِ عَنِ ٱلْوَخْدِ
إِذاً عَلِمَتْ أَنَّ ٱلْوَجىٰ لَيْسَ كَٱلْجَوىٰ وَحَبَّبَ ما يُنْضِي إِلَيْها ٱلَّذِي يُرْدِي

(١) يدرك (س، ظ، م، ع، ت).

دَعاها[1] نَسيمُ ٱلْبانِ وَالرَّنْدِ بِالْحِمى[2] وَهَيْهاتَ مِنها مَنْبِتُ ٱلْبانِ وَالرَّنْدِ
يَطيرُ بِها لُبّاً عَلَى ٱلْقُرْبِ وَٱلنَّوى وَيَحْمِلُها شَوْقاً عَلَى ٱلْجَوْرِ وَٱلْقَصْدِ
وَلَوْلا ٱلْهَوى[3] لَمْ تَرْضَ[4] بِٱلْجِزْعِ[5] حاجِراً وَلَمْ تَهْجُرِ ٱلْغَمْرَ ٱلنَّمِيرَ إِلى ٱلثَّمْدِ
أَجِدَّكَ ما تَنْفَكُّ بِٱلْغَوْرِ ناشِداً فُؤاداً بِنَجْدٍ يالَقَلْبِكَ مِنْ نَجْدِ
وَإِنّي لَتُصْمِيني سِهامُ ٱدِّكارِكُمْ وَإِنْ كانَ رامِي ٱلشَّوْقِ مِنّي عَلى بُعْدِ
تَمادِي غَرامٍ[6] لَيْسَ يَجْرِي إِلى مَدىً وَفَرْطُ سَقامٍ[7] لا يُقيمُ عَلى حَدِّ
وَما أَنْسَ لا أَنْسَ ٱلْحِمى وَأَهِلَّةً تُضِلُّ وَمِنْ حَقِّ ٱلْأَهِلَّةِ أَنْ تَهْدي
زَمانٌ إِخالُ ٱلْجَهْلَ فيهِ مِنَ ٱلنُّهى وَحُبٌّ أَعُدُّ ٱلْغَيَّ فيهِ مِنَ ٱلرُّشْدِ
غَنينَ وَما نَوَّلْنَ نَيْلاً سِوى ٱلْجَوى وَبِنَّ وَما زَوَّدْنَ زاداً سِوى ٱلْوَجْدِ
عَواطِفُ يُعْيِي عَطْفُها كُلَّ رائِضٍ ضَعائِفُ يُوهِي ضَعْفُها قُوَّةَ ٱلْجَلْدِ

---

(١) دهاها (ك) .
(٢) والحمى (ك) .
(٣) الجوى (س) .
(٤) لم يرض (ك) .
(٥) الجزع : منعطف الوادي . وحاجر : منزل في طريق مكة .
والثمد : الماء القليل .
(٦) غرامي (س) .
(٧) سقامي (س) .

إذا نَظَرَتْ بَزَّتْ قُلُوباً أَعِزَّةً وَإِنْ خَطَرَتْ هَزَّتْ قُدُودَ قَناً مُلْدِ
غَوالِبُ فَتْكٍ لَمْ يَصُلْنَ بِقُوَّةٍ طَوالِبُ ثأرٍ لَمْ يَبِتْنَ عَلَى حِقْدِ
مِنَ ٱلْمُصْبِياتِ ٱلْمُخْبِياتِ[١] بِدَلِّها عَلَى خَطَإٍ وَٱلْقاتِلاتِ عَلَى عَمْدِ
فَوَدَّعْنَ بَلْ أَوْدَعْنَ قَلْبِي حَزازَةً[٢] وَخَلَّفْنَ فَرْدَ ٱلشَّوْقِ بِٱلْعَلَمِ ٱلْفَرْدِ
خَلِيلَيَّ ما أَحْلَى ٱلْحَياةَ لَوَ ٱنَّها لِطاعِمِها[٣] لَمْ تَخْلِطِ ٱلصَّابَ بِٱلشُّهْدِ
لَقَدْ حالَتِ ٱلْأَيّامُ عَنْ حالِ عَهْدِها وَمَنْ لِي بِأَيّامٍ تَدُومُ عَلَى ٱلْعَهْدِ
سَلَبْنَ جَمالِي[٤] مِنْ شَبابٍ وَثَرْوَةٍ وَوَفَّرْنَ حَظِّي مِنْ فِراقٍ وَمِنْ صَدِّ
وَأَنْحَيْنَ حَتَّى ما تَرَكْنَ بَوارِياً عَلَى ٱلْعَظْمِ مِنْ نَحْضٍ لِبارٍ وَلا جِلْدِ
وَما شاقَنِي أَنْ لَسْتُ مُسْتَعْدِياً عَلَى نَوائِبِها إِلّا لِقِلَّةِ مَنْ يُعْدِي
وَلا بُدَّ أَنْ أَدْعُو لِدَفْعِ خُطُوبِها كَرِيماً فَإِنْ كانَ ٱبْنَ سَعْدٍ فَيا سَعْدِي
فَما عَنْ كَمالِ ٱلدِّينِ فِي[٥] ٱلْأَرْضِ مَذْهَبٌ لِحُرٍّ أَجاحَتْهُ[٦] ٱلْخُطُوبُ وَلا عَبْدِ

---

(١) المحسنات (ي) .
(٢) حرارة (ي ، ك ، ت) .
(٣) لطاعنها (م ، ع) .
(٤) كمالي (ك) .
(٥) من وجه مذهب (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٦) أحاجته الليالي (ي ، ك ، ن ، ت) .

وَإِنَّ ٱعْتِصامِي بِٱلْوَزِيرِ وَظِلِّهِ ... يَدٌ لِلنَّدىٰ ما مِثْلُها مِنْ يَدٍ عِنْدِي
وَأَيُّ مَرامٍ أَبْتَغِي بَعْدَ جُودِهِ ... كَفى ٱلْغَيْثُ مَنْ يُجْدى عَلَيْهِ وَمَنْ يُجْدِي
وَها أَنا قَدْ أَلْقَيْتُ رَحْلِي بِرَبْعِهِ ... إِلىٰ ٱلسُّؤْدُدِ ٱلْعادِيِّ وَٱلْكَرَمِ ٱلْعِدِّ
إِلىٰ هَضْبَةٍ شَمّاءَ عَزَّتْ عَلَى ٱلذُّرىٰ ... وَفِي جُنَّةٍ حَصْداءَ جَلَّتْ عَنِ ٱلسَّرْدِ
إِلىٰ أَوْحَدٍ أُهْدِي لَهُ ٱلْحَمْدَ وَحْدَهُ ... بِحَقٍّ وَلا يُهْدِي إِلَيَّ ٱلْغِنىٰ وَحْدِي
أَقَلُّ عَطاياهُ ٱلتَّوَقُّلُ فِي ٱلْعُلىٰ ... وَأَدْنىٰ سَجاياهُ ٱلتَّفَرُّدُ (١) بِٱلْمَجْدِ
مُبِيدُ ٱلْعِدىٰ قَهْراً وَلَيْسَ بِمُعْتَدٍ ... وَمُحْيِي ٱلْوَرىٰ بَذْلاً وَلَيْسَ بِمُعْتَدِّ
أَعَزُّ حِمىً مَنْ فازَ مِنْهُ بِذِمَّةٍ ... وَأَوْفىٰ غِنىً مَنْ باتَ مِنْهُ عَلَى وَعْدِ
فَتىً هَمُّهُ ما كانَ (٢) لِلْبِرِّ وَٱلتُّقىٰ ... وَمَغْنَمُهُ ما كانَ (٢) لِلْأَجْرِ وَٱلْحَمْدِ
مِنَ ٱلنّاقِدِينَ ٱلْعاقِدِينَ عَنِ ٱلْخَنا ... مَآزِرَهُمْ وَٱلسّالِمِينَ عَلَى ٱلنَّقْدِ
مُجاوِرُهُمْ فِي ٱلْخَوْفِ لِلْجارِ مَعْقِلٌ ... وَوَفْدُهُمُ فِي ٱلْمَحْلِ مُنْتَجَعُ ٱلْوَفْدِ
إِذا ٱلْغَيْثُ أَكْدىٰ أَنْشَأَتْ مَكْرُماتُهُمْ ... مَواطِرَ غَيْثٍ لا يُغِبُّ (٣) وَلا يُكْدِي
وَإِنْ زَمَنُ ٱلْوَرْدِ ٱنْقَضىٰ كانَ عِنْدَهُمْ ... مَواهِبُ يُلْغىٰ عِنْدَها زَمَنُ ٱلْوَرْدِ

---

(١) التوحد (ي ، ك ، ن ، ت) .
(٢) ما هنا ليست للنفي ، ولكنها مصدرية ظرفية ، أي ما دام كون همه .
(٣) لا تغب ولا تكدي (ن ، ت) .

لَهُمْ مِنْ ذَوِي التِّيجانِ كُلُّ مُخَلَّدٍ عَلَى فَقْدِهِ ، إِنَّ الثَّنَاءَ مِنَ الخُلْدِ
وَمَجْدٌ حَمَاهُمْ طَاهِرٌ أَنْ يُقَصِّرُوا بِهِ عَنْ أَبٍ حازَ المَكارِمَ أَوْ جَدِّ
أَغَرُّ إذا أَعْطَى أَفادَ وَإِنْ سَطَا أَبادَ وَإِنْ أَبْدَى أَعادَ الَّذي يُبْدِي
مُنِيفٌ عَلَى هامِ المُسامِي كَأَنَّما أَطَلَّ مِنَ النَّشْزِ (١) العَلِيِّ عَلَى وَهْدِ
يُرِيكَ اهْتِزازاً في الأَسِرَّةِ (٢) فَخْرُها بِهِ وَاخْتِيالاً في المُطَهَّمَةِ الجُرْدِ
وَتُعْزَى إِلَيْهِ المَكْرُماتُ وَلَيْسَ لِلْكَواكِبِ أَنْ تُنْفَى (٣) عَنِ القَمَرِ السَّعْدِ
جَدِيرٌ بِأَنْ يُبْدِي لَهُ عَفْوُ رَأْيِهِ خَفِيَّةَ (٤) ما يُعْيِي الرِّجالَ مَعَ الجُهْدِ
وَأَنْ يَسَعَ الأَمْرَ الَّذي حَرِجَتْ بِهِ مَذاهِبُ خَطِّيِّ القَنا وَظُبَى الهِنْدِ
جَلَوْتَ القَذَى عَنْ ناظِرِ الدِّينِ بَعْدَ ما أَتاكَ بِعَيْنِ الشَّمْسِ فِي الأَعْيُنِ الرُّمْدِ
وَكُنْتَ ثِقافاً لِلزَّمانِ فَلَمْ تَزَلْ تُقَوِّمُ مِنْهُ كُلَّ أَعْوَجَ مُنْأَدِّ
فَلَمْ تُخْلِ (٥) سَرْحاً ذَلَّ راعِيهِ مِنْ حِمًى وَلَمْ تُخْلِ ثَغْراً قَلَّ حامِيهِ مِنْ سَدِّ
أَخائِذُ دَيْنٍ باتَ عَنْكَ كافِلاً لَهُ يَوْمَ أَمْضَيْتَ اعْتِزامَكَ بِالرَّدِّ

(١) من النسر المعلّى (ت) .
(٢) في الأسنة (ت) .
(٣) أن تنأى (ك)، أن تبقى على (ت) .
(٤) حقيقة (ك) .
(٥) فلم تجل (ج) .

وَلَيْسَ بِبِدْعٍ مِنْكَ حَدُّ صَرِيمَةٍ ثَنَتْ نُوَبَ الأَيّامِ مَفْلُولَةَ الْحَدِّ
وَفِي أَيِّ خَطْبٍ لَمْ تَكُنْ قاضِبَ الشَّبا وَفِي أَيِّ فَضْلٍ لَمْ تَكُنْ ثاقِبَ الزَّنْدِ
كَأَنَّكَ مَجْبُورٌ عَلَى الْفَضْلِ وَحْدَهُ فَمالَكَ مِنْ أَنْ تُدْرِكَ الْفَضْلَ مِنْ بُدِّ
إِلَيْكَ زَفَفْنا كُلَّ حَسْناءَ لَوْ عَدَتْ عُلاكَ لَعادَتْ غَيْرَ مَلْثُومَةِ الْخَدِّ
مِنَ الْحالِياتِ الْعالِياتِ مَناصِباً تَماثَلُ مَنْ قَبْلِي وَتَفْضُلُ مَنْ بَعْدِي
تُظَنُّ مُقِيماتٍ وَهُنَّ سَوائِرٌ مُخَيِّمَةً تَسْرِي مُعَقَّلَةً تَخْدِي
رِواءٌ (١) وَسَجْفُ الْغَيْمِ لَيْسَ بِمُسْبَلٍ ضَواحٍ وَجَيْبُ اللَّيْلِ لَيْسَ بِمُنْقَدِّ
تَمُتُّ (٢) بِآمالٍ إِلَيْكَ كَأَنَّها رِقابُ صَوادٍ يَعْتَرِكْنَ عَلَى وِرْدِ
وَما زِلْتَ لَبّاساً مِنَ الْحَمْدِ فَخْرَهُ وَلٰكِنَّ غَيْرَ السَّيْفِ يَفْخَرُ بِالْغِمْدِ
إِذا زَيَّنَ الْحَسْناءَ عِقْدٌ بِجِيدِها فَأَحْسَنُ مِنْهُ زِينَةً مَوْضِعُ الْعِقْدِ
أَتَيْتُكَ لِلْعَلْيا فَإِنْ كُنْتَ مُنْعِماً فَبِالْعِزَّةِ الْقَعْساءِ لا الْعِيشَةِ (٣) الرَّغْدِ
إِذا نائِلٌ لَمْ يَحْبُنِي الْفَخْرَ نَيْلُهُ فَإِنَّ انْقِطاعَ الرِّفْدِ فِيهِ مِنَ الرِّفْدِ

---

(١) رواء : جمع ريّان وريّا .
(٢) تسير (ك) .
(٣) والعيشة الرغد (ك) .

١٠٩

وقال يمدح الحاجب علي[١] بن حامد الأتابكي، وعملها بديهاً في مجلسه على السكر :

أَتَطْمَعُ فِي ٱلْوُدِّ مِنْ زاهِدِ وَأَيْنَ ٱلْخَلِيُّ مِنَ ٱلْواجِدِ
وَكَمْ قَلَقٍ لكَ مِنْ ساكِنٍ عَلَى سَهَرٍ لَكَ مِنْ راقِدِ
عَنانِي ٱلْغَرامُ بِحُبِّ ٱلسَّقا مِ شَوْقاً إِلىٰ ذٰلِكَ ٱلْعائِدِ[٢]
وَقَدْ كُنْتُ جَلْداً أَبِيَّ ٱلْقِيا دِ لَوْ أَنَّ غيرَ ٱلْهَوىٰ قائِدِي
ومالِيَ فِي[٣] ٱلدَّهْرِ مِنْ حامِدٍ إِذا لَمْ أَعُذْ بِعُلىٰ حامِدِ
هُوَ[٤] ٱلْبَدْرُ يُشْرِقُ لِلْمُسْتَنِيرِ هُوَ ٱلْبَحْرُ يَزْخَرُ لِلْوارِدِ
تَجَمَّعَ فِيهِ خِلالُ ٱلْكِرامِ وَقَدْ يُجْمَعُ ٱلْفَضْلُ فِي واحِدِ
فَتىً يَحْجُبُ ٱلْفَضْلَ عَنْ طالِبِيهِ وَلا يَحْجُبُ ٱلرِّفْدَ[٥] عَنْ قاصِدِ

(١) هو حاجب طغتكين صاحب دمشق، بعثه رسولا عنه إلى مصر، سنة ٥١٧ . انظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (ص ٢١٠) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ي) .
(٣) من الدهر (س، ظ، م، ع) .
(٤) من هذا البيت إلى آخر هذه القصيدة ساقط من (ظ) .
(٥) الوفر (ي، ك، ن، ت) .

يَدُلُّ عَلَى جُـودِهِ بِشْرُهُ وَقَدْ يُعْرَفُ ٱلرَّوْضُ بِالرَّائِدِ
وَيَنْطِقُ عَنْ بَأْسِهِ سَيْفُهُ بِشَيْطـــانٍ فَتْكٍ لَهُ مارِدِ
وَمَنْ يَكُ مَوْلاهُ هٰذا ٱلْمَجِيدُ يَكُنْ فَوْقَ كُلِّ فَتًى ماجِدِ

* * *

١١٠

وقال (١) في بعض أولاد الرؤساء بديهاً :

يا أَيُّها (٢) ٱلنَّجْمُ ما وَفَّيْتُهُ لَقَباً وَأَنْتَ بَدْرٌ وَمِنْكَ ٱلْبَدْرُ يَعْتَذِرُ
أَخُوكَ شَمْسٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ طالِعَةٌ فَكَيْفَ يُنْكِرُ خَلْقٌ أَنَّكَ ٱلْقَمَرُ

* * *

١١١

وقال (٣)، وقد حضر في غداة مطيرة عند الأمير سيف الدولة (٤) عون بن الصقيل (٥)، ودخل عليهم غلام حسن الوجه أول شربهم :

لِلّٰهِ يَوْمٌ سَقانا ٱللَّهْوُ وَٱلْمَطَرُ بِهِ وَأَحْمَدَ مِنّا ٱلْوِرْدُ وَٱلصَّدَرُ

---

(١) وقال أيضاً في ابن شاروخ (ظ) .
(٢) لم يرد هذا البيت والذي بعده في (ك) .
(٣) وقال أيضاً بديها (ك) .
(٤) ... أبي جعفر عون ... (ت) .
(٥) الصيقل (ك) .

يَوْمٌ كَفانا مِنَ ٱللَّذَّاتِ أَنَّ بِهِ لَمْ تَطْلُعِ ٱلشَّمْسُ حَتَّىٰ زارَنا ٱلْقَمَرُ
فِي قامَةِ ٱلْغُصْنِ إلاّ أَنَّهُ رَشَأٌ فِي طَلْعَةِ ٱلْبَدْرِ إلاّ أَنَّهُ بَشَرُ
زِيارَةٌ لَيْتَ يَوْمِي لا يَكُونُ لَهُ فِيها عِشاءٌ وَلَيْلِي ما لَهُ سَحَرُ

* * *

١١٢

وقال في هذا اليوم أيضاً، وقد حضر الأمير عضب الدولة أبق بن عبد الرزاق[١] بديهاً :

بِنَفْسِي مَنْ تُضِيءُ بِهِ ٱلدَّياجِي وَيُظْلِمُ حِينَ يَبْتَسِمُ ٱلنَّهارُ
وَمَنْ أَمَلِي لِزَوْرَتِهِ غُرُورٌ وَمَنْ نَوْمِي لِفُرْقَتِهِ غِرارُ
يُكَدَّرُ وَصْلُهُ وَٱلْوُدُّ صافٍ وَيَبْعُدُ كُلَّما قَرُبَ ٱلْمَزارُ[٢]
وَأَحْلَىٰ ما ظَفِرْتَ بِهِ وِصالٌ إذا هُوَ لَمْ يَشِنْهُ ٱلِانْتِظارُ

* * *

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٧٠) من هذا الكتاب .
(٢) هذا البيت والذي بعده لم يردا إلا في (ك) .

١١٣

وقال، وقد قال له الأمير عضب الدولة : رأيت الهلال لائحاً . وفوقه كوكبان يعلو أحدهما على الآخر ، فشبهت جميع ذلك بكف تاقف كرتين[١] :

لاحَ ٱلْهِلالُ كما تعوَّجَ مُرْهَفا وَٱلْكَوْكَبانِ فَأَعْجَبا بَلْ أَطْرَفا
مُتَتابِعَيْنِ تَتابُعَ ٱلْكَعْبَيْنِ فِي رُمْحٍ أُقِيمَ ٱلصَّدْرُ مِنْهُ وَثُقِّفا
فَكَأَنَّهُ وَقَدِ ٱسْتَقاما فَوْقَهُ كَفٌّ تُخالِفُ أُكْرَتَيْنِ تَلَقُّفا

* * *

١١٤

وقال[٢] فيه أيضاً بديهاً :

لاحَ ٱلْهِلالُ فَما يَكادُ يُرىٰ سُقْماً كَصَبٍّ شَفَّهُ ٱلْخَبْلُ
كَٱلْفِتْرِ أَوْ كَٱلْحَجْلِ[٣] قَدْ فَتَحَتْ مِنْهُ ٱلْكِعابُ لِتَدْخُلَ ٱلرِّجْلُ
وَٱلزُّهَرَةُ ٱلزَّهْراءُ تَقْدُمُـــهُ فِي ٱلْجَوِّ وَهْوَ وَراءَها يَتْلُو
كَٱلْقَوْسِ فُوِّقَ سَهْمُها فَبَدا مُتَأَلِّقاً فِي رَأْسِـــهِ ٱلنَّصْلُ

* * *

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٢) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٣) الحَجْل : الخلخال .

١١٥

وقال (١) بديهاً، وقد دخل على قوم في دار نزهة بطرابلس :

دارٌ يَدُورُ بِها ٱلسُّرُورُ أَبَداً وَيَسْكُنُها ٱلْحُبُورُ
ما إِنْ تُخِلُّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ ٱلْبُدُورُ أَوِ ٱلْبُحُورُ
تَحْدُو ٱلْكُؤُوسَ سُقاتُها وَكَأَنَّها (٢) فَلَكٌ يَدُورُ

* * *

١١٦

وقال (٣) في نهر ثورا (٤) :

جَرى (٥) ٱلنَّهْرُ مِنْ شَوْقٍ إِلى ماحِلِ ٱلثَّرى وَأَجْرَيْتُ دَمْعاً شاقَهُ ٱلْمَنْزِلُ ٱلْقَفْرُ
فَلَوْ كُنْتَ يَوْمَ ٱلْبَيْنِ شاهِدَ عَبْرَتي وَعَبْرَتِهِ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُما ٱلنَّهْرُ
فَيا نَهْرَ ثَوْرا قَدْ أَثَرْتَ مِنَ ٱلْهَوى دَفِيناً أَجَنَّتْهُ ٱلْجَوانِحُ وَٱلصَّدْرُ
فَلَوْ كانَ لي صَبْرٌ كَفَفْتُ مَدامِعي وَلٰكِنَّ مَنْ يَشْتاقُ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

* * *

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٢) فكأنها (ظ) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٤) ثورا : نهر عظيم بدمشق .
(٥) جرى النهر من ثوراء لا عن تشوق (ت) .

١١٧

وقال (١) في الكمثرى :

ثَمَرٌ كَأَنَّ بِهِ الَّذِي بِي مِنْ جَوىً فِيهِ اصْفِرارُ
أَبْقَى الْهَوَى أَثَراً بِهِ وَالسُّكْرُ يَتْبَعُهُ (٢) الْخُمارُ

* * *

١١٨

وقال (٣) في الخيار :

خِيارٌ حِينَ تَنْسُبُهُ خِيارُ لِرَيْحانِ السُّرُورِ بِهِ اخْضِرارُ
كَأَنَّ نَسِيمَهُ أَنْفاسُ حِبٍّ فَلَيْسَ لِمُغْرَمٍ عَنْهُ اصْطِبارُ

* * *

١١٩

وقال (٤) في النَّرد (٥) :

أَقُولُ وَالْيَوْمُ بَهِيمٌ خَطْبُهُ مُسْوَدَّةٌ أَوْضاحُ الضُّحَى دُغُوشُها

(١) لم يرد هذان البيتان في (ك) .
(٢) يعقبه (ي) .
(٣) لم يرد هذان البيتان في (ك) .
(٤) وكان يلعب بالنرد بين يدي الأمير (عضب الدولة) مع أبي المرُجّا الخلاطي وغيره، فغُلب دفعات ، فقال مداعباً (ك) .
(٥) النرد : ما يسمى اليوم ، في العامية ، طاولة الزهر .

يَظْلِمُ فِي عَيْنَيَّ لا مِنْ ظُلْمَةٍ بَلْ مِنْ هُمُومٍ جَمَّةٍ غُطُوشُها
وَالنَّرْدُ كَالنَّاوَرْدِ(١) فِي مَجالِها أَوْ كَالْمَجُوسِ ضَمَّها ما شُوشُها
كَأَنَّها دَساكِرٌ لِلشُّرْبِ أَوْ عَساكِرٌ جائِشَةٌ جُيُوشُها
وَلِلفُصُوصِ جَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ تُحَيِّرُ الْأَلْبابَ أَوْ تُطِيشُها
قاتَلَها اللهُ فَلا بُنُوجُها تَرْفَعُ بِي رَأْساً وَلا شُشُوشُها
أَرْسِلُها بِيضاً إِذا أَرْسَلْتُها كَأَنَّها قَدْ مُحِيَتْ نُقُوشُها
كَأَنَّنِي أَقْرَأُ مِنْها أَسْطُراً مِنَ الزَّبُورِ دَرَسَتْ رُقُوشُها
كَأَنَّ نُكْراً أَنْ أَبِيتَ لَيْلَةً مَقْمُورُها غَيْرِيَ أَوْ مَقْمُوشُها
تُطِيعُ قَوْماً عَمَّهُمْ نَصُوحُها وَخَصَّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ غَشُوشُها
تُجِيبُهُمْ مَتَىٰ دَعَوْا أَخْرَسُها وَإِنْ يَقُولُوا يَسْتَمِعْ أَطْرُوشُها
مُذَبْذَبِينَ(٢) دَأْبُهُمْ غَيْظِي فَما تَسْلَمُ مِنْهُمْ عِيشَةٌ أَعِيشُها
كَأَنَّ رُوحِي بَيْنَهُمْ أَيْكِيَّةٌ راحَتْ وَكَفُّ أَجْدَلٍ تَنُوشُها
يَنْتِفُ مِنْها لَحْمَها وَتارَةً تَكادُ تَنْجُو فَيُطارُ رِيشُها
إِذا احْتَبَىٰ أَبُو الْمُرَجّا فِيهِمُ فَهامُنا مائِلَةٌ عُرُوشُها

---

(١) الناورد : القتال وجولان الخيل في ميدان .

(٢) مديدبين (س ، ظ ، م ، ن ، ع) .

كَأَنَّما شَنَّتْ قُشَيْرٌ(١) غارَةً عَجْلانُها الخُرّابُ(٢) أَوْ حَرِيشُها(٣)
كَأَنَّ تِلْكَ الخَمْسَ مِنْهُ قُطِعَتْ خَمْسُ أَفاعٍ مُرْعِبٌ كَشِيشُها
أَظْفارُها أَنْيابُها فَطالَما نَيَّبَ(٤) قَلْبي وَيَدِي نُهُوشُها
لا يَأْتَلِي مِنْ ذَهَبٍ يَلُفُّهُ مِنِّي وَمِنْ دَراهِمٍ يَحُوشُها
وَمِنْ خِرافٍ لَهُمُ مِنْها الَّذِي طابَ وَلِيَ ما ضُمِّنَتْ كُرُوشُها
وَمِنْ دَجاجاتٍ إِذا ما كُرْدِنَتْ(٥) كَأَنَّما شَكَّ فُؤادِي شِيشُها(٦)

* * *

١٢٠

وقال ارتجالاً(٧) :

أَرانِيَ مِنْ رَوْعاتِ بَيْنِكَ نازِلاً عَلَى حَرَكاتٍ ما لَهُنَّ سُكُونُ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الأَسَى غَيْرُ قاتِلِي عَلَيْكَ وَأَنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ يَهُونُ

* * *

---

(١) قُشَيْر : قبيلة .
(٢) الحراب (ن ، ت) . والخُرّاب : جمع خارب وهو سارق الابل ، والحريش الأكول من الجمال .
(٣) جريشها (س) ، تجريشها (ت) .
(٤) نَيَّبَ فلاناً : عضه بنابه .
(٥) يريد بـ (كُرْدِنَتْ) : ذُبِحَتْ ؛ يقال أخذه بِكَرْدَنِهِ وقَرْدَنِهِ أي بقفاه .
(٦) الشيش : كلمة تركية ومعناها السفود .
(٧) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .

١٢١

وقال (١) أيضاً بحلب، وكتبها إلى الأمير أبي الفتيان (٢) بن حيُّوس، سنة اثنتين وسبعين وأربعماية :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي ما يُباعُ بِحَبَّةٍ   وَكَفاكَ مِنِّي مَنْظَرٌ (٣) عَنْ مَخْبَرِ
إلاّ بَقِيَّةُ ماءِ وَجْهٍ صُنْتُها   عَنْ أَنْ تُباعَ وَأَيْنَ (٤) أَيْنَ المُشْتَرِي

* * *

١٢٢

وقال (٥) أيضاً :

ما عَلَى ٱلعُذّالِ مِنْ سَقَمِي   أَبِجِسْمِي ذاكَ أَمْ بِهِمِ
لائِمِي فِي ٱلْحُبِّ وَيْحَكَ لَوْ   ذُقْتَ طَعْمَ ٱلْحُبِّ لَمْ تَلُمِ
هَلْ تُرِيحُ ٱلْجَفْنَ مِنْ سَهَرٍ   أَمْ تُداوِي ٱلْقَلْبَ مِنْ أَلَمِ

* * *

(١) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .
(٢) الأمير مصطفى الدولة أبو الفتيان محمد بن سلطان ابن حيوس، الشاعر المشهور. ولد بدمشق سنة ٣٩٤ وتوفي بحلب سنة ٤٧٣. له ديوان شعر ضخم حققناه وطبعه المجمع العلمي العربي في مجلدين .
(٣) منظري عن مخبري (ن، ت) .
(٤) ورد في هامش (ن) ما نصه : « قيل إن ابن حيوس قال وقد سمع هذين البيتين : لو قال وأنت نعم المشتري لكان أحسن ؛ أو ما هذا معناه .
(٥) لم ترد هذه القطعة في (ك) .

١٢٣

وقال (١) يمدح أبا المنى فضل (٢) بن يوحنا (٣) :

يا دَهْرُ قَدْ عَدَّيْتُ عَنْكَ طِلابِي ... وَمَلَلْتُ مِنْ أَرْيٍ لَدَيْكَ وَصابِ
وَرَأَيْتُ صَرْفَكَ بِٱلْكِرامِ مُوَكَّلاً ... فَعَرَفْتُ وَجْهَ غَرامِهِ بِعِقابِي
ما فَوْقَ (٤) جَوْرِكَ مِنْ مَزِيدٍ بَعْدَما ... عِنْدِي فَذَرْنِي يا زَمانُ لِما بِي
أَتَظُنُّ أَنَّكَ ضائِرِي بِأَشَدَّ مِنْ ... عُدْمِ ٱلشَّبابِ وَفُرْقَةِ ٱلْأَحْبابِ
لا وَٱلَّذِي جَعَلَ ٱلْغِنَىٰ بِأَبِي ٱلْمُنَىٰ ... سَهْلاً مَطالِبُهُ عَلَى ٱلطُّلّابِ
بِأَغَرَّ تُسْكِرُ صَحْبَهُ أَخْلاقُهُ ... وَٱلْخَمْرُ جائِرَةٌ عَلَى ٱلْأَلْبابِ
خَضِلٍ أَنامِلُهُ مَتَىٰ أَسْتَسْقِهِ ... فَٱلْغَيْثُ غَيْثِي وَٱلسَّحابُ سَحابِي
أَنا أَوْحَدُ ٱلشُّعَراءِ فَأْحْبُ قَرائِحِي ... بِكَ رُتْبَةً يا أَوْحَدَ ٱلْكُتّابِ
إِنِّي خَلَعْتُ عَلَيْكَ بُرْدَ مَدائِحِي ... وَلَوِ ٱسْتَطَعْتُ خَلَعْتُ بُرْدَ شَبابِي

(١) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٢) فضل الله (ي) .
(٣) طرابلسية (ن)، أي مما قاله في طرابلس .
(٤) كذا في جميع النسخ ، ولعل الصواب : « ما بعد جورك من مزيد فوق ما » .

١٢٤

وقـــال يمـدح المـكين وجيـه الدولة أبا محمـد إسمعيل بن أبي الرضى المحسّن بن الحسن الأنصاري :

أَصُونُ[١] لِساني وَٱلْجَنانُ يُذالُ ... وَأَقْصِرُ بَثّي وَٱلشُّجُونُ طِوالُ
وَأَحْبِسُ عَنْ قَوْمٍ عِنانَ قَصائِدي ... وَقَدْ أَمْكَنَ ٱلطِّرْفَ ٱلْجَوادَ مَجالُ
تُذَمُّ ٱللَّيالي إِنْ تَعَذَّرَ مَطْلَبٌ ... وَأَوْلَىٰ لَعَمْري أَنْ تُذَمَّ رِجالُ
وَما أَلْزِمُ ٱلْأَيّامَ ذَنْبَ مَعاشِرٍ ... لِدَرِّهِمُ قَبْلَ[٢] ٱلرَّضاعِ فِصالُ
وَآلِ غِنىً جَمٍّ هُمُ ٱلْبَحْرُ ثَرْوَةً ... وَلٰكِنَّهُمْ عِنْدَ ٱلنَّوائِبِ آلُ
لَوَ ٱنَّ بِلالاً[٣] جاءَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ... لَعادَ وَما في فِيهِ مِنْهُ بِلالُ[٤]
خَليلَيَّ ما كُلُّ ٱلْعَسيرِ بِمُعْجِزٍ ... مَرامِي وَلا كُلُّ ٱلْيَسيرِ يُنالُ
وَلَيْسَ أَخُو ٱلْحاجاتِ مَنْ باتَ راضِياً ... بِعَجْزٍ عَلَى ٱلْأَقْدارِ فيهِ يُحالُ

(١) لم ترد هذه القصيدة في (ي) .
(٢) عند (ك) .
(٣) بلال بن رباح الحبشي مؤذّن النبي عليه السلام .
(٤) زلال (ن) .

تَقَلَّبْتُ فِي ثَوْبِي رَخاءٍ وَشِدَّةٍ كَذٰلِكَ أَحْوالُ ٱلزَّمانِ سِجالُ
وَقَدْ وَسَمَتْنِي ٱلْأَرْبَعُونَ بِمَرِّها وَحالَتْ بِشَيْبِي لِلشَّبِيبَةِ حالُ
فَلَيْتَ ٱلَّذِي أَرْجُو مِنَ ٱلْعُمْرِ بَعْدَها يَطِيبُ بِهِ عَيْشٌ وَيَنْعَمُ بالُ
يَقُولُ أُناسٌ كَيْفَ يُعْجِزُكَ ٱلْغِنىٰ وَمِثْلُكَ يَكْفِيهِ ٱلْفِعالَ مَقالُ
وَما عِنْدَهُمْ أَنَّ ٱلسُّؤالَ مَذَلَّةٌ وَنَقْصٌ وَما قَدْرُ ٱلْحَياةِ سُؤالُ
تَرَفَّعْتُ إِلَّا عَنْ نَدىٰ ٱبْنِ مُحَسِّنٍ (١) وَخَيْرُ ٱلنَّدىٰ ما كانَ فِيهِ (٢) جَمالُ (٣)
وَعِنْدَ وَجِيهِ ٱلدَّوْلَةِ ٱبْنِ رَشِيدِها سَماحٌ وَبَذْلٌ غامِرٌ وَنَوالُ
وَأَخْلاقُ غَيْثٍ كُلَّما جِئْتُ صادِياً وَرَدْتُ بِهِنَّ ٱلْعَيْشَ وَهْوَ زُلالُ
وَبِشْرٌ إِلىٰ ٱلزُّوّارِ فِي كُلِّ لَزْبَةٍ بِهِ تُلْقَحُ ٱلْآمالُ وَهْيَ حِيالُ
تَدانَتْ بِهِ ٱلْغاياتُ وَهْيَ بَعِيدَةٌ وَخَفَّتْ بِهِ ٱلْحاجاتُ وَهْيَ ثِقالُ
وَما ٱلْبِشْرُ إِلَّا رائِدٌ بَعْدَهُ ٱلْحَيا أَلا إِنَّما وَعْدُ ٱلسَّحابَةِ خالُ (٤)
مَتىٰ أَرْجُ إِسْمٰعِيلَ لِلْعِزِّ وَٱلْغِنىٰ فَما هُوَ إِلَّا عِصْمَةٌ وَثِمالُ
فَتىً ظافَرَتْ هِمّاتُهُ عَزَماتِهِ كَما ظافَرَتْ سُمْرَ ٱلصِّعادِ نِصالُ

---

(١) محمد (؟) (ك) .
(٢) منه (ك) .
(٣) كمال (ن) .
(٤) الخال : سحاب لا يخلف مطره .

هُوَ ٱلْبَدْرُ إلاّ أَنَّهُ لا يُغِبُّهُ … عَلَى طُولِ أَوْقاتِ ٱلزَّمانِ كَمالُ

مِنَ ٱلْقَوْمِ ذادَ ٱلنّاسَ عَنْ نَيْلِ مَجْدِهِمْ … قِراعٌ لَهُمْ دُونَ ٱلْعُلَىٰ وَنِضالُ

نِبالُ ٱلْمَساعِي ، ما تَزالُ ثَوابِتاً … لَهُمْ فِي قُلُوبِ ٱلْحاسِدِينَ نِبالُ

إذا قاوَلُوا بِٱلْأَحْوَذِيَّةِ أَفْحَمُوا … وَإِنْ طاوَلُوا بِٱلْمَشْرَفِيَّةِ طالُوا

أُولٰئِكَ أَنْصارُ ٱلنَّبِيِّ وَرَهْطُهُ … إذا عُدَّ فَخْرٌ باهِرٌ وَجَلالُ

أَأَزْعُمُ أَنْ لا مالَ لِي بَعْدَ هٰذِهِ … وَجُودُكَ ذُخْرٌ لِلْمُقِلِّ وَمالُ

وَمَنْ سارَ يَسْتَقْرِي نَداكَ إلى ٱلْغِنَىٰ … فَلَيْسَ بِمَخْشِيٍّ عَلَيْهِ ضَلالُ

وَما جَوْهَرُ ٱلْأَشْياءِ وَٱلْخَلْقِ خافِياً … إذا ما طِباعٌ مُيِّزَتْ وَخِلالُ

لَفَضْلُ ما بَيْنَ ٱلسُّيُوفِ مَضاؤُها … وَفَضْلُ ما بَيْنَ ٱلرِّجالِ فَعالُ

تَأَخَّرَ عَنْكَ ٱلْمَدْحُ لا عَنْ تَجَنُّبٍ … وَلٰكِنَّهُ ٱلْمَعْشُوقُ فِيهِ دَلالُ

وَعِنْدِي ثَناءٌ لا يُمَلُّ كَما ٱنْثَنَىٰ … إلَىٰ عاشِقٍ بَعْدَ ٱلصُّدُودِ وِصالُ

يُزانُ بِهِ عِرْضُ ٱلْفَتَىٰ وَهْوَ ماجِدٌ … كَما زانَ مَتْنَ ٱلْمَشْرَفِيِّ صِقالُ

وَلا بُدَّ لِي مِنْ دَوْلَةٍ بِكَ (١) فَخْمَةٍ … بِها مِنْ صُرُوفِ ٱلنّائِباتِ أُدالُ

وَمِنْ نِعْمَةٍ خَضْراءَ عِنْدَكَ (٢) غَضَّةٍ … يُمَدُّ (٣) عَلَيْها لِلنَّعِيمِ ظِلالُ

---

(١) بعد (ن) .
(٢) عندي (ك) .
(٣) تمد (ك) .

فَلا يَسْتَرِثْ ميعادَ مَجْدِكَ جاهِلٌ فَما عِنْدَ مَجْدِ ٱلأَسْعَدينَ مِطالُ
فَإِنَّ نُجُومَ ٱللَّيْلِ في حِنْدِسِ ٱلدُّجى يُرَيْنَ بَطيئاتٍ وَهُنَّ عِجالُ
وَهَلْ لِلْوَرى إِلاّ عَلَيْكَ مُعَوَّلٌ وَهَلْ لِلْعُلى إِلاّ إِلَيْكَ مَآلُ
فَما ٱلْمَجْدُ إِلاّ لِلْكِرامِ مَمالِكٌ وَلا(١) ٱلنّاسُ إِلاّ لِلْكُفاةِ عِيالُ
إِذا ما ٱلْقَوافي بَشَّرَتْكَ(٢) بِمَطْلَبٍ وَفى لَكَ مِنْها بِٱلْحَقائِقِ(٣) فالُ

* * *

١٢٥

وقال ايضاً يمدحه :

أَدْنى ٱشْتِياقي أَنْ أَبيتَ عَليلا وَأَقَلُّ وَجْدي أَنْ أَذُوبَ نُحُولا
كَمْ أَكْتُمُ ٱلشَّوْقَ ٱلْمُبَرِّحَ وَٱلْهَوى وَكَفى بِدَمْعي وَٱلسَّقامِ دَليلا
فَٱلْيَوْمَ قَدْ أَمْضى ٱلصُّدُودُ تَلَدُّدي(٤) وَأَعادَ حَدَّ تَجَلُّدي مَفْلُولا
أَشْكُو فَيَنْصَدِعُ ٱلصَّفا لِيَ رِقَّةً لَوْ كانَ يَرْحَمُ قاتِلٌ مَقْتُولا
وَأَذِلُّ مِنْ كَمَدٍ وَفَرْطِ صَبابَةٍ وَٱلْحُبُّ ما تَرَكَ ٱلْعَزيزَ ذَليلا

---

(١) وما الناس ... (س ، ن ، ت) .
(٢) شرفتك (ك) .
(٣) للحقائق (ك) .
(٤) تلذذي (ك ، ت) .

يا لَيْتَني إذْ خانَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ يَوْمًا وَجَدْتُ إلى ٱلسُّلُوِّ سَبيلا
ما لي شُغِلْتُ بِحُبِّ مَنْ لا يَنْثَني كَلِفًا بِغَيْرِ مُحِبِّهِ مَشْغُولا
ما لي أَرى بَرْدَ ٱلشَّرابِ مُعَرَّضًا فَأُذادُ عَنْهُ وَما شَفَيْتُ غَليلا
مَنْ مُسْعِدي مَنْ عاذِري مَنْ راحِمي مَنْ ذا يُعينُ مُتَيَّمًا مَخْبُولا
يا عاذِلي أَرَأَيْتَ مَغْلُوبَ ٱلْحَشا يَعْصي ٱلصَّبابَةَ أَوْ يُطيعُ عَذُولا
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ ما لَقيتُ مِنَ ٱلْهَوى لَوَجَدْتَني لِلنّائِباتِ حَمُولا
ما لي عَلى صَرْفِ ٱلْحَوادِثِ مُسْعِدٌ إلّا رَجاءُ سَماحِ إِسْماعيلا
ٱلْماجِدُ ٱلْغَمْرُ ٱلْأَبِيُّ ٱلْأَوْحَدُ ٱلْـ ـبَرُّ ٱلْوَفِيُّ ٱلْباذِلُ ٱلْمَأْمُولا
مَنْ لا يَرى أَنَّ ٱلْجَوادَ بِمالِهِ مَنْ لا يَكُونُ عَلى ٱلْعَلاءِ بَخيلا
ٱلْجاعِلُ ٱلْفِعْلَ ٱلْجَميلَ ذَريعَةً إبَداً إلى حَمْدِ ٱلْوَرى وَوَسيلا(١)
مَنْ لا يَعُدُّ ٱلْبَحْرَ نَهْلَةَ شارِبٍ يَوْمًا وَلا ٱلْخَطْبَ ٱلْجَليلَ جَليلا
قَدْ نالَ مِنْ شَرَفِ ٱلْفَعالِ ذَخيرَةً تَبْقى إذا كادَ(٢) ٱلزَّمانُ يَزُولا
وَٱسْتَخْلَصَ ٱلْحَمْدَ ٱلْجَزيلَ لِنَفْسِهِ فَحَواهُ وَٱتَّخَذَ ٱلسَّماحَ خَليلا
ما إنْ تَراهُ ٱلدَّهْرَ إلّا قائِلاً لِلْمَكْرُماتِ ٱلْباهِراتِ فَعُولا

---

(١) وسبيلا (ت) .
(٢) كرب (ت) ، وفي سائر النسخ (كان) إلا في (ك) ففيها ما أثبتناه .

إنْ سِيلَ عِنْدَ ٱلْجُودِ كانَ غَمامَةً أَوْ عُدَّ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ كانَ قَبِيلا
هِمَماً تَطُولُ بِحَزْمِهِ وَعَزائِماً بُتْكاً كَما ٱخْتَرَطَ ٱلْكُماةُ نُصُولا
وَمَناقِباً لا يَأْتَلِينَ طَوالِعاً أَبَداً إِذا هَوَتِ ٱلنُّجُومُ أُفُولا
وَإِلىٰ وَجِيهِ ٱلدَّوْلَةِ ٱبْنِ رَشِيدِها حَمْداً كَنائِلِهِ ٱلْجَزِيلِ جَزِيلا
مِنْ مَعْشَرٍ كانُوا لِأُمّاتِ ٱلْعُلىٰ أَبَداً فُحُولاً أَنْجَبَتْ وَبُعُولا
اَلْباهِرِينَ فَضائِلاً وَٱلْغامِرِيـنَ نَوافِلاً وَٱلطَّيِّبِينَ أُصُولا
يا ٱبْنَ ٱلْمُحَسِّنِ طالَ ما أَحْسَنْتَ بِي كَرَماً يَبِيتُ مِنَ ٱلزَّمانِ مُدِيلا
إِنْ كانَ يَقْصُرُ عَنْكَ ثَوْبُ مَدائِحِي فَلَقَدْ يَكُونُ عَلىٰ سِواكَ طَوِيلا
مَنْ ذا يَقُومُ بِشُكْرِ ما أَوْلَيْتَهُ حَمَّلْتَنِي مَنّاً عَلَيَّ ثَقِيلا
فَلَأَشْكُرَنَّكَ ما تَغَنّىٰ تائِقٌ طَرِبٌ وَما دَعَتِ ٱلْحَمامُ هَدِيلا
وَلَأَمْنَحَنَّكَ مِنْ ثَنائِي مِقْوَلاً ما كانَ قَبْلَكَ فِي ٱلزَّمانِ مَقُولا
لا تَسْقِنِي إِلّا بِكَفِّكَ إِنَّما خَيْرُ ٱلسَّحائِبِ ما يَبِيتُ هَمُولا
قَدْ آمَنَتْكَ ٱلْمَكْرُماتُ ٱلْغُرُّ أَنْ أُمْسِي لِغَيْرِكَ عافِياً وَنَزِيلا
حاشا لِنائِلِكَ ٱلَّذِي عَوَّدْتَنِي مِنْ أَنْ أَرىٰ لَكَ مُشْبِهاً وَمَثِيلا
هَبْ لِي نَصِيباً مِنْ شَمائِلِكَ ٱلَّتِي لَوْ كُنَّ مَشْرُوباً لَكُنَّ شَمُولا
وَٱسْلَمْ عَلىٰ ٱلْأَيّامِ تَكْبِتُ حاسِداً وَتُذِلُّ أَعْداءً وَتَبْلُغُ سُولا

* * *

١٢٦

وقال أيضاً :

أَسُومُ الْجِبابَ فَلا خَزَّها أُطِيقُ ابْتِياعًا وَلا صُوفَها

وَكَيْفَ السَّبِيلُ إلىٰ جُبَّةٍ لِمَنْ لَيْسَ يَمْلِكُ تَصْحِيفَها(١)

فسأله إنسان أن يتم عليها بيتين آخرين، ويبعثها على يده إلى ابن أبي الرضا، وهو الممدوح، والسائل المقترح أبو طاهر، فقال :

فَإِنْ أَمْكَنَتْ بِأَيادِي الْمَكِينِ فَما زِلْتُ أَعْرِفُ مَعْرُوفَها

وَكَمْ بَرَزَ(٢) الرَّوْضُ فِي حُلَّةٍ تَوَلَّتْ يَدُ الْغَيْثِ تَفْوِيفَها

* * *

١٢٧

وقال يستهدي مقلمة من الفقيه أبي الحسن علي (٣) بن أحمد بن منصور الغساني :

---

(١) تصحيف الجبة حبة .

(٢) ولم يزل الروض ... (ك) .

(٣) علي بن أحمد بن منصور المالكي (س ، م ، ع)، علي بن أحمد بن قيس المالكي (ظ)، علي بن أحمد بن منصور الغساني المعروف بابن قبس (ك). أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور بن قيس الغساني المالكي النحوي الزاهد، شيخ دمشق ومحدثها، قال السلفي : لم يكن في وقته مثله بدمشق، كان زاهداً عابداً ثقة. وقال ابن عساكر : كان متحرزاً متيقظاً منقطعاً في بيته مفتياً يقرىء الفرائض والنحو . وكانت وفاته سنة ٥٣٠ .

(شذرات الذهب ٩٥/٤)

أَبا حَسَنٍ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْجَمِيلِ فَهَلْ لَكَ هَلْ لَكَ فِي مَكْرُمَهْ

يُفِيدُ بِها ٱلْحَمْدَ مَنْ نَفْسُهُ مُتَيَّمَةٌ بِٱلْعُلَى مُغْرَمَهْ

وَما زِلْتَ تَرْفُلُ فِي بُرْدِهِ وَتَلْبَسُ أَثْوابَهُ ٱلْمُعْلَمَهْ

ثَناءٌ يَعِزُّ ٱلْوَرَى (١) جَحْدُهُ كَما عَزَّكَ ٱلْمِسْكُ أَنْ تَكْتُمَهْ

وَمَنْ كانَ يَبْغِي لَدَيْكَ ٱلنَّوالَ فَلَسْتُ بِباغٍ سِوَى مِقْلَمَهْ

تُرَى وَهْيَ مُسْمِنَةٌ ظاهِراً وَلٰكِنَّها باطِناً مُسْقِمَهْ

كَأَنَّ حَشاها فُؤادُ ٱلْخَلِيِّ لَمْ يَصْلَ نارَ ٱلْهَوَى ٱلْمُضْرَمَهْ

إِذا أُهْدِيَتْ وَهْيَ صِفْرٌ رَأَيْتَ صُورَةَ مُتْأَقَةٍ (٢) مُفْعَمَهْ

وَإِنْ جُدْتَ فِيها بِأَقْلامِها جَمَعْتَ ٱلذَّوابِلَ فِي مَلْحَمَهْ

فَكَمْ ثَمَّ مِنْ زاعِبِيٍّ تَخالُ مَكانَ ٱلْمِدادِ بِهِ لَهْذَمَهْ

إِذا ما طَعَنْتَ بِهِ مَطْلَباً سَفَكْتَ بِغَيْرِ جُناحٍ دَمَهْ

كَمِثْلِ ٱلْكِنانَةِ يَوْمَ ٱلنِّضالِ أَوْدَعَها نابِلٌ أَسْهُمَهْ

مُضَمَّنَةٌ آلَةً لِلسُّمُوِّ تُثْرِي بِها ٱلْهِمَّةُ ٱلْمُعْدِمَهْ

---

(١) الفتى (ك) .

(٢) متأقة : ممتلئة .

إذا فُتِحَتْ أَبْرَزَتْ(١) أَنْصُلاً . كما فغر اللَّيْثُ يَوْماً فَمَهْ
لكَ الفَضْلُ في صُنْعِها إنَّها بِلُطْفِكَ مَلْمُومَةٌ مُحْكَمَهْ
يَنُمُّ بِهِ(٢) ما كَسَتْها(٣) يَدا كَ مِنْ مُعجِزِ الوَشْيِ والنَّمْنَمَهْ
كأنَّ عليها لأخلاقكَ الـحِسانِ مِنَ الظَّرْفِ أَبْهى سِمَهْ
سَرى بكَ عِلْمُكَ مَسْرى البُدُورِ فَقَصَّرَ مَنْ قالَ ما أَعْلَمَهْ
وأَكَّدَ عَقْدَكَ أَنَّ الجَميـلَ لَيْسَ لبانِيهِ أَنْ يَهْدِمَهْ
وَوَفْدِ ثَناءٍ بَعَثْنا إِلَيْـكَ يَشْتاقُ أَهْلُ النُّهى مَقْدَمَهْ
جَمَعْتُ صِفاتِكَ في سِلْكِهِ لِمَنْ وَجَدَ الدُّرَّ أَنْ يَنْظِمَهْ

* * *

١٢٨

وقال يهنيء الأمير جاروخ(٤) بولد :

مُلِّيتَ بَدْراً تُهَنّاهُ وَضِرْغاما تَحْوِي بِهِ لِلْعِدى كَبْتاً وَإِرْغاما

(١) بَرَّزتْ (م ، ع) .
(٢) بها (ت) .
(٣) ما كسته (ن) .
(٤) الأمير شمس الدولة شاروخ (ي)، ساروخ (ن)، وقال أيضا يهنيء الأمير شمس الدولة حارق بابن جاءه (ك). قال ابن القلانسي: « وفي رجب من هذه السنة (٥١٣) توفي الأمير حارق بن كمشتكين العراقي، وكان من مقدمي الدولة ووجوه أمرائها » ذيل تاريخ دمشق (ص ٢٠٢) .

سَمَّاهُ مَجْدُكَ بَهْرامًا لِأَنَّ لَهُ ... سَعْداً يُطاوِلُ كَيْوانًا (١) وَبَهْراما
قَدْ عادَ مِنْ نُورِهِ ٱلْإِظْلامُ وَهْوَ ضُحىً ... مِنْ بَعْدِ ما غادَرَ ٱلْإِصْباحَ إِظْلاما
بُشْراكَ أَنَّكَ ما تَنْفَكُّ تُلْبِسُهُ ٱلنُّـ ... ـعْمى وَتَلْبَسُ إِجْلالاً وَإِعْظاما
يا أَكْرَمَ ٱلنّاسِ آباءً وَأَشْرَفَهُمْ ... عِنْدَ ٱلتَّفاخُرِ أَخْوالاً وَأَعْماما
أَطْلَعْتَ بِٱلشّامِ مِنْ بَهْرامَ بَدْرَ دُجىً ... أَضْحى ٱلْعِراقُ عَلَيْهِ يَحْسُدُ ٱلشّاما
فَٱسْعَدْ بِهِ دائِمَ ٱلنَّعْماءِ مُعْتَلِياً ... عَلَى ٱلزَّمانِ وَخَيْرُ ٱلْعَيْشِ ما داما

* * *

١٢٩

وقال بديهاً، وقد استدعاه إلى مجلسه خاطباً لمدحه :

دَعانِي ٱلْأَمِـيرُ فَلَبَّيْتُهُ ... وَلِمْ لا أُلَبِّيكَ يا خَيْرَ داعِ
فَوافَيْتُ أَزْهَرَ رَحْبَ ٱلذِّراعِ ... شَدِيدَ ٱلْمِصاعِ شَرِيفَ ٱلْمَساعِي
كَرِيمَ ٱلْفَعالِ غَرِيبَ ٱلنَّوالِ ... غَرِيمَ نِضالِ (٢) ٱلْعِدىٰ وَٱلْقِراعِ
وَقَدْ كُنْتُ أَنْتَجِعُ ٱلْأَكْرَمِينَ ... فَقُلْ فِي كَرِيمٍ حَداهُ (٣) ٱنْتِجاعِي

(١) كيوان : اسم زحل . وبهرام : اسم للمريخ .
(٢) نصال (ك ، ن ، ت) .
(٣) جداه (ك ، ن ، ت) .

أَشَمْسَ ٱلْأَنامِ وَمَوْلَى ٱلْكِرامِ ... وَتِرْبَ ٱلْغَمامِ وَرَبَّ ٱلزِّماعِ
سَأَشْكُرُ ما دُمْتُ فِي ٱلْعالَمِينَ ... مَكارِمَ أَحْسَنَّ فِيكَ ٱصْطِناعِي
أُطِيلُ ٱلثَّناءَ عَلَى ماجِدٍ ... أَطالَ عَلَى نُوَبِ ٱلدَّهْرِ باعِي

* * *

١٣٠

وقال في مجلسه بديهاً :

قُلْتُ لِلسَّاقِي وَقَدْ(١) طافَ بِها ... قَهْوَةً مَصْبُوغَةً مِنْ وَجْنَتَيْهِ
أَتُرىٰ مِنْ دَنِّهِ(٢) أَتْرَعَها ... أَمْ تُرىٰ أَتْرَعَها مِنْ مُقْلَتَيْهِ
أَمْ تَراهُ شارِباً مِنْ رِيقِهِ ... ضِعْفَ ما يَشْرَبُ قَوْمٌ مِنْ يَدَيْهِ
فَأَرىٰ أَعْطافَهُ شاهِدَةً ... أَنَّهُ قَدْ جارَتِ ٱلْكَأْسُ عَلَيْهِ
مَنْ يَكُنْ هامَ مِنَ ٱلْوَجْدِ بِهِ ... فَلَقَدْ ذُبْتُ مِنَ ٱلشَّوْقِ إِلَيْهِ

* * *

(١) الذي طاف بها (ت) .
(٢) دنها (ت ، ج) .

١٣١

وقال في مجالسه بديهاً، وقد وقع القدح من يد الساقي فانكسر :

أَتُرَىٰ أَبْصَرَهُ مِثْلِي ٱلْقَدَحْ فَغَدَا زَنْدُ حَشاهُ يُقْتَدَحْ
وَٱنْثَنَىٰ مُنْكَسِراً مِنْ وَجْدِهِ بِكَسِيرِ ٱلطَّرْفِ كَٱلظَّبْيِ سَنَحْ
قَمَرٌ يَسْعَدُ لَوْ يُشْبِهُهُ(١) قَمَرُ ٱللَّيْلِ إِذا ٱللَّيْلُ جَنَحْ
لَبِسَ ٱلْحُسْنَ كَشَمْسِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْـ مَلْكِ إِذْ يَلْبَسُ مَعْشُوقَ ٱلْمِدَحْ

• • •

١٣٢

وقال عند انصرافه :

أَرُوحُ وَقَلْبِي عَنْكَ لَيْسَ بِرائِحِ وَذِكْرُكَ باقِي ٱلشَّوْقِ بَيْنَ ٱلْجَوانِحِ
وَحَسْبِيَ شَمْسَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَلْكُ غايَةً مِنَ ٱلْفَخْرِ أَنْ تُهْدَى إِلَيْكَ مَدائِحِي
وَقَدْ كانَ شِعْرِي يَفْضَحُ ٱلشِّعْرَ كُلَّهُ فَأَمْسَىٰ بِما تُولِي(٢) سَماحُكَ فاضِحِي

* * *

(١) لو أبصره (ت) .
(٢) بما يولي (ن ، ت ، ج) .

١٣٣

وقال في العميد أبي الحسن علي بن الحسين بن الجسطار :

قُلْ للعَميدِ عَميدِ ٱلْمُلْكِ إِنَّ لَهُ ... عَزْمًا يُؤَمَّلُ لِلدُّنْيا وَلِلدِّينِ
يا خَيْرَ مَنْ شَعَفَ ٱلْحَمْدُ ٱلْجَزِيلُ لَهُ ... قَلْبًا بِغَيْرِ ٱلْمَعالي غَيْرَ مَفْتُونِ
ما بالُ بابِكَ مَفْتُوحًا لِداخِلِهِ [1] ... وَلَسْتُ أَلْقاهُ إِلاَّ مُغْلَقًا دُونِي
إِنِّي أَعُوذُ بِعَطْفٍ مِنْكَ أَعْرِفُهُ ... ما زالَ يَقْتُلُ أَعْدائي [2] وَيُحْيِينِي
مِنْ أَنْ يَكُونَ ٱلَّذي يُدْنِي وَيُبْعِدُهُمْ ... شَيْئًا سِوَى ٱلْحَظِّ يُدْنِيهِمْ وَيُقْصِينِي

* * *

١٣٤

وقال أيضاً يمدحه :

وَكُنْتُ إِذا ما رابَنِي ٱلدَّهْرُ مَرَّةً ... وَقَدْ وَلَدَ ٱلدَّهْرُ ٱلْكِرامَ فَأَنْجَبا
دَعَوْتُ كَرِيمًا فَٱسْتَجابَ لِدَعْوَتي ... أَغَرَّ إِذا ما رادَهُ ٱلظَّنُّ أَخْصَبا
إِذا كُنْتَ راجِي نِعْمَةٍ مِنْ مُؤَمَّلٍ ... فَحَسْبِيَ أَنْ أَرْجُو ٱلْعَمِيدَ ٱلْمُهَذَّبا

---

(١) لسائله (ك) .
(٢) إعدامي (ن ، ت) .

عَسىٰ جُودُهُ ٱلْمَأْمُولُ يَنْتاشُ هالِكاً أَسِيرَ زَمانٍ بِالْخُطُوبِ مُعَذَّبا
أَرىٰ ٱلدَّهْرَ لا يَزْدادُ إِلاّ فَظاظَةً (١) عَلَيَّ وَلا أَزْدادُ إِلاّ تَعَتُّبا
فَكُنْ لِبَنِي ٱلْأَحْرارِ حِصْناً وَمَعْقِلاً إِذا خانَهُمْ صَرْفُ ٱلزَّمانِ وَخَيَّبا
سِواكَ يُعابُ ٱلمادِحُونَ بِنَيْلِهِ وَغَيْرُكَ مَنْ آبىٰ لِجَدْواهُ مَطْلَبا

* * *

١٣٥

وقال يقتضي ناهض الملك أبا الحسن علي بن الزرّاد حاجة :

أَيا ناهِضَ ٱلْمُلْكِ أَيُّ ٱلثَّناءِ يَقُومُ بِشُكْرِكَ أَوْ يَنْهَضُ
وَمَنْ ذا يَراكَ فَيَدْعُو سِوا كَ يَوْماً لِخَطْبٍ إِذا يُرْمِضُ
وَكَيْفَ وَلَمّا تَزَلْ لِلنَّدىٰ مُحِبّاً إِذا كَثُرَ ٱلْمُبْغِضُ
فَتَعْطِفُ إِنْ صَدَّ عَنْهُ ٱللِّئامُ وَتُقْبِلُ بِالْوُدِّ إِنْ أَعْرَضُوا
دَعانِيَ بِشْرُكَ قَبْلَ ٱلنَّوالِ (٢) وَأَثْرىٰ (٣) بِهِ ٱلْأَمَلُ ٱلْمُنْفِضُ (٤)

(١) فظاعةً (ع)، قطاعةً (م، ت) .
(٢) السؤال (ك) .
(٣) فأثرى (ك، ت) .
(٤) المنفض : من فني زاده .

وَأَحْرى ٱلْحَيا أَنْ يُرَوّي ٱلثَّرى حَياً باتَ بارِقُهُ يُومِضُ
وَأَطمَعَني فِي نَداكَ ٱلْجَزِيلِ خَلائِقُ يُشْفى بِها ٱلْمُمْرَضُ
وَوَجْهُكَ وَٱلْفِعْلُ[1] إِذْ يُشْرِقانِ كَأَنَّهُما عِرْضُكَ ٱلْأَبْيَضُ
فَإِمّا وَهَبْتَ فَنِعْمَ ٱلْوَهُوبُ وَإِلّا فَكَٱلْواهِبِ ٱلْمُقْرِضُ[2]

* * *

١٣٦

وقال يهنيه بمولود[3] :

عِشْتَ لِلْمَجْدِ أَطْوَلَ ٱلْأَعْمارِ بالِغاً فيهِ أَفْضَلَ ٱلْإِيثارِ
وَشَفاكَ ٱلْإِلٰهُ مِنْ كُلِّ داءٍ وَوَقاكَ ٱلْمَخُوفَ مِنْ كُلِّ طارِي
يا عَلِيّاً عَنْ كُلِّ ضِدٍّ وَنِدٍّ وَبَرِيّاً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَعارِ
أَنْتَ بَدْرُ ٱلْعُلى فَكَيْفَ وَقَدْ ضُمَّـــتْ إِلَيْهِ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ ٱلدَّرارِي
قَدْ أَتاكَ ٱلْهَناءُ يَرْفُلُ فِي ثَوْ بِ ثَنــاءٍ باقٍ[4] عَلَى ٱلْآثارِ

---

(١) والفضل (ك) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (ك) .
(٣) لم ترد هذه القصيدة في (ي) .
(٤) يبقى (ن) .

بِهِلالٍ كَأَنَّما غُرَّةُ ٱلشَّهْـــرِ بِرُؤْيَاهُ لَيْلَةُ ٱلإِبْدارِ
وَجَوادٍ حازَ ٱلْمَدىٰ وَهْوَ فِي ٱلْمَهْــدِ سَلِيمُ ٱلْخُطىٰ أَمِينُ ٱلْعِثارِ
وَحُسامٍ(١) قَدْ(٢) قُلِّدَ ٱلْمَجْدَ ماضٍ غَيْرِ خالِي ٱلْقِرابِ ماضِي ٱلْغِرارِ
حُزْتَ فِيهِ ٱلْمُنىٰ فَأَطْلَعْتَ مِنْهُ قَمَرَ ٱلْمَجْــدِ فِي سَماءِ ٱلْفَخارِ
فازَ مَنْ فازَ مِنْهُ يَوْمَ تَجَلّىٰ بِجَلاءِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَبْصــارِ
وَأَقَرَّ ٱلْعُيُونَ مِنْهُ بِمَأْمُو لٍ لَهُ ٱلْمَكْرُماتُ دارُ قَرارِ
قَدْ(٣) تَحَلَّتْ بِذِكْرِهِ غُرَّةُ ٱلْمَجْــدِ وَسارَتْ شَوارِدُ ٱلْأَشْعارِ
حَسَرَ ٱلدَّهْرُ عَنْهُ وَٱنْجابَ غَيْمُ ٱلْــغَيْثِ عَنْ كَوْكَبِ ٱلْعَلاءِ ٱلسّارِي
فَتَمَلَّ ٱلْهَناءَ وَٱسْعَدْ بِهِ حِلْــفَ سُرُورٍ صافٍ مِنَ ٱلْأَكْدارِ
وَلَئِنْ خِلْتَهُ صَغِيراً فَما زا لَ صِغارُ ٱلْكِرامِ غَيْرَ صِغارِ
وَٱلْفَتىٰ عِنْدَ قَدْرِهِ وَعُلاهُ وَكِبارُ ٱللِّئامِ غَيْرُ كِبارِ
فَوَقاكَ ٱلْإِلٰهُ فِيهِ وَفِي مَجْــدِكَ ما يُتَّقىٰ مِنَ ٱلْأَقْدارِ

(١) هذا البيت وأربعة أبيات بعده لم ترد إلا في (ك ، ن ، ت)، وخلت منها بقية النسخ .

(٢) ما قلد . . . (ن ، ت) .

(٣) وتحلت . . . (ك ، ن ، ت) .

أَبَداً ما اُسْتَقَلَّ رَكْبٌ وَماجا دَ بِرِيِّ الْبِلادِ صَوْبُ قِطارِ
كَوْكَبٌ تَسْتَنِيرُ حَتَّىٰ تَراهُ قَمَراً باهِراً أَبا[1] أَقْمارِ

* * *

١٣٧

وقال يمدح أبا اليمن سعيد بن علي بن عبد اللطيف التنوخي المعرّي :

سِوايَ لِمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الْمَجْدَ عاشِقُ وَغَيْرِي لِمَنْ لَمْ يَصْطَفِ الْحَمْدَ وامِقُ
عَزَفْتُ عَنِ الْأَحْبابِ غَيْرَ ذَوِي النُّهىٰ فَلَسْتُ بِمُشْتاقٍ وَغَيْرُكَ شائِقُ
أُحِبُّكَ ما حَنَّتْ سَلُوبٌ[2] وَما شَدا طَرُوبٌ وَما تاقَ الْعَشِيّاتِ تائِقُ
وَمالِيَ لا يَقْتادُنِي[3] نَحْوَكَ الْهَوىٰ وَعِنْدِيَ حادٍ مِنْ هَواكَ وَسائِقُ
أَأَثْنِي عِنانِي عَنْكَ أَطْلُبُ مَطْلَباً وَأَتْرُكُ خَيْراً مِنْهُ إِنِّي لَمائِقُ
يُطِيعُ النَّوىٰ مَنْ خافَ فِي أَرْضِهِ الطَّوىٰ وَلَوْلا اُحْتِباسُ الْغَيْثِ ما شِيمَ بارِقُ
أَيا بْنَ عَلِيٍّ إِنْ تَرَدَّيْتَ فَاشْتَمِلْ رِداءَ الْمَعالِي إِنَّهُ بِكَ لائِقُ

---

(١) أبا الأقمار (س ، ظ ، م ، ن ، ع) .
(٢) السَّلُوبُ : من فقدت ولدها .
(٣) لا يعتادني (ك) .

فَأَنْتَ ٱلْحَقِيقُ(١) بِٱلْعَلاءِ وَبِالثَّنا إذا ٱلْحَقُّ يَوْماً أَوْجَبَتْهُ ٱلْحَقائِقُ
لَعَمْرِي لَئِنْ كُنْتُ أُمْرَأً فاتَهُ ٱلْغِنىٰ فَحَسْبِي غِنىً أَنِّي بِجُودِكَ واثِقُ
وَقَدْ عَلِقَتْنِي ٱلنّائِباتُ فَوَيْحَها أَما عَلِمَتْ أَنِّي بِحَبْلِكَ(٢) عالِقُ
أَلَمْ تَدْرِ(٣) أَنِّي مِنْ أَبِي ٱلْيُمْنِ نازِلٌ بِحَيْثُ تَحاماني ٱلْخُطُوبُ ٱلطَّوارِقُ
أَلَمْ يُغْنِنِي بَحْرٌ بِجُودِكَ زاخِرٌ أَلَمْ يَحْمِنِي طَوْدٌ بِعِزِّكَ شاهِقُ
أَلَمْ يَكُ لِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ صارِمٌ لِهامِ ٱلْعِدىٰ وَٱلْفَقْرِ وَٱلدَّهْرِ فالِقُ
لَقَدْ بَرَّحَتْ كَفّاكَ فِي ٱلْجُودِ بِالْحَيا فَلا عاقَها إِلّا عَنِ ٱلْبُخْلِ عائِقُ
سَماؤُكَ مِدْرارٌ وَرِيحُكَ غَضَّةٌ وَعِزُّكَ قَهّارٌ وَمَجْدُكَ باسِقُ
وَما بَرِحَتْ مِنْكَ ٱلْخَلائِقُ(٤) تَعْتَلِي إِلىٰ سُؤْدَدٍ لا تَدَّعِيهِ ٱلْخَلائِقُ
إِذا ما تَنُوخِيٌّ سَما لِفَضِيلَةٍ تَخَلّىٰ مُجارِيهِ وَقَلَّ ٱلْمُرافِقُ
تَوَسَّطْتَ مِنْهُمْ بَيْتَ فَخْرٍ عِمادُهُ صُدُورُ ٱلْقَنا وَٱلْمُرْهَفاتُ ٱلذَّوالِقُ
بَنىٰ أَوَّلٌ مِنْهُمْ(٥) وَشَيَّدَ آخِرٌ إِلىٰ مِثْلِهِ تَسْمُو ٱلْعُيُونُ ٱلرَّوامِقُ

---

(١) حقيق (ك) .
(٢) بحبك (ك ، ن) .
(٣) ألم تر . . . (س ، ظ ، م ، ع) .
(٤) المكارم (ي) .
(٥) منه (ت) .

سَمَتْ بِسَعِيدٍ فِي تَنُوخَ وَغَيْرِهَا ذَوائِبُ مَجْدٍ بِالنُّجُومِ لَوَاصِقُ (١)
بِأَزْهَرَ لَوْ أَلْقَى عَلَى الْبَدْرِ مَسْحَةً بِبَهْجَتِهِ لَمْ يَمْحَقِ الْبَدْرَ ماحِقُ
أَغَرُّ إِذا أَجْرَى الْكِرامُ إِلَى مَدىً شَآهُمْ (٢) جَوادٌ لِلسَّوابِقِ سابِقُ
فَتىً عَطَّرَ الْأَيَّامَ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ (٣) شَذىً تَتَهاداهُ الْأُنُوفُ النَّواشِقُ
وَزِينَتْ (٤) بِهِ الدُّنْيا فَباهَتْ وَطاوَلَتْ مَغارِبُها تِيهاً بِهِ وَالْمَشارِقُ
أَنامِلُهُ لِلْمَكْرُماتِ مَفاتِحٌ عَلَى أَنَّها لِلْحادِثاتِ مَغالِقُ
غَمائِمُ غُرٌّ لَيْسَ تُدْرَى هِباتُها أَهُنَّ سُيُوبٌ (٥) أَمْ سُيُولٌ دَوافِقُ
تَأَلَّى عَلَى الْإِسْرافِ فِي بَذْلِ مالِهِ فَلَمْ يَقْتَصِرْ وَالصَّادِقُ الْعَزْمِ صادِقُ
فَوَاللّٰهِ ما أَدْرِي أَتِلْكَ مَواعِدٌ تَقَدَّمْنَ مِنْ إِحْسانِهِ أَمْ مَواثِقُ
بَقِيتَ لِعَبْدٍ (٦) عائِذٍ بِكَ سَعْدُهُ وَعِشْتَ لِعَيْشٍ خالِدٍ لا يُفارِقُ
وَلا زِلْتَ مَأْمُولاً لِأَيَّامِ عِزِّكَ الْـ ـبَواقِي وَمَأْمُوناً عَلَيْكَ الْبَوائِقُ
نَطَقْتُ بِمَدْحٍ أَنْتَ أَهْلٌ لِخَيْرِهِ وَمِنْ شَرَفِي أَنِّي بِمَدْحِكَ ناطِقُ

(١) عوالق (ك) .
(٢) ثناهم (ك) .
(٣) نشره (ك) .
(٤) وَزُيِّنَتِ الدنيا فباهت وطاولت (ك) .
(٥) سيوفٌ (؟) (ظ ، ك ، ت ، ج) .
(٦) بقيت لعبدٍ سعده بك عائذٌ (ت) .

شَرُفْتُ بِهِ وَالْفَخْرُ فَخْرُكَ مِثْلَ ما تَعطَّرَ مِنْ فَضِّ اللَّطِيمَةِ[١] فاتِقُ
وَلَسْتُ أُبالي عِنْدَ مَنْ باتَ كاسِداً إذا هُوَ أَضْحى وَهْوَ عِنْدَكَ نافِقُ
غَرائِبُ مِنْ أَبْكارِ مَدْحٍ كَأَنَّها كَرائِمُ مِنْ أَزْهارِ نَوْرٍ فَتائِقُ[٢]
تَشُوقُ وَتُصْبي السّامِعِينَ كَأَنَّما بِها يَتَغَنَّى مَعْبَدٌ أَوْ مُخارِقُ[٣]
تَمُرُّ بِأَفْواهِ الرُّواةِ كَأَنَّها مُصَفَّقَةٌ مِنْ خَمْرِ عانَةَ[٤] عاتِقُ
لَقَدْ حَدَقَتْ[٥] بِي مِنْ أَيادِيكَ أَنْعُمٌ فَعِنْدِيَ مِنْ شُكْرِي لَهُنَّ حَدائِقُ
فَإِنْ أَنا لَمْ أُطْلِقْ لِسانِي بِحَمْدِها فَأُمُّ الْعُلى وَالْمَجْدِ مِنِّيَ طالِقُ

* * *

١٣٨

وقال[٦]، يهنيه بولده أبي سالم الميسَّر :

يا حُسْنَهُ قَمَراً وَأَنْتَ سَماؤُهُ أَطْلَعْتَهُ فَجَلا الظَّلامَ ضِياؤُهُ

---

(١) اللطيمة : المسك ونافجته .
(٢) فواتق (ت) .
(٣) معبد : مغن مشهور في زمن بني أمية . ومخارق من مشاهير المغنين في صدر الدولة العباسية .
(٤) بلدة في العراق ، كانت مشهورة بخمرتها .
(٥) أحْدَقَتْ (ك ، ت) .
(٦) لم ترد هذه القصيدة كلها في (ك) .

يا سَعْدَهُ مِنْ قادِمٍ سُرَّ السُّرُو رُ بِهِ وَهُنِّئَ بِالْخُلُودِ هَناؤُهُ
وافاكَ في جَيْشِ الْفَخارِ مُتَوَّجاً بِالْحَمْدِ خَفَّاقاً عَلَيْهِ لِواؤُهُ
قَمَرٌ كَفَى الْأَقْمارَ سَعْداً أَنَّها أَشْباهُهُ في الْمَجْدِ أَوْ أَكْفاؤُهُ
تُمْسِي وَيُصْبِحُ في الْبَقاءِ شَرِيكَها أَبَداً كَما هِيَ في الْعُلَى شُرَكاؤُهُ
كَفَلَتْ عُلاكَ لَهُ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ إِنَّ النَّبِيهَ نَبِيهَةٌ أَبْناؤُهُ
مَنْ كُنْتَ أَنْتَ أَباهُ كانَ لِمَجْدِهِ أَنْ يَسْتَطِيلَ وَأَنْ يُشادَ بِناؤُهُ
تُنْمَى الْفُرُوعُ إِلَى الْأُصُولِ وَخَيْرُها وَأَجَلُّها فَرْعٌ إِلَيْكَ نَماؤُهُ
مَنْ كانَ مِنْ نَجْلِ الْبُدُورِ وَنَجْرِها لَمْ يَعْدُها إِشْراقُهُ وَعَلاؤُهُ
وَلَقَدْ ثَلَثْتَ النَّيِّرَيْنِ بِثالِثٍ لَوْلاكَ أَعْجَزَ ناظِراً نُظَراؤُهُ
لا فَرْقَ بَيْنَهُما يُعَدُّ وَبَيْنَهُ في الْفَضْلِ لَوْلا بَأْسُهُ وَسَخاؤُهُ
مَنْ ذا يَذُمُّ الشَّمْسَ عَمَّ ضِياؤُها أَمْ مَنْ يَعِيبُ الْبَدْرَ تَمَّ بَهاؤُهُ
وَهُما هُما لٰكِنَّ مَنْ لِمُؤَمِّلٍ أَكْدَتْ مَطالِبُهُ وَخابَ رَجاؤُهُ
وَطَرِيدِ خَوْفٍ لا يُحاوَلُ مَنْعُهُ سُدَّتْ مَطالِعُهُ وَعَزَّ نَجاؤُهُ
وَأَسِيرِ دَهْرٍ لا يُرامُ فَكاكُهُ وَقَتِيلِ فَقْرٍ لا يُرَى إِحْياؤُهُ
لَمْ يُعْطِ هٰذا الدَّهْرُ قَطُّ فَضِيلَةً كَنَدَى أَبِي الْيُمْنِ الْجَزِيلِ عَطاؤُهُ
إِنَّ الْكِرامَ لِداءِ كُلِّ مُلِمَّةٍ أَعْيا عَلَى الْفَلَكِ الْعَلِيِّ دَواؤُهُ

ما مَرَّ خَطْبٌ مُمْرِضٌ إلاّ وَفي … أَيْدي بَني عَبْدِ اللَّطيفِ شِفاؤُهُ
إنَّ المُيَسَّرَ وَهْوَ كَوْكَبُ سَعْدِهِمْ … لَيَجِلُّ عَنْ رَأْدِ الضُّحى إمْساؤُهُ
وَلَدٌ إذا فَخَرَتْ بآباءِ العُلى … أَوْلادُها فَخَرَتْ بِهِ آباؤُهُ
مَنْ رامَ مُشْبِهَهُ سِوى أَسْلافِهِ … في المَكْرُماتِ الغُرِّ طالَ عَناؤُهُ
مَلَكَ الجَمالَ فَأَشْرَقَتْ لَأْلاؤُهُ … وَحَبا الجَميلَ فَأَغْرَقَتْ آلاؤُهُ
مِثْلُ الحَيا سَطَعَتْ لَوامِعُ بَرْقِهِ … في أُفْقِهِ وَتَبَجَّسَتْ أَنْواؤُهُ
قُلِّدْتَ مِنْهُ مُهَنَّداً ما سُلَّ إلاّ راقَ رَوْنَقُهُ وَراعَ مَضاؤُهُ
تَسْمو بِأَخْمَصِهِ المَنابِرُ واطِئاً … وَتَتيهُ إنْ رُقِيَتْ بِها(١) خُطَباؤُهُ
وَيَجِلُّ قَدْرَ المَدْحِ عاطِرُ مَدْحِهِ … وَيَطُولُ عَنْ حُسْنِ الثَّناءِ ثَناؤُهُ
وَكَأَنَّما أَخْلاقُهُ أَعْراقُهُ … وَكَأَنَّما أَفْعالُهُ أَسْماؤُهُ
جارى الأُصُولَ فَجَدُّهُ مِنْ جَدِّهِ … في النّائِباتِ وَمِنْ أَبيهِ إباؤُهُ
فَتَهَنَّهُ وَتَمَلَّ عَيْشَكَ لابِساً … فَضْفاضَ عَيْشٍ لا يَضيقُ فَضاؤُهُ
وَتَهَنَّ(٢) إخْوَتَهُ الَّذينَ وُرُودُهُمْ … دَيْنٌ عَلَى الأَيّامِ حَلَّ قَضاؤُهُ

(١) به (ت) .
(٢) لم يرد هذا البيت في (س ، ظ ، م ، ع ، ج) .

حَتَّىٰ تَرَاهُمْ مِنْ تَنُوخٍ أُسْرَةً (١) كَرُمَ الزَّمانُ بِأَنَّهُمْ كُرَماؤُهُ
وَٱسْتَعْلِ وَٱبْقَ فَما لِراجٍ مُنْيَةٌ إلاَّ بَقاؤُكَ لِلْعُلَىٰ وَبَقاؤُهُ
إنِّي هَجَرْتُ ٱلْعالَمِينَ إلىٰ ٱلَّذِي هَجَرَ ٱلْغَبِيَّ (٢) إلىٰ ٱلأَبِيِّ صَفاؤُهُ
شُكْراً وَكَيْفَ جُحُودُ فَضْلِ مُؤَمَّلٍ شَهِدَتْ بِباهِرِ فَضْلِهِ أَعْداؤُهُ
لا يُصْلِتُ ٱلْبَطَلُ ٱلْمُقارِعُ سَيْفَهُ إلاَّ إذا ما ٱلرُّمْحُ قَلَّ غَناؤُهُ

* * *

١٣٩

وقال يمدحه أيضاً (٣) :

ما عَلَى فَضْلِكَ ذا مِنْ مُفْضِلِ يا أَبا ٱلْيُمْنِ سَعِيدَ بْنَ عَلِي
مَنْ يَكُنْ مِثْلَكَ فِي ٱلْجُودِ يَكُنْ غايَةَ ٱلضَّارِبِ عِنْدَ ٱلْمَثَلِ
أَنْتَ بَدْرُ ٱلتِّمِّ فِي ٱلسَّعْدِ إذا ذُكِرَ ٱلسَّعْدُ وَشَمْسُ ٱلْحَمَلِ (٤)
مِثْلَ ما كُنِّيتَ أَوْ سُمِّيتَ لا زِلْتَ مَحْرُوسَ ٱلْعُلَىٰ وَٱلأَجَلِ

(١) إخوةٌ (ظ ، ج) .
(٢) الغني (س ، ت ، ع) .
(٣) لم ترد هذه القطعة في (ك) .
(٤) برج تحله الشمس في الربيع .

فَأْبقَ وَاْسلَمْ وَاْسمُ وَاْسعدْ أَبداً وَاْعْلُ وَاْفخَرْ وَاْعْدُ وَاْقْهرْ وَطُلِ
ما هَمىٰ غيثٌ حَكىٰ برَّكَ بي وَصفا عيشٌ حَكىٰ وُدَّكَ لِي

* * *

١٤٠

وقال أيضاً فيه. وقد حضر في مجلسه منثور وورد في وقت واحد :

أَيا ما أَحْسَنَ ٱلْمَنْثُو رَ مَنْظُوماً وَمَنْثُورا
وَمــا أَطْيبهُ نَشْراً وَما أَشْرَقَهُ نُورا
وَيا لِلْوَرْدِ ما أَبْها هُ مَنْظُوراً وَمَخْبُورا
يَقلُّ[(١)] ٱلْمِسْكُ مَفْتُوقاً لَهُ وَٱلرَّوْضُ مَمْطُورا
كَأَنَّ عَوارِضاً غُرّاً بِهِ أَوْ أَعْيُناً حُورا
تَراهُ كَأَنَّما أَهْدىٰ أَكُفّاً لَمْ تَزِرْ زُورا
عَذارىٰ غُلْنَ[(٢)] أَيْدِيَهُــنَّ تَخْتِيماً وَتَسْوِيرا
قَصَرْنا عِنْدَهُ عَيْشاً عَلَى ٱللَّذّاتِ مَقْصُورا

---

(١) يعل (ي) .
(٢) علن (ن ، ت) .

سُرُوراً وَٱلْفَتى مَنْ صا حَبَ ٱلْأَيّامَ مَسْرُورا
كَأَنّا بِأَبي ٱلْيُمْنِ صَحِبْنا ٱلْعُمْرَ(١) مَعْمُورا
صَفاءً ما نَرىٰ فيهِ مَدى ٱلْأَيّامِ تَكْديرا

* * *

١٤١

وقال فيه، وقد مرض أبو عبد الله(٢) :

مَوْلايَ تَصْبِرُ عَنْ أَديبِكْ حَقّاً وَتُعْرِضُ عَنْ حَبيبِكْ
أَوَ ما نِصابُكَ مِنْ عَلِـــيٍّ وَٱلْعُلىٰ أَدْنى نَصيبِكْ
أَوَ ما ضَرَبْتَ فَهَلْ قَدَرْ تَ عَلَى شَبيهِكَ أَوْ ضَريبِكْ
مَنْ(٣) مِثْلُ شاعِرِكَ ٱلَّذيـ ـيَبْهَرُ ٱلْبَرِيَّةَ أَوْ خَطيبِكْ
يُهْديـ ـإِلَيْكَ مَحاسِناً تَدَعُ ٱلْمَحاسِنَ مِنْ عُيُوبِكْ
نَفَحاتِ مَدْحٍ لَمْ تَزَلْ تُغْنيكَ عَنْ نَفَحاتِ طيبِكْ
أَمّا دِمَشْقُ فَقَدْ حَوَتْ قَمَراً تَطَلَّعَ مِنْ جُيُوبِكْ

---

(١) الدهر (ت) .
(٢) هو ابن الخياط صاحب الديوان .
(٣) سقط هذا البيت من (ت) .

لَوْلا طُلُوعُكَ لَمْ تُنِرْ ... فَاللّٰهُ يُؤْمِنُ مِنْ مَغِيبِكْ
لِلّٰهِ رَوْحُ صَبَاكَ كَمْ ... تَرِدُ ٱلْمُنَى وَنَدَى جَنُوبِكْ
كَمْ تَكْتُمُ ٱلنُّعْمَى وَمَا ... يَنْفَكُّ جُودُكَ أَنْ يَشِي بِكْ

* * *

١٤٢

وقال فيه أيضاً :

طَرِبْتُ وما كانَ ذاكَ ٱلطَّرَبْ ... إلى دَعَجٍ في ٱلْمَهَا أَوْ شَنَبْ
وَلٰكِنْ إلى كُلِّ ماضِي ٱلْجَنَا ... نِ سَبْطِ ٱلْبَنَانِ كَرِيمِ ٱلْحَسَبْ
كَمِثْلِ أَبِي ٱلْيُمْنِ فِي ٱلْعَالَمِينَ ... وَهَلْ مِثْلُ نائِلِهِ فِي ٱلسُّحُبْ
إذا كُنْتَ جاراً لِجارٍ لَهُ ... فَكَيْفَ تَخافُ صُرُوفَ ٱلنُّوَبْ
يَطُولُ بِأَطْوَلِ أَصْلٍ وَفَرْعٍ ... وَيَنْمى إلى خَيْرِ جَدٍّ وَأَبْ
يَدُلُّ عَلَيْهِمْ وَهَلْ لِلْهِلا ... لِ مَعْدًى عَنِ ٱلْبَدْرِ إمّا ٱنْتَسَبْ
يَرَى ٱلْمَجْدَ أَفْضَلَ ما يَقْتَنِيهِ ... وَٱلْحَمْدَ أَشْرَفَ ما يُكْتَسَبْ
شَرِيفُ ٱلْمَرامِ مُنِيفُ ٱلْمَقامِ ... غَرِيبُ ٱلنَّدَى وَٱلنُّهَى وَٱلْأَدَبْ
فَتًى بِٱلْعُلَى أَبَداً مُغْرَمٌ ... وَبِٱلْجُودِ مُغْرًى وَبِٱلْمَجْدِ صَبْ
تَعَوَّدَ بِٱلْجُودِ صَرْفَ ٱلْمُهِمِّ ... وَدَفْعَ ٱلْمُلِمِّ وَكَشْفَ ٱلْكُرَبْ

* * *

١٤٣

وقال فيه أيضاً :

كَمْ تَوالَتْ يا سَعِيدُ بْنَ عَلِي لَكَ عِنْدِي مِنْ أَيادٍ هُطُلِ
بادِئــاتٍ عائِداتٍ أَبَداً لا تَرى ٱلْوَسْمِيَّ(١) إِلاَّ بِٱلْوَلِي
كُلَّما وافَتْ يَدٌ بَعْدَ يَدٍ هَوَّنَ ٱلْآخِرُ قَدْرَ ٱلْأَوَّلِ
كَرَمٌ يَضْعُفُ شُكْرِي عِنْدَهُ وَنَدىً يَقْصُرُ عَنْهُ أَمَــلِي
وَسَجايا لَوْ عَدَتْ أَخْلاقَــهُ لَمْ تَجِدْها فِي ٱلْغَمامِ ٱلْمُسْبِلِ
شامِلُ ٱلْفَضْلِ غَرِيبُ ٱلْحِلْمِ لا يَنْظُرُ ٱلْعَلْياءَ إِلاَّ مِنْ عَلِ

* * *

١٤٤

وقال فيه أيضاً :

أَمَدَّ ٱللهُ ظِلَّكَ يا سَعِيدُ عَلَيَّ فَإِنَّهُ ٱلظِّلُّ ٱلْمَدِيدُ
وَعِشْتَ تُصاحِبُ ٱلدُّنْيا خُلُوداً وَتَصْحَبُكَ ٱلْأَيامِنُ وَٱلسُّعُودُ
إِذا ما كانَ مِثْلُكَ لِي مُجِيراً وَمِثْلُكَ لا يَجُودُ بِهِ ٱلْوُجُودُ
فَإِنَّ بَعِيدَ ما أَرْجُو قَرِيبٌ وَإِنَّ قَرِيبَ ما أَخْشى بَعِيدُ

---

(١) الوسميّ : أول مطر الربيع ، والوليّ : المطر بعد المطر .

عَلَوْتَ بَنِي ٱلْوَرَى كَرَماً وَجُوداً وَحَسْبُكَ مِنْ عُلىً كَرَمٌ وَجُودُ
نَمَاكَ أَبٌ نَمَاهُ خَيْرُ جَدٍّ كَذا ٱلآباءُ [1] تَنْمِيها ٱلْجُدُودُ
هُمُ بَدَءُوا ٱلْعُلىٰ فَسَمَوْا عُلُوّاً [2] وَأَنْتَ لِخَيْرِ ما بَدَءُوا مُعِيدُ
وَما جُحِدَتْ مَحاسِنُ فَخْرِ قَوْمٍ خَلائِقُكَ ٱلْحِسانُ بِها شُهُودُ
وَلَوْ سَجَدَ ٱلْوَرَى لِأَبَرِّ خَلْقٍ يَداً وَنَدىً لَحُقَّ لَكَ ٱلسُّجُودُ
وَسُدْتَ—فَما أَحَقَّ بِكُلِّ مَجْدٍ— سِواكَ إِذا تَفَرَّدَ مَنْ يَسُودُ

* * *

١٤٥

وقال يشكو حاله إليه [3] :

كُنْتُ أَدْعُوكَ فِي مُداواةِ حالِي بِنَداكَ ٱلْفَيّاضِ مِنْ كُلِّ سُقْمِ
وَقَدِ ٱعْتَلَّ بَعْدُ جِسْمِي فَما عِنْـ ـدَ أَيادِيكَ مِنْ مُداواةِ جِسْمِي
وَإِذا كُنْتَ لِي عَلَى ٱلدَّهْرِ عَوْناً فَمُحالٌ أَنْ يُمْكِنُ ٱلدَّهْرَ ظُلْمِي

* * *

(١) الأبناء (ن)
(٢) مَحَلّاً (ت) .
(٣) لم ترد هذه الأبيات في (ك) .

١٤٦

وقال، يداعبه ويقتضيه فوطة يلبسها مع ثوب كان وصله به :

يَا ٱبْنَ عَلِيٍّ ما أُضِيعتْ(١) عُلًى أَمْسَتْ(٢) بِتَأْيِيدِكَ مَضْبُوطَهْ
مَنْ كانَ مَغْبُوطاً بِإِدْراكِها فَهْيَ بِإِدْراكِكَ مَغْبُوطَهْ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَيْسَتْ بِمَجْحُودَةٍ وَنِعْمَةٍ لَيْسَتْ بِمَغْمُوطَهْ
حُزْتَ بِها شُكْرِي وَدَلَّتْ عَلَى مَحَبَّةٍ بِالنَّفْسِ مَخْلُوطَهْ
وَالْماجِدُ الْمِفْضالُ لا يَأْمَنُ الْــمالُ غَداةَ الْجُودِ تَفْرِيطَهْ
قَدْ وَصَلَ الثَّوْبُ وَلا(٣) عُذْرَ لي أَنْ أَلْبَسَ الثَّوْبَ بِلا فُوطَهْ
لا سِيَّما وَهْيَ بِحُكْمِ النَّدَى في عَقْدِ مِيعادِكَ(٤) مَشْرُوطَهْ
كَيْفَ وَأَخْلاقُكَ مَرْضِيَّةٌ أَصْحَبُها(٥) وَالْحالُ مَسْخُوطَهْ
لا قَبَضَ الدَّهْرُ يَدِي عَنْ غِنًى وَهْيَ إِلى جُودِكَ مَبْسُوطَهْ(٦)

* * *

(١) ما أُصيبت (ت) .
(٢) كانت (س) .
(٣) فلا (ج) .
(٤) ميثاقك (ج) .
(٥) أصحابها (م) .
(٦) مضبوطة (ن) .

١٤٧

وقال يهنئه بالعيد :

أَيَّامُ دَهْرِكَ كُلُّها أَعْيادُ أَبداً عَلَيْكَ بِما تَشاءُ تُعادُ
لا يَدْعُوَنَّكَ بِالْجَوادِ مُقَصِّرٌ وَأَقَلُّ حَقِّكَ أَنْ يُقالَ جَوادُ
وَلَئِنْ غَدَوْتَ الْفَرْدَ في نَيْلِ[1] الْعُلَى وَالْمَجْدِ فَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ فُرادُ[2]
وَأَما[3] وَجُودِكَ يا سَعِيدُ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ لِكُلِّ مُؤَمِّلٍ وَعَتادُ
لَقَدِ اسْتَفادَ بِكَ الزَّمانُ فَضِيلَةً ماخالَها أَبَدَ الزَّمانِ تُفادُ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ قَدْ وَسَمْتَ بِعَهْدِها جُوداً كَما وَسَمَ الرِّياضَ عِهادُ
أَوْلَيْتَنِي نِعَماً أَقَلُّ ثَنائِها يَدْنِي وَبَيْنَ الْفِكْرِ فِيهِ جِهادُ
كَلَّفْتَنِي بِنَداكَ عَدَّ مَناقِبٍ يَفْنَى الثَّناءُ[4] وَما لَهُنَّ نَفادُ
فَبِعَطْفِكَ الْإِنْجاءُ وَالْإِنْجادُ لِي وَبِكَفِّكَ الْإِسْعافُ وَالْإِسْعادُ

(١) ميل (ظ ، ي ، م ، ع ، ج) .
(٢) يريد بـ (فُرادُ) أنه فرد . ووجه الصواب في استعمالها أن يقال: (جاءوا فُرادَ وفُراداً وفُرادَى وفَرْدى ، أي واحداً بعد واحد) ، وليس كما استعملها .
(٣) أمّا وجودك ... (ن) .
(٤) الزمان (ت) .

لا زالَ رَبْعُكَ لِلْمطالِبِ مَرْبعاً ... يَحْيىٰ بِهِ ٱلْوُرّادُ وَٱلرُّوّادُ
وَبَقِيتَ ما بَقِيَ ٱلرَّجاءُ فَإِنَّهُ ... جِسْمٌ وَنائِلُكَ ٱلْجَزِيلُ فُؤادُ

* * *

١٤٨

وقال فيه أيضاً :

أَقُولُ لِدَهْرٍ ضامَنِي بَعْدَ عِزَّةٍ ... بِما فَلَّ مِنْ حَدِّي وَما هَدَّ مِنْ رُكْنِي
أَيا دَهْرُ إِنْ حَمَّلْتَنِي وَيْكَ مِنَّةً ... لِمُولِي جَمِيلٍ فَلْتَكُنْ لِأَبِي ٱلْيُمْنِ
فَلَسْتُ بِداعٍ غَيْرَهُ عِنْدَ كُرْبَةٍ ... إِذا لَمْ يُفَرِّجْها فَلا فُرِّجَتْ عَنِّي
كَفىٰ بِسَعِيدٍ فِي ٱلنَّوائِبِ مُسْعِداً ... سَيَبْلُغُ مِنْها فَوْقَ ما بَلَغَتْ مِنِّي
فَتىً لَيْسَ كَالْمُزْنِ ٱلْهَطُولِ بَنانُهُ (١) ... وَلٰكِنَّهُ أَنْدىٰ بَناناً مِنَ ٱلْمُزْنِ

* * *

١٤٩

وقال فيه أيضاً (٢) :

ما لِأَبِي ٱلْيُمْنِ عَلَيْنا يَدٌ ... لٰكِنْ أَيادِينا جَمِيعاً عَلَيْهْ

(١) في جميع النسخ (رَبابُهُ) إلا في (ك) .
(٢) لم ترد هذه الأبيات في (س) .

لِأَنَّهُ يَعْتَدُّ إِسْدَاءَهُ الْـجَمِيلَ إِسْدَاءَ جَمِيلٍ إِلَيْهْ
كَأَنَّمَا نُعْطِيهِ مِنْ جُودِ أَيْـدِينَا الَّذِي نَأْخُذُهُ مِنْ يَدَيْهْ

. . .

١٥٠

وقال فيه أيضاً :

أَمَّا أَبُو الْيُمْنِ فَلْتَفْخَرْ بِهِ الْيَمَنُ وَالْفَخْرُ وَالدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ
فَاقَ الْأَنَامَ عَلَاءً وَالْكِرَامَ نَدًى وَلَيْسَ مُسْتَنْكَراً أَنْ يَحْسُنَ الْحَسَنُ
أَغَرُّ أَزْهَرُ فَيَّاضٌ لَهُ مِنَنٌ(١) لَا تَسْتَقِلُّ بِأَدْنَى شُكْرِهَا الْمُنَنُ(٢)
تَغَرَّبَ الْجُودُ حَتَّى حَلَّ(٣) فِي يَدِهِ فَلَيْسَ لِلْجُودِ إِلَّا كَفُّهُ وَطَنُ

. . .

١٥١

وقال فيه أيضاً :

أَخْلَاقُهُ أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ وَكَفُّهُ أَنْدَى مِنَ الْمُزْنِ

(١) المِنَنُ : جمع مِنَّة ، وهي اسم مِن مَنَّ عليه أي أنعم .
(٢) المُنَن : جمع مُنَّة ، وهي القوة .
(٣) صار في يده (ك ، ت) .

إذا وَصَفْنـاهُ وَلَمْ نُسْمِهِ   قالَ ٱلْوَرى ذاكَ أَبُو ٱلْيُمْنِ
ذاكَ ٱلَّذي لَوْ لَمْ نَبُحْ بِاسْمِهِ   لَمْ يَجْهَلِ ٱلْعالَمُ مَنْ(١) نَعْني

* * *

١٥٢

وقال بديهاً في مجلسه، يمدحه ويهنيه بفطام ولده أبي سالم المبسَّر، وقد اقتضاه أن يعمل في ذلك أبياتاً:

رَأَيْتُكَ تَقْتَضي شُكْرَ ٱلرِّجالِ   وَلَسْتَ(٢) بِمُقْتَضٍ بَذْلَ ٱلنَّوالِ
غَرامًا بِٱلْمَحامِدِ وَٱلْمَساعي   وَوَجْداً بِٱلْمَكارِمِ وَٱلْمَعالي
وَلَسْتَ بِعاطِلٍ مِنْ حَلْيِ حَمْدٍ   وَكُلُّ مُؤَمِّلٍ بِنَداكَ حالِ
وَلَيْسَ ٱلشُّكْرُ بَعْدَ ٱلْجُودِ إِلاّ   أَسيرَ ٱلْجُودِ مِنْ قَبْلِ ٱلسُّؤالِ
عَلَوْتَ عَنِ ٱلثَّناءِ وَأَيُّ خِرْقٍ(٣)   سِواكَ عَنِ ٱلثَّناءِ ٱلْمَحْضِ عالِ
وَأَيْنَ ٱلشُّكْرُ مِنْ هٰذي ٱلْعَطايا   وَأَيْنَ ٱلْحَمْدُ مِنْ هٰذا ٱلْجَلالِ
سَلا ٱلْعُذْرِيُّ(٤) عَمَّنْ باتَ يَهْوى   وَلَسْتَ عَنِ ٱلنَّدى يَوْمًا بِسالِ

(١) ما نعني (س).
(٢) وليس بمقتض (س، ت).
(٣) الخرق: الفتى الحسن الكريم الخليقة. وفي (ت): وأي خَلْقٍ.
(٤) لعله يريد بالعذري جميل بثينة العذري، وهو من أشهر الشعراء العشاق.

بَقيتَ مُمَلأً غَفَلاتِ عَيْشٍ نَميرِ ٱلْوِرْدِ مَمْدودِ ٱلظِّلالِ
تُعَمَّرُ وَٱلْمُيَسَّرَ فِيهِ عُمْراً جَديداً ثَوْبُهُ وَٱلدَّهْرُ بالِ
تُسَرُّ بِهِ وَتَمْنَحُهُ أَمينَ ٱلْفِطامِ حَميدَ عاقِبَةِ ٱلْفِصالِ
بِيُمْنِكَ يا أَبا ٱلْيُمْنِ ٱسْتَطَلْنا إِلىٰ ٱلْعَلْياءِ مِنْ كَرَمِ ٱلْخِلالِ
سَعيداً يا سَعيدُ تَفُوزُ مِنْهُ بِأَيّامٍ كَأَيّامِ ٱلْوِصالِ
لَقَدْ شَرُفَتْ بِكَ ٱلدُّنْيا وَطالَتْ بِكَ ٱلأَيّامُ فَخْراً وَٱللَّيالي
فَعِشْتَ (١) بِها تُسَرْبَلُ مِنْكَ فَخْراً وَتَلْبَسُ مِنْكَ أَثْوابَ ٱلْجَمالِ

* * *

١٥٣

وكتب إلى العميد (٢) شرف الدين أبي يعلى حمزة بن أسد، في أمر عرض له :

---

(١) بقيت لها تسربل . . . (ت) .

(٢) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي المعروف بابن القلانسي العميد ؛ كانت له عناية بالحديث، وكان أديباً له خط حسن ونثر ونظم، وصنّف تاريخاً للحوادث بعد سنة أربعين وأربعماية إلى حين وفاته (وهو المعروف بذيل تاريخ دمشق)، وتولى رياسة دمشق مرتين، وتوفي سنة خمس وخمسين وخمسماية، ودفن في جبل قاسيون (تهذيب ابن عساكر ج ٤ ص ٤٣٩) .

دَعَتْنِي حاجَةٌ فَبعَثْتُ وَفْداً حَقِيقاً بِالْمَطالِبِ أَنْ يَعُودا
ثَناءً لا يَزُورُ[1] الدَّهْرَ إلاّ مَلِيكاً قاهِراً وَأَخاً وَدُودا
وَلَوْ أَنِّي أَشاءُ هَزَزْتُ قَوْماً وَلٰكِنِّي أَراكَ أَغَضَّ عُودا

* * *

١٥٤

وكتب إليه، وقد عاده في مرضه :

قَدْ عُدْتَنِي فَشَفَيْتَ مِنْ سَقَمِي وَحَمَيْتَ إذْ أَلْمَمْتَ مِنْ أَلَمِي
وَوَسَمْتَ مَغْنايَ الْجَدِيبَ فَقَدْ أَثْرىٰ بِمَوْطِئِ ذٰلِكَ الْقَدَمِ
وَمَواطِئُ الْأَقْدامِ حَيْثُ خَطا الْـكُرَماءُ مِثْلُ مَواقِعِ الدِّيَمِ
وَعِيادَتِي فِي الْحالِ تُوجِبُها أَبَداً عَلَيْكَ سَجِيَّةُ الْكَرَمِ[2]
إنْ لَمْ يَعُدْ حالِي نَداكَ إذاً فَبِمَ الشِّفاءُ لَهَا مِنَ الْعَدَمِ

* * *

(١) لا يزال (ن) .
(٢) محبة الكرم (س) .

١٥٥

وكتب إلى ولده مجد الكتاب[١] أبي الفتح نصر الله بن حمزة بن أسد، في آخر رقعة، يستشفعه في رسم كان له على والده :

أمّا[٢] ٱلزَّمانُ فَلَمْ يَزَلْ يُنْحِي أَبَداً عَلَيَّ بِمُؤْلِمِ ٱلْجُرْحِ
فَلَئِنْ نَوائِبُهُ سَمَحْنَ عَلَى ما كانَ مِنْهُ بِماجِدٍ سَمْحِ
فَلأَثْنِيَنَّ عَلى يَدٍ فَتَحَتْ بابَ ٱلرَّجاءِ إِلىٰ أَبِي ٱلْفَتْحِ

* * *

(١) أبو الفتح نصر الله بن أسد بن علي التميمي الكاتب، ولد في سنة سبع وتسعين وأربعماية، وتأدب على توفيق بن محمد، وكان يكتب خطاً حسناً، وينظم شعراً صالحاً، وكتب في ديوان الانشاء، وتوفي في أول المحرم سنة إحدى وثلاثين وخمسماية، في حياة والده العميد أبي يعلى ابن القلانسي الكاتب (ابن عساكر مخطوط) .

(٢) محل هذه الأبيات في (ك) آخر قطعة في الديوان .

١٥٦

وقال يمدح العميد[1] (أبا يعلى حمزة بن أسد)، وكتب بها إليه في مرضته التي توفي فيها سنة ٥١٧[2] :

عَسىٰ باخِلٌ بِلِقاءٍ يَجُودُ ... عَسىٰ ما مَضىٰ مِنْ تَدانٍ يَعُودُ
عَسىٰ مَوْقِفٌ أَنْشُدُ ٱلْقَلْبَ فِيهِ ... فَيُوجَدَ ذاكَ ٱلْفُؤادُ ٱلْفَقِيدُ
عَناءٌ سَهِرْتُ إِلىٰ هاجِدٍ ... وَأَيْنَ مِنَ ٱلسّاهِرِينَ ٱلْهُجُودُ
إِذا طالَ عَهْدُكَ بِٱلنّازِحِينَ ... تَغَيَّرَ وُدٌّ وَحالَتْ عُهُودُ
أَأَحْمِلُ يا هَجْرُ جَوْرَ ٱلْبِعادِ ... وَجَوْرَكَ إِنّي إِذاً لَلْجَلِيدُ
أَيا كَمَدِي ٱللَّيالِي ٱنْقِضاءٌ ... أَيا كَبِدِي ٱلنّارِي خُمُودُ
مَرِضْتُ فَهَلْ مِنْ شِفاءٍ يُصابُ ... وَهَيْهاتَ وَٱلدّاءُ طَرْفٌ وَجِيدُ

---

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٣٢٢).

(٢) . . . ذكر القيسراني أنه عملها قبل ذلك، (ن)، . . . وكان كثير الإلمام به، وقد كانت هذه القصيدة نجزت قبل ذلك، وتأخر إنشادها لعوائق حالت دون ذلك، وهي من أحسن قوله (ت)، . . . على يدي محظي، وقد كانت هذه القصيدة نجزت قبل ذلك بمدة، وإنما تأخر إنشادها لعوائق حالت دون ذلك، وهي من أشف كلامه وأعذبه وأرقه وأحلاه في سنة ٥١٧ (ي) .

وَيا حبَّذا مرضي لَوْ يَكُو ... نُ مُمْرِضيَ ٱلْيَوْمَ فيمَنْ يَعُودُ
أَيا غُرْمَ ما أَتْلَفَتْ مُقْلَتاهُ ... وَقَدْ يَحْمِلُ ٱلثَّأْرَ مَنْ لا يُقِيدُ
وَمَنِّيَ ٱلْوِصالَ فَأَهْدى ٱلصُّدُودَ ... وَما وَعْدُ ذي ٱلْخُلْفِ إِلاَّ وَعِيدُ
خَلِيلَيَّ إِنْ خانَ خِلٌّ أَلا(١) ... حَلِيفٌ عَلى هَجْرِهِ أَوْ عَقِيدُ
وَهَلْ إِنْ وَفى لي بِعَهْدِ ٱلْوِصالِ ... أَيَنْقُصُ هٰذا ٱلْجَوى أَمْ يَزِيدُ
وَيا قَلْبُ إِنْ أَخْلَقَ ٱلْوَجْدُ مِنْكَ ... فَأَنّى لِيَ ٱلْيَوْمَ قَلْبٌ جَدِيدُ
إِلامَ تَحُومُ حِيامَ ٱلْعِطاشِ ... إِذا مَوْرِدٌ عَنَّ عَزَّ ٱلْوُرُودُ
تَمَنّى زَرُودَ(٢) وَلَمْ تَحْتَرِقْ ... بِنارِ ٱلصَّبابَةِ لَوْلا زَرُودُ
وَتُمْسي تَهِيمُ بِماءِ ٱلْغُوَيْرِ(٣) ... وَقَدْ ذادَ عَنْ وِرْدِهِ مَنْ يَذُودُ
إِذا ٱلرِّيُّ جاوَزَ أَيْدِي ٱلْكِرامِ ... فَلا ساغَ لي مِنْهُ عَذْبٌ بَرُودُ
فَأَنْقَعُ مِنْ وِرْدِهِ ذا ٱلصَّدى ... وَأَنْفَعُ مِنْ بَرْدِهِ ذا ٱلْوُقُودُ
وَماذا تُرِيدُ مِنَ ٱلْباخِلِينَ ... إِذا لَمْ تَجِدْ(٤) عِنْدَهُمْ ما تُرِيدُ
أَتَأْمُلُ إِسْعادَ قَوْمٍ إِذا ... كُفِيتَ أَذاهُمْ فَأَنْتَ ٱلسَّعِيدُ

(١) في الأصول : إلى ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) زرود : موضع على طريق الحاج من الكوفة .
(٣) الغوير : ماء في ناحية السماوة .
(٤) إذا لم تنل (ي) .

عَمِرْتُ[1] أَرُوضُ خُطُوبَ الزَّما ... نِ لَوْ أَنَّ جامِحَها يَسْتَقِيدُ
وَما كانَ أَجْدَرَنِي بِالْعَلا ... ءِ[2] لَوْ قَدْ تَنَبَّهَ حَظٌّ رَقُودُ
وَمَنْ لِي بِيَوْمٍ أَبِيِّ الْمَقامِ ... تُقامُ عَلَى الدَّهْرِ فِيهِ الْحُدُودُ
سَلا الْخَلْقُ جَمْعاً عَنِ الْمَكْرُماتِ ... وَأَمّا الْعَمِيدُ فَصَبٌّ عَمِيدُ
غَذاهُ هَواها وَلِيداً فَلَيْـ ... ـسَ يَسْلُوهُ حَتَّى يَشِيبَ الْوَلِيدُ
يُعَنِّيهِ[3] وَجْدٌ بِها غالِبٌ ... وَيُصْبِيهِ شَوْقٌ إِلَيْها شَدِيدُ
عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَخُنْهُ النَّوَى ... وَلَمْ يَدْرِ فِي حُبِّها ما الصُّدُودُ
فَتًى لَمْ يَفُتْهُ الثَّناءُ الْجَمِيلُ ... وَلَمْ يَعْدُ فِيهِ الْمَحَلُّ الْمَجِيدُ
وَلَمْ يَنْبُ عَنْهُ رَجاءٌ شَرِيفٌ ... وَلَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَقامٌ حَمِيدُ
سَما لِلْعُلَى وَدَنا لِلنَّدَى ... وَذُو الْفَضْلِ يَقْرُبُ وَهْوَ الْبَعِيدُ
مِنَ الْقَوْمِ سادُوا وَجادُوا وَقَلَّ ... لَهُمْ أَنْ يَسُودُوا الْوَرَى أَوْ يَجُودُوا
بَنِي أَسَدٍ إِنَّمـا أَنْتُمُ ... بُدُورٌ[4] عَلاءٍ نَمَتْها أُسُودُ[5]

(١) عَمِرَ يَعْمَرُ عَمْراً : عاش زماناً طويلاً .
(٢) بالعطاء (ي) .
(٣) يغنيه (م ، ن) ، والبيت لم يرد في (ك) .
(٤) بدور علي عمتها أسود (ك) .
(٥) أيود (؟) (ج) .

أَلَيسَ لَكُمْ ما بَنَى الكامِلُ الـ ـأَمِينُ عُلُوّاً وَشادَ السَّدِيدُ
سَماءُ عُلىً قمراها لكُمْ وَمِنْكُمْ كَواكِبُها وَالسُّعُودُ
لَنا(١) مِنْ ذُرًى(٢) العِزِّ طَوْدٌ أَشَمُّ وَمِنْ رَغَدِ العَيْشِ رَوْضٌ مَجُودُ
فَما المَحْلُ — كَالفَقْرِ — إِلاّ قَتِيلٌ وَما(٣) الخَوْفُ كَالجَوْرِ إِلاّ طَرِيدُ
كَأَنّا سَقانا(٤) بِنُعْماهُ أَوْ حَمانا بِظِلٍّ عُلاهُ العَمِيدُ
فَتىً لَمْ تَزَلْ عاقِراً فِي ذَرا هُ أُمُّ الحَوادِثِ وَهْيَ الوَلُودُ
يُظَفَّرُ فِي ظِلِّهِ الخائِبُونَ وَتَنْهَضُ بِالعاثِرِينَ الجُدُودُ
إِذا نَحْنُ عُذْنا وَلُذْنا بِهِ فَمَنْ(٥) ذا نَشِيمُ وَمَنْ ذا نَرُودُ
كَسا الفَخْرَ وَالدَّهْرَ وَالعالَمِيـ ـنَ فَخْراً بِهِ أَبَداً لا يَبِيدُ
فَلا يَدْعُهُ زَيْنَ(٦) كُتّابِهِ حَسُودٌ يُصادِيهِ خابَ الحَسُودُ

---

(١) لكم (ت) .
(٢) ذُرًى : جمع ذروة وهي أعلى الشيء . وفي (ك) ذَرا : وهو فِناء الدار .
(٣) ولا الخوف . . . (ظ) .
(٤) شفانا (ت) .
(٥) في جميع النسخ (فمن ذا يشيم ومن ذا يرود) إلا في (ت) التي رجحنا روايتها .
(٦) زين الكتّاب : من ألقاب الممدوح .

فَما خَصَّهُمْ ما يَعُمُّ ٱلْأَنامَ ... وَلا جَهِلُوا ما أَرادَ ٱلْمُرِيدُ
وَإِنْ غَرَسُوا غَرْسَهُ فِي ٱلْكِرامِ ... فَما كُلُّ عُودٍ(١) وَإِنْ طابَ عُودُ(١)
مِنَ ٱلْكاظِمِي ٱلْغَيْظِ وَٱلْمُحْسِنِينَ ... إِذا بَرَّحَتْ بِالصُّدُورِ ٱلْحُقُودُ
فَمُتَّ(٢) بِحَزْمٍ إِلىٰ جُودِهِ ... يَنَلْكَ مَعَ ٱلْعَفْوِ بِرٌّ وَجُودُ
إِذا كُنْتَ سَيِّدَ قَوْمٍ وَلَمْ ... تَسَعْهُمْ بِحِلْمٍ فَأَنْتَ ٱلْمَسُودُ
يُفِيــدُ فَيَحْزُنُهُ جُودُهُ ... إِذا كانَ دُونَ ٱلْعُلىٰ ما يُفِيدُ
وَيُبْدِي فَيَعْظُمُ مَعْرُوفُهُ ... وَلٰكِنْ يُصَغِّرُهُ ما يُعِيدُ
كَأَوْبَةِ أَحْبابِهِ عِنْدَهُ ... حُلُولُ وُفُودٍ يَلِيهِمْ(٣) وُفُودُ
وَكَالْبَيْنِ أَنْ تَسْتَقِلَّ ٱلرِّكابُ ... بِهِمْ أَوْ تَشُدَّ لِعافٍ قُتُودُ
يَجِلُّ عَلَى أَنْ يُرىٰ راكِبًا ... طَرِيقًا عَنِ ٱلْقَصْدِ فِيها يَحِيدُ
وَيَشْرُفُ عَنْ فِعْلِ مالا يَشُقُّ ... وَيَكْرُمُ عَنْ حَمْلِ مالا يَؤُودُ
غَنِيٌّ بِآرائِهِ ٱلْبِيضِ أَنْ ... تُظاهِرَهُ عُدَّةٌ أَوْ عَدِيدُ
وَقَفْتُ ٱلْقَوافِي عَلَى حَمْـدِهِ ... وَما رَجَزِي عِنْدَهُ وَٱلْقَصِيدُ
يُقَصِّرُ عَنْ قَدْرِهِ جَهْدُها ... وَفِي عَفْوِها عَنْ أُناسٍ مَزِيدُ

(١) العود : الخشب والغصن بعد أن يقطع . والعود : ضرب من الطيب يتبخر به .
(٢) أي تَوَسَّلْ .
(٣) تليها (ت) .

أَنالَ فَكُلٌّ جَوادٌ بَخيلٌ   وَقالَ فَكُلٌّ بَليغٌ بَليدُ
كَأَنَّكَ مِنْ سَيْبِهِ تَسْتَميحُ   مَتى[(١)] جِئْتَ مِنْ عِلْمِهِ تَسْتَفيدُ
كِلا الزّاخِرَيْنِ كَفيلاكَ[(٢)] أَنْ   تَفيضَ سُيُولٌ وَتَطْمو مُدُودُ
لَهُ فِقَرٌ لَوْ تَجَسَّدْنَ لَمْ[(٣)]   يُفَضَّلْنَ إِلّا بِهِنَّ العُقُودُ
فَيَظْلِمْنَ[(٤)] إِنْ قيلَ نَوْرٌ نَضيرٌ   وَيُبْخَسْنَ[(٤)] إِنْ قيلَ دُرٌّ نَضيدُ
وَإِنّي وَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَعْدُني   نَفائِسُ بيضٌ مِنَ الغُرِّ غيدُ[(٥)]
لَيَحْسُنُ بي في هَواكَ الغُلُوُّ   وَيَقْبُحُ بي عَنْ نَداكَ القُعُودُ
مَضى الأَكْرَمُونَ فَأَمْسى يُشيدُ   بِذِكْرِ مَناقِبِهِمْ مَنْ يُشيدُ
كَأَنْ لَمْ يَبينُوا بِما خَلَّدُوا   وَلَيْسَ المَحامِدَ إِلّا الخُلُودُ
مَناقِبُ تَشْرُدُ ما لَمْ يَكُنْ   لَها مِنْ نِظامِ القَوافي قُيُودُ
وَما زالَ يُحْفَظُ مِنْها المُضاعُ   لَدَيْكَ وَيُجْمَعُ مِنْها البَديدُ
فِداءُ عَطائِكَ ذاكَ الجَزيلِ   يا حَمْزَ شُكْرِيَ هٰذا الزَّهيدُ
وُجِدْتَ فَكُنْتَ حَيًّا لا يَغِبُّ   سَقى الكَوْنَ رِيًّا وَجيدَ الوُجُودُ
بَلَغْتَ مِنَ الفَضْلِ أَقْصى مَداهُ   فَما يَسْتَزيدُ لَكَ المُسْتَزيدُ

---

(١) إذا جئت . . . (ك ، ي) .
(٢) كفيلان (ت) .
(٣) لم يفصلن (ك ، ج)، لا تُفَصَّلْ . . . (ت) .
(٤) فتظلم . . . . وتبخس (ك) .
(٥) لم يرد هذا البيت في (ك) .

وَطَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ(١) أَنْ لا يَكُونَ طَرِيفُ ٱلْعُلَى لَكُمَا وَٱلتَّلِيدُ
فَلَوْلَاهُ(٢) أَعْوَزَ أَهْلَ ٱلزَّمَانِ شَبِيهُكَ فِي عَصْرِهِمْ وَٱلنَّدِيدُ
لَقَدْ صَدَقَتْ فِي نَدَاهُ ٱلظُّنُونُ فَلَا كَذَبَتْ فِي عُلَاهُ ٱلْوُعُودُ

تم(٣) الديوان على ما قرره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط ، من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي(٤) .

قال مؤلفه : كل ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ما سمعه مني وقرأه عليَّ . وما رواه غيره فخالف ما في نسخته هذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد بن محمد بن علي الخياط في سنة سبع عشرة وخمسماية والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبيَّ بعده . ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة في شهر شوال سنة أربع وثمانين وتسعماية على يد الفقير الحقير محمد بن علي الأحلافي الأزهري الشافعي غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين .

تم

(١) هو ابن الممدوح .
(٢) هذا البيت والذي يليه لم يردا في (ن) .
(٣) هذا ما ورد في آخر مخطوطة الاسكوريال التي كان جل اعتمادنا عليها .
(٤) القيسراني الشاعر المشهور .

المستدرك

ورد في الصفحة ٨٤ من نسخة كوبنهاغ ما نصه :

« وله في أبي الحسين ناصر بن محمد بن حيون ؟

أَلَيْسَ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي وَأَنْتَ صَفِيُّهُ يَشْكُو ٱلزَّمَانَا
وَمَا جَارَتْ[1] خُطُوبُ ٱلدَّهْرِ إِلاَّ وَجَدْتُكَ مِنْ حَوَادِثِهَا أَمَانَا
وَلاَ ٱبْتَسَمَتْ ثُغُورُ النَّوْرِ إِلاَّ ذَكَرْتُ بِهَا خَلاَئِقَكَ ٱلْحِسَانَا
خُلِقْتَ أَبَرَّ هٰذَا ٱلْخَلْقِ كَفًّا وَأَجْدَاهُمْ وَأَنْدَاهُمْ بَنَانَا
فَلَوْ أَنَّ ٱلْعُلَى كَانَتْ قَنَاةً لَكُنْتَ أَبَا ٱلْحُسَيْنِ لَهَا سِنَانَا »

ولم ترد هذه الأبيات في بقية النسخ المخطوطة ، وقد سهونا عن وضعها في مكانها عند طبع الديوان .

* * *

(١) في الأصل : جادت . والصواب ما أثبتناه .

الفهرس

(١) المقدمة في ٥٠ صفحة على حدة وأرقامها في ذيل الصفحات، ويشار إلى صفحاتها في الفهارس بحرف (م)

المراجع

المخطوطات

تاريخ دمشق لابن عساكر . في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام للشيزري نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق .

سير أعلام النبلاء للذهبي . المجلد الثاني عشر ورقة ١١٠ من نسخة السلطان أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩١٠ . بعث بالمطلوب منه السيد رشاد عبد المطلب .

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري . الجزء العاشر القسم الثاني ص ٣٦٧ ومابعدها مصور في دار الكتب المصرية . بعث بالمطلوب منه السيد محمد رشاد عبد المطلب .

مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب لابن الفوطي . في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

المنهل الصافي لابن تغري بردي . بعث بالمطلوب منه الدكتور صلاح الدين المنجد .

الوافي بالوفيات للصفدي . الجزء الثامن . نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق .

المطبوعات

الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى للسلاوي .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني .

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شدّاد . تحقيق الدكتور سامي الدهان .

أقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني .

بدائع البدائه للأزدي .

تاج العروس للسيد مرتضى الزبيدي .

تاريخ الأدب العربي لبروكلمن .

تاريخ دمشق لابن عساكر ، الجزء الأول ، والقسم الأول من الجزء الثاني ، طبعة المجمع العلمي العربي وتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

تاريخ دمشق لابن عساكر تهذيب الشيخ عبد القادر بدران .

خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني ، الجزء الأول قسم شعراء الشام ، طبعة المجمع العلمي العربي وتحقيق الدكتور شكري فيصل .

الخزانة الشرقية ٣ للاستاذ حبيب زيات .
خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي .
ديوان ابن حيوس. طبعة المجمع العلمي العربي وتحقيق خليل مردم بك .
ديوان ابن الخياط . طبعة النجف .
ديوان البحتري .
ديوان جرير .
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .
رحلة ابن جبير .
زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم . بتحقيق الدكتور سامي الدهان .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي .
صبح الأعشى للقلقشندي ج ٣ .
طبقات الشافعية الكبرى للسبكي .
قضاة دمشق لابن طولون طبعة المجمع العلمي العربي بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
الكامل لابن الاثير .
لسان العرب لابن منظور .
مختارات البارودي لمحمود سامي باشا البارودي .
المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا .
مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي .
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمباور .
معجم البلدان لياقوت الرومي الحموي .
وفيات الأعيان لابن خلكان .

فهرس الأعلام

فهرس البلدان والأمكنة

❊ ❊ ❊

فهرس القوافي

روايات ذات بال من غير نسخ الديوان المخطوطة

رواية الديوان	صفحة	سطر	رواية مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ١٠/٣٦٧ مخطوط
فياليتني أبقى ليَ الهجرُ عَبْرةً	٤٤	٩	فياليتني أبقى ليَ الوَجْدُ عبرةً
صيْغَ فِضّتِهِ	٦٩	٥	صيْغَ حُلّتِهِ
ثُرِنَّ بها	٩٦	١٢	ثُرِنَّ لها
كيف يُشْكَرُ	١٢٤	٥	كيف تَسْكَرُ
يامؤذياً بالنار	١٢٧	٣	يامحرقاً بالنار
بين الأسِنّةِ مُعْرِضِ	١٧١	٤	بين الأسِنّةِ والظُّبَى
حِذاراً وخوفاً	١٧١	٥	حِذاراً عليه
إلا بقيّةُ ماءِ وجهٍ صُنْتُها	٢٨٧	٥	(إلا صُبابةُ ماءِ وجهٍ صُنْتُها[١])

(١) هذه رواية سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢ ورقة ١١٠ (مخطوط)

جدول الخطأ والصواب

خطأ	صواب	صفحة	سطر
حيـة	جبـة	١٩ م	١١
فُرْقَتَـهُمْ	فُرْقَتِهِمْ	٢٣ م	١٤
مرأ	سرأ	١	١٠
محمد بن ماذك	محمد بن ماذك	٧	٢
لم ترد القصيدة	لم ترد هذه القصيدة	٧	٧
انظر س (١) ص (٢٤)	انظر س (١) ص (٢٢)	١٩	١١
الحاشية رقم (٢) ص (٢٤)	الحاشية رقم (٢) ص (٢٢)	٢٩	١١
منْبَرَةٌ	مِنْبَرَةٌ	٧٧	٧
ذو المناقب	أبو المناقب	٨٣	١٠
هل	فهل	١٥٠	١٢
يَرْوي	يُرْوي	١٦٠	١١
فا	فما	١٨٠	٢
حجافل	جحافل	١٩٠	١
تَصَرّفُ	تُصَرِّفُ	١٩١	٧
ص ١٢٠	ص ٢٢٠		
أزْوَرُ	أزْوَرْ	٢٢٢	٣
أرقام الحاشية ١،٢،١،٢،٣،	١،٢،٣،٤،٥	٢٦٨	١٤،١٥،١٦
وفرطِ صبابةِ	وفرطِ صبابةِ	٢٩٢	١٢